

البَابُ الْأَوَّلُ

منظور متعدد الأبعاد



يتناول هذا الباب ذلك الدور الذى يلعبه الأب في حياة أبنائه من الجنسين ، ونموهم ، وتسهيل حدوث هذا النمو ، ورعايته وذلك من منظور متعدد الأبعاد . وفى سبيل ذلك يتم تناول هذا الدور على امتداد أربعة فصول يعرض فى الفصل الأول منها لوجهة نظر تاريخية حول قيام الأب بهذا الدور بدءاً من المجتمعات اللاطبقية التى كان يسود فيها الصيد والقنص ، ومروراً بالمجتمعات الزراعية التى شهدت مولد الطبقة ، ووصولاً فيما بعد إلى المجتمعات الصناعية الحضرية ، ثم المجتمعات المعاصرة . ويتناول الفصل الثانى هذا الدور الذى يمكن أن يقوم الأب به من وجهة نظر مدرسة التحليل النفسى وذلك منذ سيجموند فرويد **Sigmund Fried** الرائد الأول لها وحتى تلك التطورات الأخيرة التى شهدها هذا الميدان ومنها نظرية الانفصال - الوجود الشخصى أو الفردى للطفل التى أعدتها مارجرىت ماehler **Mahler** ، والنموذج الثلاثى الذى قدمه أبلين **Ablien** ، والتطور الذى شهدته هذا النموذج فى أوائل العقد التاسع من القرن الماضى .

أما الفصل الثالث فيتناول تلك الرعاية التى يوليها الذكر الراشد للصغار من فصائل القروود والقردة العليا . ولهذا الفصل أهميته التى لا يمكن أن ينكرها أحد حيث نعلم جميعاً أن قوانين التعلم ونظريات التعلم فى معظمها قد تم التوصل إليها بعد دراسات أجريت على الحيوانات فى إطار ما يسمى بعلم النفس الحيوانى سواء من جانب المدرسة السلوكية بنظريات المختلفة التى توصل إليها علماءها أمثال **Watson** ، وثورانديك **Thorandike** ، وهل **Hull** ، وسكنر **Skinner** ، وبافلوف **Pavlo** ، وغيرهم ، أو من جانب مدرسة الجشطت **Gestalt** التى يعد كوفكا **Kofka** وكوهلر **Kohler** من أهم علمائها . وقد استخدمت هذه النظريات بعد ذلك كاتجاهات متعددة فى العلاج النفسى أيضاً فوجدنا هناك العلاج السلوكى ، والعلاج الجشطتلى تقوم جنباً إلى جنب مع العلاجات الأخرى فى سبيل تحقيق الأهداف العلاجية المختلفة ، أو تتكامل معها فى إطار ما يعرف بالعلاج التكاملى ، ولكل منهما نتائجها الإيجابية التى يشهد له بها فى أغلب الأحيان . وأخيراً يتناول الفصل الرابع نظرة تكاملية لدور الأب فى حياة الطفل من خلال استعراض الأطر النظرية فى هذا الصدد ، ومحاولة الدمج بينها ، واستعراض هذا الدور من جانب الأب ، وأهميته فى حياة الأبناء من الجنسين .

\* \* \*



# الفصل الأول

## نظرة تاريخية لدور الأب في حياة الطفل

جوناثان بلوم - فيشباك

Jonathan Bloom - feshbach



شهدت العقود القليلة الماضية اهتمامًا كبيرًا بالأب حيث اتضح بجلاء أهمية الدور الذي يلعبه في نمو الطفل وفي مستوى الأداء الأسرى بشكل عام (e.g. Lamb, 1976, parke & Sawin, 1976) فتمت كتابة مجموعة كبيرة من المقالات التي تتعلق بالأب وذلك في الصحف المختلفة كصحيفة «نيويورك تايمز» New York Times وفي مختلف المجلات كمجلة «الجريدة المنزلية للسيدات» Ladies Home Journal على سبيل المثال . كما تم أيضًا تقديم العديد من الكتب حول نفس الموضوع إلى عامة الناس ومن بينها ذلك الكتاب الذي قدمه بيلر وميريديث Biller, & Meredith عن «نطاق سلطة الأب» Father power وذلك في عام ١٩٧٤ . وكان للسينما أيضًا دور في ذلك ، فكان فيلم عام ١٩٨٠ والذي يحمل عنوان «كرامر في مواجهة كرامر» Kramer vs. Kramer يوضح كيف يبدو الأب الذي يعيش بلا زوجته كترتيب أسرى جديد . كما أن الطلاق وغيره من الأوضاع التي يتم من جرائها الفصل بين الأب وأبنائه تلفت انتباهنا بشكل متزايد إلى مدى اهتمام الأب بالحفاظ على اتصاله بأطفاله . ومن ناحية أخرى تقوم المستشفيات في الوقت الراهن بتشجيع الآباء على أن يصحبوا زوجاتهم خلال عمليات الولادة .

ولكن ما مدى انتشار مثل هذه التغيرات في المجتمع وما مدى دلالتها ؟ وهل تعتبر هذه التراكمات الأسرية الجديدة على وشك الظهور أم أن الآباء الجدد كشباب يعتبرونها غير ذلك ؟ وإذا كانت التغيرات التي لحقت بالأدوار الأسرية قد وصلت إلى الذروة فهل سيستمر هذا الاتجاه الحديث أم لا ؟ هذه الأسئلة وغيرها الكثير تثار وتطوى ولا يتم الإجابة عنها دون الاستفادة من إدراكنا لطبيعتها . وربما لا نستطيع أن نصل إلى تقييم أكثر دقة لطبيعة التغير الذي يحدث في العصر الحالي إلا بعد عدة أجيال . ويمثل تفحص أحداث الماضي والتمعن فيها إحدى الاستراتيجيات التي تزيد من فهمنا وتوسع من مداركنا للاتجاهات السائدة في الوقت الحالي . وتساعد النظرة التاريخية في إلقاء الضوء على مدى أهمية ومعنى واحتمالات الاتجاهات السائدة حول دور الأب في الأسرة .

ويهدف هذا الفصل إلى استعراض بعض التغيرات التاريخية في دور الأب منذ بدايات التطور الإنساني وحتى القرن العشرين . وسوف نلقى نظرة سريعة على تلك

التغيرات السحيقة ، أما عندما نتناول الأنماط الحديثة لتلك التغيرات فسوف نتناولها بمزيد من التحليل والتفصيل . وسوف نقتصر في تناولنا لذلك على تاريخ أوروبا الغربية بوجه عام وعلى التغيرات التي تعرض لها المجتمع الأمريكي بشكل خاص . ويعتمد تحديد مسببات التغير التاريخي على المستوى الذي يصل إليه الباحث في تحليله للأحداث ، فوجد جريفن ( ١٩٧٠ ) Grevin على سبيل المثال في دراسته لأربعة أجيال من البيوريتانيين Puritans أن العلاقات بين الأب والابن قد تغيرت بتحول أنماط ملكية الأشياء . وبذلك يتضح أن وظائف الأب وتفاعلاته مع ابنه قد شهدت العديد من الاختلافات خلال قرن واحد فقط . ومع ذلك فعندما ننظر على امتداد فترة زمنية طويلة لتصور دور الأب من خلال أساليب التكيف التي يتبعها في المجتمعات الزراعية وذلك في مقابل المجتمعات الحضرية فسوف نجد أن التغيرات الجيلية غير الواضحة سوف تقل في أهميتها . ومن ناحية أخرى فإن التحولات المجتمعية الأساسية في أنماط التكيف لا تتبع نفس الجدول الزمني في العديد من المناطق الجغرافية المختلفة . وعلى ذلك يصبح من الضروري أن نتحدد المناقشة بالأنماط النموذجية للتكيف في تلك المجتمعات وأن تقدم نموذجاً لذلك على امتداد المدى الزمني الشاسع للتاريخ الإنساني .

وتؤثر الزيادة المفاجئة في الاهتمام بدراسة نمو الأفراد البالغين في الوقت الراهن (Gould, 1972; Levinson, 1978; Sears, 1977; Vaillant, 1977) على مدى ازدهار ذلك المجال الذي نطلق عليه اسم « التاريخ الاجتماعي » ( e.g. Elder, 1979 ) Hareven, 1978) كما يتضمن التأكيد التاريخي على البيانات الكمية ، والأنماط الديموجرافية ، والعمليات الاجتماعية في الوقت الحالي اعترافاً بتغير الأفراد بشكل واضح خلال مضمار حياتهم ، فتتأثر العلاقات الزوجية على سبيل المثال بميلاد الأطفال (Bloom-Fesbach, 1980 a; Lamb, 1978) ، وبرحيل الطفل عن المنزل (Lewis, 1979) et al. ، وباستمرار النمو لقطبي الحياة الزوجية ؛ الأب والأم . وإذا ما ركزنا حديثنا على الأبوة مثلاً فسوف نجد أن دور الأب طبقاً لهذا المنظور قد يختلف كدالة للمرحلة النهائية التي يمر بها الأب ، والوضع النهائي لزوجته ، والأعمار الزمنية لأطفاله . وهناك عامل معقد آخر يتمثل في أثر الأحداث الخاصة بفترة زمنية معينة على مجموعة الأفراد الذين يشهدون تلك الفترة حيث يتشكل بدرجة كبيرة مضمار النمو

بالنسبة للشخص البالغ من خلال الأحداث ذات الصبغة التقويمية والفريدة تاريخيًا . وقد أوضح إلدرووكويل (Elder & Rockwell ١٩٧٩) هذا الأثر حيث وجد فروقًا دالة بين المجموعات التي قاما بدراستها في أنماط النمو لدى البالغين اعتمادًا على عمر الفرد وقت حدوث البطالة التي سادت أوروبا في الماضي . وأثار روسي Rossi موضوعًا مشابهًا وذلك في اتصال شخصي به حول عدم تمكين ليفينسون Levinson (١٩٧٨) من دراسة تأثير الخدمة العسكرية أثناء الحرب العالمية الثانية على تشكيل أنماط النمو لدى الراشدين . ومع ذلك فلم يكن تغير سلوك الأب على مدى مضمار الحياة ولا تأثير الأحداث التاريخية الفريدة هو موضوع هذا الفصل ، وبالتالي لن نركز كثيرًا على ذلك في دراستنا للتغيرات التاريخية في وظيفة الأب .

وقد يكون من المفيد أن نتناول باختصار تتابع التغيرات التاريخية الأساسية في الأدوار التي تؤديها الأسرة . وسوف نبدأ من الجذور السحيقة للتطور الإنساني حتى نظهر وظائف الأسرة ، تلك الوظائف التي تم تناقلها عبر الأجيال كميراث ثقافي . وسنركز بعض الشيء على العصور الوسطى في أوروبا الغربية حيث ظهر مفهوم « الطفولة » فيها آنذاك كما يرى أرياس (Aries ١٩٦٢) ثم نركز بعد ذلك على الثورة الصناعية حيث ساهمت التغيرات الاقتصادية والديموجرافية في ذلك الوقت في ظهور الثقافة المدنية أو الحضرية الصناعية التي واكبها حدوث تغيرات هامة في دور الأب . وأخيرًا سنتناول فترة ما بعد الثورة الصناعية والتي أوضحت المصادر المختلفة للبيانات حدوث شيء جديد في تركيب الأسرة خلالها .

## وظائف الأسرة :

قبل أن نبدأ في الاستعراض التاريخي لوظائف الأسرة قد يكون من المفيد أن نضع في اعتبارنا عدة أبعاد أساسية للأداء الأسري . ويمكن تعريف الأسرة على أنها تلك الجماعة التي تتكون نتيجة زواج رجل ما من امرأة معينة ، وقد تمتد أيضًا لتشمل جماعة من الأقارب الراشدين الذين يتعاونون معهما اقتصاديًا ويساعدانها في تربية الأطفال ، كما يقاسمونها منزلاً مشتركًا ، أو أن بعضهم فقط هو الذى يقاسمهما فيه (Gough, 1971). ويمثل التقسيم الثنائي الذى اقترحه بارسونز وبيلز (Parsons & Bales ١٩٥٥) لأدوار الأسرة إلى أدوار وسيلية وأخرى تعبيرية تمييزًا كلاسيكيًا لتلك الأدوار . وفي ضوء هذا

التصور للأداء في الجماعات الاجتماعية المختلفة يمكن لأي فرد أو أكثر في أي جماعة اجتماعية أن يكون هو المسئول الأساسي عن المهام العملية اللازمة للإبقاء على الجماعة، وهذا ما يعرف بالوظيفة الوسيالية. وفي نفس الوقت يقوم أعضاء آخرون في الجماعة بتوزيع مسئولية تأكيد وتعزيز الحياة الاجتماعية - الانفعالية لذلك النسق، وهذا ما يعرف بالوظيفة التعبيرية. وطبقاً لنظرية بارسونز Parsons فإن دور الأب يعتبر وسيلاً في الأساس حيث يقوم بتوفير المصادر الاقتصادية اللازمة للأسرة، في حين يعتبر دور الأم تعبيرياً في أساسه إذ تحيط أطفالها بالحب والرعاية. إلا أن هذا المفهوم لم يسلم مع ذلك من النقد (Slater, 1961) فمن الناحية النظرية يرى البعض أن توزيع أدوار وسيالية وأخرى تعبيرية على أشخاص بعينهم داخل الأسرة أمر غير مطلوب، ولكن يمكن توزيع مثل هذه الأدوار من خلال نسق كامل يتضمنها. ووفقاً لهذا المنظور يمكن لكل من الأب والأم القيام بوظائف عملية وانفعالية. ومن الناحية الإمبريقية فقد توصل كرينو وأرونوف (Crano & Aronoff 1978) من دراستهما عبر الثقافية للأدوار المتنامة للأسرة أي التي يتم بعضها البعض إلى دليل يناقض الرأي القائل بقيام الزوج بالوظائف الوسيالية والزوجة بالوظائف التعبيرية. ويجب أن نلاحظ أيضاً أن هذين الباحثين مع ذلك وعلى الرغم من دراستهما لمائة وستة وثمانين مجتمعاً لم يستطيعا التوصل إلى وجود بعد جوهرى ثان غير بعد الوسيالية - التعبيرية هو ذلك البعد الذي يتمثل في حدود النسق. ومع ذلك فإن بعد الوسيالية - التعبيرية سوف يكتسب درجة عالية من الصدق إذا ما وضعنا في اعتبارنا هذا البعد الإضافي المقترح.

ويتطلب عامل « حدود النسق » تقييماً لمدى اقتراب المهام الوسيالية والتعبيرية من مركز الأسرة والذي يتمثل في أهل البيت. فكان الأب على سبيل المثال في الأسرة التي كانت تقوم على الصيد والقنص والتي تمثل واحداً من أقدم التراكيب الأسرية كان يؤدي مهاماً وسيالية خارج نطاق النسق الأسرى تتمثل في القنص، والدفاع والحكم القبلي. tribal في حين كانت الأم تؤدي مهاماً وسيالية أكثر صلة بمركز الأسرة كجمع الطعام والعناية بالأطفال والعناية بالمأوى. وفي هذا الموقف يقوم كلا الوالدين أيضاً بأداء الوظائف التعبيرية، فتتحكم الأم من خلال دورها في التعاملات الانفعالية داخل النسق الأسرى كترعاية الأطفال وإحاطة زوجها بالحب والود. بينما يخصص دور الأب لأداء

مهام اجتماعية - انفعالية خارج الأسرة كعمل علاقات مع رجال آخرين ، وتولى مسئولية التفاعلات الاجتماعية في الممارسات الدينية . وبذلك يتضح أن الأب في الأسرة التي كانت تقوم على الصيد والقنص كان يقوم بالعديد من الوظائف الوسيالية والتعبيرية التي تتفق مع حدود النسق الأسرى أو تتعدى محيطه . وهكذا نجد أنه بإضافة بعد « حدود النسق » يصبح الإطار الوسيلى - التعبيرى أسلوباً أكثر صدقاً وأهمية في تنظيم أدوار الأسرة .

وكما هو معروف في النظرية التنظيمية فإن قائد أى جماعة يعتبر هو ذلك الفرد الذى يتعامل مع الحدود الخارجية للنسق ويديرها (e.g. Newton & Levinson, 1973) وسواء كان هذا القائد مديراً للمدرسة ، أو رئيساً لدولة ، أو شيخاً لقبيلة ، أو على رأس أسرة فإن دوره يتمثل في حماية كيان جماعته أو منظمته وذلك عن طريق التحكم في التفاعلات التى تنشأ مع الأفراد أو الجماعات الخارجية . ويمنح تنظيم تلك العلاقات الداخلة في النسق السلطة بشكل تلقائى للأداء الذى يحدث ضمن ذلك النسق . ومن ثم فإن مكانة الأب التى تضعه عند الحد الخارجى للنسق الأسرى تسهل له القيام بالسيطرة على أعضاء الأسرة .

وباختصار فإن الأبعاد الأساسية الثلاثة التى تصف الأدوار الوالدية يمكن إيجازها فيما يلى :

- ١ - طبيعة الوظائف الوسيالية للأسرة في مقابل وظائفها التعبيرية .
  - ٢ - الأطر المحددة لهذه المهام كبعدها في مقابل قربها مثلاً من مركز الأسرة .
  - ٣ - الدرجات المختلفة للسلطة المخولة من أعضاء الأسرة .
- وبالتعرف على التذبذب التاريخى الذى انتاب هذه الأبعاد الثلاثة من حياة الأسرة يمكن التعرف على دلالة التغيرات الحالية التى تعرض لها دور الأب .

### جنود الأسرة : المجتمع اللاطبقي

نحن في الواقع لا نعلم عن جذور الأسرة سوى القليل ، فهل تطورت الأسرة كوحدة في وقت ما من التاريخ ثم امتدت بعد ذلك وانتشرت ، أم أنها نشأت من مصادر

متعددة إذ أن الأنواع الأخرى من الكائنات المشابهة للبشر لا تشكل وحدات أسرية فيما بينها على الرغم من قيام ذكور الحيوانات برعاية صغارها والمشاركة في إحضار الطعام لها . ومن المتفق عليه أن تطور الجنس البشرى قد تداخل مع ظهور التركيب الأسرى . وفي حقيقة الأمر فإن الأسرة قد وجدت في كل الثقافات البشرية وذلك على نطاق عالمي . وحتى عندما تتعرض الأسرة للتمزق كما كان الحال في جماعات العبيد في أمريكا فإن تماسك الأسرة كوحدة يظل هدفًا قويًا لدى كل أعضائها . ومع حدوث الزواج والتقسيم التعاوني للعمل فإن تطور التركيب الأسرى يتضمن تلك الظاهرة التي تعرف بالأبوة الاجتماعية . وعلى الرغم من أن طبيعة دور الأب تتصف بالتغير فإن كل المجتمعات الإنسانية تعترف بعقد أو رباط خاص يربط بين الطفل وأب واحد فقط أو أكثر يقوم الأب بمقتضاه بدور اجتماعي معين ، كما يقوم في الغالب أيضًا بدور ديني بالنسبة للطفل . وحتى في تلك الثقافات التي لا تفهم الدور البيولوجي للأب في عملية التناسل ، والثقافات التي لا توجد فيها علاقة فسيولوجية بين الأب والطفل والمجتمعات التي تعترف بتعدد الأزواج للمرأة الواحدة في نفس الوقت والتي يكون فيها للمرأة بمقتضى ذلك العديد من الأزواج أو حتى الأصدقاء ، والمجتمعات التي يكون مرجع النسب فيها من خلال الأم والتي تتم عضوية الجماعات فيها كما يتم إقرار الملكية أيضًا عن طريق الأمهات فإن مثل هذه العلاقة أو ذلك الرابط بين الطفل والأب قد نشأ فيها هي الأخرى أيضًا (Schneider & Gough, 1961) .

وسوف توضح النظرة السريعة على بعض جوانب التطور البشرى - كما يرى البعض - وجود سمات أساسية للأسرة تنشأ خلال فترات مختلفة من التاريخ على الرغم من أنها قد تظهر في فترات أخرى بأشكال معدلة . ويؤكد البناء العام للأحداث المرتبطة بالتطور على التغير المناخي الذي حدث خلال العصر الميوسيني أى المتعلق بالعصر الثلثي الأوسط Miocene الذى كان منذ اثنتا عشرة مليونًا من السنين والتي تقلصت فيه مساحة الغابات شبه الاستوائية مما أجبر القرود - في أفريقيا على وجه الاحتمال - أن تترك موطنها على الأشجار وأن تطور بيئة ملائمة لها على الأرض بدلاً من الأشجار . ومن خلال عمليات الاصطفاء الطبيعي على امتداد مليون سنة تطورت تلك الكائنات الشبيهة بالإنسان البدائي ، وأخيرًا تطور الجنس البشرى الحديث . وترتبط العقلية الفائقة لدى

الإنسان ، والفترة الزائدة من الاعتمادية الطفلية ، ونمو القدرات المعرفية واللغوية الجديدة ارتباطاً وثيقاً بتلك التغيرات البيولوجية والتي يحدث من خلالها تأثير متبادل بين كل من العوامل البيولوجية والعقلية والسلوكية .

ومع استمرار تقلص الغابات وانتشار الحشائش غير القابلة للهضم في مناطق السفانا المفتوحة أصبح أسلاف الإنسان العصرى الذين عاشوا على سطح الأرض قناصين بارعين . كما أن استخدام الآلات ، والعمل في جماعات ، والتواصل والتخطيط بأساليب رمزية قد ميز العقلية الإنسانية بشكل بارز . وكذلك فإن اتساع نطاق الأرض التي استغلها الإنسان في القنص والتي امتدت لأميال عديدة مقارنة بتلك المسافة التي يقطعها الإنسان والحيوان يومياً والتي قد تصل إلى عدة آلاف من الأقدام قد شجع على تقسيم العمل ، فمالت النساء إلى أن يقمن برعاية الصغار وأن يبحثن عن الطعام ، وقام الرجال بالقنص وحماية الجماعة . أما بدايات الحياة المنزلية فقد تشكلت من خلال وجود مركز للأسرة مع وجود موقد للنار فيه . وكان استخدام النار في الطهي شائعاً عند إنسان الكهوف (النياندرتالي)<sup>(\*)</sup> و Neanderthal والذي عاش منذ حوالي ما بين مائة وخمسين ألفاً إلى مائة ألف سنة قبل وقتنا هذا .

وقد حاولت نظريات عديدة أن تضع تفسيراً ملائماً لتحريم سفاح القربى وهو ما يمثل جانباً أساسياً في تركيب الأسرة الإنسانية . ويتضمن ذلك آراء لفرويد Freud حول الجنسية ، وآراء تطورية عن التغيير الجيني ، وآراء بيئية عن التماسك الاجتماعى وبقاء الجماعة . ويرى موردوخ (۱۹۵۷) Murdock أن هناك العديد من العوامل تعتبر هي المسئولة عن تقييد سفاح القربى حيث ساعد تحريم العلاقات الجنسية بين أقرب الأقارب في الحفاظ على الطبيعة التعاونية للأسرة كوحدة وذلك عن طريق تجنب المنافسة بين القرناء . كما عمل تناقص التنافس الجنسي على تقوية أواصر العلاقة بين الأسر ، وأوجد المزيد من النظام في القبيلة كجماعة . ومع وجود الولاء من الزوجة والإخلاص من الأبناء بدأ الأب يغامر دون تردد بالخروج من المنزل في حملات القنص وهو على ثقة من أهل

---

(\*) منسوب إلى وادى النياندرتال قرب دوسيلدروف بألمانيا حيث وجدت بقايا هيكل عظمى لإنسان قديم ( المترجم ) .

منزله<sup>(\*)</sup> . وهكذا نجد أن الأحداث التطورية قد شجعت الأم على أن تكون هي الوسيط الرئيسي في تربية الأطفال وجعلت الأب يقوم بأدوار الحماية وتوفير سبل العيش .

ومن المعتقد أن المجتمعات التي قامت على الصيد والقنص والتي درسها علماء الأنثروبولوجيا خلال القرون الثلاثة الماضية تتشابه فيئاً مع تلك الثقافات التي كانت توجد في العصر الحجري الأوسط (الميزوليتي) Mesolithic أى منذ ما بين خمس عشرة ألفاً إلى عشرة آلاف سنة قبل وقتنا هذا . وعلى الرغم من أن تركيب الأسرة قد يكون من المحتمل أنه مر بمراحل مختلفة سابقة على المرحلة الحالية ، فإننا وبغرض دراسة إقامة القواعد الأساسية لدور الأب يصبح من المفيد أن نعتبر أن الثقافة التي كانت في مجتمع الصيد والقنص تعتبر ممثلة للأسرة الأصلية . ومن ناحية أخرى فإن التقييم التقليدي للعمل في تلك المجتمعات التي قامت على الصيد والقنص قد مال إلى الثبات . وقد وجد موردوخ ( ١٩٥٧ ، ١٩٦٧ ) Murdock في تحليله لمائة وخمسة وسبعين من هذه المجتمعات أن ٩٧٪ منها قد قصر القنص على الرجال ، وعندما كان صيد البحر يمثل أساساً اقتصادياً في تلك المجتمعات كان مقصوراً على الرجال فقط أو بصفة رئيسية لدى ٩٣٪ من تلك المجتمعات وأوضحت ٦٠٪ من هذه المجتمعات أن النساء كن هن المسئولات عن البحث عن الطعام وإحضاره . وكقاعدة عامة كان المجال الذكري في هذه المجتمعات يتضمن القتال وحماية القبيلة ، والحفاظ على الممارسات الدينية ، بينما كان المجال الأنثوي يضم تربية الأطفال ، والإفشاء إلى المأوى طلباً للحماية ، والقيام بالطهى ، وتجهيز وتخزين الطعام (Gough, 1971) . وكان اتخاذ القرار في القبيلة من اختصاص

(\*) قام الإسلام بتحريم ذلك ، وقد ورد هذا في قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعُمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ﴿٢٤﴾ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾ . وهذا يوضح تحريم الإسلام لسفاح القربى والسفاح بوجه عام (المترجم) .

الرجال على الرغم من أن النساء في مثل هذه المجتمعات كان لهن تأثير هام على السياسة العامة ، إلا أن هذا التأثير لم يكن رسمياً بالدرجة المطلوبة (Berndt & Berndt, 1969) .

وبينما كانت تربية الأطفال تبدو من اختصاص النساء والأجداد ، كان الأب الذي لا يزال ينشغل بالصيد والقنص منغمساً في حياة أطفاله وخصوصاً في تعليم أبنائه البنين القنص والعادات الدينية ( Berndt & Berndt, 1969 ) . وفي دراسته للأقزام في إقليم Belgium بالكونغو لاحظ تورنبول ( ١٩٦٢ ) Turnbull كيف يقوم الآباء بتدريب أبنائهم البنين ، ورأى أن الأب يقوم بصنع قوس دقيق لابنه وسهام من الخشب قليلة الصلابة نسبياً ويجعل فيها نقاطاً غير حادة ، كما قد يعطيه أيضاً قطعة من شبكة تستخدم في القنص . وكان معروفاً أيضاً عن الآباء الأورميين وهم السكان الأصليون القدماء في تلك المناطق تدريبهم لأبنائهم الذكور على القنص وإقامة العادات الدينية ( Berndt & Berndt, 1969 ) وقد لوحظ في تلك الثقافات أنه حتى في تلك المجتمعات التي تستخدم الزراعة إلى حد ما يشارك الآباء بدرجة كبيرة في تربية الأطفال . ويشير كينكل (١٩٦٦) Kenkel نقلاً عن ماليناوسكى (١٩٦٢) Malinowski في تقريره الكلاسيكي عن الحياة في جزر Trobriand يشير إلى أن الأب يقوم بنصيب كبير في العناية بأطفاله الصغار ، فيقوم بتنظيف جسم الطفل ، ويحممه ، ويطعمه الخضروات المهروسة ، ويحمله معه خارج المنزل لعدة ساعات في المرة الواحدة . ويكون الأب في الواقع مغرمًا بالأطفال ، كما يكون رفيقاً حميماً لهم عندما يكونون صغاراً . وعلى الرغم من هذه المشاركة من جانب الأب في حياة الطفل فإنه لا توجد علاقة بيولوجية بين الأب وأطفاله . أما حقوق الأب وواجباته وامتيازاته في الأسرة فتشتق من دوره كزوج لأم الأطفال .

وهكذا قامت علاقة الأب الاجتماعية بأطفاله وبالأسرة كوحدة بشكل واضح في العديد من المجتمعات اللاطبقية التي تقوم على الصيد والقنص والتي وجدت منذ ثمانمائة سنة قبل الميلاد . وعلى الرغم من التقسيم الحاد في الأدوار الوالدية والتي تجعل دور الأب خارج النسق الأسرى بينما يكون دور الأم داخل ذلك النسق ، فإن الأب يشارك مع ذلك في بعض الجوانب الاجتماعية لتربية الأطفال .

كذلك فقد كان الأب في مثل تلك المجتمعات اللاطبقية هو المسئول عن عملية اتخاذ القرارات والمهيمن عليها . وعند إجراء مقارنة بين أدوار النساء في تلك المجتمعات يتضح

في الواقع أن المرأة في مثل هذه الثقافات ذات التوجه المعيشي قد حصلت على درجة من المساواة مع الرجل أكبر نسبيًا من غيرها من النساء في التراكيب المجتمعية الأخرى . وتؤدي قيمة النسق المميز للحياة الاجتماعية البسيطة ، والاعتمادية الاقتصادية المتبادلة بين الزوج والزوجة إلى تقسيم أكثر توازنًا للسلطة حيث يؤدي الغياب المتكرر للأب عن المنزل لمتابعة أنشطة القنص إلى ترك السلطة في الشئون اليومية فيتيح بذلك الفرصة لزوجته للقيام بالوظائف المنزلية .

### التكيف الزراعي وظهور المجتمعات الطبقيّة :

يعتبر النمط الزراعي هو النمط الجوهري الثاني للتكيف الإنساني ، ويتميز هذا النمط بتربية الماشية وزراعة النباتات المختلفة . وقد سبب هذا التغير الجوهري في القاعدة الاقتصادية للحياة الإنسانية تأثيرات متوازنة بعيدة المدى على التركيب الاجتماعي البشري . فقد سمح تطور الأساليب الزراعية بامتلاك فائض الثروة والذي إذا ما تم توزيعه بشكل غير متساو فإنه يؤدي إلى تكون مجتمعات من الطبقة الراقية . ويؤدي المركز المرموق الذي يحصل عليه الذكور في المجتمع الطبقي إلى اللامساواة وإلى التمييز بين الأدوار الجنسية داخل الأسرة بدرجة أكبر . ونظرًا لأن التركيب الطبقي يتضمن جماعات اجتماعية مختلفة تضم الحكام والمحكومين فإن له أنماطًا متعددة من التراكيب الأسرية قد تتواجد في الثقافة الأكبر ، إلا أن هذه التعددية قد تتناقض بشدة مع تجانس الحياة الأسرية داخل المجتمعات التي تقوم على الصيد والقنص .

ويمثل ظهور القرية تغيرًا هامًا ظهر مع البيئة الزراعية . وعلى الرغم من أن أولئك الذين كانوا يقومون بالصيد والقنص لم يكونوا رحالة فإن قواعد منازلهم كانت مؤقتة نسبيًا ، في حين تطلبت حياة الزراعة استقرارًا بدرجة أكبر . ويرجع أول دليل على الحياة الأسرية في القرى إلى حوالي سبعة آلاف سنة قبل الميلاد وذلك في العالم القديم في كل من العراق وهضاب إيران وإلى حوالي ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد في العالم الجديد في جنوب ووسط أمريكا<sup>(\*)</sup> ويشير اختلاف التوقيت الذي تم فيه إدخال الأساليب الزراعية في كل من العالم الحديث والقديم إلى عدم التزامن في تطور المجتمعات الإنسانية .

(\*) لم يذكر المؤلف شيئًا عن حضارة المصريين على الرغم من أنها أقدم حضارات العالم ، ولن نكون مبالغين إذا قلنا أن كافة الحضارات السابقة في العالم قد استفادت من حضارة مصر القديمة ، وهو يؤكد القول بأن مصر هي أم الدنيا ( المترجم ) .

وبسرعة اكتسبت بعض الثقافات التي تقوم على الصيد والقتل الكثير من المعلومات عن الحياة الأسرية، في حين لم تتغير ثقافات أخرى في أنماطها. وبذلك تحولت بعض المجتمعات الزراعية في النهاية إلى دول حضارية أكثر استقرارًا وتوجهًا نحو التجارة. وتعتبر العراق في سنة ثلاثة آلاف قبل الميلاد، وبعدها الثقافات اليونانية والعبرية والرومانية أمثلة جيدة لذلك. كما بقيت بعض المجتمعات الزراعية ثابتة نسبيًا فيما يتعلق بسكانها، ولم تمر بخبرة التحول إلى الحياة الحضارية أو بظهور وسقوط إمبراطوريات عسكرية وسياسية هامة. وكما هو الحال بالنسبة لأي نمط آخر للتنظيم المجتمعي فإن المدى الكامل للاختلافات التاريخية والثقافية في المجتمعات الزراعية يصبح من الصعب تناوله. ومن الأكثر أهمية أن نضع في اعتبارنا أنماطًا مختلفة للنماذج الأسرية المميزة لتنظيمات اجتماعية - اقتصادية تختلف فيما بينها اختلافًا نوعيًا كمجتمعات الصيد والقتل، والمجتمعات الزراعية، والمجتمعات الصناعية والحضارية ثم نقوم بتوضيحها إلى جانب عينة مختارة من الثقافات الفعلية. وبهذه الطريقة يمكننا أن نحدد الاتجاهات والأسس الكلية لدور الأب في الأسرة.

وسوف نتناول باختصار الآثار التي عادت على الأسرة من جراء الانتقال من حياة الصيد والقتل إلى نمط الحياة الزراعية، وسنركز في مناقشتنا لذلك على التطور الزمني والتاريخي.

### الأدوار الأسرية من وجهة نظر علم النفس والاقتصاد :

يعتبر فريدريك إنجلز (1894) Fridrich Engels أحد المفكرين الأوائل الذين حددوا بوضوح أثر العوامل الاقتصادية على تركيب الأسرة. وعلى الرغم من أن بعض أفكاره حور جذور الأسرة قد أصبحت مرفوضة الآن، ومن هذه الأفكار فكرة وجود المجتمعات الأمومية أي التي تقوم على نظام اجتماعي يتم الرجوع فيه إلى الأم في النسب والوراثة (راجع Babpurger, 1974) فإن بعض مقترحاته قد وقفت كشواهد على الزمن ووضعت أمورًا معينة في بؤرة الاهتمام حتى تتم مناقشتها (Sacks, 1974). وكان إنجلز Engels مهتمًا على وجه الخصوص بأهمية الملكية الخاصة في تشكيل العلاقات

الاجتماعية . ولم تتضمن الممتلكات من وجهة نظره نوع الأشياء التي امتلكها أولئك الذين كانوا يعملون بالصيد والقتل إذ أنه على الرغم من وجود الممتلكات في مثل تلك المجتمعات فقد كان الهدف منها هو استغلالها في الأمور المعيشية وليس تكديسها . كذلك فعندما كان يموت أحد الأفراد في مثل هذه المجتمعات كان يتم توزيع ممتلكاته بين أعضاء القبيلة بما يعكس اتجاهها أساسياً يقوم على المشاع فيما يتعلق بالثروة . وبنفس الطريقة فحينما كان يتم اقتناص حيوان ما بنجاح فإنه كان يتم توزيع تلك الغنيمة على نطاق واسع .

وعلى النقيض من ذلك فإن الطبيعة الأسرية في المجتمعات الزراعية قد أثمرت ممتلكات يتم تكديسها والاحتفاظ بها مما أدى إلى تكوين علاقات غير متناسقة للقوة بين الراشدين . كما أدى تخزين الحبوب ، والعناية بقطعان الماشية ، والاتجار في السلع المختلفة إلى تكوين طبقة راقية من البشر . ويوضح إنجلز Engels أنه لم يقم بإرجاع سيطرة الذكور على الثروات إلى دافعيتهم الشريرة للقوة ولكنه اعتبر أن السيطرة الذكورية ترجع إلى ما يعرف بالسرنديبية والتي تعنى موهبة اكتشاف الأشياء النفسية أو السارة مصادفة وهى مأخوذة من أسطورة أمراء سرنديب الثلاثة . كما يرى أن تربية الحيوانات المنزلية قد سبق تطور الأساليب الزراعية . وكلما ازدادت القوة الجسمية للرجال إضافة إلى تحررهم من مهمة حمل وإنجاب الأطفال أدى ذلك إلى انغماسهم بدرجة كبيرة في رعاية الحيوانات . ونظراً لأن قطعان الماشية كانت تعتبر هى رأس المال الأول الذى يجب جمعه وتكديسه ، وأن الرجال هم الذين يسيطرون على تلك القطعان ، صارت النساء بالتالى لا حول لهن ولا قوة .

ويضيف إنجلز Engels أن العوامل التركيبية واسعة النطاق وهى تلك العوامل التى ترتبط بالتركيب الاقتصادى الاجتماعى الكلى تشكل التفاعلات المصغرة داخل النسق الأسرى . وبذلك فمع وصول الرجال إلى القوة الاقتصادية تصبح أدوارهم الأسرية أبوية بدرجة أكبر ، وتزداد سيطرتهم بدرجة أكبر على عملية اتخاذ القرار فى الأسرة ، وتقل مشاركتهم فى تربية الأطفال ، ويزداد التمييز بين المهام المنزلية بدرجة أكبر . أما فى المجتمعات الزراعية حيث تلعب المرأة أدواراً أكثر أهمية فى الاقتصاد ، فتزيد بناء على ذلك مكانتها فى الأسرة ويتم تقسيم الوظائف المرتبطة بتربية الأطفال بالتساوى . فعلى سبيل المثال نجد أنه بالنسبة لقبيلة Iroquois الأوركويز عمل انشغال الذكور

بالحرب والأنشطة التجارية على زيادة السيطرة النسائية على الإنتاج الزراعى ( Noon ، 1949 ) ويعتقد علماء الأنثروبولوجيا أن مثل هذه القوة الاقتصادية هي المسئولة عن تأثير النساء فى تلك القبيلة على السياسات الخاصة بها ( Sanday ، 1974 ) . ويقتبس ساندى Sanday ( ١٩٧٤ ) بيانات تدل على أن النساء فى قبيلتى يوربا وساموان Yorupa & Samoan قد اكتسبن سلطة أكثر ومكانة اجتماعية أكبر من خلال مشاركتهن الفعالة فى العملية الاقتصادية .

وفى اختبارها لصحة الفرض الذى قدمه إنجلز Engels من أن النساء فى المجتمعات التى تزداد فيه الملكية الخاصة يصبحن تابعات بدرجة أكبر ، قامت ساكس ( ١٩٧٤ ) Sacks بالتركيز بصفة خاصة على مكانة المرأة فى المنزل ومكانتها فى المجتمع ، وقارنت بين أربعة مجتمعات أفريقية تختلف فيما بينها على امتداد متصل بين تلك التى تقوم على المساواة وتلك التى تعتبر مجتمعات طبقية ، وهذه المجتمعات الأربعة هى لافدو Lovedu وإمبوتى Mbuti وبوندو Pondo وجاندا Ganda . ووجدت أن الأنشطة الإنتاجية للنساء فى هذه المجتمعات باستثناء جاندا تعد أنشطة اجتماعية ، كما تتمتع النساء فيها بمكانة اجتماعية مرموقة لا يصل إليها سوى الراشدين . إلا أن تلك الأنشطة النسائية الإنتاجية فى جاندا فقط تعتبر أنشطة منزلية ، وبالتالى ترتبط مكانة الأم بكونها فقط زوجة وقائمة على رعاية أطفالها وذلك على الرغم من حقيقة أن النساء هن اللاتى يقمن بإمداد الأسرة بكل أنواع الأطعمة . ويدل ذلك على أن إنجلز Engels كان على صواب فى رؤيته للعمل العام والعمل الاجتماعى على أنه هو الأساس للرشد الاجتماعى .

إلا أن النظرة المتعمقة توضح أن النساء لا يجب أن يتصفن بأنهن إما أن تكون راشدات اجتماعيات أو قائرات بأدوار الرعاية المطلوبة من الزوجة ، ولكن وكما توضح البيانات المتوفرة فإنه يمكنهن الجمع بين الاثنين بطريقة تلقائية . ويبدو أن مكانة المرأة فى العلاقات الزوجية تختلف بشكل مستقل عن مكانتها فى المجتمع الأكبر ، كما يبدو أن إنجلز Engels كان على صواب أيضًا فى نظرتة إلى دور الزوجة مقارنة بدور زوجها على أن دورها يعتمد على علاقتها بملكية الأشياء الموجودة بالمنزل ، أى أن الزوج - رجل أو امرأة - الذى يملك هذه الأشياء هو الذى يمسك بزمام الأمور فى المنزل .

وعلى النقيض من ذلك تلعب المرأة الصومالية دورًا هامًا ومحسومًا في اقتصاد الأسرة ولكنها مع ذلك لم تحقق لنفسها مكانة اجتماعية ومنزلية متساوية مع الرجل (Sanday, 1974) وهكذا يتضح مدى أهمية العوامل الاقتصادية في هذا الجانب، إلا أنها مع ذلك لا تمثل سوى مجموعة واحدة فقط من المتغيرات في شبكة واسعة من التأثيرات المختلفة.

ويركز لويس (1976) Lewis و كودوراو (1977) Chodorow على الحاجة النفسية للذكور إلى السيطرة على الإناث. وتتضمن مصادر تأكيد الذكور على السيطرة أو الهيمنة - من بين ما تتضمنه - التزعزع بالنسبة للأداء الجنسي، والإنجاز، والحاجة إلى السيطرة على المشاعر. وترى كودوراو (Chodorow) أن البنين الأصغر سنًا في توحدهم مع الأم يطورون أساليب مبكرة لذلك، وعليهم أن يقوموا بكبت هذه الأساليب قبل أن يقوموا بتطوير هويتهم الذكرية. كما تفترض أن الدفاع الذي يقوم به الولد ضد التوحد الأنثوي يجعله مترددًا سيكولوجيًا وأكثر حساسية، وينتج عن ذلك اتجاهًا يبعد به عن الخبرات المؤثرة انفعاليًا. وبالنسبة للذكور فإن عمق الشعور قد يعنى المخاطرة بالتغير عن جانب أنثوي عميق من الذات وهو بطبيعة الحال ما يمكنه أن يهدد مفهوم الذات الذكرى لديهم. أما قيام الرجل بالخط من قدر المرأة في المجتمع الصومالي فيوضح حاجة لدى الرجال بوجه عام كى يكونوا أقوياء حينما يمسه الأمر ذكورتهم. ومن ناحية أخرى فإن الفقر، والمصادر المحدودة، ومشاركة المرأة في القطاع الاقتصادى (حتى في القيام بالأعمال الزراعية الشاقة) يمكنها من أن تهدد مفهوم الذات الذكرى ذا القوة والسلطة، وهو ما يؤدي إلى أساليب مدمرة لتحقيق فاعلية الذات. وبذلك فالمجتمعات التى تقوم فيها الأم بالرعاية المبكرة للطفل قد ينجر الذكور فيها توحدًا أنثويًا، كما قد تؤدي تلك الرعاية المبكرة للطفل من قبل الأم إلى ظهور التعبيرات التسلطية للقوة بين الرجال الراشدين. وهى الدائرة التى قد تؤدي إلى معارضة أكثر من جانب الأب على المشاركة في رعاية الأطفال. وكمنظور كلى، من المهم أن نلاحظ أن تأثير البيئة الاقتصادية يتفاعل مع العوامل النفسية لتحديد السلوك الجنسى فى الرشد وتحديد أنماط التفاعل الأسرى أيضًا. وكما كشفت نتائج الدراسات عبر الثقافة التى تناولت الاعتماد على المجال فإن التكيف مع الوضع البيئى يساعد فى تشكيل الاتصالات الأسرية وأساليب التنشئة الاجتماعية للأطفال (Witkin, 1978; Witkin & Berry, 1975). وتعكس درجة

الفرد في الاعتماد على المجال ميلاً ثابتاً لديه لكي يكون إما مستقلاً عن محيطه البيئي أى مستقلاً عن المجال ، أو أكثر حساسية للإشارات البيئية أى معتمداً على المجال . ويقطع بعد الاعتماد على المجال كل مستويات الأداء النفسى قطعاً متعارضاً ، ويعكس مقدار التمييز النفسى في مجال الشخصية والجوانب الإدراكية والمعرفية والانفعالية (Witkin et al., 1977) ، كما يرتبط بالمحددات النفسية العصائية (Bloom - Fesback, 1980 b; Witkin, et al., 1977) . ويتميز الأفراد المستقلين عن المجال بأنهم أكثر استقلالاً وأقل خضوعاً للتأثير الاجتماعى ، ويميلون إلى عزل العاطفة وإلى التعقل أو استخدام العقل كوسائل دفاعية . أما الأشخاص المعتمدون على المجال فهم أكثر حساسية ، ويرتبطون بالإشارات الاجتماعية ، ويتذكرون الوجوه التى يرونها بدرجة جيدة ، كما أنهم أفضل في حلهم للصراعات ، وأكثر امتثالاً ، ويستخدمون الكبت والإنكار كوسائل دفاعية نفسية (eg. Schimek, 1968 ; Witkin, et al., 1974) . ونظراً لأن الاعتماد على المجال يمكن قياسه باستخدام أساليب غير لفظية فإنه بذلك يبدو كوسيلة مفيدة لدراسة كيفية ظهور أساليب الشخصية من خلال الممارسات المتبعة في تربية الأطفال والتى تميز الثقافات المختلفة . ومن الناحية التاريخية فإن هذه التحليلات عن الثقافة تفتح نافذة على النماذج التاريخية لأنها تعكس مدى تعقد النمو بين المجتمعات الإنسانية . وهكذا فإن مقدار الاختلاف بين الثقافات الحالية قد يوضح مدى التباين بين المجتمعات التى نشأت في العصور التاريخية المبكرة .

وفي مراجعته للتراث السيكولوجى يوضح وتكين (١٩٧٨) Witkin أن الفروق بين الثقافات في درجة الاعتماد على المجال ترتبط بشكل ثابت بالمتطلبات البيئية التى يفرضها التركيب الاقتصادى الاجتماعى . فعند مقارنة المجتمعات ذات الأساس الزراعى التى تسودها الأمية مع تلك التى قامت على الصيد والقنص يبدو من الواضح أن أولئك الذين ينتمون إلى تلك المجتمعات التى قامت على الصيد والقنص كانوا أكثر استقلالاً عن المجال إذ كان عليهم أن يقطعوا مساحة من الأرض يومياً ، وأن يعتمدوا على تعاون المجتمع ككل من أجل البقاء . ومع كل ذلك فقد كان عليهم أن يكونوا قادرين على القيام بعملهم بأسلوب استقلالى فالقنص يتطلب دوماً تعلم أساليب جديدة والاستجابة للاحتياجات الجديدة ، كما يتطلب جمع الطعام في البيئات المتغيرة أيضاً تمييزاً أكبر بين

أماكن معينة ، والقدرة على عزل الشكل ( الطعام ) عن الأرضية ، كما يتطلب أيضًا المهارة في تنمية وتطوير تقييم جديد للعلاقة بين الذات والبيئة . وعلى النقيض من ذلك فإن البيئة الزراعية تعتمد بشكل أكبر على روتين قائم ومكان ثابت ، وعلى وجود أسرة في مقابل القبيلة كوحدة عاملة . وتميل العلاقات الأسرية في هذا التركيب الاجتماعى إلى أن تكون أكثر متانة ، ويصبح الأب بمثابة الشيخ الجليل الحاكم بأمره في المنزل وأهله . ويتم تقدير الدعم لقوة الأب وسلطته من خلال تلك المهام التى ترتبط بالمكان التى تتم خارج المنزل (حد النسق) ، والقدرة الجسمية على رعاية الماشية والحقول بما فيها من نباتات ، وإقامة التنظيم الاقتصادى الذى يجعل من المنزل وحدة تقوم على الحكم الذاتى . ومن ناحية أخرى فإن حاجة الأب النفسية إلى توكيد الرجولة في عالمه المحيط به مع وجود بعض القنوات التى يتم من خلالها التعبير عن العدوان والتنافس تعزز تلك المتغيرات التكوينية - الاقتصادية . وبشكل مبسط يجب أن نقرر أن القناص يقوم بالسيطرة على فريسته بينما يقوم المزارع بحكم أسرته . ويتفق كohn مع هذا الرأى حيث وجد أن خبرات الرجال المهنية تشكل أساليبهم في تربية الأطفال ، ونتيجة لضعف قوتهم في العمل فإنهم يصبحون مسيطرين على المنزل (Kohn, 1969; Kohn & Schooler, 1973) .

وكما يعتبر توزيع المهام بين الرجال والنساء في السياق الزراعى أكثر تمييزًا وجورًا فقد كانت المهام الأسرية المرتبطة بتربية الأطفال منفصلة بناء على ذلك ، كما كان هناك تأكيدًا أكبر على دور الأم في المنزل ومكانتها فيه ، وكذلك الحال بالنسبة لعلاقة الرعاية التى تقيمها مع الأطفال . ويصبح الأب هو القائم على تهذيب الأطفال مبدئيًا أسلوب تسلطى للتحكم يودى إلى الطاعة من جانب ذريته والتكيف الناجح للحياة الزراعية . كما أن الأب في المجتمع الزراعى أقل تواجدًا بالمنزل للعب والعمل والتفاعل مع أطفاله ، ولكنه بدلاً من ذلك يحدد معايير للسلوك ويضعها موضع التنفيذ . ويتفق هذا بطبيعة الحال مع الوصف الذى تقدمه ألان ويليز Alan Wheelis للعلاقة بين الأب والابن في المجتمع الزراعى (Wheelis, 1973) .

وهناك وجه أخرى من أوجه التناقض والاختلاف بين مجتمعات الصيد والقنص من ناحية والمجتمعات الزراعية من ناحية أخرى يتمثل في مقدار الوقت الذى يستغرقه العمل ، ففى حين يبدو أن عشرين ساعة عمل أسبوعيًا وقتًا كافيًا فى الأولى ، يبدو أن

العمل في المجتمعات الزراعية يتطلب سبعة أيام كاملة أسبوعياً أى أن العمل فيها يتطلب الأسبوع بأكمله . وبالتالي لا يوجد أمام الأب في المجتمعات الزراعية سوى القليل جداً من الوقت كى يشارك في قص القصص لأطفاله ، وإقامة الطقوس ، والمشاركة في شئون المجتمع وهو ما يميز الحياة في مجتمعات الصيد والقنص . ومرة أخرى نقرر أنه يجب التأكيد على الفروق الفردية داخل هذه المجتمعات أو بينها وبين بعضها البعض . ففى بعض مجتمعات الصيد والقنص لا يوجد القوت الذى يكفيهم ليعيشوا عليه ، ومن ثم فإنهم يقضون الوقت كله تقريباً بحثاً عن الطعام . كما أنه فى المجتمعات الزراعية يقضى الأفراد كثيراً من فصول الشتاء داخل المنزل مما يساعدهم على إثراء الحياة الاجتماعية للأسرة لمدة تصل إلى نصف العام تقريباً . ومع ذلك يتضح أن الأساس الاقتصادى للمجتمع بالإشتراك مع الحاجات النفسية لأفراده يعمل على إيجاد التراكيب الاجتماعية وأنماط التواصل فيما بينهم والتي تشكل بدورها سلوك الأمهات والآباء ومن ثم سلوك أطفالهم . ويشير لام (1978) Lamb إلى أن علماء النفس الذين يقومون بدراسة النمو فى تلك المجتمعات قد تجاهلوا تأثير مثل هذه المتغيرات المرتبطة بمثل تلك التراكيب على التنشئة الاجتماعية وأسلوب الاتصال والتواصل داخل الأسرة حيث أن الأدوار التى تؤديها الأسرة ، ووضعها الاقتصادى الاجتماعى ، ومعاييرها الثقافية والتي تدخل جميعها فى نطاق اهتمام علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا يجب أن يتم دمجها مع الأساليب المنهجية المتبعة فى البحث السيكولوجى كى نصل إلى تحليل أكثر تكاملاً وذى مغزى لدور الأب والعلاقة بين كل من الأب والطفل (Lamb, 1978) .

### الأسرة العبرية القديمة :

تشتق المعلومات التاريخية عن الحضارة العبرية القديمة من التوراة ، وتمثل الكتابات التى تناولت تلك الحضارة خلاصة وافية للعديد من المستندات التى تمت كتابتها فيما بين سنة ألف وأربعمائة وسنة أربعمائة قبل الميلاد . وبغض النظر عن أوجه القصور التى تعترى ذلك المصدر التاريخى والتي تتضمن المشاكل الناجمة عن الترجمة ونوعية المخطوطات ، إضافة إلى عدم التأكد مما إذا كانت المصادر التى تم من خلالها تناول الأسرة هى عاداتهم القديمة ، أو ملاحظة أنماط حياتهم ، أو تقارير روائية أو قصصية عنهم ، فإننا

لا تزال نملك بين أيدينا بعضًا أو أثرًا من روح الأسرة العبرية القديمة . فقد تغير نمط الحياة الأسرية عبر القرون إلى شكل الأسرة اليهودية الذي ظهر فيها بعد . ومع ذلك فمن المهم أن نبين أن التقاليد العبرية القديمة قد استطاعت من خلال تأثيرها على المسيحية أن تؤثر بشكل دال على تركيب الأسرة في الثقافة الغربية ككل .

وفي حوالى القرن الثانى عشر قبل الميلاد كان بنو إسرائيل فى كنعان Canaan يعملون بالزراعة ، وكان النسق الأسرى الذى يميزهم هو النسق البطيريكى . ويصف كينكل (١٩٦٦) Kenkel العبرانيين القدماء بقوله : إنهم كانوا يزرعون العديد من المحاصيل التى تتضمن القمح والشعير والكروم والتين والزيتون . ومع نمو القرى التابعة لهم وتطورها ظهر العديد من المهن الجديدة ، فقرأنا عن مهن مثل المجبراتى والنجار بقوانينها ونطاقها المهنى ، ثم ظهرت بعد ذلك مهن أخرى مثل صناعة الفخار وحادادة المعادن المختلفة . وقد أدى التغير عن الحياة الرعوية الرحالة إلى تقليص العلاقات بين الأقارب ، وأصبح لمجتمع القرية درجة كبيرة من الأهمية . ويضم هذا المجتمع أسرًا كبيرة مختلفة تضم كل منها عددًا من الأفراد يأتى الأب على رأسهم ، ثم الأم ، إضافة إلى عدد من الأطفال سواء كانوا متزوجين أم لا . ثم نشأت بعد ذلك العديد من المدن الكبرى وتطورت فيها التجارة والصناعة . وخلال تلك الفترات التاريخية التى تم تناولها كانت ثقافة العبرانيين تنادى بوجود الأسرة البطيريكية الموسعة . ونعنى بكلمة «بطيريكى» تلك السلطة التى كانت مخولة للذكر الذى يأتى على رأس الأسرة . أما مصطلح «الموسعة» الذى استخدم لوصف الأسرة فيدل على أن الجماعة الأسرية العادية كانت تضم أعضاء أكثر من الزوج والزوجة والأبناء . وكان لذلك التركيب الموسع للأسرة العبرية الكثير من التداخلات مع الأدوار المخولة لأعضاء الأسرة . فقد أعطيت للذكر الذى يأتى على رأس الأسرة (وهو الأب فى الغالب) سلطة كبيرة ، فكان يمكنه أن يختار زوجات أبنائه ، وأن يبيع بناته كعبيد ، ومع ذلك كان لا يبيعهن للغرباء . وغنى عن القول أنه كان للرجل قدر معقول من السيطرة على زوجته . أما عن سلطة الأب كبطيريك فكانت كبيرة جدًا لدرجة أنه كان يستطيع أن يبطل عهدًا أو نزرًا من زوجته أو ابنته غير المتزوجة تكون قد قطعت على نفسها أمام الله .

وتوضح المستندات الموجودة أن الأب كان هو الشخص المركزي الذي يتمتع بالقوة في الأسرة اليهودية القديمة . ومع هذه القوة والسلطة تحددت مسؤولياته كقائد . ويرى كينكل Kenkel أن الأب كان قائداً للجماعة محددة ، ومديرًا للمشروعات الرعى أو الزراعة التي تقوم بها الأسرة ، ومراقبًا ومشرفًا على شئون الأسرة ، وموظفًا دينيًا ، وقائمًا على تنفيذ العدالة ، وخبيرًا في العلاقات العامة يحافظ على انسجام الجماعة . (Kenkel, 1966) .

وكان الأب العبراني القديم يقوم بكل الدورين الوسيلى والتعبيرى فى سبيل الحفاظ على نسق أسرى سليم . وكما يتضح من هذا الوصف المختصر فإن موقع مهام الأب فى الأسرة يتميز عن حد تركيب الأسرة إذ يقوم الأب بالتحكم فى دفة الأسرة كوحدة كلية . ومن ناحية أخرى كان الأب العبرانى يسيطر على عملية اتخاذ القرار الخاص بالأسرة ، وحتى الاختيارات الزوجية لأبنائه ، وكان من المحتمل بالنسبة له أن يطور علاقات مع أبنائه تتسم بالحدة وقلة الرعاية . وتأتى المرأة العبرانية فى مرتبة أقل من الرجل حيث كانت تابعة له ، كما كان عليها مسؤوليات وواجبات محددة تشمل أولاً إنجاب الأطفال ( لكى يضمننا أن اسم الزوج لن ينتقل خارج إسرائيل ) وتربيتهم والقيام بعمل المنزل .

ومن ناحية أخرى كان يقوم الوالدان باستخدام أساليب تهييبية حادة مع أطفالهما الذين يسيئون التصرف على الرغم مما هو مطلوب منهم من تبجيل لوالديهم كما تحدد فى التوراة . ومع ذلك فإن الحكايات المرتبطة برعاية الوالدين لأبنائهما وعنايتهما بهم ورفقتهما معهم توضح أن الطفل اليهودى قد تمت تنشئته اجتماعيًا من خلال الحب والولاء وذلك فى الوقت الذى كانت لا تزال فيه الأساليب التهييبية المستخدمة تتضمن التهديد . ومن الجدير بالذكر أن الأب كان يستمد سلطته من التوراة وكان يتم النظر إليه كإله . وفيما يتعلق بالزواج كان العريس لا يخرج للحرب أو التجارة لمدة عام يبقى خلاله بالمنزل لإدخال السرور على زوجته التى اختارها . كما كان للأب دوره الدينى فى الأسرة العبرية الذى يوسع من نطاق سلطته . وقد عدلت هذه التقاليد الوالدية اليهودية فى الحدود المسيحية وأعدت صياغتها من جديد مما أثر على طبيعة الحياة الأسرية فى المجتمع الغربى

حتى وقتنا الراهن<sup>(\*)</sup> أما اليوم فإن التمسك بالتقاليد الدينية بالنسبة لهم قد تضائل كثيرًا فتتج عنه تقلص في نطاق سلطة الأب .

(\*) هناك العديد من المغالطات الدينية التي ذكرها المؤلف عن هذا الدور الديني للأب اليهودي امتدت على مساحة تزيد على نصف صفحة أثر المترجم ألا يتعرض لها في الترجمة وأن يذكر تلخيصًا لها ويقوم بالتعليق على كل نقطة يتضمونها . وفي اعتقادنا (المترجم) أن هذه المغالطات تعتبر من الإسرائيليات ، وربما يرجع السبب فيها إلى التحريف الذي تعرضت له التوراة والإنجيل ، وبالتالي أصبح ما أورده المؤلف هنا يتنافى تمامًا مع النصوص القرآنية . ويمكن أن نجمل هذه المغالطات ونرد عليها كالتالي :

١- يرى المؤلف أن سيدنا إبراهيم كان خاضعًا لله منفذًا ما طلبه منه حينما أقدم على التضحية بولده إسحاق لله .

والواقع أن سيدنا إبراهيم كان سيذبح ابنه إسمايل وليس إسحاق حتى أن سيدنا إسمايل لقب بعد ذلك بالذبيح . ويتناول القرآن الكريم ذلك في سورة الصافات من الآية ٩٩ وحتى الآية ١٠٧ . قال تعالى : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَعِدِينَ ﴾ ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿ فَبَشِّرْنَاهُ بِعُلْمٍ حَلِيمٍ ﴾ ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَتَأْتِيَ آفَعْلٌ مَا تُوْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ﴿ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعْهُمُ ﴾ ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلْتُوَا الْأَمِينُ ﴾ ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وبعد الانتهاء من هذه القصة يقول الله تعالى في الآية ١١٢ من نفس السورة منتقلًا إلى الحديث عن إسحاق : ﴿ وَفَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

٢- يرى المؤلف أن قصة التضحية هذه والتي أشرنا إليها في النقطة السابقة توضح حدود سلطة الأب اليهودي وما يجب على الابن تجاه أبيه .

والواقع أن سيدنا إبراهيم لم يكون يهوديًا ولا مسيحيًا بل كان حنيفًا مسلمًا يقول الله تعالى في سورة آل عمران الآية ٦٧ : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ ، ومن هنا يكون من الأولى أن ينعكس ذلك على المسلمين وليس اليهود ، إذ يقول الله تعالى في نفس السورة ، الآية ٦٨ : ﴿ إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ بَعَثْنَا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، والمقصود بهذا النبي هو سيدنا محمد ﷺ . كذلك فإن اليهودية ويليها المسيحية لم تنزلا إلا بعد سيدنا إبراهيم ، إذ يقول الله تعالى في سورة آل عمران أيضًا ، الآية ٦٥ : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ لِمَ تُحَاجُّوهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

٣- يعرض المؤلف إشارة لفكرة الثالوث في قوله «God The Father» والتي أمرنا الله تعالى ألا نعترف بها ، ويكفي أنه سبحانه وصف من يعترفون بها بأنهم كافرون ، إذ يقول الله تعالى في سورة المائدة ، =

## الأسرة الرومانية القديمة :

يمكن تقسيم التاريخ الروماني إلى فترتين رئيسيتين ، تبدأ أولاها قبل تأسيس الجمهورية في حوالي سنة خمسمائة قبل الميلاد وتستمر حتى الحرب مع قرطاج أي منذ حوالي سنة ٢٦٧ قبل الميلاد إلى سنة ٢٠٢ قبل الميلاد أيضا .

الآية ٧٣ : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

ويقول في سورة النساء ، الآية ١٧١ : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خِيفًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ .

٤ - يرى المؤلف أن الله عندما يتكلم مع سيدنا موسى كلمه من خلال النار المقدسة إذ يقول

God Speaking to Moses Through the Holy Light of the Burning Bush مع أن الحديث

كان مع الله مباشرة مع العلم بأنه لم ير الله . يقول الله تعالى في سورة الأعراف ، الآيات ١٤٣-١٤٤ :

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظِرْ إِلَىٰ الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِنِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي فَهَذَا مَا ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

ويقول الله تعالى في سورة طه ، الآيات ٩-١٣ : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا

فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا آخِزَتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾ . وإذا ما نظرنا إلى سورة طه عن سبيل المثال لا الحصر سنجد أن بها

العديد والعديد من كلام الله لسيدنا موسى مباشرة ، منها الآيات ١٧-٢٤ : ﴿ وَمَا تَلَكَ

بِيَمِينِكَ بِمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَاصِبٌ

أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا بِمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَالْقِنَاءُ فَإِذَا هِيَ حِجَابٌ تَسْمَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ

سَنُوعِدُهَا بِسِرَّتِهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةٌ أُخْرَىٰ

﴿٢٢﴾ لِرَبِّكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ .

أما الفترة الثانية فتستمر منذ الحرب مع قرطاج Carthage وحتى القرن الرابع الميلادى . وكما كان الحال بالنسبة للعبرانيين فقد تميز الرومانيون بأسرهم البطريركية الموسعة ، وكقاعدة عامة فقد كان الأولاد الرومانيون لا يستطيعون إقامة أسرهم الخاصة بهم هم أنفسهم حتى يموت رب الأسرة والذي يكون هو الأب في الغالب . وقد كونت مثل هذه الأسر والتي كانت تقوم على العلاقات الحميمة بين أعضائها وحدات اقتصادية تعليمية دينية تعتبر من أهم ما يميز الفترة الأولى .

وخلال ما يقارب الألف سنة التي يمكننا أن نصفها على أنها الفترة الرومانية القديمة عانت الأسرة في روما من تغيرات هامة عديدة . كما نجد أيضًا في تلك الفترة الأولى أسراً كبيرة شديدة التماسك تهتم بأغلب حاجات أعضائها ، وتقوم بعبادة آلهتها المنزلية معاً . وفي ظل هذه الأسرة كان الزواج والاستمرار في خط الأسرة يمثلان قيمتين هامتين في ذلك الوقت المبكر ، إلا أنه في فترة تالية أخذ الزواج باستخفاف ، فكثرت البتر أى عدم إنجاب الأطفال ، وتفشى الزنا والبيغاء (Kenkel, 1966) .

ويعتبر دخول الكثير من الثروة إلى روما بعد الحرب مع قرطاج هو السبب الرئيسى لانحلال التركيب الاجتماعى الرومانى التقليدى وما يوازيه من انحدار وانحصار لسلطة الأب (Davis, 1960; Kenkel, 1966) . وطالما كانت الأرض تمثل الأساس الاقتصادى للأسرة فلم تكن سلطة الأب محددة إذ كان الأب الرومانى يملك حق العقاب البدنى لأطفاله ، كما كان له عليهم سلطة الحياة والموت . وقد انهارت الحدود الصارمة لهذا المجتمع ذى الأساس الأسرى حيث سمح تدفق الثروة للنساء والأولاد البنين باكتساب مصادر مستقلة للسلطة والقوة كما أدت الثروة النامية إلى وجود توجه عام نحو تحقيق اللذة والسعادة ، وصاحب ذلك إقامة مآدب نهمة للطعام ، والإسراف فى الجنس ، والمقامرة . وامتد انهيار الثقافة الذى حدث على نطاق واسع فى قيمها وأنهاطها الأسرية ليشمل عامة الناس الذين لم تكن لديهم ثروة مفرطة .

وكان التفهيت الذى تعرض له تركيب الأسرة الرومانية كافياً لإثارة موجة من الجهود التشريعية التى هدفت إلى مواجهة مثل تلك الاتجاهات . وقد انعكس هذا الانحدار فى زيادة عدم وجود الأطفال (عدم الإنجاب) ، وقلة التأكيد على الزيجات التى تقوم على الإخلاص ، وارتفاع معدل قتل الأطفال والتنازل عنهم أو هجرهم .

وعلى النقيض من اليهود الذين أباحوا تعدد الزوجات واتخاذ خليلات (Epstein, 1942) لم يبيح الرومانيون القدماء هذا التعدد في الزوجات . إلا أن هذا التقليد الروماني الصارم قد ضرب به عرض الحائط ونحى جانبا عندما قام الإمبراطور كاليجولا Caligula في سنة أربعين ميلادية بمنح المزيد من الحرية للعاهرات (Bardis, 1963) اللأئى أصبحن في متناول الرجل العادى (Kenkel, 1966) .

وكانت أول قوانين تهدف إلى تقوية أو اصر الأسرة قد أصدرها الملك أغسطس Augustus في عام ثمانية عشرة ميلادية . وحتى العام الثالث الميلادى لم يكن القانون الأول Lex Julia et papia poppaea والذي ينص على زيادة المكافآت للمتزوجين والوالدين ومجازاة من يتزوج ولا يريد الإنجاب أو من يبقى بلا زواج قد تم سنه . وكان المرشحون لمجلس العموم على سبيل المثال تعطى لهم الأولوية إذا كانوا متزوجين ، كما كانت تزداد هذه الأولوية في حالة ما إذا كان المرشح لديه أطفال . كما فرضت غرامات وضرائب خاصة على غير المتزوجين من الرجال والنساء ، وسنت قوانين أخرى للحد من حالات الطلاق المتزايدة والخيانات الزوجية . وكان الأزواج يجبرون على القيام بطلاق زوجاتهم إذا كن من الزانيات ، وإذا لم يقوموا بطلاقهن في هذه الحالة كان ذلك يعد جريمة يتم عقابهم عليها . أما الرجل الذى كان يقوم بالزنا فكان يفقد نصف ممتلكاته . وعلى الرغم من هذه القوانين وغيرها في نفس المجال فإن الإباحية الجنسية قد استمرت ولم يكتب النجاح لتلك المحاولة المبكرة في إطار التغيير الفورى للسلوك الاجتماعى عن طريق تشريع القوانين ، ومع ذلك فقد كانت الأمور السابقة لتدخل الحكومة في الشؤون الأسرية موجودة في بداية العصر المسيحى .

### إساءة معاملة الأطفال :

سوف يفزع القارئ الذى لا تتوفر لديه معلومات كافية عندما يعرف عن إساءة المعاملة الجسدية والانفعالية والجنسية التى كان يتعرض لها الأطفال والتي استمرت حتى إلى الماضى القريب . كما أن معظم الأنماط السلوكية التى ننظر إليها اليوم على أنها تمثل إساءة معاملة كانت مقبولة كمعيار في روما القديمة ، أى أنها كانت بمثابة أحد المعايير الاجتماعية التى دامت فيها لفترة طويلة من الزمن . وفي الواقع يعتبر المجتمع الرومانى مثالا واضحا على الوضع المفزع للأطفال خلال العصور التاريخية المختلفة . ففي القرن

الميلادى الأول كان الكاتب الرومانى بيترونيوس Petronius على سبيل المثال يستمتع برسم أشخاص بالغين يعشون بالأعضاء التناسلية غير الناضجة للأطفال الذكور . ويصف اغتصاب طفلة فى السابعة من عمرها فى الوقت الذى توجد فيه مجموعة من النساء تلتف حول السرير وهن يصفقن . وبالتالي سوف يلاحظ القارئ مع ذلك أن إساءة المعاملة الجنسية للأطفال الصغار قاصرة على الرومانيين فحسب ، بل كان الشعب الأثينى هو الآخر يقوم بذلك حيث يقتبس أسكينيز Aeschines تلك القوانين الأثينية التى تهدف إلى الحد من إساءة المعاملة الجنسية للأطفال المدارس من قبل المدرسين . وعلاوة على ذلك فإن ديموس ( ١٩٧٥ ) de Mause قد لاحظ أن أسكينيز Aeschines عند متابعتها لتيماركوس Timarchus الذى كان يؤجر نفسه بالساعة كولد عاهر تفعل به الفاحشة ، كان يحتفظ ببعض الرجال الذين اعترفوا بأنهم قد دفعوا بعض المال لتيماركوس حتى يمارسوا اللواط معه .

ويعترف أسكينيز بأن هناك العديد من الأفراد بما فيهم هو نفسه - أسكينيز - قد تمت ممارسة الجنس معهم ( اللواط ) عندما كانوا أطفالاً ولكن ذلك لم يكن فى مقابل حصولهم على المال وهو ما جعل ذلك الأمر غير جائز قانوناً بالنسبة لهم .

وعلى الرغم من أن اليهود كانت لهم قوانينهم الصارمة ضد الجنسية المثلية فى الرشد ، فإنهم مع ذلك كانوا أكثر تهاوناً فيما يتعلق بممارسة الجنس مع الأطفال الصغار . وكان جزاء ممارسة اللواط مع أطفال تزيد أعمارهم عن تسع سنوات هو الموت رجماً ، أما ممارسته مع أطفال تقل أعمارهم عن تسع سنوات فكان جزاؤه هو الجلد بالسوط ( de Mause, 1975 ) . أما فى روما الإمبريالية فقد كانوا يفضلون أن يقوموا بممارسة الجنس مع الأطفال بحيث يلعب الأطفال دوراً سلبياً فى تلك العملية . كما كان الخضاء مطلوباً للرضع البنين الصغار حيث كانت تعتبر تلك الأشياء المثيرة للشهوة بالنسبة لهم ميزة فى بيوت الدعارة تجعل الراغبين فى ذلك يقبلون عليهم أكثر من غيرهم .

ومن ناحية أخرى هناك العديد من الإشارات التاريخية الدالة على إساءة المعاملة الجنسية للأطفال وغيرها من الأشكال المختلفة لإساءة معاملتهم من جانب الكبار قد تم تلخيصها فى المجلد الذى قدمه ديموس ( ١٩٧٥ ) de Mause عن تاريخ الطفولة . ومع ذلك فمن المحتمل أن يكون تأكيد ديموس على القسوة التاريخية تجاه الأطفال مبالغاً فيه ،

حيث من المؤكد أن هناك العديد من الأميين إضافة إلى احتمال أن يكون هناك أيضًا العديد من الأفراد في المجتمعات الغربية القديمة كانوا بديهيًا يتميزون بالخشاسية ورقة الشعور . وقد يرجع ذلك إلى عوامل بيولوجية عديدة (Rossi, 1977) تتعلق بتلك المهام التي تضمنتها تربية الأطفال آنذاك . وعلى الرغم من أن ديموس قد قام بتقديم أدلة عن التأخر الجسمي العام في العصور التاريخية كالمشى في سن متأخرة على سبيل المثال ، فإنه إذا كانت إساءة معاملة الأطفال التي تناولتها الأدلة التي قدمها قد تمت بعنف وإفراط كما ادعى ، لما كان أولئك الأطفال قادرين على النمو كلية . ويوجه ديموس النقد إلى أريس (١٩٦٢) Aries على موافقته بالسماح للوالدين بممارسة القسوة مع الأطفال وإحداث الألم لهم . وحتى هانت (١٩٧٠) Hunt يوجه النقد هو الآخر إلى وجهة نظر أريس حول لا مبالاة الوالدين بأطفالهما والتي انتشرت خلال القرون الوسطى ، وأشار إلى أن الأطفال بطبيعة الحال يتسمون بالضعف وعدم التضج التام جسميًا ومعرفيًا ، وبالتالي إذا كان الوالدان حقًا يبديان اللامبالاة لأطفالهما فإن أولئك الأطفال سوف يموتون حتمًا (Hunt, 1970) . وقد تعرضت الدرجة الفعلية للامبالاة الوالدين وعدم حساسيتهما للمد والجزر على مر التاريخ اعتمادًا على المعايير المحلية ، والتقاليد الدينية ، والثبات الاقتصادي ، وما إلى ذلك . ومع هذا فإن ذلك الهجوم الذي يتضمنه رأى ديموس يعتبر صادقًا ، وهو ما يعنى أننا قد قللنا بالفعل من قدر إساءة معاملة الأطفال في الماضي ، ولذا فقد أصبح توفر المزيد من الحساسية تجاه حياة الأطفال وحاجاتهم الخاصة - وعلى وجه الخصوص في تلك المجتمعات التي تتبع أيديولوجية معينة - يمثل سمة من سمات الحركة التقدمية في التاريخ الغربى .

### **تطور أيديولوجية خاصة برعاية الأطفال والاهتمام بهم : (٢٠٠-١٧٥٠م)**

تتضمن المطالبة العامة الصاخبة المحيطة بالتغيرات التي اعترت الأدوار الوالدية نداء إلى الآباء لتقديم المزيد من الرعاية من جانبهم لأطفالهم . وإضافة إلى ذلك فإنه قد تمت إثارة الرجال ليقوموا بالدور التعبيري بدرجة أكبر من الناحية الانفعالية في علاقاتهم الزوجية وفي حياتهم بشكل عام . ويمكننا أن نفهم تلك التغيرات الحديثة تجاه المزيد من الحساسية الانفعالية من جانب الذكور بدرجة أفضل إذا نظرنا إليها في سياق النمو التدريجي للأيديولوجية الخاصة برعاية الأطفال والاهتمام بهم والتي ظهرت في الثقافة الغربية منذ عصر روما القديمة (سنة ٢٠٠م) وحتى الثورة الصناعية في حوالى سنة

١٧٥٠ م . فأصبحت فكرة العلاقات الانفعالية بين الناس والتي تتسم بالحساسية والتعاطف ، أصبحت تدريجيًا وبخطى ثابتة بمثابة مثل أعلى عام من جانب الأمهات أولاً ثم من جانب الآباء أيضًا في النهاية .

وقد ظهرت مرحلة هامة في نمو هذا الاتجاه فيما بين القرنين الرابع والثامن . وعلى الرغم من انقضاء ألف سنة كاملة قبل أن تصبح رعاية الأطفال والاهتمام بهم هدفًا عامًا ، فقد كان من الأهمية بمكان بالنسبة للأطفال أن يظهر شعاع صغير من الضوء خلال عصر آخر مظلم وكئيب .

وتبدو المكاسب التي تحققت للأطفال خلال تلك الفترة التي تمتد من سنة ٢٠٠- ٨٠٠م مكاسب نظرية في أساسها ، ولم يدركها معظم الآباء والأمهات سوى بشكل غير واضح تمامًا إذ كانت العادات الشعبية قد استقرت بعمق لدى مختلف الأفراد ، وبدأت المنوعات والمحظورات التي أكدت السلطات الدينية والمدنية عليها قليلة الفائدة أمام تلك الأفعال المروعة والمثيرة للاشمئزاز كقتل الأطفال ، والإجهاض ، وعرض الأطفال للبيع وبيعهم بالفعل ، والتنازل عنهم أو هجرهم . وقد تمثل أكثر هذه التغيرات التي عرضت هنا أهمية في ما تقوم به الأم من دور في رعاية الأطفال ، وإن ظلت الفجوة متسعة بين ما تبدو عليه الأم في شعر أوسونيوس Ausonius وبين ما تبدو عليه في اللاهوت عند أوجستين Augustine إلا أن العديد من الأمور والأفكار الوثنية السائدة كانت قد اضمحلت مع قدوم القرن السابع ، وغالبًا ما كان يتم وصف الحب الوالدي على أنه قريب المنال وطبيعي . أما الحاجة المستمرة إلى التشريع إضافة إلى أدلة أخرى متناثرة ومتعددة فكانت توضح مع ذلك أن الفجوة بين المثل العليا وبين الواقع كانت قد ضاقت قليلاً على مدى خمسمائة عام (Lyman, 1975) .

وهكذا ظهر حب الأم المرتبط برعاية الأطفال كأكثر المثل العليا صفوة بين سنة ثمانمائة إلى سنة تسعمائة من الميلاد ، ومع ذلك فقد كان هذا التطور بطيئًا ، ولم يتم ملاحظة الأم القائمة على رعاية أطفالها كظاهرة تنتشر وتتضح على نطاق واسع بين عامة الناس .

ويمثل التنازل عن الأطفال أو هجرهم والذي أبيض بمقتضى العادات مثالاً صارخًا على تبدل المشاعر الوالدية تجاه حاجات الأطفال إلى الاستقرار والانسجام مع الأسرة .

وكان بيع الأطفال يعتبر أقدم أشكال التنازل عن الأطفال وأكثرها تطرفاً . وفي القرن السابع أصدر تيودور Theodore رئيس أساقفة كانتربروري Canterbury أخيراً مرسوماً يقضى بأن الأب لا يمكنه أن يبيع ابنه كعبد إذا ما تجاوز الابن سن السابعة ومع ذلك كان الإنجليز لا يزالون يبيعون أطفالهم إلى الأيرلنديين كعبيد خلال القرن الثاني عشر ، كما لم يكن بيع الأطفال محرماً بمقتضى القانون في روسيا حتى القرن التاسع عشر (de Mause, 1975) وبالتالي فإن تفكير الآباء في الماضي كان يختلف كثيراً عن تفكير الآباء في الوقت الراهن حيث لا يقبل الأب حالياً أن يتنازل عن طفله في مقابل مليون دولار على سبيل المثال .

وحتى في إطار النسق الأسرى فقد كان مقدار الوقت الذى يقضيه الوالدان مع الأطفال وكيفية قضائه محدوداً جداً . كما كان ترك الأطفال في رعاية حاضنات مخمورات شائعاً بدرجة كبيرة حتى بين أوساط الجماعات الأقل ثراء على الرغم من كونه أمراً بغيضاً حيث يقرر ديموس أنه على العكس مما يراه العديد من المؤرخين فإن عادة عدم إرضاع الأطفال من ثدى الأم مطلقاً قد تراجعت في العديد من دول أوروبا خلال القرن الخامس عشر على الأقل (de Mause, 1975) .

وقد يعكس الأسلوب المتعارف عليه على نطاق عالمي والقائم على لف الرضيع جيداً بما يقيد حركته أى ربطه بإحكام لعدة ساعات حتى لا يستطيع أن يتحرك ، قد يعكس عجزاً تاماً عن معرفة حاجات الطفل النامي . وعلى الرغم من وجود بعض الباحثين المحديثين الذين يدافعون عن أسلوب لف الرضيع بتلك الكيفية وتقييد حركته (Lipton, et al., 1965) فيبدو أنه يستخدم كوسيلة تهذيبية للطفل الذى يستمر في الصراخ والبكاء لفترة طويلة .

ومع حلول عصر النهضة كانت فكرة قيام الأم برعاية الطفل سائدة في الفن والنحت . ومن الواضح أن مثل تلك الرؤى الإبداعية كانت تعويضية ، كما كانت تعكس رغبات مثالية للحب والرعاية والاهتمام لم تتوفر لأولئك الفنانين أصحاب تلك الرؤى أنفسهم خلال السنوات الأولى من حياتهم (de Mause, 1975) .

ومع ذلك فإن انتشار وسيادة المثل الأعلى للرعاية والاهتمام يعتبر أمراً على درجة كبيرة من الأهمية ، ويعتبر بمثابة النقيض لتلك الأساليب العامة الجافة للتنشئة الاجتماعية التى سادت دول أوروبا خلال عصر ما قبل الثورة الصناعية . وهناك على سبيل المثال

العديد من المصادر التي تؤكد على أن الأطفال كانوا يذهبون في رحلات لمشاهدة تنفيذ أحكام الإعدام شتفاً، وأن الآباء كانوا يضرّبونهم بالسيّاط عندما يعودون إلى المنزل حتى يتذكروا ما شاهدوه ولا ينسونه أبداً (de Mause, 1975). وانتشر ضرب الأطفال على نطاق واسع لدرجة أن المرّبين أنفسهم كانوا يرون أن ضرب الأطفال بالسيّاط حتى تدمى أجسامهم أمراً مقبولاً ولا عيب فيه وهو ما يختلف عن وجهة نظرهم في قتل الأطفال حيث كانوا ينكرون ذلك ويرونه عملاً غير مقبول. ويرى جون لوك J. Locke في ١٦٩٣ أنه على الرغم من أن الضرب بالسوط قد ينفع فإنه لا يعتبر علاجاً مناسباً، وعلى ذلك يجب تجنب استخدام الضرب بصفة مستمرة (Kessen, 1965).

ومن ناحية أخرى فقد كان الاهتمام بقدرة الطفل على التعاطف الحقيقي والذي لا يعتبر أمراً ضرورياً للأبوة الجيدة (e.g. Benedek, 1970, Feshbach, 1980) يعتبر تطوراً تاريخياً حديثاً نسبياً، حيث كانت السمة المميزة للأسلوب النموذجي للتفاعل بين الوالد (أب أو أم) والطفل خلال فترة ما قبل الثورة الصناعية هي الرفض الوالدي لخياالات الطفل الأولية اللاشعورية. فكان الأطفال على سبيل المثال يتوحدون مع برازهم، كما كان يطلق على الأطفال حديثي الولادة *ecreme* أى البراز، كما كانت الكلمة الفرنسية التي استخدمت لذلك وهي *merdeux* أى البراز يقصد بها الطفل الصغير. وقد اشتقت هذه الكلمة من الكلمة اللاتينية *merda* التي تعنى بالإنجليزية *feces* أى البراز أو الغائط. وكما لاحظ دافيد هانت (1970) D. Hunt فإن حقيقة الشكل غير السار والرائحة الكريهة لبراز الطفل تعنى أن الطفل نفسه قد تقرر له مصيراً سيئاً أغرق فيه، كما أن البراز من ناحية أخرى بمثابة رسالة مهينة إلى الروح الداخلية التي تحرسه *demon*.

كذلك فقد كان الأطفال عبر العصور المختلفة موضوعاً يتم التمثيل به، فكان الهونيون المغول والألمان يقومون بقطع وجتى أطفالهم الذكور، كما كان سائداً في إيطاليا خلال عصر النهضة قيام الوالدين بحرق رقبة أطفالهم حديثي الولادة بقطعة من الحديد الساخن والشمع المحترق اعتقاداً منهم بأن ذلك يمنع المرض عن الأطفال.

وبسبب الطبيعة الهزيلة ضئيلة القيمة للأدلة التاريخية وميل أفراد الطبقة العليا إلى التأكيد على أن يخبروا كل ما هو غريب أو غير عادي يصبح من الممكن فهم النزوع إلى

الشك حول درجة انتشار الحيوانية وسوء الطبع والانحراف تجاه الأطفال . فيرى فيليب أريس Philippe Aries على سبيل المثال أن الطفل التقليدي خلال الفترة الأخيرة من العصور الوسطى كان أسعد حالاً من غيره بسبب الحرية الأكثر التي منحت له في التفاعل مع جماعات عمرية مختلفة ومع طبقات اقتصادية اجتماعية مختلفة أيضاً . كما أنه قد تم ابتكار حالة خاصة تسمى الطفولة Childhood في بداية العصر الحديث نتج عنها ظهور مفهوم استبدادي للأسرة أدى إلى القضاء على الصداقة والاختلاط بالآخرين وحرم الأطفال من الحرية (de Mause, 1975) . وحتى أريس نفسه لاحظ أدلة كافية على السلوك التدميري تجاه الأطفال وكتب على سبيل المثال عن التحرش الجنسي العلني بالأطفال حيث كان العيب بالأعضاء التناسلية للأطفال يمثل جزءاً من عادة تنتشر بينهم على نطاق واسع (Aries, 1962) .

ومن المحتمل أن نظرية أريس عن الابتكار الحديث نسبياً لمفهوم الطفولة تعتبر واحدة من تلك الأفكار الهامة في تاريخ الطفولة والدراسات التاريخية عن الأسرة والتي تم قبولها بدون توجيه النقد لها وكثير منها الاقتباس . ومع ذلك فهناك أدلة كثيرة تعارض هذه الفكرة وتوضح أن الفنانين في العصور القديمة وفي العصور الوسطى كانوا قادرين على تصوير الأطفال بشكل واقعي وليس بمجرد الرسم فقط على أنهم صورة مصغرة للراشدين . وعلاوة على ذلك فإن الفكرة التي ترى أن مفهوم « الطفولة » لم يكن معروفاً حتى العصور الوسطى قد شهدت جدالاً موسعاً في الدراسات الأثيمولوجية أي التي تعنى بأصل الكلمات وتاريخها . وأخيراً فإن وجهة نظر أريس بأن الأسرة في بداية العصر الحديث قد أنزلت بالطفل عقوبة أقسى مما أنزلته به الأسرة في العصور الوسطى لا تنسجم مع معظم الأدلة المتاحة .

وعلى الرغم من أن روسو Rousseau في القرن الثامن عشر يعتبر أول من رأى أن الطفل عبارة عن صورة مصغرة للراشد (Nash, 1976) فقد يكون من الأكثر دقة أن نصوره على أنه يمثل تحولاً في سلسلة من المراحل التطورية للمفاهيم العامة للطفولة . وفي حقيقة الأمر فإن القرن الثامن عشر يتسم بحدوث تحولات هامة في العلاقات بين الوالد والطفل تتضمن نقصاً كبيراً في إسقاط القلق الوالدي على الطفل ، كما تتضمن أيضاً أنماطاً للعقاب أقل قسوة مما كان سائداً من قبل فتم استخدام الضرب العادي بدلاً من الجلد

بالسوط كما كان متبعًا فيما مضى ، إضافة إلى حدوث زيادة في الاهتمام بحضانة الطفل ، وزيادة عامة في مدى قبول الوالدين للمهام المتعلقة بتربية الأطفال ، وظهور بدايات التعاطف الحقيقي . ومن ناحية أخرى فقد تغيرت العلاقة بين الزوج والزوجة أيضًا خلال هذه الفترة وهو ما يوازي ذلك التغير في العلاقة بين الوالد ( أب أو أم ) والطفل . وظهر الزواج القائم على حسن المعاشرة والتي تعتبر فيه العلاقة العاطفية بين الزوج والزوجة ذات أهمية تساوى تلك الأهمية المناطة بعلاقتها الوظيفية . وقد عكست تلك الأنماط الجديدة للعلاقات الزوجية والعلاقات بين الوالد ( أب أو أم ) والطفل مرحلة تاريخية جديدة في كل من الأسرة والحياة الاجتماعية تزامنت مع مجموعة من التغيرات الاجتماعية الثقافية الجوهرية والتي تتضمن الثورة الصناعية والتحضّر الذي ساد أوروبا الغربية ، وظهور الأنماط الاقتصادية الحديثة ( الرأسمالية ) وغير ذلك من التحولات الأخرى التي لحقت بالعديد من المتغيرات الديموجرافية الأساسية مثل معدل المواليد والسن الذي يتم فيه الزواج على سبيل المثال . كما تم اكتشاف حاجات الطفل ، وإدراك الحاجات الانفعالية للزوجة مع تقلص في كم السلطة الدكتاتورية المميزة لدور الأب في الأسرة والتي أشارت جميعها إلى بداية العصر الحديث .

## العصر الحديث :

### القرنان الثامن عشر والتاسع عشر وبداية القرن العشرين :

كانت الأسرة الأوروبية وإلى حد ما الأسرة الأمريكية قبل عام ألف وسبعمائة وخمسين من الميلاد تعتبر أسرة بطريركية ومتسعة . فعاش عامة الناس في غرف متعددة الأغراض وفي جماعات كبيرة مما قلل من فرص العزلة وإقامة علاقات الألفة حيث كان الأعضاء الأساسيون في الأسرة إضافة إلى بعض الأقارب مثل الأجداد وحتى غير الأقارب ممن يتم استئجارهم للعمل لدى الأسرة يأكلون ويعملون وينامون في نفس ذلك المكان الضيق . وقد ربطت العلاقات الوظيفية والوسيلية بين أعضاء الجماعة ، كما كانت القدرة على الوفاء بالديون الاقتصادية ، والتناسل ، ونقل الملكية ، واسم الأسرة تمثل مهامًا جوهرية لأعضاء الأسرة . ومن ناحية أخرى مال الزواج إلى أن يخلو من العاطفة ، وتم متابعة وتعقب الحياة الاجتماعية خارج الأسرة في التنظيمات التي تضمها أندية الذكور وفي جماعات النساء أيضًا ( Shorter, 1975 ) .

وكأسرة بطريكية فقد كان الأب يمثل السلطة المحلية في إطار من السلطة السياسية الإقطاعية . وبالنسبة لأفراد الشعب الأمريكي في القرن العشرين والذين يتسمون بالفردية قد يكون من الصعب عليهم تصور ما ينتشر على نطاق واسع من عدم القدرة على التمييز بين عضو ما من أعضاء الأسرة وبين عضو آخر معه في نفس الأسرة ، في حين كنا نجد خلال القرن الثالث عشر على سبيل المثال أن الأسرة الموسعة ككل وكل من ينحدر منها كانوا يعتبرون مسئولين عن الجريمة التي يرتكبها أحد أقربائهم (Tuchman, 1979) ثم قل بعد ذلك بالتدرج مدى علاقات القرابة التي يمكن اعتبار الأفراد فيه مسئولين عن الخطأ الذي يرتكبه أحد أقربائهم إلى أن تم من خلال النسق القانوني والتعنيف غير الرسمي التركيز على الجانب أو الشخص المذنب فقط كما يحدث اليوم . ولم يصبح من الأمور التي تسترعى الانتباه والتفكير أن يكون المتقدم للمناصب العليا بها فيها رئاسة الجمهورية له بعض الأقارب في السجن أم لا ، إذ لم يتأثر الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر بذلك الوضع حينما كان أحد أقاربه بالسجن وفاز كارتر برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية .

ومما لا شك فيه أنه قد تم الخط من قدر النساء والأطفال - وكلاهما كانا من التابعين - خلال فترة ما قبل الثورة الصناعية . وقد لاحظ شورتر (1975) أن موت بقرة مثلاً كان يعتبر في الغالب أمراً أكثر فجيعة وحزناً من موت الزوجة أو أى طفل . وكان المجتمع المحلى والذي يمثل قوة اجتماعية جوهرية إضافة إلى الكنيسة ، والآباء من أهل القرية أو البلدة ، والنقابات الخاصة بالتجار والمزارعين ، ومنظمات الشباب قد قاموا جميعاً بالإشراف على حالات المواليد والوفيات والزواج . كما كانت الطقوس المتبعة في المغازلة تتم بين عامة الناس على نطاق واسع ويتمسك بها العامة . وتولت الأمهات وحدهن مهمة تنشئة الأطفال ، وكما أوضحنا من قبل كان يتم إرسال الرضع إلى حاضنات مخمورات غير مؤهلات وغير أكفاء .

وبدأت العلاقات المجتمعية تنهار في نهاية القرن الثامن عشر وتم استبدالها بالتوجه نحو الفردية . ويظهر هذا الاتجاه في التأكيدات الحديثة على العزلة ، والتعبير الشخصي ، والحب الرومانسى ، والأساليب الأكثر تعاطفاً المتبعة في تنشئة الأطفال .

ويرى أريس (1962) Aries أن هذا التغير في اتجاه العزلة القائمة على الود قد قام على حساب الاختلاط بالآخرين . ويتفق المؤرخون بوجه عام على أن التغير الأساسى فى العلاقات الأسرية والاجتماعية قد حدث فى نفس ذلك الوقت . ومع ذلك فإن المناقشات التى تمت فى هذا الإطار قد تركت هناك بعض الأسئلة بلا إجابة ، ومنها على سبيل المثال ما يلى :

١ - هل بدأت التغيرات التى حدثت فى تركيب الأسرة منذ البداية مع الطبقة الدنيا أم مع الطبقة الوسطى ؟ (Shorter, 1975) .

٢ - ما هى العوامل المسئولة عن مثل تلك التغيرات ؟

(Fairchilds, 1978; Tilly, et al. 1976) .

٣ - ما هى الأدلة الصادقة التى تتناول وضع المرأة ومكانتها ؟

(e.g. Tilly, et al.,1976) .

٤ - هل يمكن للتغيرات التى لحقت بتركيب الأسرة ( كمتغير تابع ) أيضًا أن تؤدى إلى مزيد من التغير الاجتماعى الثقافى ؟ (Hareven, 1971) .

ومع ذلك يوجد هناك إجماع على أن التحديث قد أدى إلى انحسار ذى دلالة فى الوظائف الأسرية ، والوظائف الرسمية فى المجتمع ، كما أدى أيضًا إلى تقلص فى سلطة الأب ومسئوليته . وبالتالي يتضح لنا أن تاريخ الأسرة يعتبر تاريخ للانقباض (الانكماش) والانسحاب ، وأن هناك تنازلاً تدريجيًا عن بعض الوظائف لمؤسسات أخرى قامت بتلك الوظائف فى نطاق المسئولية الأسرية (Demos, 1970) .

وقد لاحظ هارفن (1971) Hareven أن تحديث الأسرة يعتبر بمثابة قصة لفقد الأسرة لوظائفها التى اضطلعت بها نيابة عنها بعض المؤسسات المجتمعية مثل المدرسة ، ودور العبادة ، ودور رعاية الأحداث (الإصلاحات) ، والمستشفيات ، والورش والمصانع . وهكذا يتضح كما يرى بارسونز Parsons أن تركيب الأسرة متعددة الأغراض والذى ساد خلال عصر ما قبل الثورة الصناعية قد أصبح قديماً ومهجوراً ، وفسح المجال لمجموعة متميزة من المؤسسات التى يمكنها أن تسيطر بفاعلية مع الظروف التاريخية الحديثة (Smelser, 1959) .

ومع دخول عصر التصنيع ازداد التمييز بين الجنسين ، فأصبح الرداء كزى ذكرى مقصوراً على الرضع ، وتقلص استعمال الرجال للشعر المستعار ، وتزايد اهتمام النساء

برشاقة أجسامهن والحفاظ على شكلهن الأنثوى (Stearns, 1979). وتعكس هذه الحاجة الواضحة للتأكيد على الأبعاد المحسوسة للتمييز بين الجنسين الشك في تلك التغيرات المصاحبة على نطاق واسع والمتعلقة بالأدوار الجنسية. إضافة إلى ذلك فقد برز التأكيد على الأمومة مع زيادة الإدراك لحاجات الأطفال.

ومما يدعو إلى السخرية أنه مع ظهور الأسرة الحديثة التي تتميز بالكثافة وبأنها أسرة ذرية والتي تتميز أيضًا بالاتجاه نحو الداخل أصبح الأب أقل اشتراكًا في تنشئة الأطفال وخاصة بين الطبقات العاملة. ونظرًا لأن عمله يتطلب بعده عن المنزل فإنه لا يصبح رئيسًا للأسرة إلا على فترات متقطعة فقط وهي تلك الفترات التي يتواجد فيها بالمنزل. كما يصبح في أحسن الأحوال نموذجًا للسلطة (Stearns, 1979). وتمثل ظاهرة العمل بعيدًا عن المنزل إحدى التأثيرات الأكثر دلالة على الثورة الصناعية في تشكيل دور الأب العصري في النهوض بأعباء الأسرة (Benson, 1986).

ومع ذلك فإن سلطة الأب العصري لا تتناسب مع وظيفته الاقتصادية في الأسرة. وكما لاحظنا عند مناقشتنا للإمبراطورية الرومانية فإن التحول من الاقتصاد الزراعي الذي يعتمد في أساسه على الأرض إلى اعتماده على رأس المال قد أدى إلى تقليص السيطرة التي يفرضها الأب على الأسرة حيث يستطيع كل من الأولاد الذكور والنساء الاستقلال عن طريق التحاقهم بالقوى العاملة. وبالتالي فإن ظهور الاقتصاد الرأسمالي الحديث قد أعاد تشكيل المجتمع بأساليب متعددة إذ أصبحت الأعمال التي تقوم بها النساء في المنزل كصناعة الملابس على سبيل المثال هي العمل الذي يؤديه الرجال في المصانع، وأصبح بمقدور الشبان الحصول على دخل شخصي وتحقيق مكانة وسلطة شخصية، إلا أنهم أصبحوا يشعرون بالاغتراب كأشخاص أيضًا.

ومن ناحية أخرى أدت الزيادة في عدد السكان إلى أن أصبحت الأرض الزراعية كمصدر للدخل لا تكفي تلك الزيادة ولا تفي بمتطلباتها مما شجع بالاشتراك مع الفرص الاقتصادية في المدن على الحراك الجغرافي بالريف. وأدى هذا التحول السكاني إلى عدم إحكام العلاقات بين الأقارب، كما شجع على ممارسة الجنس في نطاق الزواج أو خارجه، وظهرت الطبقة البرجوازية، كما ظهر التأكيد على إشباع الحاجات الزوجية الاجتماعية الانفعالية، وحل التعليم محل التلمذة وتم تشجيع الاختيار المهني بشكل مستقل عن

التقاليد الأسرية والأوامر التي تصدر عن الأب . ومع تقليص سلطة الأب وانحسار التقاليد الدينية وكلاهما يمثل أسلوبًا للسيطرة الأسرية ، اتضح ضعف التقييد الجنسي (وضع قيود على ممارسة الجنس) القائم على المعتقدات الدينية وعدم فاعليته .

وخلال هذه الفترة المضطربة للتغير الاجتماعي والتي يعتبرها البعض بمثابة تحديًا أمام المؤرخين في فهمها ظلت هناك في واقع الأمر حقائق معينة لا تقبل الجدل موضوعًا للعديد من التفسيرات المتصارعة المتعارضة (Fairchilds, 1978; Shorter, 1975) (Tilly, et al., 1979; Wells, 1977) إذ ارتفعت معدلات الخصوبة غير الشرعية بين سنة ١٧٥٠-١٨٥٠م في كل أنحاء أوروبا ، فحدثت زيادة في متوسطات تلك التجارب الجنسية التي يخوضها الأفراد لأول مرة من ١-٣٪ إلى ١٠-١٥٪ ، كما كان أكثر من ثلث الأطفال الذين تمت ولادتهم في باريس في الفترة ما بين ١٨١٥-١٨٤٨م قد ولدوا لأمهات غير متزوجات (Fairchilds, 1978) .

إلا أنه قد اتضح حديثًا أن معدل الخصوبة الشرعية بين النساء قد ارتفع هو الآخر في أواخر القرن الثامن عشر ، ثم انحدرت معدلات الخصوبة سواء الشرعية أو غير الشرعية في أواخر القرن التاسع عشر (Shorter, 1973). وبذلك كان هناك ارتفاع مفاجئ وسريع في عدد المواليد بدأ في حوالي سنة ١٧٥٠م ثم انحدرت المعدلات قرب نهاية القرن التاسع عشر . وبدون محاولة إبراز العوامل المسئولة عن تلك التغيرات الديموجرافية أو عن إثبات الاتجاهات السببية للتأثيرات المتداخلة ، يصبح من الممكن أن ننتهي إلى ما يلي :

- ١- أن زيادة الخصوبة تعكس تكرارًا أكبر للعلاقات الجنسية في نطاق الزواج أو خارجه .
- ٢- أن تراجع معدلات الخصوبة وانخفاضها يعكس وعيًا سريعًا مرتفعًا بأساليب تحديد النسل ، والتي تمثلت لديهم في قطع اضطراد الاتصال الجنسي ، وفي الإجهاض .

ويعتقد شورتر (Shorter ١٩٧٥) أن الاقتصاد الرأسمالي الصناعي قد شجع على الاستقلال المالي والأسرى . ويرى أيضًا أن روحًا جديدة للاستقلالية قد جعلت من الفردية والإنجاز الشخصي قيمًا كلية أدت إلى تحرير المرأة في المجال الجنسي . ويتفق بعض المؤرخين مثل فير تشايلدز Fairchilds مع فكرة أن الحب الرومانسي والطقوس المتبعة في المغازلة قد ظهرت خلال ذلك الوقت ، وأن كلاً منهما يرجع إلى عوامل سببية مختلفة .

وعلى أى حال فعلى مدى القرن الثامن عشر أصبح الرجال فى كل أنحاء أوروبا أكثر حساسية للخبرات الجنسية للنساء فتحولوا فى نظرهم من تقييم هذه الخبرات على أنها ضرورة منبوذة إلى النظر إليها بشكل آخر فنالت هزة الجماع المتبادلة منهم إعجاباً يقارب العبادة (Gordon, 1971) كما كانت تتم إثارة النساء لإقامة علاقات جنسية معهن قبل زواجهن إما من جراء الاهتمام بهن (Shorter, 1975) أو بسبب الظروف الاقتصادية والاجتماعية المحيطة (Fairchilds, 1978; Tilly, et al., 1976) .

ومع الارتفاع المستمر فى مدى السلطة المنزلية المخولة للمرأة أصبح الرجال على دراية بأساليب تحديد النسل وبدأوا فى استعمالها حتى وإن كان ذلك يعنى بعض التضحية بالسعادة الشخصية . وتعكس رغبة الرجال فى قطع اضطراد الاتصال الجنسي سلطة متزايدة للنساء فى وضع حدود معينة على تنشئة الأطفال والسماح لهن بعزل حياتهن الشخصية عن مسؤولياتهن كأمهات . كما تؤكد أيضاً على الإدراك من جانب كل من الرجال والنساء بأن تقليل تكاليف تنشئة الأطفال سوف يضاف إلى المنافع المتبادلة بالنسبة لهم . وعلاوة على ذلك فإن اللجوء إلى تحديد النسل لا يحدث فقط سوى فى العلاقات التى يتم من خلالها تقدير مدى تبادلية الحاجة إلى الإشباع . وتعكس مثل هذه التبادلية درجة مرتفعة من نمو الأنا، وتؤكد على أن النمو النفسى فى الوعى المجتمعى قد تشكل من خلال الأحداث الاجتماعية الاقتصادية، وقام هو الآخر من جانبه بتشكيل هذه الأحداث، فدخلت أبعاد جديدة إلى العلاقات الزوجية وتنشئة الأطفال .

وقد اتخذ التغيير الاجتماعى خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اتجاهًا مختلفًا إلى حد ما فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وأوجد بالتالى أنماطاً أسرية مختلفة فى كل من الطبقة العاملة والطبقة المتوسطة . ولاحظ شورتر (1975) أن التعبير الجنسي وتحرير المرأة قد حدث أولاً بين الطبقات العاملة فى أوروبا ولكنه حدث فى الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق النساء من الطبقة المتوسطة . ويؤكد هذا الاختلاف فى المسار المتبع لتحقيق نتيجة متشابهة على أن الاختلاف فى تفسير التغيرات الأسرية والديموجرافية فى بداية العصر الحديث قد يعكس الطبيعة متعددة العوامل لهذه الظاهرة . وخلال القرن العشرين بقى تركيب الأسرة المرتبط بهاتين الطبقتين كما هو . ويرى بليك

Pleck (١٩٧٩) أن هذه الأنماط المرتبطة بالرشد الذكري هي أنماط تقليدية بالنسبة للطبقة العاملة وحديثة أو عصرية بالنسبة للطبقة المتوسطة .

ومن الجدير بالذكر أن الروابط الوظيفية في الأسرة التقليدية أو التي تنتمي إلى الطبقة العاملة تتفوق على نظيراتها التعبيرية وخاصة بالنسبة للأب . وكان الزواج في مثل هذه الأسر يتم بمقتضى العرف والتقاليد (Burgess & Locke, 1945) كما كان الرجال يقومون بإشباع حاجاتهم إلى التوالد في تكوين صداقات مع غيرهم من الرجال . ولتحقيق التسلية والحياة الاجتماعية في القرن التاسع عشر ركز الرجال الذين كانوا ينتمون إلى الطبقة العاملة على الحانات الموجودة بجوارهم والتي كان ارتيادها يمثل الذكورة بشكل صارم ، فكانوا يتحدثون ويلعبون الورق والسهام ذات الريشة والتي كانوا يحاولون أن يصوبونها نحو أهداف محددة ، وكانت تتم هذه الألعاب دون حدوث أى خلاف (Stearns, 1979) . وفي ذلك الوقت كان الرجل التقليدى يميل إلى الحصول على الإشباع الاجتماعى خارج المنزل ، ولم يشارك إلا قليلاً في تنشئة الأطفال ، كما عانى بشكل عام من فقد سلطته الوالدية بالمقارنة مع أسلافه المزارعين الذين كان لديهم قدر من الممتلكات ، وبالتالي كانت لهم السلطة على المجال الذى يتواجدون فيه .

وتتميز تلك الوظائف التى يشغلها الرجال من الطبقة العاملة الخاصة في العالم الصناعى بالملل والكآبة ، كما أنها تتسم أيضاً بقدر ضئيل من الاستقلالية وهو الأمر الذى يشكل في مجمله الأساليب التسلطية غير المعقولة في تنشئة الأطفال (Kohn, 1969) . وتوضح التصميمات الإحصائية التى تهدف إلى توضيح السببية المرتبطة بهذا المجال أنه مع زيادة الوقت الذى يقضيه الأب في العمل وقلة الإشباع الذى يحصل عليه من هذا العمل فإن سلوكه يتشكل في اتجاه استخدام الأسلوب التوكيدى بدرجة أكبر في تنشئة الأطفال (Kohn & Schooler, 1973) . ومن المفترض أن الرجل الذى ينتمى إلى الطبقة العاملة ليس لديه سوى قنوات قليلة للتعبير عن مفهوم الذكورة وممارسته والتعبير عن فاعلية الذات والاستقلال (Rubin, 1976) . وقد يؤدى الإحباط في التبعية المهنية إلى تعبيرات غير منطقية للسلطة الأسرية .

وعلاوة على ذلك فقد كان الأب التقليدى هو المفتاح في القرن التاسع عشر إلى فهم الشبكة النسائية للقرابة . ففى المجتمع القروى الأوروبى السابق كانت العروس تذهب

لتعيش مع أقارب زوجها حيث توجد ممتلكات هؤلاء الأقارب . ونظرًا لأن الرجل الحضري كان يفتقر إلى الممتلكات في الوقت الذي تزايد فيه التأكيد على المهام النسائية في تنشئة الأطفال ، فقد كان المتزوجون حديثًا يميلون إلى تنظيم حياتهم حول عشيرة زوجاتهم وأقاربهم . وبسبب الظروف الاقتصادية كان المتزوج حديثًا يعيش غالبًا مع والدي زوجته مما كان يؤدي إلى تآكل سلطته كأب وتلاشيها وعدم شعوره بقيمة الشخصية . وكما لاحظ ستيرنز (1979) Stearns من مسحه للسيرة الذاتية الأدبية فيما بين سنة 1750-1900م ومتابعته لتطور العدوانية عند الآباء ، والتعلق بالنسبة للأمهات خلال تلك الفترة الحاسمة ، فوجد أن الكثير جدًا من الآباء كانوا يقومون بتوكيد السلطة التي لم يعودوا يمتلكونها في الواقع . وليس غريبًا أو عجيبيًا أن تكشف الدراسات الحديثة التي تناولت الأسر التي تنتمي إلى الطبقة العاملة عن معاناة كبيرة وشعور بالعجز الجنسي من جانب الرجال (Rubin, 1976; Sennett & Cobb, 1973) .

ولم تضع الطبقة المتوسطة أو الدور العصري للرجل سوى تأكيدًا قليلًا على التعبيرات المحسوسة للذكورة ، وركزت بدلاً من ذلك على تحقيق النجاح والإنجاز . أما الإشباع الاجتماعي الانفعالي المميز فقد اشتق من التفاعل الأسري في الطبقة البرجوازية الجديدة التي أرسى الأساس للدور العصري للرجل الذي يؤديه في الوقت الراهن . وقد لاحظ بليك (1979) Pleck أن الأنماط الانفعالية وأنماط الحياة بين الشخصية المميزة تختلف هي الأخرى في كلا الدورين . فبالنسبة للدور الذكري التقليدي نجد أن المهارات بين الشخصية والمهارات الانفعالية لا تتطور بشكل نسبي ، كما أن مشاعر الرقة والحساسية يتم منعها وتجنبها . أما الغضب والسلوك الاندفاعي فيتم التشجيع عليهما خاصة في تعامل الرجل مع غيره من الذكور والذي غالبًا ما يتم ممارسته على أنه إثبات للذكورة وتأكيد لها . وعلى النقيض من ذلك نجد أنه بالنسبة للدور العصري للرجل فإنه يتوقع منه أن تكون لديه مهارات بين شخصية تشجعه على الاشتراك مع الآخرين والتعاون معهم لتحقيق الإنجاز كما هو الحال في الإدارة . ومن ناحية أخرى فإنه كان يتم تشجيع القدرة على الرقة والحنان والمودة الانفعالية . إلا أن ذلك كان مقصورًا تمامًا على العلاقات الرومانسية الخاصة بالجنسية الغيرية ، كما كان يتم استبعادها في المواضيع الأخرى . ويمثل البرود الانفعالي قيمة جوهرية في الوقت الذي يتم فيه منع وتجنب الغضب والسلوك الاندفاعي .

وفي الواقع نجد أنه قد تم تحرير الرجل العصري أو الذى ينتمى إلى الطبقة المتوسطة عن طريق النظام الرأسمالى وذلك لمتابعة التعليم ومجموعة من الخيارات المهنية . وكما يرى بارسونز وبيبلز (١٩٥٥) Parsons & Bales فإن الأسرة العصرية تعتبر أسرة ذرية وشخصية وتمثل تكيفاً مع الحياة العصرية . فى حين يرى سينيت (١٩٦٤) Sennett أنها تمثل مهرباً من سوء التكيف مع تلك الحياة العصرية . وقد تكون لمثل تلك الوحدة الذرية فائدها وأهميتها وذلك اعتماداً على المستوى الاقتصادى الاجتماعى ، أو ما إذا كان يتم التأكيد على تلك المظاهر الدالة على تحريرها أو الدالة على اغترابها . وتكشف نتائج الدراسة التى أجراها إيلدر (١٩٧٤) Elder حول أثر حدث تاريخى واحد وجوهري على النمو ، واتخذ لذلك الفتور الاقتصادى الذى ارتبط بالبطالة التى سادت أوروبا فى الماضى ، وكشفت الدراسة عن أن الحرمان الاقتصادى يؤثر على التوجه الأسرى للأب .

وكان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للرجال والنساء الذين تربوا فى بيوت تأثرت بالفتور الاقتصادى زمن البطالة أن يكرسوا حياتهم حول أسرهم وأطفالهم ، وربما يعكس ذلك تلك الفكرة التى ترى أن البيت يعتبر بمثابة مهرب فى عالم لا يمكن التنبؤ به . وقاموا بتصنيف كل من الوالدية والأنشطة الأسرية ووضعوها فى موضع من سلم هرمى للقيم أعلى مما فعله الأولاد والبنات الذين يعتبر والداهم أكثر غنى (Elder & Rockwell, 1979) .

وهكذا فإن وجهة نظر سينيت Sennett والتى تصور الأسرة العصرية على أنها مهرب ، أو أنها تقوم بهذه الوظيفة قد ثبتت صحتها ، وكذلك تلك الفكرة التى يرى بارسونز Parsons بمقتضاها أنها أى الأسرة تقوم بدور تكيفى .

ومن المهم أن نؤكد على الطبيعة الرفاقية للزواج أى التى تسير كالرفاق والتى سادت بين أفراد الطبقة المتوسطة . وقد أدخل التروبادوريون Troubadors وهم طبقة من الشعراء الغنائيين فى القرن الثانى عشر مفهوم الحب الرومانسى لأول مرة إلى أوروبا حيث كانوا ينتقلون فى كل أنحاء أوروبا يغنون الأغاني العاطفية . وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين قد صوروا هؤلاء التروبادورين على أنهم مجرد مغنيين متجولين فإن إدريس شاه (١٩٧١) Idries Shah يقدم أدلة على أنهم قد تأثروا بشدة بالمؤلفات الروحية للقديس

فرانسيس الأسيزي<sup>(\*)</sup> St. Francis of Assisi إلى جانب تأثرهم بالتقاليد الصوفية . Sufi ويعكس تقديم الحب الرومانسي إلى الغرب اتصال التروبادورين بالشرق الأوسط حيث كان قد تم تقديم الحب الرومانسي في البداية عن طريق طقوس الصوفيين وأعمالهم أمثال عمر الخيام والسعدي . وقد كتب هؤلاء وغيرهم من الكتاب الفارسيين والعرب عن التناظر الشعري بين الحب الزوجي وحب الله (Shah, 1971) .

وبنفس الطريقة اعتبره البيوريتانيون البروتستانت على أنه أعلى شكل من أشكال الاتحاد الذي يؤدي إلى الموت (Morgan, 1966). كما مهدت فكرة البروتستانت عن ذلك العقد مع الله مهدت الطريق إلى تكوين نظرة تعاقدية للعلاقة بين الزوج والزوجة . وربما يكون المصدر البروتستانتى للزواج القائم على الطبيعة الرفاقية أى كالرفاق في أمريكا هو المسئول عن أولى الأصول التى اعتمدت عليها الطبقة المتوسطة في تحرير المرأة في الولايات المتحدة الأمريكية . وقد ترتبط تلك الطبيعة المتميزة بكبت الجنسية بين أفراد الطبقة العاملة في أمريكا أو حتى بين أفراد الطبقة المتوسطة مقارنة بتلك الأنماط القارية ترتبط نسبياً بالمبادئ الديمقراطية ، ولكنها ترتبط عاطفياً بالمبادئ البروتستانتية العقيمة .

ومن ناحية أخرى انخفضت الأعمال المنزلية للأم العصرية أو التى تنتمى إلى الطبقة المتوسطة بشكل متزايد ، وقد يرجع ذلك إلى استخدام المبتكرات التكنولوجية ، كما أنها لم تعد تشارك في العمل خارج المنزل بغرض المساعدة في زيادة دخل الأسرة . وبذلك أصبح في مقدورها أن تركز كل جهودها للقيام بمهمتها في تنشئة الأطفال . وكتيجة لذلك أصبحت الأدوار التى تؤديها الأسرة متميزة بشكل متزايد حيث أصبح الأب الذى ينتمى إلى الطبقة المتوسطة أكثر انغماساً في العمل وفى الأنشطة المختلفة المرتبطة به فى حين تقوم الأم بتنشئة الأطفال وذلك فى الفترة التى تزايد فيها الرخاء الاقتصادى الذى شهدته الولايات المتحدة خلال فترة الركود فى السنوات التالية للحرب . وبينما تزايدت أهمية الأمومة باضطراد ظهر ميل ضمنى إلى خفض قيمة الدور الذى يؤديه الأب ، وبدأ معظم الآباء يقومون بدور الملجأ الأخير للتهذيب ، فكان يقال للطفل على سبيل المثال أن ينتظر حتى يرجع أبوه إلى المنزل ، والذى كان يعتبر نوعاً من التهديد للطفل الذى كان عليه أن

(\*) القديس فرانسيس الأسيزي (١١٨٢-١٢٢٦) راهب إيطالى ، مؤسس الرهبانية الفرانسيسكانية (المترجم) .

ينتظر ليرى ماذا سيفعل به أبوه عند عودته (Stearns, 1979). وهكذا أصبحت الأسرة العصرية الذرية تعمل في الأساس على التقريب بدرجة كبيرة بين الزوج والزوجة انفعاليًا، إلا أنه نظرًا لأن الأدوار التي تؤديها الأسرة قد أصبحت متميزة بدرجة كبيرة أصبح الأب - حتى ذلك الأب الذى ينتمى إلى الطبقة المتوسطة - يتم إقصاؤه باستمرار عن حياته المنزلية .

وإلى جانب ذلك أصبح الأب العصرى أقل تسلطية من قرينه الذى ينتمى إلى الطبقة العاملة حيث تميل تلك الوظائف التى تؤدى فى الطبقة المتوسطة إلى تشجيع استخدام المنطق والعقل ومنح الاستقلال فى تنشئة الأطفال (Kohn, 1969). وأصبح لدى الأب الذى ينتمى إلى الطبقة المتوسطة العديد من المصادر الواقعية التى تساعده على فرض سيادته وسيطرته على دخله المعتدل ، وملكية الأشياء ، والقدرة على تمويل التدريب المهنى للأطفال . وقد أدت هذه الدلائل المحسوسة للنجاح الاقتصادى إلى زيادة تقدير وإدراك سلطة الأب كما توضح نتائج الدراسات التى أجريت على الأسر التى تعاني من الفتور الاقتصادى (Furstenberg, 1974) .

ومع ذلك فهناك العديد من مصادر السخط والاستياء لدى الآباء فى القرن العشرين الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة ، فأصبحت الصداقة خارج مكان العمل نادرة (Lewis, 1978) ، وأصبح للأب العصرى دورًا ثانويًا فقط فى الحفاظ على الأسرة وفى تنشئة الأطفال . وقد ساعدت هذه العوامل على نمو شعوره بالاغتراب . وأدت مثل هذه العزلة الانفعالية والاجتماعية للأب العصرى إضافة إلى الضغوط الواقعية عليه لتحقيق الإنجاز إلى التضحية به فى سبيل النهوض بأعباء الأسرة . وتوضح نتائج الدراسات المعنية وجود زيادة كبيرة فى تكرارات إصابة الرجال المعاصرين بأمراض القلب وغيرها من الأعراض المرضية المميزة لأعراض النمط (أ) Type A (توجه المنافسة والإنجاز) (Waldron, 1976, 1978) .

وهكذا يتضح أن التطور البارز خلال الأعوام المائتين التى تمتد من سنة ١٧٥٠ إلى سنة ١٩٥٠ من الميلاد يتمثل فى ظهور الأدوار التقليدية الذكرية العصرية التى يقوم بها الأب . ويمثل اندماج هذه الأساليب المتميزة معًا عملية متدرجة تتطلب وجود قدر معقول من التنوع والتداخل بين الأفراد خلال دورة حياة الرجل وبين المجموعات العرقية .

ومع مرور الوقت خلال القرن العشرين انهارت المعادلة البسيطة التي كانت موجودة بين الطبقة العاملة (التقليدية) ، والتي كانت موجودة بين الطبقة المتوسطة (العصرية) . وقد يرجع استخدام بليك Pleck لمصطلح مثل «التقليدية - العصرية» جزئيًا إلى ذلك السبب . ومن جانب آخر أصبح النمط المميز للأسرة العصرية ينطبق على العديد من الرجال الذين ينتمون إلى الطبقة العاملة اليوم ، كما أصبح العديد من الرجال الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة بعيدين انفعاليًا عن زوجاتهم ، كما يخبرون مستوى منخفضًا من الرضا المهني . ومن الجدير بالذكر أننا نعني بهذه الأنماط في الأساس أن نصنف الميول الكلية للجماعة بدلاً من أن نقوم بتشخيص حالات فردية .

وإضافة إلى ذلك فهناك توازن بين الانحدار الذي تعرضت له الأنماط الأسرية التقليدية في روما القديمة وبين التغيرات الأسرية التي حدثت على مدى قرنين من الزمان بعد الثورة الصناعية . وفي كلا السياقين الأسريين تعرض دور الأب كحاكم (كشرطي يفرض النظام ويسيطر على السلوك) للتآكل فتقلص مع التغير المضطرب الذي حدث للمجتمع وأدى إلى اختلافه وتمييزه ، وأدى مع قيام النظام الأسري المتسع إلى فسح المجال أمام الوحدة الأسرية الذرية . وفي روما القديمة كان الدين الذي يتم تعلمه في المؤسسات الدينية قد أصبح بمثابة النصير لقيم الأسرة ، كما قام أخيرًا بالتركيز على الثبات الأسري وساهم في عرض أيديولوجية جديدة تقوم في الأساس على رعاية الأطفال والاهتمام بهم بدرجة أكبر . أما في العصر الحديث فإن تقلص كل من السلطة الدينية وسلطة الأب قد ترك فجوة لم يملأها سوى مجموعة القوانين المهنية العلمية الطبية . وقد ظهر هذا التركيب الجديد للسلطة كوسيط بين كل من الأسرة والحكومة (Donzelot, 1979) . ويعتبر تأثير هذه القوة التاريخية الجديدة نسبيًا وهي القوة المهنية هو الموضوع الذي سنقوم بتناوله بكثير من التفصيل في مناقشتنا التالية لواقع الحياة المعاصرة .

### الفترة المعاصرة :

عندما نشر بنيامين سبوك Benjamin Spock الطبعة الأولى من كتابه الذي يحمل عنوان «العناية بالطفل والرضيع» Baby and child care في عام ١٩٤٦ قال إنه لا يهيم كثيرًا أن يكون لدينا أمهات تذهب كل منهن إلى العمل أي أمهات عاملات تقمن نتيجة لذلك باستئجار غيرهن بغرض القيام بتربية أطفالهن ورعايتهن مع العلم بأن أولئك

الذين يتم استئجارهم يقومون بهذا العمل على نحو سعي (Norris & Miller, 1979). وفي عام ١٩٧٦ ناقض سبوك Spock نفسه حيث قال إن لكلا الوالدين حقًا متساويًا في اختيار مهنة معينة إذا أراد أن يختارا، كما أن عليها واجبات متساوية يقومان بمقتضاها بالاشتراك في رعاية الأطفال (Norris & Miller, 1979). فما الذي حدث خلال هذه الفترة التي استمرت لمدة ثلاثين عامًا وجعله يغير رأيه؟ وفي الواقع يمكننا أن نلاحظ بوضوح أن هناك عددًا من العوامل هي التي أدت به إلى ذلك، إلا أن أحد أهم هذه العوامل يتمثل في الزيادة المضطربة والسريعة لأعداد النساء المشتركات في القوى العاملة واللائى يحصلن بالتالى على مردود مالى نتيجة لذلك. ولا يرجع هذا النمط إلى أيديولوجية نسائية بل يعكس عقودًا من الضغوط الاقتصادية التي أغرت النساء على الالتحاق بسوق العمل. ويوضح الجدول التالى تلك الزيادة المضطربة في أعداد الأمهات العاملات منذ ١٩٤٠ وحتى عام ١٩٧٨ مضافاً إليها معدلات اشتراك الأطفال الأقل من ثمانية عشر عامًا في القوى العاملة.

#### جدول (١)

معدلات اشتراك الأمهات والأطفال الأقل من ثمانية عشر عامًا  
في القوى العاملة (١٩٤٠ - ١٩٧٨)

السنة	النسبة المئوية	السنة	النسبة المئوية
١٩٧٨	٥٣	١٩٦٠	٣٠,٤
١٩٧٦	٤٨,٩	١٩٥٨	٢٩,٥
١٩٧٤	٤٥,٧	١٩٥٦	٢٧,٥
١٩٧٢	٤٢,٩	١٩٥٤	٢٥,٦
١٩٧٠	٤٢	١٩٥٢	٢٣,٨
١٩٦٨	٣٩,٤	١٩٥٠	٢١
١٩٦٦	٣٥,٨	١٩٤٨	٢٠,٢
١٩٦٤	٣٤,٥	١٩٤٦	١٨,٢
١٩٦٢	٣٢,٩	١٩٤٠	٨,٦

Source: National Academy of sciences summary proceedings of Ad Hoc Meeting on work, family, and the community, 1980,

وتمثل هذه الزيادة الدرامية في أعداد النساء العاملات خارج المنزل مجرد تغير ديموجرافي إحصائي واحد فقط يشير إلى التغير الاجتماعي الذي حدث في هذا القرن . ومنذ عام ١٩٠٠ ارتفع معدل الطلاق في أمريكا إلى ما يقارب ٧٠٠٪ (Keniston, 1977) فوصل بذلك إلى الدرجة التي أصبح فيها أربعة من كل عشرة أطفال ولدوا في السبعينات من هذا القرن سوف يقضون جزءاً من طفولتهم في أسرة ليس بها سوى والد واحد فقد (أب أو أم) . كما ترجع الزيادة السريعة في أعداد الأمهات غير المتزوجات إلى هذا الاتجاه أيضاً . وتميزت تلك الإحصائيات التي تتعلق بالأسر المتصدعة والأسر التي يغيب عنها الأب كل الأجناس والطبقات الاقتصادية الاجتماعية في الولايات المتحدة . أما الآن فقد أصبحت الأسرة الذرية التقليدية التي تتألف من أب كعائل لتلك الأسرة ، وأم كمديرة لشئون المنزل ، وطفل واحد فقط أو أكثر قد تقلصت إلى أقل من ثلث الأسر التي بها أطفال (Hayes, 1980) .

وقد جمع يورى برونفنبرينر Uri Bronfenbrenner إحصائيات مشابهة توضح وجود تغير معاصر في تركيب الأسرة ، وجمع بيانات قومية ترى أن هذه الاتجاهات تضر بنوعية الحياة التي يجيها هؤلاء الأطفال . وعلى امتداد العقود العديدة الماضية كانت هناك معدلات مرتفعة للوفيات الرضع ، وانخفضت مستويات تحصيل الطلاب ، وارتفعت معدلات قتل أو انتحار الأطفال ، كما ازدادت حالات جناح الأحداث . إلا أنه يبدو أن الفترة المعاصرة التي نحيها الآن تحيط الحياة الأسرية بالعديد من الضغوط ذات المصادر المختلفة مما يؤثر سلباً على رفاهية العديد من الأطفال ، فما هو السبب في ذلك ؟

ومن بين الأسباب العديدة المحتملة نجد أن كلاً من الاقتصاد الرأسمالي الغربي الذي يتميز بتوجهه نحو النمو والتطور ، ونسق القيم لهما تأثيرهما الهام في ذلك . كما أن الاندفاع نحو الحراك إلى أعلى ، وامتلاك مختلف الأشياء ، ووجود وضع تنافسي بين الأقران قد شجع على التحاق المرأة بالقوى العاملة لتحصل بالتالي على عائد مادي مقابل عملها . وإضافة إلى تلك المهمة الصعبة جداً التي تتمثل في توفير الدعم المالي اللازم لتلبية الحاجات اليومية فإن العديد من الأسر تمر بخبرة الجوع في امتلاكها للأشياء التي تثيرها صناعة الإعلانات ووسائل الإعلام ، فأصبح الأطفال في كل مدينة صغيرة على امتداد الدولة وفي كل أنحاءها على علم بأحدث الألعاب التي ظهرت ، كما يتعرض والداهم إلى

صور متصلة من صيحات الموضة وموديلات السيارات والخدمات الجديدة . وتعتمد غالبية الأسر على دخلين اثنين لتلبية المتطلبات الضرورية فقط . وقد أدى نمو الاقتصاد المشترك إلى وجود مصادر اقتصادية مختلفة من دول متعددة ، كما أوجد هوة أكبر بين حاجات الناس والربح الذى يتم الحصول عليه من جراء الاتجار على نطاق واسع في الحاجات الخاصة بالمتطلبات الضرورية . وأدى الحراك الجغرافي إلى تقويض أو اصر العلاقات الأسرية والمجتمعية ، كما شجع على قيام الأسر الذرية وشبه الذرية .

ومن المفترض أن الانخفاض في عدد الراشدين في الأسرة الأمريكية يؤثر سلبًا على مستوى الصحة النفسية للأطفال . ففي الأسر التي تتمتع بقدر مناسب من الصحة النفسية يقوم الأب بدور هام جدًا في عملية اتخاذ القرارات وفي حل المشكلات (Westley & Epstein, 1969) . كما أن سلوك الأم في حد ذاته يتأثر هو الآخر بوجود الأب أو عدم وجوده ، فتكون الأم على سبيل المثال أكثر اهتمامًا بحضانه ورعاية أطفالها حديثي الولادة عندما يشاركها الأب انفعاليًا (Peterson, et al., 1980) . ومن ناحية أخرى تشعر الأم بقليل من الذنب والضغط فيما يتعلق بعملها إذا وافق زوجها على توظيفها (Carew, 1978) . وأخيرًا فإن الدراسات الطولية توضح أنه عندما تكون الأم هي الشخص الوحيد الراشد بالأسرة فإن الأطفال يصبحون في خطر كبير يؤدي إلى سوء تكيفهم اجتماعيًا وإلى اضطرابهم النفسي (Kellam, et al., 1977) . وأوضحت نتائج الدراسات من جانب آخر أن غياب الأب يعتبر أقل خطرًا على الأطفال من وجود الأم فقط معهم وحيدة بلا زوج . وبالتالي فإن وجود شخص راشد ثان في الأسرة يؤدي دورًا هامًا في تحسين وضعهم هذا ، كما أن وجود الأم والجد مع الأطفال في الأسرة له من الفاعلية ما للأب والأم فيها (Kellam, et al., 1977) .

وتتفق هذه النتيجة مع الآراء الحديثة التي ترى أن بعض الوظائف الوالدية الهامة والحاسمة يجب أن يتم شغلها بغض النظر عن تحديد أى الوالدين هو الذى يقوم بالاضطلاع بتلك المسؤولية التي تفرضها تلك الوظيفة التي يقوم ذلك الوالد (أب أو أم) بشغلها (Bloom-Feshbach & Gaughran, 1980) . ومع ذلك فإن الأب يلعب دورًا فريدًا وحاسمًا في تحقيق الطفل للهوية الجنسية . ونظرًا لأن الغياب النفسى للأب قد يتساوى وظيفيًا مع غيابه البدني (Blanchard & Biller, 1971) فإن مشاركته الفعالة في الأسرة تعتبر أمرًا حاسمًا في هذا الصدد .

وبعيداً عن حاجة الطفل النفسية إلى وجود مصادر متعددة للتوحد فإن مهام تنشئة الأطفال وتوفير الدعم الاقتصادي للأسر لا يمكن في الغالب لشخص واحد أن يتحملها حيث تكون كثيرة جداً بالنسبة له وخصوصاً بالنسبة للأمهات اللاتي يواجهن تمييزاً في المرتب يتقاضينه في سوق العمل مقارنة بالرجل (Barrett, 1979). ومن ناحية أخرى فقد حدثت زيادة تصل إلى ٣٣٪ في معدل الأسر التي ليس بها سوى والد واحد فقط سواء كان أباً أو أمًا، وفي معدل الأسر التي يأتي الأب على رأسها وذلك على مدى السنوات الأخيرة. وبالنسبة لأعداد هذه الأسر فقد ارتفعت من ٠,٧٥ مليون أسرة في عام ١٩٧٠ ووصلت إلى مليون أسرة في عام ١٩٧٩. وخلال نفس هذه الفترة ازداد عدد الأسر التي ليس بها سوى الأم فقط وذلك من ٧,٥ مليون أسرة إلى أكثر من ١٠,٥ مليون أسرة. وفي عام ١٩٧٩ وصلت نسبة الأسر التي ليس بها سوى الأم فقط وذلك بين السود إلى ٤٢٪ من إجمالي عدد الأسر (Statistics from the U.S. Bureau Of the census, current population Reports, cited in Glick, 1980).

وخلف هذه الإحصائيات الجافة تقع الحقائق المتعلقة بتغيير الأنماط الأسرية. ويرجع أحد أسباب ارتفاع نسبة الحمل بين المراهقات، وتزايد معدلات الطلاق إلى عدم تقييد العادات الجنسية ووضع الضوابط لها في العقود القليلة الماضية (Shorter, 1975). وعلى الرغم من ارتفاع معدل تكرار الزواج من جديد والذي تزايد ثلاث مرات منذ عام ١٩٣٠ وهو ما يدل على أن الزواج لا ولن يعتبر أسلوباً قديماً (Glick & Norton, 1973)، فإن ارتفاع معدلات الطلاق والولادات بدون زواج يدل على أن الإنجاز الشخصي والتعبير الجنسي لا يرتبط بالضرورة بالزواج الثابت الذي كان يتم في الماضي. وخلال هذه الفترة التي تتميز بالتغيرات التكنولوجية والاجتماعية السريعة أصبحت لا مبالاة المراهقين بقيم الأسرة تمثل أحد مظاهر النمو البارزة (Keniston, 1960; Lasch, 1979; Shorter, 1975). أما المراهق في العصر الحالي فغالبًا ما تتم تنشئته اجتماعيًا عن طريق الأقران وليس الوالدين كما كان في الماضي. ويرجع أحد جذور هذه الظاهرة إلى التناقض في مقدار سلطة الأب بشكل ثابت ومدى أهمية الأسرة التي يكونها ذلك الأب. وبالنسبة للأب المعاصر فقد تم فصل حياة العمل عن الحياة المنزلية مادياً ونفسياً، وأصبح الأطفال اليوم لا يمكنهم فهم طبيعة عمل الأب إذ أصبحت هناك وظائف متعددة مثل

السمسة في البورصة وبرمجة الكمبيوتر وغيرها من الوظائف العصرية التي لا يمكن شرحها بسهولة عن طريق استخدام مصطلحات محسوسة يستطيع الطفل أن يفهمها . وبينما كان يتم إقصاء العديد من الآباء عن مهمة تربية الأطفال في الماضي فإن الفجوة الإضافية التي نشأت بين الأب والطفل بسبب التجريد الذي تتصف به الأعمال العصرية قد أدت إلى زيادة إحساس الأب بالاغتراب عن الأسرة .

وبدأ التليفزيون يدخل في منافسة مع السلطة الوالدية ، فعندما يسرف الطفل الصغير في مشاهدته للتليفزيون تضعف عملية التنشئة الاجتماعية تمامًا مثلما تضعف السلطة السياسية عندما يتبع خطاب رئاسي يستغرق إلقاؤه نصف ساعة مثلاً بتعليق من جانب وسائل الإعلام يستغرق ضعف الوقت الذي استغرقه الخطاب . ويمكن تناول العديد من الاقتراحات في هذا المجال في مختلف البحوث العلمية ، ومن أمثلة ذلك :

- كيف يمكن للعالم المهني للأب أن يؤثر على علاقة الأب بطفله ؟

- كيف يمكن أن تتأثر صورة الطفل عن أبيه وأمه بمقدار الوقت الذي يستغرقه في مشاهدة التليفزيون ونوعية البرامج التي يشاهدها ؟

- ما هي العوامل التي يمكن من خلالها التنبؤ بإدراك الطفل للسلطة الشرعية لوالده ؟

ومن ناحية أخرى فقد تم تناول مدى التقلص الذي تعرضت له أهمية الأب بالنسبة للأسرة منذ الثورة الصناعية نفسياً وبيئياً واقتصادياً . ويؤكد وينشتاين وبلات (Weinstein & Platt ١٩٦٩) في كتابهما الذي يحمل عنوان « الرغبة في التحرر : المجتمع والنفس وتغير القيم » «The wish to be free: society, psyche, and value» «change على الحاجة الانفعالية للطفل في السلوك المضاد لسلطة الأب حيث تمثل الرغبة في التحرر جانباً هاماً في نضال المراهق من أجل تحقيق هويته (e.g. Erikson, 1963) وقد ساعده كثيراً في ذلك التأكيد الرأسمالي على الفردية . وترى نظرية التحليل النفسي أن الأولاد البنين على وجه الخصوص يتتهزون الفرص ليمردوا على الأب ويحققوا الانتصار عليه ويحطوا من قيمته وذلك في المضمار العادي للنمو (Freud, 1923) . ومع ذلك فإن التمرد الأوديبى الذي لا يتم كبح جماحه يؤدي به إلى الشعور الشديد بالذنب وإلى كراهية الذات . كما أن غياب الأب يشجع على خيال الطفل فيعتقد أنه هو المسئول عن إزاحة

الأب . وقد تأخذ مثل هذه المشاعر الأولوية في قيام الطفل بكتبها والتي قد تتفنع في حد ذاتها في شكل أنماط سلوك عدوانية أو محاولات للعلاج الذاتى ، ويتضح ذلك في ارتفاع معدلات تكرار تعاطى الشباب للمخدرات . وتعتقد بعض السلطات أن هذه الحالة الأخيرة والتي تتمثل في تعاطى الشباب للمخدرات قد وصلت إلى معدلات وبائية في المجتمع العصرى .

وقد يؤدي التأثير متعدد الجوانب لزيادة اشتراك الأب في حياة الأسرة وانغماسه فيها إلى حدوث تطور أوديبى يتضمن معدلاً أقل من الصراع إذ يوفر للطفل النامى ما يعتبر في حاجة شديدة إليه من نظام وأساليب تهييبية ووضع الحدود له والتي يسلك بمقتضاها . كما أن مثل هذا الأب الذى يزداد اشتراكه وانغماسه في حياة أفراد أسرته . يصبح بمثابة نموذج للدور يحتاج الأطفال دومًا إلى التوحد معه . وعلاوة على ذلك فإن تأثير الأب على الأبناء يتم الإحساس به من خلال المساندة التي يقدمها للأم مما يسهل بالتالى على الأسرة قيامها بحل المشكلات وحل ما يواجه أفرادها من صراع ، إضافة إلى ما يقدمه الأب للأسرة من توازن أو وجهات نظر بديلة لوجهات نظر الأم . وتؤكد تلك العوامل العديدة على أن وجهة النظر التي تقدم من خلال الأنساق المختلفة عن دور الأب تعتبر ضرورية لتفسير الأهمية الكاملة للأب ( Bloom- Feshbach, et al., 1980 ) .

وتعتبر دراسة الكيفية التي يمكن بها لمشاركة الأب وانغماسه في حياة أفراد أسرته كما تعكسها العلاقات الزوجية والعلاقات التي تنشأ بينه وبين الطفل ومدى تأثيرها على ميل الطفل نحو إساءة استخدام الممتلكات تعتبر إحدى السبل الهامة أمام البحوث المستقبلية في عصر يزخر بالعديد من الدراسات التي تتناول إساءة استخدام العقاقير . كما أن اكتشاف الكيفية التي يمكن بها لشبكة العلاقات المجتمعية والعلاقات الأخرى مع الأقارب والتي تتوسط التأثير المشترك للأب والأم أن تكون أيضًا ذات أهمية في هذا الصدد . وإذا كانت المعرفة التي نكتسبها من دراستنا للعلوم الاجتماعية تعنى أن يشمل فهمنا ظاهرة الحياة الواقعية فإن تصميمات البحوث التي يتم إجراؤها في هذا الميدان يجب أن تتلاءم مع التعقد متعدد المستويات الذى يؤثر على سلوك الإنسان ( Bronfenbrenner, 1977 ) .

## الدور المناط بالعلوم الاجتماعية :

تركز الدراسات الحديثة التي أجريت على تاريخ الأسرة منذ الثورة الصناعية على تلك العلاقة التي تربط بين ظهور الأسرة العصرية وبين تطور الترابط والتكامل بين العلوم الطبية والنفسية والاجتماعية . ومنذ عام ١٩٥٠ أخذ النشاط المهني في الزيادة بشكل دال ، وقدم عشرات الآلاف من الخبراء نصائحهم في كل مجال من مجالات الحياة الأسرية تقريباً بما فيها العلاقات الجنسية وتنشئة الأطفال والرضا والإشباع الزوجي . ويشير لاسك (١٩٧٩) Lasch إلى أن تقديم النصائح في المجال المهني قد دخل إلى حياة مختلف الأسر . وعلاوة على ذلك فإن تلك الآراء التي يقدمها الخبراء لا تخلو في الغالب من التناقض ، وليس أدل على ذلك مما أشرنا إليه من قبل عن كتاب بنيامين سبوك B. Spock في تناوله للأدوار الوالدية . كما قد يؤدي ذلك التناقض بين آراء الخبراء إلى إحساس الوالدين بالذنب والشك في أساليبهم المتبعة في تنشئة الأطفال . وقد لاحظ لاسك Lasch أيضاً أن التفتيت السائد في الأسرة يرجع في جزء منه إلى التأثير المهني الذي يهدف إلى إبطال مفعول مثل هذا التفتيت . كما اهتم دونزيلوت (١٩٧٩) Donzelot مثل لاسك Lasch بمدى إمكانية تأثير تلك المهن الاجتماعية النفسية الطبية على الأسرة كما كان يفعل كل من الأب والكنيسة من قبل . وبالتالي يقوم هؤلاء الخبراء بدور الأب بالنسبة للمجتمع الذي نعيش فيه . ومع ذلك فإن دونزيلوت Donzelot ينظر إلى الانحسار الذي لحق بالسلطة الوالدية من وجهة نظر مختلفة بعض الشيء ، فيعلق القدر القليل من المسؤولية أو الذنب على التأثير المهني في التفتيت الحالى للحياة الأسرية ويركز بدلاً من ذلك على الأدوار التي تتسم بالاعتمادية المتبادلة بين كل العوامل ، فمع حدوث التعاقد من جانب الأسرة ، وتقلص سلطة الأب كان لابد من الظهور الحتمي لمؤسسات مجتمعية معينة كى تقوم بالربط بين الدولة والأسرة . وبذلك فإن هذا الوسيط الجديد لتنشئة الاجتماعية والذي يتمثل في المؤسسات المهنية يعتبر ثمرة طبيعية ونتيجة للانحدار الذي لحق بالأسرة .

وفي رأينا فإن دونزيلوت سقط مثل لاسك في فخ إصدار الأحكام وإلقاء اللوم على المهن المختلفة . وعلى الرغم من أن هويتنا المهنية قد تحدث بعض التحيز من جانبنا فإننا نعتقد أن موضوع المهن الخاصة بالعلوم الاجتماعية الطبية النفسية لا يزال في حاجة إلى

مزيد من الصبر . ولا يعنى حدوث بعض الأخطاء المهنية في الماضي أن المستقبل سوف يسير على نفس النهج ولا أن تتفوق الآثار السلبية لتلك المهن كلية على أثرها النفعي . وسيصبح التحدى الحقيقي أمام البحوث والرعاية الإكلينيكية مستقبلاً متمثلاً في دمج المعرفة بأن التدخل المقصود في حياة الأسرة يؤثر سلباً على رفاهية الأسرة . وإذا ما تحدثنا بشيء كثير من الوضوح نقول أن التأثيرات غير المباشرة الواقعة على الحياة الأسرية كالأمن الاقتصادي أو الجيران أو الخدمات المحلية على سبيل المثال تحتاج إلى التدخل باستخدام بعض الأساليب الطيبة التي قد تخفف كثيراً من وطأة هذه الآثار .

وإضافة إلى ذلك فقد كان هناك ميل بين النقاد الاجتماعيين لتحويل الأسرة التي عاشت في الماضي إلى أسطورة ، أو أن ينشأوا حولها أسطورة . فقد كان لاسك Lasch على سبيل المثال يهفو إلى الأسرة التاريخية المترابطة والتي لم يظهر لها وجود حقيقي . وقد تساعد الدراسات التاريخية في تبديد الفكرة بدلاً من تناول الأسرة النموذجية التي اهتمت برعاية أطفالها والاهتمام بهم والتي كانت موجودة في العصور السابقة للثورة الصناعية . وعلى الرغم من الضغوط التي تتعرض لها الأسرة في الوقت الراهن ، وأنها طبقاً للإحصائيات المختلفة قد تستمر في التغير باتجاه التفتت فإن الانتشار النسبي للرعاية الوالدية للأطفال والإدراك المتزايد لأهمية نمو الطفل يؤكدان على أن التغيرات الإيجابية تعتبر أيضاً ممكنة الحدوث . ومن جانب آخر فإن عدم الاستقرار الزواجي ، وفقد الأب لسلطته ، والمشكلات المختلفة التي قد تواجه الأطفال كل هذه الأمور تشجع على زيادة الاهتمام المجتمعي بالأسرة ، وهو الاهتمام الذي يتجاوز حدود الوعي المهني ولا يقف عندها فقط بل ينعكس في الاتجاهات المجتمعية وأنماط السلوك . ونحن بطبيعة الحال لم نقصد من وراء ذلك أن نضع تعقد الحياة المعاصرة ومشكلاتها عند حدها الأدنى ولكننا نريد أن نؤكد على احتمال أن الأنماط المجتمعية الجديدة الأكثر تكيفاً قد تتطور هي الأخرى .

ومع تحديد المجتمع الموازي لروما القديمة يصبح أحد الآثار الإيجابية للانحدار الكلي للمجتمع في الإمبراطورية الرومانية هو معرفة مدى أهمية رفاهية الأسرة . وقد أدى انهيار التركيب الأسري إلى إثارة هذا الإدراك في حد ذاته . ومن الجدير بالذكر أن مفهوم رعاية الأم للأطفال والاهتمام بهم قد ظهر لأول مرة في القرن الرابع الميلادي . كما أن قتل

الأطفال قد تم تحريمه قانونًا لأول مرة في عام ٣٧٤م وقد يكون الأمر كما يرى لاوتسى<sup>(\*)</sup> وLao tse وهيجل<sup>(\*\*)</sup> Hegel من أن الآثار العكسية تنتج عن أى حالة سابقة معينة . وهكذا فإن التدهور الرومانى وضياع رفاهية الأسرة قد أديا إلى صدور أولى القوانين والتصريحات التى تهدف إلى حماية الأسرة . وعلى نفس المنوال كان العصر التاريخى الحالى مدمرًا للأسرة حيث وصل بها إلى التفتت ، كما كان مدعماً لتطورها فى نفس الوقت وذلك فى مساعدته على تطوير أنماط أسرية جديدة أكثر تكيفًا . وتعمل المجتمعات التقليدية بمقتضى الامتثال وفرض القيود الخارجية عليها سواء كانت دينية أو أبوية أو سلطة سياسية . فمع انهيار التقاليد وزيادة التعبير عن الحاجة الفردية قد تنتج أنماط سلوكية ارتدادية فى جزء منها حيث تتسم بدرجة أكبر من الاندفاعية والتمركز حول الذات ، بينما تتسم فى الجزء الآخر منها بالتمركز حول الغير . وهكذا فإن المجتمع الأمريكى قد أصبح معروفًا بأنه يمثل الثقافة النرجسية (Lasch, 1980) . ومع ذلك تتضح فى الوقت نفسه أدلة عن الحساسية المرتفعة لحاجات أولئك الذين يتميزون بقله قوتهم كحقوق السود والنساء والأطفال والمسنين والمعاقين . وتشهد حلبة السياسة الاجتماعية فى الوقت الراهن جدالًا حادًا بين المناصرين لتدخل الحكومة الذى يهدف إلى مساعدة الأطفال والأسر وبين المعارضين لأى برامج حكومية مهنية . ويبقى أن نلاحظ أى الأنماط الجديدة سوف ينتج عن هذه الأوضاع الأيديولوجية المتصارعة . ومع ذلك يتضح أن الجميع يوافقون على عدم الرغبة فى الاستمرار فى إساءة معاملة الأطفال وإهمالهم إضافة إلى غير ذلك من العنف المستخدم ضدهم فى المنزل ، وأنه يجب التغلب على مثل هذه المشكلات .

### الأب والتغير فى الأدوار الجنسية :

يرى لام (١٩٧٥) Lamb أن المجتمع الأمريكى حتى وقت قريب كان لا يزال يشجع على النظر إلى الأب على أنه لا أهمية له فى الأداء الأسرى وفى تنشئة الأطفال . ويعتبر هذا الكتاب الذى بين أيدينا رائدًا فى مجاله هذا الذى يتناول أثر الأب على كل جوانب نمو الطفل تقريبًا (Lamb, 1976) . وعلى الرغم من أن أهمية الأب للطفل النامى قد تم تقريرها منذ زمن طويل من جانب فرويد (١٩٢٦، ١٩٢٣) Freud فإن أهميته قد

(\*) لاوتسى (٦٠٤-٥٣١ق.م) فيلسوف صينى ، ومؤسس الطاوية (المترجم) .

(\*\*) هيجل (١٧٧٠-١٨٣١) فيلسوف ألمانى صاحب المنطق الجدلى الهيجلى (المترجم) .

تقلصت بشكل تهكمي في فكر علماء التحليل النفسي ، وقد استمر الوضع على ذلك إلى أن أدرك بعض علماء الاجتماع أن الأب يعتبر نموذجًا للتعلق (Schaffer & Emerson, 1964) وحتى السبعينات من القرن العشرين لم تكن هناك دراسات إمبريقية تؤكد على أهمية دور الأب في وقت مبكر من عمر الطفل كمرحلة الرضاعة على سبيل المثال (e.g. Parke & Cohen & Campos, 1974, Kotelchuck, 1976, Lamb, 1977, Sawin, 1976).

وتعكس المشاركة المباشرة للأب في تنشئة الأطفال - وخاصة في رعاية أطفاله الرضع - ابتعادًا جذريًا عن كل الأنماط السابقة لتركيب الأسرة تقريبًا وليست البيولوجيا فحسب هي التي تؤيد تلك الحساسية من جانب الأم الحديثة لطفلها (Rossi, 1977) ولكن مضمار التاريخ الإنساني برمه يقف شاهدًا على مدى مشاركة الأب في تنشئة الأطفال . إلا أن الاحتمال السائد في الوقت الحالى بأن يبدأ الأب في القيام بأداء مهام وسيلية تعبيرية بدرجة أكبر داخل نطاق النسق الأسرى يومئ إلى النمو الثقافى لتركيب أسرى جديد يمكن أن نطلق عليه « التركيب الخنثوى أو المخنث » أو « التركيب الطارئ » (Fein, 1987) أو « ما بعد التركيب العصرى » (Pleck, 1979) . ويعتبر الفرد الخنثوى أو المخنث هو ذلك الفرد الذى تعكس شخصيته وسلوكه في واقع الأمر كلاً من الذكورة والأنوثة معًا . وبنفس الطريقة فإن الأسرة الخنثوية أو المخنثة هي تلك الأسرة التى يقوم الرجال والنساء فيها بأداء المهام المناطة بهم داخل المنزل وخارجه أى في مجال عملهم . وقد قامت كل من ساندرام بيم (1974-1975) S. Bem وجانيت سبينس J. Spence (Spence, Helmreich & Stapp, 1975) بتبسيط هذا المنظور الجديد للأدوار الجنسية وجعله في متناول مدارك عامة الناس . واعتبرتا أن الذكورة والأنوثة يمثلان بعدين منفصلين وليستا كسمتين تعتبران بمثابة قطبين لمتصل واحد ، ومن ثم فإن أولئك الأفراد الذين يحصلون على درجات مرتفعة في بعدى الدور الجنسى يمكن اعتبارهم مخنثين .

ويتفق هذا التوجه الخنثوى مع نظرية فيرنر (1975) Werner العامة في النمو والتي تسلّم بأن الأفراد يتزايد تمايزهم ويحدث بينهم تكامل متدرج يأخذ شكل هرمى خلال مضمار النمو . ومنذ الثورة الصناعية والتركيب التقليدى للأسرة يعانى من درجة مرتفعة من تمايز الأدوار . وتعكس الأسرة العصرية تطورًا نهائيًا باتجاه درجة متزايدة من التكامل الوظيفى ، كما أن الرجل العصرى يصبح أكثر توجهًا عاطفيًا عندما ينغمس في العلاقات

الأسرية والتي كانت سابقاً تخص المرأة فقط . ومن جانب آخر فإن الأسرة المختثة تعكس درجة أكبر من التكامل لا تحدث إلا في ظل وجود حالات أكثر ارتفاعاً من التمايز . وهكذا فإن كلاً من الرجال والنساء المختثين يكونون حساسين وأقوياء وقادرين على أداء المهام المناطة بهم ، ويتميزون بتوجهاتهم العاطفية .

وعلى الرغم من عدم توفر الأدلة الكافية فمن المفترض أن الدور الجنسي الخنثوى يعتبر أكثر تكيفاً من الدور الجنسي التقليدي ، كما يسمح باستجابات سلوكية مرنة لمدى متسع من الاحتمالات البيئية (Kaplan & Bean, 1976) . وعند دراسة التفاعل بين الدور الجنسي والسلوك الوالدي وجد روسل (Russell 1978) أن الآباء الذين تم تصنيفهم على أنهم مختثين كانوا أكثر مشاركة وانغماساً في أنشطة الرعاية اليومية واللعب عند مقارنتهم بأقرانهم الذين تم تصنيفهم على أنهم يتسمون بالذكورة . ومع ذلك فإن تلك الدراسة لم تتناول العلاقة المباشرة بين الخنثوة الوالدية ونمو الطفل (Block, 1973) مفترضة أن تكرار الخنثوة سوف يستمر في الزيادة في المجتمع الأمريكي . ولكن ما مدى شيوع التراكيب الأسرية المختلفة وانتشارها في المجتمع ؟ وعلى نفس المنوال ما مدى شيوع المساواة بين الوالدين في المجتمع ؟ ومع خروج المرأة للعمل والتحاقها بالقوى العاملة وحصوها على مردود مادي من عملها يصبح هناك سؤال هام يجب طرحه هو : إلى أي مدى يرغب الرجال في زيادة تعهداتهم والتزاماتهم الأسرية ، وإلى أي مدى ترغب النساء في تركهم يقومون بذلك ؟

#### جدول (٢)

الاتجاه نحو مكانة المرأة (١٩٧٠ - ١٩٧٨)

السنة	موافق	معارض	غير متأكد
١٩٧٠	٪٤٢	٪٤١	٪١٧
١٩٧١	٪٤٨	٪٣٦	٪١٦
١٩٧٥	٪٥٩	٪٢٨	٪١٣
١٩٧٧	٪٦٤	٪٢٧	٪٩
١٩٧٨	٪٦٤	٪٢٥	٪١١

Source: Surveys by Louis Harris and Associates from 1970 through 1978.

ويمثل مسح الرأى العام مؤشراً واحداً فقط للتغير الذى يحدث فى الاتجاهات المجتمعية . وفى الاستفتاء الذى أجراه لويس هاريس L. Harris استطلاعاً للرأى الجمهور واختار لذلك عينة من أفراد الشعب الأمريكى ممثلة على المستوى القومى وقابلهم خمس مرات خلال السبعينات من القرن العشرين ، وكان يوجه إليهم السؤال التالى قائلاً : جرت العديد من المناقشات فى الآونة الأخيرة حول تغير مكانة المرأة فى المجتمع فى الوقت الراهن ، وبالنسبة لك هل توافق على أم تعارض غالبية الجهود المبذولة بغرض تقوية وتغيير مكانة المرأة فى المجتمع حالياً ؟

وكانت النتيجة أن حوالى ثلثى أفراد العينة قد وافقوا على تلك التغيرات فى مكانة المرأة على الرغم من أن حوالى ربع أفراد العينة قد عارض هذا الاتجاه . ومن ناحية أخرى فإن المعهد الأمريكى للرأى العام (جالوب) Gallup قد قدم مقارنة للرأى العام على مدى أربعين سنة استخدم فيها السؤال التالى :

- لو أن الحزب الذى تتبعه قام بترشيح امرأة لمنصب الرئاسة ، فهل ستقوم بالتصويت لصالحها إذا كانت تمتلك المؤهلات اللازمة لهذه الوظيفة أم لا ؟

وتعتبر الإجابات التى تم الحصول عليها بمثابة مؤشر غير مباشر لإدراك الرجال والنساء لدخول المرأة العالم العام .

### جدول (٣)

الاتجاه نحو القيادة النسائية (١٩٣٧ - ١٩٧٨)

السنة	تصويت لصالح المرأة		
	على مستوى الدولة	رجال	نساء
١٩٣٧	٪٣٤	٪٤١	٪٢٧
١٩٤٩	٪٥٠	٪٥٣	٪٤٧
١٩٥٥	٪٥٤	٪٥٩	٪٤٩
١٩٦٣	٪٥٧	٪٥٣	٪٦١
١٩٧٦	٪٧٦	٪٧٤	٪٧٨
١٩٧٨	٪٨٠	٪٨١	٪٨٠

Source: Surveys by American Institute of Public Opinion (Gallup) from 1937 through 1978.

وتوضح البيانات المتضمنة في الجدول السابق أن الرجال قد أصبحوا أكثر انفتاحًا في قبول سلطة المرأة في المجال العام . ومع ذلك فالأمر يختلف في المجال المنزلي حيث لا تزال السيطرة للرجل . وفي عام ١٩٧٧ قامت شبكة CBS الإخبارية وجريدة نيويورك تايمز New York Times بمسح سألنا فيه عما إذا كانت الأسرة التي يعمل فيها الزوجان ستنتقل من مكانها إلى مكان آخر إذا حصلت الزوجة على وظيفة في مدينة أخرى أم لا . ولم يوافق على انتقال الأسرة إلى مكان آخر في ظل هذه الظروف سوى ١٢٪ فقط من أفراد العينة ، في حين رأى ٦٦٪ منهم عدم انتقال الأسرة إلى مكان آخر .

وفي عام ١٩٧٧ أيضًا كان هناك مسح قومي آخر أجراه General Mills Consumer Center اتضح من خلاله أن الأمهات لا تزال تحتفظن بالمسئولية الأولية في القيام بالأعمال المنزلية اليومية . ولم يبد سوى ٢٠-٣٠٪ من أفراد العينة موافقتهم على قيام الأب بإعداد الطعام في المنزل وقيامه بشراء ملابس الأطفال . ومع ذلك فقد تم إدراك الآباء على أنهم يقدمون في تربيهم للأطفال إسهامًا يتساوى مع ما تقدمه الأمهات .

ومما لا شك فيه أن مسح الرأى العام يكون أكثر حساسية للانحياز والتضليل وذلك بسبب الذاتية . وتوضح التقديرات السلوكية لتنشئة الأطفال وأداء المهام والأعمال المنزلية أن الأب يقضى وقتًا أقل بكثير مما تقضيه الأم في مثل هذه الأنشطة (Pleck, 1977) .

ويرى بليك ولانج (١٩٧٨) Pleck & Lang أن ربات البيوت عند قيامهن بالأعمال المنزلية يتفوقن على أزواجهن بمقدار ستة أضعاف ، بينما تقوم الأمهات العاملات بما يتراوح بين ضعفين فقط إلى أربعة أضعاف ما يقوم به أزواجهن من الأعمال المنزلية . وحتى عام ١٩٧٧ لم تكن هناك أى دراسة توضح أن أزواج النساء العاملات يفضلون القيام بمزيد من الأعمال المنزلية أكثر من أزواج الأمهات غير العاملات ، إلا أنه في أول مرة يتم فيها اختيار عينة ممثلة على المستوى القومى (Pleck & Lang, 1978) إضافة إلى دراسة أخرى على نطاق ضيق (Bloom - Feshback, 1980a) اتضح أن أزواج النساء العاملات يقضون وقتًا أطول في رعاية الأطفال وأداء المهام المنزلية وذلك عند مقارنتهم بأقرانهم الذين لا تعمل زوجاتهم خارج المنزل . وقد دلت النتائج بذلك على ارتفاع نسبة المشاركة الذكرية في القيام بالأعمال المنزلية . ونظرًا لالتحاق أعداد كبيرة

من النساء بالقوى العاملة فإن استمرار زيادة المساهمة الذكرية في الأعمال المنزلية سوف يمثل عاملاً أساسياً يساعد كلا الزوجين على تحقيق التوافق (Carew, 1978).

جدول (٤)

أدوار الأم والأب من خلال الإجابة عن السؤال  
« من المسئول عن ..... »

كلاهما	الأب	الأم	الأسئلة
%٢٢	%١	%٧٧	القيام بإعداد الوجبات الغذائية
%٢٦	%١	%٧٢	البقاء في المنزل للعناية بالأطفال عندما يمرضون
%٣٢	%١	%٦٦	شراء ملابس الأطفال
%٣٣	%١	%٦٥	تنظيف المنزل
%٣٥	%١	%٦٣	أخذ الأطفال للطبيب ليقوم بفحصهم
%٧٦	%١	%٢٢	متابعة الأطفال في المدرسة
%٧٢	%٥	%٢٠	مساعدة الأطفال في أداء واجباتهم
%٧١	%٨	%٢٠	الاتصال بالمعلمين إذا ما واجهت الطفل مشكلة ما
%٦٧	%٢٠	%٩	إعطاء الأطفال مصروفهم
%٨٣	%٩	%٧	القيام بتهديب الأطفال
%٥٧	%٣٦	%٤	تعليم الرياضة عامة للأطفال

Source: Raising Children in a changing society. General Mills Consumer Center. Minneapolis, U.S.A.

ويجب أن نلاحظ أيضاً - على العكس من الأنماط الشائعة لدى عامة الناس - أن غالبية الرجال في الولايات المتحدة يحصلون على قدر من الرضا والإشباع من الحياة الأسرية أكثر مما يحصلون عليه من عملهم . ويرى بليك ولانج (١٩٧٨) Pleck & Lang أن الدور الذي يقوم به الرجل في الأسرة يعتبر من أهم الأدوار في حياته على الرغم من أن الوقت الذي يقضيه في أداء هذا الدور يقل عن الوقت الذي يقضيه في عمله الذي يتقاضى عليه مرتبه ، كما أن الخبرة الإيجابية التي يمر بها في ذلك الدور الأسرى لها آثارها التي تفوق الآثار الناجمة عن أى دور آخر يقوم به في سبيل تحقيق رفاهيته الكلية . ومع ذلك فقد وجد بلوم - فيشباك (١٩٨٠ - أ) Bloom - Feshback أنه بالنسبة للآباء الجدد فإن

المستويات الأعلى لمشاركتهم في العمل الأسرى تصاحبها مستويات أعلى من الاستمتاع بالأبوة ، كما يصاحبها أيضًا قدر أكبر من الضغوط والمشاكل خلال انتقاله إلى هذا الدور الجديد . وتؤكد هذه النتيجة على أن تقوية الدور الأسرى للأب من الممكن أن يوجد مصادر جديدة للرضا والإشباع في حياة الرجل إضافة إلى زيادة قدر الأعباء الإضافية عليه . وهكذا يبدو أنه من الحكمة أن نقوم بملاحظة تلك الاتجاهات التي برزت ودرستها قبل أن نقوم بتحديد الاختيارات أو التدخلات التي تتضمنها السياسة التي نتبعها .

### نظرة مستقبلية :

يعكس صدور النسخة الأصلية الإنجليزية لهذا الكتاب الذي بين أيدينا وظهور طبعته الثانية المعدلة والتي يعتبر الكتاب الحالي ترجمة لها النضج المتزايد للعلوم الاجتماعية في نظرتها لذلك الدور المناط بالأب والذي يمكنه أن يقوم به . وتؤكد الأدلة العديدة التي تم الحصول عليها وعرضت خلال هذا الكتاب على ظهور أنماط جديدة من التراكيب الأسرية على الرغم من أنه من المحتمل بالنسبة للنمط الأسرى الخنثوى أن يكون مجرد جانب رائد في النمو يقوم على فكرة جديدة . كما أن عدد الأسر لا يوجد فيها من الوالدين سوى الأب فقط والتي تم تصويرها في فيلم كرامر في مواجهة كرامر Krammer vs. Krammer في تزايد مستمر (Gersick, 1979) ولكنها مع ذلك لا تمثل لأن ظاهرة تنتشر على نطاق واسع . ومن ناحية أخرى فإن العديد من التشريعات القضائية لا تزال تميل إلى مناصرة الأم في حل العديد من الخلافات الحالية التي تقوم حول حق رعاية الطفل (e.g. Kerpelman, 1980) .

وقد تعود الدراسات المستقبلية بكثير من الفائدة إذا ما تناولت الأنساق والعلاقات المتعددة التي يدخل فيها الأب إلى جانب تناو لها للتفاعلات الشائبة داخل الأسرة وتتضمن الإيكولوجيا الإنسانية ecology وهي ذلك الفرع من علم الأحياء الذي يدرس العلاقة بين الإنسان وبيئته ، تتضمن عددًا من المتغيرات البيئية وسلسلة من العوامل النفسية الداخلية . ونحن نعلم أن سلوك الأب يتأثر بعمر ابنه البالغ ، والمرحلة النمائية التي يمر بها (Bloom - Feshback, 1980a) كما يتأثر أيضًا بالأحداث التاريخية ، وبمدى تماسك الجماعة (Elder, 1974) إلى جانب تأثره بالفروق بين الأجيال (Greven, 1970) وبالثقافة التي ينتمي إليها (Demos, 1970) . وتمثل هذه المتغيرات جانبًا من هذا

الموضوع الهام إذ أننا نلاحظ في الواقع أن هناك عددًا آخر من العوامل مثل الوضع الاقتصادي للأسرة، وجنس الطفل، ونمط الشخصية (Bloom - Feshback, 1980a) والمكانة المهنية للزوجة (Pleck & Lang, 1978) تؤثر على سلوك الأب داخل الأسرة. ونظرًا لأن مثل هذه العوامل العديدة هي التي تقوم بتشكيل دور الأب في الأسرة فإن هناك العديد من الأمور التي لا تزال باقية دون أن تكتشف بعد، والأمر مناط بالدراسات المستقبلية للتوصل إلى ذلك وتحقيق هذا الإنجاز ويمكن أن يساهم المنظور التاريخي لمشاركة الأب في الحياة الأسرية وانغماسه فيها بدور مفيد في هذا السياق.

\* \* \*

## مراجع الفصل الأول

- Aries, P. (1962). *Centuries of childhood: A social history of family life* (R. Baldick, trans.). New York: Vintage.
- Bamburger, J. (1974). The myth of matriarchy : Why men rule in primitive society. In M. Z. Rosaldo & L. Lamphere (Eds.), *Woman culture and society*. Stanford: Stanford University Press.
- Sardis, P.D. (1963). Main features of the ancient Roman family. *Social Science*, 38, 225-240.
- Barrett, N. S. (February 1979). The coming decade : American women and human resources policies and programs. Statement presented to Committee on Human Resources. U. S. Senate.
- Bern, S. L. (1974). The measurement of psychological androgyny. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 42, 155-162.
- Bern, S. L. (1975). Sex role adaptability : One consequence of psychological androgyny. *Journal of Personality and Social Psychology*, 31, 634-643.
- Benedek, T. (1970). The family as a psychologic field. In E. J. Anthony & T. Benedek (Eds.), *parenthood : Its psychology and psychopathology*. Boston: Little, Brown.
- Benson, L. (1968). *Fatherhood: A sociological perspective*. New York :Random House.
- Brendt, R. M.& Berndt, C. H. (1969). *The first Australians*. Sydney : Walkabout.
- Biller, H., & Meredith, D. (1974). *Father power*. New York : McKay.
- Blanchard, R., & Biller, H. (1971). Father availability and academic performance among third grade boys. *Developmental Psychology*, 5, 301-305.
- Block, J. H. (1973). Conceptions of sex role: Some cross-cultural and longitudinal perspectives. *American Psychologist*, 28, 512-526.
- Bloom-Feshbach, J. (1979). The beginnings of fatherhood. *Dissertation Abstracts International*, 41 B, (6), 2307 (b).

- Bloom-Feshbach, J. (1980). Differentiation :Field dependence, spatial ability, and hemispheric specialization. *Journal of Personality*, 48, 135-148 (b).
- Bloom-Feshbach S., Bloom - Feshbach, J., & Gaughran, J. (1980). The child's tie to both partents : Separation patterns and nursery school adjustment. *American Journal of Orthopsychiatry*, 50, 505-521.
- Bronfenbrenner, U. (1975). Ecology of child development. *Proceedings of the American Philosophical Society*, 119, 439-469.
- Bronfenbrenner, U. (1977). Toward an experimental ecology of human development. *American Psychologist*, 32, 513-531.
- Burgess, E. W., & Locke. H. J. (1945). *The family: From institution to companionship*. New York : American book Company.
- Carew, M.C. (1978). *Employment and mohter's emotional states: A psychological study of women reentering the work force*. Unpublished doctoral dissertation , Yale Universtiy.
- Chodorow, N. (1977). *The reproduction of mot he rig :Family structure and feminine personality*. Berkeley : University of California Press.
- Cohen. L. J.. & Campos. J. J. (1974). Father. mother, and stranger as elicitors of attachment behaviors in infancy. *Developmental Psychology*, 10, 146-154.
- Crano, W. D., & Aronoff, J. (1978). A cross - Cultural study of expressive and instrumental role complementarity in the family. *American Sociological Review*, 43, 463-471.
- Davis, W. S. (1910). *The influence of wealth in Imperial Rome*. New York: Macmillan.
- DeMause, L (1975). *The history of childhood*. New York: Harper.
- Demos, J. A. (1970). *Little commonwealth: Family life in Plymouth colony*. New York: Oxford press.
- Donzelot, J. (1979). *The Policing of families*. New York: Pantheon Books.
- Elder, G. (1974). *Children of the Great Depress in*. Chicago: University of Chicago press.
- Elder, G. (1979). Historical change in life patterns and personality . In P. Baltes & O. Brim, Jr. (Eds.), *Life-span development and behavior*, Vol. 2 New York: Academic Press.

- Elder, G. H., & Rockwell, R. C. (1979). The depression experience experience in men's lives. In A. I. Lichtman & J. R. Challinor (Eds.), *Kin and communities. Families in America*. Washington., D. C.: Smithsonian Press.
- Engels, F. (1894). *The origin of the family, private property and the state*, 4th ed.. St. Petersburg: Viatz Khanova.
- Epstein, L. M. (1942). *Marriage laws in the Bible and the Talmud*. Cambridge, Mass : Harvard University Press.
- Erikson, E. (1963). *Childhood and society*, 2nd ed. New York: Norton.
- Fairchilds, C. (1978). Female sexual attitudes and the rise of illegitimacy. *Journal of Interdisciplinary History*, 4, 627-667.
- Fein, R. (1978). Research on fathering: Social policy and an emergent perspective. *Journal of Social Issues*, 34, 122-135.
- Feshbach, N. D.(1980). The psychology of empathy, and the empathy of psychology. Paper presented at the meeting of the Western Psychological Association, Honolulu, May.
- Freud, S. (1961). *The ego and the id* (1923). Standard Edition, Vol. 19. London : Hogarth.
- Freud, S. (1961). *Inhibitions, symptoms and anxiety* (1926). Standard Edition. Vol. 20 London :Hogarth.
- Furstenberg, F. F. Jr. (1974). Work experience and family life. In J. O'Toole (Ed.) *Work and the quality of life*. Cambridge. : MIT Press.
- Garbarino, J. (1976). A preliminary study of some ecological correlates of child abuse :The impact of socioeconomic stress on mothers. *Child Development*, 47,178-185.
- Gersick, K. E. (1979). Fathers by choice: Divorced men who receive custody of their children. In G. Levinger & O. C. Moles (Eds.) *Divorce and separation :Context, causes and consequences*. New York :Basic Books.
- Glick, P. C. (1980). Demographic shifts: Changes in family structure. In C. D. Hayes (Ed.), *Work, family and community :Summary proceedings of an ad hoc meeting* . Washington, D. C. : National Academy of Sciences.
- Glick, P. C., & Norton, A. J. (1973). Perspectives on the recent upturn in divorce and remarriage. *Demography*, 10,301-314.

- Gordon, M. (1971). From an unfortunate necessity to a cult of mutual orgasm : Sex in American marital educational literature, 1830-1840. In J. Henslin (Ed.), Studies in the sociology of sex. New York, New York: Appleton - Century -Crofts.
- Gough, K. (1971). The origin of the family. Journal of Marriage and the Family, 33,760-771.
- Gould, R. (1972). The phases of adult life : A study in developmental psychology. American Journal of Psychiatry, 129,521-31.
- Greven, P. J. (1970). Four generations: Population, Land, and family in colonial Andover, Massachusetts. Ithaca, N. Y.: Cornell University Press.
- Hareven, T. (1971). The history of the family as an interdisciplinary field. Journal of Interdisciplinary History, 2, 399-41.
- Hareven, T. (Ed). (1978). Transitions :The family and the life course in historcial perspective. New York : Academic Press.
- Hayes, C. D. (Ed.) (1980). Work, family, and community: Summary proceedings of an ad hoc meeting. Washington, D. C. : National Academy of Sciences.
- Hoffma, L. W., & Manis, I. D. (1978). Influences of children on marital interaction and parental satisfactions and dissatisfactions. In R. M. Lerner & G. B. Spanier (Eds.) Child influences on marital and family interaction : A life -span perspective. New York: Academic press.
- Hunt, D. (1970). Parents and children in history :The psychology of family life in early modern France. New York: Basic Books.
- Kaplan, A., & Bean, I. (1976). Beyond sex-role stereotypes: Readings toward a psychology of androgyny. Boston : Little, Brown.
- Kellam, S. G., Ensminger, M. E., & Turner, R. J. (1977) Family structure and the mental health of children . Archives of General Psychiatry, 34, 1012- 1022.
- Keniston, K. (1960). The uncommitted: Alienated youth in American society. New York : Harcourt Brace & World.
- Keniston, K. (1977). All our children : the American family under pressure. New York Harcourt Brace Jovanovich.

- Kenkel, W. F. (1966). *The family in perspective*. New York: Appleton-Century-Crofts.
- Kerpelman, L. J. (April 1980). Child custody best decided by jury. *New Haven Register*, p. 11.
- Kessen, W. (1965). *The child*. New York: Wiley.
- Kohn, M. (1969). *Class and conformity : A study In values*. Homewood, 111. : Dorsey.
- Kohn, M. L., & Schooler, C. (1973). Occupational experience and psychological functioning : An assessment of reciprocal effects. *American Sociological Review*, 38, 97-118.
- Kotelchuck, M. (1976). The infant's relationship to the father: Experimental evidence. In M. E. Lamb (Ed.), *The role of the father in child development*. New York: Wiley.
- Lamb, M. E. (1975). Fathers : Forgotten contributors to child development. *Human Development*, 18, 245-266.
- Lamb, M. E (1976). *The role of the father in child development*. New York: wiley.
- Lamb, M. E. (1977). Father -infant and mother-infant interaction in the first year of life. *Child Development*, 48, 167-181.
- Lamb, M. E. (1978). Influence of the child on marital quality and family interaction during the prenatal, prenatal, and infancy periods. In R. M. Lerner & G. B. Spanier (Eds.), *Child influences on marital and family interaction : A life-span perspective*. New York: Academic Press.
- Lasch, C. (1979). *Haven in a heartless world: The family besieged*. New york: Basic Books.
- Lasch, C. (1980). *The culture of narcissism*. New York: Warner.
- Levinson, D. (1978). *The seasons of a man's life*. New York: Knopf.
- Lewis, H. B. (1976). *Psychic war in men and women*. New York: New York University Press.
- Lewis, R. A. (1978). Emotional intimacy among men. *Journal of Social Issues*, 34, 108-121.
- Lewis, R. A. Freneau, P. J., & Roberts, C. L. (1979). Fathers and the post-parental transition. *Family Coordinator*, 28, 514-520.

- Lyman, R. B. (1975). Barbarism and religion: Late Roman and early medieval childhood. In L. deMause (Ed.), *The history of childhood*. New York : Harper.
- Malinowski, B. (1962). *The sexual life of savages*. New York Harcourt, Brace & World.
- Morgan, E. S. (1966). *The Puritan family*. New York: Harper & Row,.
- Murdock, G. (1957). World ethnographic sample. *American Anthropologist*.
- Murdock, G. (1967). *Ethnographic atlas*. Pittsburgh : University of Pittsburgh Press.
- Nash, I. (1976). Historical and social changes in the perception of the role of the father. In M. E. Lamb (Ed.), *The role of the father in child development*. New York: Wiley.
- Newton, P., & Levinson, D. (1973). The work group within the organization: A sociopsychological approach. *Psychiatry*,36,115-142.
- Noon, J. A. (1949). *Law and government of the Grand River Iroquois*. New York : Viking Fund Publications in Anthropology., No. 12.
- Norris, G & Miller. J. (1979). *The working mother's complete handbook*. New York : Dutton.
- Parke, R. D., & Sawin, D. B. (1976). The fathers' role in infancy: A reevaluation. *Family Coordinator*, 25, 365-371.
- Parsons, T., & Bales, R. F. (1955). *Family socialization and interaction process*. Glencoe, Ill.: Free Press.
- Pedersen, F. A., Anderson, B. I., & Cain, R. L. (1980). *An approach to understanding linkages between the parent infant relationship : Observational studeis in a family context*. New York : Praeger Special Publications.
- Pleck, I. (1977). The work-family role system. *Social Problems*, 24,417-427.
- Pleck, J. (1979). The male sex role :Definitions, problems, and sources of change. In I. H. Williams (Ed.) *Psychology of women : Selected readings*. New York : Norton.
- Pleck, J., & Lang, L. (1978). *Men's family role : Its nature and consequences*. Wellesley, Mass. : Wellesley College Center for Research on Women.
- Rossi, A. (1977). A biosocial perspective on parenting. *Daedalus*,106,1-31.

- Rossi, A. (November 1979). Personal communication.
- Rubin L. B. (1976). *Worlds of pain: Life in the working-class family*. New York: Basic Books.
- Sacks, K. (1974). Engels revisited: Women, the organization of production, and private property. In M. Z. Rosaldo & L. Lamphere (Eds.) *Woman culture, and society*. Stanford: Stanford University Press.
- Sanday, P. R. (1974). Female status in the public domain. In M. Z. Rosaldo, & L. Lamphere (Eds.), *Woman, culture, and society* Stanford : Stanford University Press.
- Schaffer, H. R., & Emerson, P. E. (1964). The development of social attachments in infancy. *Monographs of the Society for Research in Child Development*, 29 (Serial No. 94).
- Schimek, J. G. (1968). Cognitive style and defenses: A longitudinal study of intellectualization and field independence. *Journal of Abnormal Psychology*, 73, 575-580.
- Schneider, D., & Gough, K. (1961). *matrilineal Kinship*. Berkeley: . University of California Press.
- Sears, R. (1977). Sources of life satisfactions of the Term an gifted men. *American psychologist*, 32, 119-128.
- Sennett, R. (1964). *Families against the city*. Cambridge, Mass. : Harvard Univeristy Press.
- Sennett, R., & Cobb. I. (1973). *The hidden injuries of class*. New York : Vintage Books.
- Shah, I. (1971). *The Sufis*. Garden City, N. Y. :Anchor Books.
- Shorter, E. (1973). Female emancipation, birth control, and fertility in European history. *American Historical Review*, 78, 605-640.
- Shorter, E. (1975). *The making of the modern family*. New York: Basic Books.
- Slater, P. (1961). Parental role differentiation. *American Journal of Sociology*, 67, 296-311.
- Smelser, N. (1959). *Social change in the Industrial Revolution*. London : Routledge & Kegan Paul.
- Spence, J. T. , Helmreich, R., & Stapp. I. (1975). Ratings of self and peers on sex-role attributes and their relation to self-esteem and conceptions

of masculinity and femininity. *Journal of Personality and Social Psychology*, 32, 29-39.

- Stearns, P. N. (1979). *Be a man! Males in modern society*. New York: Holmes and Meier.
- Tilly, L., Scouff, J., & Cohen, M. (1976). Women's work and European fertility patterns. *Journal of Interdisciplinary History*, 3, 447-456.
- Tuchman, B. (1979). *A distant mirror : The calamitous 14th century*. New York: Ballantine.
- Turnbull, C. (1962). *The forest people*. New York: Clarion.
- Vaillant, G. E. (1977). *Adaptation to life*. Boston :Little, Brown.
- Waldron, I. (1976). Why do women live longer than men? *Journal of Human Stress*, 2-14.
- Waldron, I. (1978). Type A Behavior pattern and coronary heart disease in men and women. *Social Science and Medicine*.12.167-171.
- Werner, H. (1957). *Comparative psychology of mental development*. New York : International Universities Press.
- Weinstein, F., & Platt, G. M. (1969). *The wish to be free: Society, fscyhe, and value change*. Berkeley: University . of California Press.
- Wells, R. V. (1977). Review of "The making of the modern family" by E. Shorter. *Journal of Social History*, 10, J61-364.
- Westley, W. A., & Epstein., N. B. (1969). *The silent majority*. San Francisco: Jossey Bass.
- Wheelis, A (1973). *How People change*. New York: Harper & Row.
- Witkin. H. (1978). Cognitive styles in personal and cultural adaptation. *The 1977 Heinz Werner Lectures*. Worcester, Mass. :Clark University press.
- Witkin, H. & Berry, J. (1975). Psychological differentiation in cross-cultural perspective. *Journal of corss-cultural psychology*, 6, 4-87.
- Witkin, H. A., Dyk, R. E., Faterson, H. F., Good enough, D. R., & Karp, S. A. (1974). *Psychological differentiation : Studies of development* : New York : Wiley.
- Witkin, H. A., Goodenough, D. R., & Oltman, P. K. (1977). *Psychological differentiation : Current status*. *Research Bulletin of the Educational -Testing Service*, Princeton. N. J.





الفصل الثاني  
الأب في نظرية التحليل النفسي

فيرونيكا ماشتلينجر  
Veronica J. Mächtlinger



تعكس كتابات التحليل النفسي منذ ظهور النسخة الأصلية الإنجليزية لهذا الكتاب مزيداً من الاهتمام بالأب ومكانته ووظائفه التي يؤديها بالنسبة للطفل . وسوف نركز في هذا الفصل على آراء التحليل النفسي حول الأب وأهميته والتطور الذي شهده هذا المجال وذلك منذ أيام فرويد وحتى الآن .

## الآراء السابقة حول الأب وأهميته في حياة الطفل

### من وجهة نظر التحليل النفسي

من الجدير بالذكر أن أى مناقشة حول الأب وأهميته في حياة الطفل من وجهة نظر التحليل النفسي تتخذ من فكر فرويد Freud حول هذا الموضوع خلفية لها حيث أعطى فرويد للأب في نظريته عن النمو النفس جنسى للطفل درجة كبيرة من الأهمية . وفي واقع الأمر اعتقد فرويد في البداية أن العلاقة بين الأب والطفل تعتبر على درجة من الأهمية تفوق تلك العلاقة التي تنشأ بين الأم والطفل ، ولكنه عاد بعد ذلك وقام بتغيير هذه النظرة .

ويركز فرويد على ثلاثة محاور رئيسية في العلاقة بين الأب والطفل يمكن تناوؤها على النحو التالي :

١ - تعتبر مشاعر الحب والإعجاب بالأب خلال سنوات النمو قبل المرحلة الأوديبية ذات أهمية كبيرة بالنسبة للأبناء وخصوصاً البنين منهم وذلك كمصدر للتوحد الإيجابي . وفي حديثه عن التوحد يشير فرويد (١٩٢١) إلى أن الأطفال يتوحدون مع أولئك الأشخاص الذين يرتبطون بهم انفعاليًا ، وبذلك يلعب التوحد دورًا هامًا في بدايات عقدة أوديب . فالولد الصغير مثلاً يبدى اهتمامًا خاصًا بأبيه ؛ فيرغب في أن يكون مثله وأن يشبهه وأن يحل محله في أى مكان . ويمكننا أن نقول بأن الولد يتخذ من أبيه مثلاً أعلى له ، إلا أن هذا السلوك لا يرتبط بالاتجاه السلبي أو الأثنوى نحو الأب ونحو الذكور بوجه عام . ولكنه على العكس من ذلك يعتبر اتجاهًا ذكريًا (Frued, 1921) . وتقوم تلك المشاعر الإيجابية نحو الأب ومشاعر الحب التي يكنها له بإرساء الأساس للصراعات التي تشكل في جوهرها ما يعرف بعقدة أوديب .

٢ - يؤدي صغر حجم الطفل وعجزه إلى شعوره بالحاجة القوية من جانبه لتلقى الحماية من جانب شخص يحبه . وفي مناقشته لأصول المشاعر الدينية يربط فرويد الحماية من جانب الطفل بالعلاقة مع الأب ، ويعتقد أنها تصبح واحدة من أقوى حاجات الطفل . وكما نعلم فإن الشعور المفزع بالعجز في مرحلة الطفولة يثير حاجة الطفل إلى الحماية ، تلك الحماية التي تتحقق من خلال الحب ، وهذه بطبيعة الحال يوفرها له الأب (Frued, 1927) .

٣ - ينظر الطفل الصغير إلى الأب باعتباره مصدرًا للسلطة ، وعلى أنه شخص ما يتوقع منه أن يقوم بعقابه . ويتضخم هذا الجانب من جوانب علاقة الأب بالطفل بدرجة كبيرة ويصل إلى ذروته في مخاوف الطفل وخيالاته التي تشكل تلك الصورة التي يكونها الولد عن الأب « الأوديبى » وذلك خلال المرحلة القضيبية الأوديبية من مراحل نموه ، وهى الصورة التي يرى فيها الأب على أنه مصدر للتهديد والعقاب والخصاء ، أما بالنسبة للبنات فإن الأب « الأوديبى » يصبح الموضوع الأساسى لحبها والتي توجه إليه رغباتها الجنسية القضيبية الأوديبية خلال صراعها الأوديبى « الإيجابى » .

وينظر فرويد إلى عقدة أوديب على أنها ذروة النمو الجنسى فى مرحلة الطفولة يدخل الطفل بعدها مرحلة كمون . وعقدة أوديب هى ذلك الاسم الذى أطلقه فرويد على الصراعات التى تحدث فى المرحلة القضيبية الأوديبية والتي إذا لم يتم حلها بطريقة غير مشبعة تظهر بعد ذلك على شكل أعراض عصابية إذ يرى أنه خلال السنوات الأولى من مرحلة الطفولة وبالتحديد بين الثانية والخامسة من العمر يحدث التقاء أو تقارب للحفيزات الجنسية حول موضوع معين ، فتتركز حول الأم بالنسبة للبنين . ويقترن اختيار الموضوع باتجاه مواز للتنافس والعدوانية تجاه الأب ويمثلان معًا محتوى ما يعرف بعقدة أوديب والتي تمثل أهمية لكل إنسان فى تحديد الشكل النهائى لحياته الجنسية . وقد اتضح أن ما يميز الشخص العادى هو أنه يتعلم كيف يحل عقدة أوديب فى حين يبقى الشخص العصابى منغمسًا فيها (Frued, 1923) .

وقد أدى هذا الارتباط بين مصير الصراعات الأوديبية وبين الأعراض العصابية التى تظهر فيما بعد بالجيل الأول من المحللين النفسيين إلى تركيز اهتمامهم على الصراعات التى تحدث خلال المرحلة القضيبية الأوديبية . ومع ذلك فقد انتقل هذا التركيز تدريجيًا

إلى ما نطلق عليه المراحل النهائية قبل الأوديبيّة وما يحدث خلالها من عمليات وأحداث تعد هي الأساس النفسي لظهور عقدة أوديب وما يصاحبها من صراعات . ومن هذا المنطلق فإن وجود عقدة أوديب يعتبر دليلاً على أن شخصية الطفل قد وصلت إلى درجة معينة من التنظيم والبناء والتكامل والتي لا توجد لدى أولئك الأطفال متأخرى النمو والذين تظهر لديهم اضطرابات في نمو الأنا ووظيفتها أو توقف لنموها بالإضافة إلى وجود اضطرابات في علاقتهم بالموضوع (Anna Fried, 1965) .

وقد وصف فرويد في البداية عقدة أوديب كما تنمو لدى البنين ورأى أن هناك عملية موازية تحدث بالنسبة للبنات . وعند مواجهة الدليل الإكلينيكي السلبي والذي تم الحصول عليه أصلاً من خلال دراسة الإناث الراشدين المرضيات تحلى فرويد عن اعتقاده النظري بوجود عملية مشابهة تحدث لدى البنات (Fried, 1919) . وقد كانت الدراسة الإكلينيكية للنساء المرضيات أيضاً هي التي لفتت انتباه المحللين النفسيين إلى شدة ومدة التعلق قبل الأوديبي بالأم . وقد أدى مفهوم الخنوثة أو ثنائية الجنس Bisexuality مع فكرة اتخاذ الأطفال من الجنسين من الآباء من كلا الجنسين موضوعات لحبهم أدى إلى الاعتقاد النظري بوجود أشكال سلبية وأخرى إيجابية لعقدة أوديب إذ أن كل علاقة أوديبيّة تعتبر في حقيقة الأمر علاقة رباعية حيث تتطور لدى كل من الأولاد والبنات حفزات عدوانية وأخرى عاطفية تجاه كلا الوالدين .

ويدخل الولد المرحلة القضيبية من مراحل نموه الليبيدي ولديه تعلق قبل أوديبي قوى بأمه التي تمثل أول موضوع لحبه إضافة إلى قيامه بالتوحد قبل الأوديبي مع أبيه ، ويكون هذا التوحد مبنياً على حبه لأبيه وإعجابه به . وتستمر هاتان العلاقتان معاً لبعض الوقت دون أن تعطيا الفرصة لحدوث الصراع . وحينما تزداد حدة رغبات الولد الجنسية القضيبية الأوديبيّة تجاه أمه في الوقت الذي يدرك فيه أبيه على أنه منافس له ، وأنه عقبة في سبيل إشباع تلك الرغبات تتطور لديه عقدة أوديب الإيجابية البسيطة ، أي أن مشاعره تجاه أبيه تصبح متناقضة بدلاً من إدراكه له على أنه عدواني ، ويتحول إلى الرغبة في التخلص من أبيه وأن يحل محله بالنسبة لأمه . وتحت تأثير هذا الصراع ، وكتعبير من جانب الولد عن خنوثته وتوحده الكامن مع نموذج أنثوى فقد يحدث له نكوص إلى الوضع الأوديبي السلبي فيظهر اتجاهها ودوداً نحو أبيه مع عدوانية وغيره متناظرة نحو أمه . وقد يكون الوضع الأوديبي السلبي لدى الولد بمثابة محاولة إرتدادية من جانبه

للهراب من صراعات الموقف الأوديبى وهى المحاولة التى تهدف إلى الحفاظ على حب الأب وذلك من خلال التوحد مع الأم . ومع ذلك فإن كلا الشكلين السلبي والإيجابى لعقدة أوديب قد يثيرا مخاوف الخصاء لدى الطفل الذكر . ففى الشكل الإيجابى يعتقد الولد أو يتخيل أنه قد يفقد قضيبه كعقاب له على رغباته الجنسية تجاه أمه وعلى عدوانيته تجاه أبيه ، أما فى الشكل السلبي فإن فقد القضيب يعد بالنسبة له شرطاً لكى يصبح محبوباً من جانب الأب كما يحدث بالنسبة لأمه .

وفى ظل الظروف العادية يؤدى هذا التهديد المتخيل من الخصاء إلى تدمير أو إنهاء عقدة أوديب لدى البنين ، فيتخلى الولد عن حبه الجنسى (القضيبى الأوديبى) لأمه ، ويدعن لمتطلبات الواقع ، كما يتوحد مع المتطلبات الأخلاقية الصادرة عن أبيه . ويعتبر هذا التوحد الذى يتضمن إنكار الرغبات الجنسية هو ما أطلق عليه فرويد اسم ميراث عقدة أوديب . واعتبر فرويد هذا الميراث أمراً جوهرياً لتعيين وتقوية واستقرار الأنا الأعلى . ومن ناحية أخرى فإنه يتم الإقلاع عن الموضوع الذى تتركز حوله الطاقة النفسية للولد ويحل التوحد محله ، كما يتم تشرب سلطة الأب أو الوالدين فى الأنا حيث تشكل نواة الأنا الأعلى الذى يتغلب بدوره على صرامة الأب وقسوته (Frued, 1924) .

أما بالنسبة للبنات فتأخذ عقدة أوديب مسلكاً مختلفاً . ولكن فرويد قام فى عام ١٩١٩ بتغيير آرائه السابقة حول حدوث عملية لدى البنت موازية لتلك العملية التى تحدث لدى البنين ، إلا أنه حتى نهاية عام ١٩٢٤ كان لا يزال يعتقد أن عقدة أوديب لدى البنات تعتبر موضوعاً أيسر نسبياً منه لدى البنين حيث تتكون من رغبة البنت فى أن تحل محل أمها وتبنى الاتجاه الأنثوى حيال الأب . ومع هذا فقد اعتبر فرويد بعد ذلك أن عقدة أوديب وما تتضمنه من صراعات تجلب للبنات مشكلات أكثر صعوبة وتعقيداً لا تستطيع أن تتغلب عليها قياساً بما تجلبه للولد من مشكلات إذ نجد أن الولد - على العكس من البنت - لا يجد نفسه مضطراً إلى تغيير موضوع حبه الأولى وهو الأم ، أما البنت والتى تدخل أيضاً المرحلة الأوديبية القضيبية ولديها تعلق قبل أوديبى بأمها وهو أى ذلك التعلق يعتبر موجوداً سلفاً على الرغم من كونه متناقضاً ، ومن هنا يجب عليها أن تحرر نفسها من أمها وأن تتخذ من أبيها موضوعاً لحبها الأولى ، وهى العملية التى نادراً ما تحدث بدون أن توجد فى طريقها بعض الصعوبات المتعددة .

ويعتقد فرويد أيضًا أن البنت تواجه مشكلة إضافية تتمثل في اضطرابها إلى تغيير منطقة الأعضاء التناسلية لديها وذلك من البظر Clitoris إلى المهبل Vagina كما يرى فرويد أن الأب الأوديبى المخيب للآمال أو الذى لا يبدى لها اهتمامًا قد يكون له أثره المدمر على النمو الجنسى لابنته ، فيتسبب في حدوث إنتكاسة لها ترتد على أثرها إلى العلاقة قبل الأوديبية مع أمها (Frued, 1931) .

ويعتبر فرويد أن التعلق قبل الأوديبى الحميم للبنت مع أمها والذى يصبح في بداية المرحلة القضيبية مرتبطًا بحفزاتها الجنسية الموجهة إليها بمثابة الوجه السلبي لعقدة أوديب لدى البنات ، وهى تسبق الوجه الإيجابى المعقد ، وقد يتم الارتداد إليه دفاعيًا أو نكوصيًا في مواجهة الصراعات الأوديبية .

ويعتقد فرويد أن السبب في الانتقال من الشكل السلبي إلى الشكل الإيجابى لعقدة أوديب أى الانتقال من الأم إلى الأب كموضوع للحب الأولى يعود إلى المعنى الذى تصل إليه البنت في إدراكها للفروق التشرىحية بين الجنسين فتفسر البنت في المرحلة الأوديبية القضيبية عدم وجود قضيب لديها على أنه خصاء تلوم أمها عليه . وبعيدًا عن خيبة الأمل التى تتحقق من جراء علاقتها بأمها ، وطبقًا للمعادلة العقلية التى ترى أن القضيب يساوى طفلًا تقوم البنت بتوجيه رغباتها الجنسية إلى أبيها ، وتعلق خيالها الأوديبية بأن يكون لها طفل منه . إذن يحدث الوضع الأوديبى الإيجابى بسبب الخصاء المتخيل . وعندما تبتعد البنت عن أمها فى غضب وخبية أمل فإنها تبحث فى أن تأخذ أباهها كموضوع لحبها الأولى ، وتصبح الأم بالتالى موضوعًا لعدوانيتها وغيرها . ونظرًا لأن التهديد المتخيل من الخصاء لا يحدث لدى البنت بنفس الشكل الذى يحدث به لدى البنين فإن فرويد يعتقد أن استدخال السلطة الأخلاقية للوالدين من جانب البنت لا يصل إلى نفس الدرجة والثبات التى يوجد بها لدى الولد . كما يعتقد أيضًا أن الخوف من فقد الحب يلعب دورًا هامًا فى إنكار البنت لرغباتها الأوديبية إلى جانب خيبة الأمل التى تشعر بها فى تحقيق هذه الرغبات .

ومن وجهة نظر فرويد فإن الخنوثة Bisexuality والتى تعنى القوة النسبية الواقعة على الرغبات الجنسية الذكورية والأنثوية ، إلى جانب التوحد المبكر مع كلا الوالدين يؤثران بشكل حاسم على مسلك أو مضمار الصراعات الأوديبية ونتيجتها . وتتقرر هذه النتيجة

عن طريق مجموعة كبيرة من العوامل الفردية ، والتي يكون بعضها عوامل داخلية وأخرى خارجية ، وثالثة ترتبط بالرغبات والمزاج ، وغيرها يرتبط بالنضج . وهو ما يعطينا وصفًا مبسطًا للحل العادي لعقدة أوديب ذات الصعوبة المتطرفة .

ويبدو أن هناك اتجاهًا في تراث التحليل النفسي الأكثر حداثة يميل إلى الإبقاء على أن تأكيد فرويد كان على جوانب العقاب والرعب والخصاء المتعلقة بالأب الأوديبى المتخيل وأن المحللين النفسيين بعد فرويد استمروا يعكسون هذا التحيز . ولكننا لا نشارك في هذا الرأى على الأقل فيما يتعلق بفرويد نفسه . وقد يكون الأمر أن المحللين النفسيين الذين تناولوا الأب الأوديبى كما صوروه من خلف الأريكة يميلون إلى التركيز على تلك الجوانب المتعلقة به والتي أشرنا إليها . أما المحللون النفسيون الذين تناولوا الأطفال والذين ووجهوا بعلاقة الطفل بأبيه الحقيقى إضافة إلى أبيه المتخيل فقد يكونوا أقل ميلاً إلى هذا الرأى ذى الجانب الواحد .

ويشير فرويد نفسه باستمرار منذ بدايات التحليل النفسى ويؤكد على جانبى الحب والإعجاب من وجهة نظر الطفل ، واعتبرهما ذات أهمية بالغة للتوحد الأولى قبل الأوديبى . ويعتبر ليتل هانز Little Hans مثلاً على ذلك (Frued, 1959) وهو ولد فى الخامسة من عمره كان خوفه المرضى أول عصاب طفولى يتم التعامل معه عن طريق التحليل النفسى . وفى تلك الحالة كانت العلاقة الإيجابية وعلاقة الحب التى تربطه بأبيه تمثل أساس التعامل مع هانز عن طريق التحليل النفسى . وهناك العديد من الإشارات على حبه الشديد لأبيه ، وعندما أصبحت رغباته الأوديبية القضيبية تمثل ضغطاً عليه بدأ يلاحظ أن حبه لأبيه يتصارع مع عدوانيته تجاهه فيما يتعلق بقدرته على المنافسة فى حب أمه . وبعد ذلك أصبح الطفل لا يستطيع أن يتمالك نفسه من كره أبيه الذى كان هو نفسه يمثل موضوعاً لحبه من قبل وكان مصمماً على الاستمرار فى حبه ، كما كان يمثل أيضاً نموذجاً له ، وكان أول رفيق له فى اللعب ، وكان يقوم برعايته منذ طفولته المبكرة ، وكان هذا الأب هو نفسه الذى فسح المجال لأول صراع يحدث له أى للولد .

كما يوضح تاريخ حالة ليتل هانز أيضاً جانباً آخر من تلك التى يتضمنها اتجاه التحليل النفسى والتى يجب أن نضعها نصب أعيننا عندما نفكر فى نظريات التحليل النفسى . وعلى الرغم من أنه فى دراسة الحالة هذه كان قد تم وصف والدته هانز وأبيه

كأفراد ولم تكن شخصياتها الحقيقيتان أو التفاعل الذى تم بينها وبين شخصية الطفل هو الذى أوجد بؤرة الاهتمام الأولية . وكان يتم النظر فى الأساس إلى والديه على أنها أداتان للمثيرات التى يتفاعل معها هانز . ويركز فرويد على تتابع ردود الأفعال هذه وعلى علاقتها الدينامية مع الخبرات الأخرى للطفل . وكما يرى كريس (1950) فإنه لا يتم النظر إلى الوالدين فى إطار شخصيتهما إلا عندما يتم تناول موضوع التوحد مع الصور الوالدية فقط .

وينصب اهتمام المحللين النفسيين على التمثيل المستدخل من جانب الطفل للأب ، أى بالمشاعر والتخيلات والرغبات التى يقوم الطفل بربطها بالأب والتى قد تعكس وقد لا تعكس الأب الحقيقى . فقامت أنا فرويد ودوروتى بيرلنجهام (1944) A. Fried & D. Burlingham على سبيل المثال بوصف بنت صغيرة انفصلت عن أبيها بين سن الثانية والنصف والخامسة والنصف من عمرها ، وكانت هذه البنت غالباً ما تستخدم ألفاظاً تحببية عندما تشير إلى أبيها الذى كان يعتبره الآخرون كهلاً ونكد المزاج إلى جانب صرامته وقسوته وعدم تفاهمه مع أسرته كبيرة العدد .

ومع تطور الاهتمام بمراحل النمو قبل الأوديبى للأطفال وتطور ما يعرف بالتحليل النفسى النمائى الوراثى (Genetic developmental Psychoanalysis (Hartmann, 1950; Hasrman & Kris, 1945; Anna Fried , 1950) بدأ ينظر بعض المحللين النفسيين إلى ملاحظة الأطفال الرضع والمتحركين فى فترة ما قبل استخدام اللغة اللفظية كمجال حيوى للدراسة ، وأصبحوا قادرين على إضافة إسهامات واضحة إلى المعارف النظرية الأساسية المتعلقة بالسنوات الأولى للنمو . وبهذه الطريقة أصبح سلوك الرضيع والطفل الصغير الذى تتم ملاحظته من الخارج يمكن تفحصه بالتفصيل (e.g. Spitz, 1965) . ومع ذلك فقد استمر عمل « الجهاز العقلى » Mental apparatus والتخيلات والمعانى التى يدركها الطفل ويمر بها فى خبرته خلال مضمار النمو يمثلون بؤرة اهتمام واضحة فى التحليل النفسى .

إلا أن التصورات النظرية التى تقوم على دمج الملاحظات المختلفة للسلوك مع الاستنتاجات التى تتعلق بالأبنية الداخلية ووظائفها ( الهو ، والأنا ، والأنا الأعلى ) ، ومكونات الدوافع ، والمحتوى الخاص بالتخيلات تمثل مشكلة خاصة إذ أنه بمجرد أن

يستطيع الطفل التلغظ بتخيلاته أو حتى إعطاء إشارات تدل عليها أثناء اللعب فإنه يقل بالتالي حجم هذه الصعوبة على الرغم من ظهور الخلافات حول مكانة ومعنى تلك الجمل التي يتلغظ بها الطفل والملاحظات التي يسجلها المحللون . إلا أن تلك الملاحظات والاستنتاجات الخاصة بسلوك الطفل في مراحل ما قبل استخدام اللغة اللفظية غالبًا ما يكون من الصعب التمييز بينها . وينطبق هذا في الواقع على تلك الأعمال التي أجريت على العلاقة المبكرة التي يقيمها الطفل مع الأب حيث لم يتم بالنسبة للملاحظات التي تم تسجيلها عن العلاقة الفعلية الملاحظة بين الأب والطفل والتصورات التي تتعلق بالعمليات الداخلية بالنسبة للطفل التمييز بوضوح بين كل منها والأخرى في التراث الخاص بالتحليل النفسى .

وعلى الرغم من أنه قد تم في الدراسات الإكلينيكية التي أجريت على المرضى منح الأب مكانة وأهمية ، فلم تبذل أى محاولات موسعة أو منتظمة في السنوات الأولى التي تلت تحديد فرويد لدور الأب وأهميته بكثير من التفصيل . ومما لا شك فيه أن هذا الإهمال أو التجاهل للأب يرجع إلى الاهتمام المتزايد بالعلاقة المبكرة بين الأم والرضيع في الصياغات النظرية للتحليل النفسى . ومع ذلك فقد قامت أنا فرويد ودوروتى بيرلنجهام (A. Frued & D. Burlingham 1944) بجذب الانتباه إلى ذلك التجاهل لأهمية الأب بالنسبة للطفل وقررنا أن علاقة الطفل الانفعالية بأبيه تبدأ في وقت متأخر نوعًا ما من حياة الطفل مقارنة بتلك العلاقة التي تربطه بأمه ، إلا أنها في واقع الأمر تمثل منذ العام الثانى من حياة الطفل فصاعدًا جزءًا متكاملًا من حياته الانفعالية ومكونًا ضروريًا في تلك القوى المعقدة التي تعمل في سبيل تكوين خلقه وشخصيته .

ومن ناحية أخرى هناك محللون آخرون أمثال ماهلر وجوزلاينر (Mahler 1955) Gosliner & ووينيكوت (Winnicott 1960) وجريناكر (1960-1966) Greenacre ونيوباور (1960) Neubauer وليونارد (Leonard 1966) قاموا أيضًا بجذب الانتباه إلى أهمية العلاقة المبكرة التي تنشأ بين الأب والطفل . وقد عبرت بيرلنجهام (Burlingham 1973) بقوة في تناو لها للعلاقة قبل الأوديبية عن عدم الرضا عن قلة المحاولات النظرية المناسبة التي تهدف إلى فهم دور الأب حيث شعرت أن تجاهل الأب قد أدى إلى حدوث تشوش في التفكير حول طبيعة العلاقة بين الأم والرضيع ،

وافترضت على وجه الخصوص أن الأب يساعد الطفل في تحقيق التفرد عن الأم . ويرى لويوالد (١٩٥١) Leowald أن الأب يلعب دورًا هامًا بالنسبة لعمليات نمو الأنا لدى الطفل وتحقيق وجوده الشخصي أو الفردى individuation وتميزه وذلك في الفترة قبل الأوديبية . وفي وصفه لعقدة أوديب كعملية يتوصل الطفل من خلالها إلى تحقيق تفاهم مع متطلبات الواقع ويتخلى عن الرغبات الطفلية ، يرى لويوالد Leowald أن الأب بالنسبة للطفل يمثل نفس مفهوم الواقع ، أى أن الطفل يخبر الواقع كقوة خارجية تمثلها صورة الأب .

ويؤكد لويوالد أيضًا على حقيقة أن العلاقة قبل الأوديبية للطفل بأمه عبارة عن علاقة متناقضة تتكون من المعنى الطفلى الإيجابى للاتحاد مع الأم إضافة إلى الخوف من الرجوع إلى الحالة الأصلية غير البنائية للوحدة معها . ويقترح أيضًا وجود دور هام للأب حيث يساعد أنا الطفل فى الوصول إلى درجة أكبر من التنظيم والتميز والتكامل حتى يستطيع أن يحرر نفسه من سلطان أمه . ومن وجهة نظر لويوالد Leowald فإنه بالنسبة لكل من البنين والبنات نجد أن الخوف من إعادة الاستحواذ عليهم من جانب الأم يعمل جنبًا إلى جنب مع الخوف من الخصاء من جانب الأب بالنسبة للبنين وذلك كمثير لتحقيق درجة أكبر من تمايز الأنا والبناء المتتابع للواقع .

وتسلم ماehler وجوزلاينر (١٩٥٥) Mahler & Gosliner أيضًا بأن العلاقة المبكرة مع الأب تلعب دورًا أساسيًا فى مساعدة الطفل على أن يحرر نفسه من العلاقة التكافلية المبكرة مع الأم وأن يطور استقلالاً لوظائف الأنا . كما تريان أن الأب يمثل بالنسبة للطفل عاملاً لا تشوّهه الازدواجية أو التناقض كما هو الحال بالنسبة لعالم الأم . ويسوق أبلين (١٩٧١) Abelin وجهة نظر مشابهة فيركز فى إطار نظرية الانفصال - الوجود الشخصى أو الفردى للطفل Separation - individuation لماهلر على أن تعلق الطفل الصغير بأبيه فى المرحلة الفرعية للممارسة والمران Practicing كما تطلق عليها ماهلر يلعب دورًا حاسمًا فى المساعدة على حدوث عمليات التمايز وتحقيق وجوده الشخصى أو الفردى .

ويوضح فحص الدراسات الإكلينيكية ودراسات الملاحظة (Mächtlinger, 1976) أن ثراء وتعقد التفاعلات التى تتم بين الأب والرضيع وبين الأب والطفل قد تم تغافله .

وقد أولت ويسمان (١٩٦٣) Weissman وبيرلنجهام (١٩٧٣) Burlingham باستخدام بيانات تحليلية عن المرضى الراشدين والذين أصبحوا آباء خلال إجراء تلك التحليلات أولنا اهتمامًا كبيرًا لأثر شخصية الأب على أطفاله وخاصة البنين منهم . ويشير كولانسكى ومور (١٩٦٦) Kolansky & Moore وسبرينس (١٩٧٢) Sprince أيضًا إلى هذا الأثر في تعليقاتهم على التحليلات التلقائية لأزواج من الآباء والأبناء الذكور . كما تناول مور (١٩٧٤) Moore العلاقة المرضية بين الأب وابنته واتضح من خلال ذلك إخفاق الأب في مساعدة ابنته على أن تتخلص من العلاقة الأوديوية السلبية بأمرها وهو ما كان سببًا جوهريًا فيها كانت تعانية البنت من أمراض . وقد يرجع إخفاق الأب في ذلك إلى عدم إبدائه لأى اهتمام تجاه ابنته . وبنفس الطريقة تركز ليونارد (١٩٦٦) Leonard على الدور الأساسى للأب في مساعدة ابنته على أن تتعامل بنجاح مع صراعاتها الأوديوية . وانتهت إلى أن وجود الأب باستمرار مع ابنته ومشاركته في تربيتها منذ المراحل قبل الأوديوية فصاعداً يعتبر أمرًا ضروريًا لنموها الجنسى العادى .

ويوضح التحليل التلقائى للعلاقة بين الأب وابنته داخل الأسرة والذي تمت ملاحظتها منذ ميلاد الطفل (البنت) وذلك كجزء من برنامج ييل Yale للدراسة الطولية (Ritvo, et al., 1963) يوضح أن النتائج التى نحصل عليها تصبح مضللة إذا قمنا بعزل أثر أحد الوالدين على نمو الطفل . وفى هذه الحالة كما فى غيرها من الحالات التى تقوم على التحليلات التلقائية يتضح أن الآثار المترتبة على موقف الأسرة برمتها والتفاعلات التى تتم بين أعضائها إضافة إلى السمات العقلية والجسمية الخاصة للبنت الصغيرة نفسها، كل ذلك يساهم فى إعطاء الصورة الإكلينيكية النهائية . وإذا ما قمنا بعزل دور الأب فى حياة ابنته هذه عن كل علاقاتها وتفاعلاتها الأخرى فإن هذا لن يؤدى إلا إلى تقرير مبسط أكثر من اللازم ومشوه عن ذلك الواقع .

ومن ناحية أخرى فإن الأب الغائب هو الآخر قد نال جانبًا كبيرًا من الاهتمام من جانب علماء التحليل النفسى قبل عام ١٩٧٦ ، فقامت أنا فرويد ودوروتى بيرلنجهام (١٩٤٤) A. Fried & D. Burlingham إضافة إلى بيتر نيوباور (١٩٦٠) P. Neubaure بالتركيز على أهمية الخيالات التى يطورها الأطفال حول آبائهم الغائبين عنهم حيث غالبًا ما يكون لهذه الخيالات أثر عميق فى الحياة العقلية للطفل ونموه ، ونظرًا

لغياب الأب فإن هذه الخيالات لا تخضع للتصحيح من خلال الخبرة والتجربة التي يمر بها الطفل مع أب حقيقى ، ملموس ، حى ، وموجود أمامه . كما أن المشكلات التي يصادفها الأطفال في محاولتهم التخلص من التعلق الأوديبى بالأم تزداد عندما يكون الأب غائبًا عنهم . وتوضح الأدلة الإكلينيكية أن وجود الأب يساهم في حل الصراعات الأوديبية للطفل . أما الأب الذى يغيب عن الطفل فإنه لا يسبب للولد نفس القدر من الخوف المتخيل من الخصاص وذلك مقارنة بالطفل الذى لم يغيب عنه أبوه . كما أن البنت التى يغيب عنها أبوها جسميًا وانفعاليًا لا تستطيع أن تطور تعلقًا قويًا قبل أوديبى به ، كذلك فإن غيابها هذا يجرمها من الأساس الذى تستطيع بمقتضاه أن تعيد توجيه رغباتها الأوديبية الإيجابية في المرحلة الأوديبية .

وأخيرًا فإن التقرير الذى أعدته أنا فرويد ودوروتى بيرلنجهام (١٩٤٤) عن النمو التطورى لأب متخيل لدى طفل غير شرعى لم يعرف أبًا قط يعتبر على درجة كبيرة من الأهمية إذ اتضح من خلاله أن هذا الطفل يستطيع أن يصوغ أو يشكل أبيه الخيالى طبقًا لحاجاته النهائية ، كما أن تلك الصور المتتالية التى كونها للأب تعكس تطوره النهائى .

### آراء التحليل النفسى عن الأب منذ عام ١٩٧٥ :

- يتناول هذا القسم تلك الإسهامات الأكثر حداثة والتى يتضمنها تراث التحليل النفسى عن دور الأب . وسوف تتم مناقشة هذا الجانب في ضوء الموضوعات التالية :
- ١ - النظريات التى تناولت وظائف الأب وأهميته خلال مراحل النمو قبل الأوديبى والأوديبى .
  - ٢ - النظريات التى تهتم أساسًا بدور الأب في مرحلة النمو الجنسى للطفل وهويته الجنسية .
  - ٣ - آراء التحليل النفسى عن الأبوة كعملية نهائية متطورة والتى ترجع جذورها إلى طفولة الأب نفسه .
  - ٤ - وجهة نظر مختصرة عن آراء التحليل النفسى المتاحة أمامنا حاليًا حول دور الأب خلال مرحلتى الكمون والمراهقة بالنسبة للأبناء .

## الآراء الحديثة للتحليل النفسي عن الأب خلال سنوات النمو الأوديبى وقبل الأوديبى :

من بين الآراء التى تتعلق بالأب الأوديبى وقبل الأوديبى والتى شكلت الأساس لهذه المناقشة من وجهة نظر التحليل النفسى منذ عام ١٩٧٥ لقى النموذج المبكر القائم على التثليث Triangulation والذى قدمه إرنست أبلين Ernest Abelin اهتماماً على نطاق واسع . وقد أطلق على ذلك الشكل المبكر لتلك الصياغات اسم نموذج التثليث المبكر العام The general early triangulation model وكان يهتم بتلك العملية التى كان من المعتقد أنه يتم تضمينها فى استدخال ذات الطفل كمفهوم ، وهى تلك العمليات التى يرى بياجيه Piaget أنها تحدث فى حوالى الشهر الثامن عشر من عمر الطفل . وفى التعديل الذى أجراه أبلين Abelin فيما بعد على نموذجه المبكر والذى أطلق عليه اسم «النموذج الثلاثى للتثليث المبكر» The tripartite model of early triangulation أضاف مكوناً خاصاً بالجنس إلى مفهوم الذات المستدخل والمفترض فى هذه السن .

وتشترط نظرية الانفصال - الوجود الشخصى أو الفردى للطفل Separation-individuation التى قدمتها مارجرىت ماehler Mahler (Mahler, et al.,1975) والتى تعنى بطبيعة الحال الميلاد النفسى للطفل تشترط ذلك الإطار من التحليل النفسى الذى يعمل فيه أبلين . ويعتمد أبلين مع ذلك فى تفكيره بشدة على تلك المفاهيم التى قدمها بياجيه Piaget عن النمو العقلى ، وهو ما يمثل ادعاء نظرياً يضع عدداً من المشكلات فى سبيل مناقشة آرائه من وجهة نظر التحليل النفسى .

وهناك مشكلة أخرى تواجهنا عند مناقشة آراء أبلين تتمثل فى ذلك الكم الهائل من الملاحظات والمفاهيم وحتى أنساق التفكير التى يستخدمها فى بناء ذلك النموذج الخاص به ، كما أن أهمية الاختلاف الكبير فى المعانى التى نستخدمها للوصول إلى نفس المصطلحات كما تستخدم فى الاتجاهات النظرية المختلفة إضافة إلى اختلاف مستويات الملاحظة والاستنتاج التى تتضمنها لم يتم تناولها بوضوح كاف من خلالها ، ولم يبد مع ذلك أنه قد تم القيام بأى محاولة بغرض التوفيق بين هذه الاختلافات .

ويرى أبلين (١٩٨٠) Abelin أن الصياغات التى قام بتقديمها قد دعمتها مجموعة كبيرة من البيانات التى تتعلق بتلك المجالات المتباينة كالفروق البيولوجية والنفسية بين

الجنسين وأصولها المختلفة ، والإيثولوجيا Ethology والانجذاب الاجتماعى للرضع ، والنشاط اللحائى للنسق الهرمى الإضافى ، والمرحلة الجنسية المبكرة للأطفال ، ونموهم اللغوى المبكر ، والتعرف على الذات فى المرأة ، وتلك النتائج التى توصل إليها بياجيه ، وإعادة بناء الشخصية من وجهة نظر التحليل النفسى ، وديناميات الأسرة ، ونظريات الأنساق .

إلا أن التعليق على كل تلك الجوانب التى يتضمنها ذلك النموذج الذى قدمه أبلين ليس فى مقدورنا فى الوقت الراهن نظرًا للعديد من الاعتبارات حيث من غير الممكن أن نقدمه خلال هذا الإطار النظرى الذى يتضمنه فصلنا الحالى . ولكن يمكننا فقط أن نصف التطور الذى شهده تفكير أبلين منذ البداية وحتى النهاية ، كما يمكننا أيضًا أن نقدم وصفًا شاملاً للتعديل الموسع الذى أدخله على ذلك النموذج ثم نشير بعد ذلك إلى بعض المشكلات التى قد تبرز عند محاولة ربط تلك المفاهيم بالآراء التطورية التى يقدمها التحليل النفسى . وإلى جانب ذلك فسوف نقدم فى حينه ملخصًا مختصرًا عن نظرية الانفصال - الوجود الشخصى أو الفردى التى قدمتها مارجرىت ماهلر والتى تمثل الأساس والخلفية التى انطلق منها أبلين فى تفكيره ليقدم لنا نموذج هذا الذى نحن بصدده الحديث عنه الآن .

وفى نموذج عن التثليث المبكر early triangulation يرى أبلين عند دراسته للأطفال الفصامين وأسرهم أن الأب يقوم بوظيفة على درجة كبيرة من الأهمية خلال السنوات قبل الأوديبية حيث رأى أن الفصام (الشيذوفرنيا) يتسم بحدوث انهيار لكل من الأداء العقلى الرمزي والصورة العقلية للذات وهما ما يعدان إنجازين عقليين يظهران لدى الأطفال العاديين فى حوالى الشهر الثامن عشر من العمر . ثم تساءل بعد ذلك عن الكيفية التى يستطيع الطفل بموجبها أن يكون صورة عقلية للذات ، وعن تلك الكيفية التى يرتبط بها هذا الإنجاز بظهور الأداء العقلى الرمزي . واتخذ من ديناميات الأسرة لدى الفصامين أساسًا لتصوراته النظرية مفترضًا أن كلا الإنجازين لا يجب أن يعتمد على تلك العلاقة الطيبة أى المشبعة التى يقيمها الطفل مع والديه فحسب ، بل يعتمدان أيضًا على وجود علاقة مماثلة أى طيبة أو مشبعة بين الوالدين نفسيهما . وقد أوحى إليه ذلك

بأنه في حالة النمو العادى يحدث نوع من استدخال العلاقة بين الوالدين في حوالى الشهر الثامن عشر من عمر الطفل ، وقد أدى به ذلك إلى الفرض التالى :

يؤدى هذا الاستدخال للعلاقة بين الوالدين بالطفل بطريقة ما إلى تكوين صورة الذات وإلى التمثيلات العقلية الرمزية بوجه عام (Abelin, 1980) . وتتخذ مناقشة أبلين من تقرير بياجيه عن العالم الداخلى للطفل المتحرك وخبراته في عالمه الحس حركى أساساً لها ، وهو ذلك العالم الذى وصفه بياجيه بالتمركز حول الذات ، إلا أنه للآن لم يتضمن أنا ego معيناً . ويعنى بذلك أن الأطفال قبل الشهر الثامن من أعمارهم يرون أنفسهم على أنهم يمثلون مركز عالمهم ولكن دون وعى بالذات أى دون مفهوم عن الذات كفاعل لشيء معين أو موضوع لشيء آخر . وهذه هى المرحلة التى تعتبر فيها العلاقات بالأشياء ( الأشياء غير الحية من وجهة نظر بياجيه ) عبارة عن علاقات تطابق أى واحد لواحد والتى تتخذ من المحاكاة وانعكاس الصور أساساً لها . وقد بنى أبلين هذا الرأى لبياجيه عن العالم الداخلى للطفل فى الشهر الثامن عشر من عمره ، ومع ذلك فقد أضاف إليه أن بؤرة الاهتمام الرئيسى للطفل فى هذه السن تتمثل عادة فى التعلق الليبىدى أى فى تعلقه بأمه . ويمثل هذا الرأى تغيراً فى الإطار المفاهيمى للتحليل النفسى حيث أصبح «الموضوع الليبىدى» Libidinal object فى التحليل النفسى مساوياً لمفهوم «الجسم أو الشيء» object عند بياجيه .

وعلى نفس المنوال فإن أبلين يشارك بياجيه آراءه عن الدافعية ، فيعتقد أن الطفل لا يجبر الرغبات والأمانى أو يدركها على أنها تنبثق من داخل ذاته بل على أنها توجد فى العالم الخارجى . فيرى الشيء الذى يتمناه على أنه مرغوب فيه ، ومن ثم فهو يدرك المرغوبة على أنها سمة لهذا الشيء . كما تتخذ محاكاة الطفل للأشياء كدليل على أن الصورة الثابتة نسبياً لذلك الشيء ( التمثيل العقلى ) توجد فى ذهن الطفل فى الوقت الحالى ، وأن تلك الصورة توجد بشكل مستقل عن أفعاله التى يؤديها على هذا الشيء . ويحدد بياجيه لهذا الإنجاز الخاص بالصورة المستدخلة (مفهوم بقاء الشيء أو دوامه) وقتاً معيناً لحدوثه حيث يرى أنه يتم فى حوالى الشهر الثامن عشر من عمر الطفل ، كما يرى أيضاً أن الأفعال المختلفة تتحول من خلال المحاكاة إلى صور عقلية رمزية بنفس الطريقة . وهكذا فإن الصور العقلية تظهر عندما تتم محاكاة الأشياء أولاً . وتثير هذه النظرية فى تناو لها لأصل الصور العقلية تساؤلاً

عن تلك الكيفية التي تظهر بها الصورة العقلية للذات إذا كان الأطفال غير قادرين على محاكاة أنفسهم . ومن ثم يرى أبلين أن الأطفال لا يستطيعون بناء صور حقيقية لأنفسهم حتى يستطيعون التعرف على رغبتهم للشيء (الموضوع) وإدراكها حيث تمثل الفردية اعترافاً بهذه الرغبة الجوهرية للفرد من وجهة النظر هذه (Abelin, 1980) .

وعادة ما يكون الموضوع المرغوب فيه هو الموضوع الليبىدى ، إلا أنه لا يمكن إدراك هذه الرغبة الأساسية في الموضوع على أنها تنبثق من الذات إلا عندما تتم رؤيتها وتقليدها أى استدخالها في موقف تثليثي يدرك الطفل فيه أن هناك موضوعاً تتركز فيه الطاقة النفسية يرغب في موضوع آخر ، وهو ما يعنى أن الأب يرغب في الأم . ولا تترك خبرة الاستبعاد المؤلمة هذه (استبعاداً من الموقف) للطفل حين يرى أنه قد تم تركه دون وجود من يرتبط به أو من يعكس صورته فيه ، لا تترك له أى بديل سوى أن يتخيل نفسه بشكل فعال في وضع المنافس . وهو في الواقع يصبح كفرد يشبه غريمه أو منافسه حيث يرى أبلين أنه من وجهة نظر الطفل يجب أن يكون هناك «أنا» أى (الطفل) يشبه ذلك المنافس أو الغريم (الأب) في أن كليهما يريد نفس الموضوع (الأم) ويرغب فيه . وهكذا يتم التثليث المبكر من خلال التوحد مع المنافس (Abelin, 1980) .

ويعمل ارتباط الوالدين ببعضهما واستبعاد الطفل من الموقف كمرآة مزدوجة يرى فيها الطفل نفسه - من وجهة نظر أبلين - لأول مرة . ويصبح معطلاً أو متوقفاً بين نمطين للتفاعل ولا يستطيع أن يفعل شيئاً سوى إدراك رغبته المحبطة من خلال سلوك المنافس (Abelin, 1975) . ويعتبر أبلين أن هذا التمثيل العقلي الأول للذات يعد أول صورة رمزية ، وبذلك يتكون جسر بين الأداء الحس الحركي والأداء الرمزي من جانب الطفل (Abelin, 1980) .

ويرى أبلين في نموذج الأصيل أن الأب يعد هو المنافس النمطي في خبرة التثليث المبكرة التي يمر بها الطفل ، ومن ثم تصبح الوظيفة الخاصة التي من المفترض أن يقوم بها الأب هي كونه عنصراً جوهرياً في تكوين الصور المستدخلة للذات ، إضافة إلى تكوين الصور المستدخلة للموضوع المرغوب فيه (الأم) . ويسمى هذا الموقف التثليثي الذي يضم كلاً من الأم والأب والطفل بالتعتقد الأولى . Primal constellation ومن المهم أيضاً أن نلاحظ أنه على الرغم من أن أبلين يتحدث عن استدخال الموقف التثليثي فإنه من

المعتقد أن الأب يعمل فقط كحافظ يثير ويلهب استدخال صورة الذات وصورة الموضوع المرغوب فيه بالنسبة للطفل . وليس من المعتقد أن تكون الصورة العقلية للأب المنافس والتي تمثل الصورة الثالثة في ذلك المثلث متضمنة في أول صور عن الذات والموضوع تتكون من خلال العلاقة الرمزية التي تربط بين كل منهما والأخرى . وطبقاً لوجهة نظر أبلين فإنه يحدث اتساع لذلك الأداء الرمزي كى يشمل الصورة الثالثة (المنافس) بعد ذلك خلال المثلث الأوديبى التقليدى . ويفترض هذا النموذج أن الأب يجب أن يصبح موضوعاً ليبيدياً هاماً بالنسبة للطفل قبل أن يصل إلى الشهر الثامن عشر من عمره . وقد دعمت نتائج العديد من الأبحاث هذا الافتراض وأثبتت صحته ، وهو ما اعتبره أبلين تأكيداً للقيمة التنبؤية لنموذجه هذا .

ومن ناحية أخرى قام أبلين بمناقشة ووصف العلاقة الخاصة المبكرة للطفل بالأب في إطار نظرية الانفصال - الوجود الشخصى أو الفردى للطفل Separation-individuation التي قدمتها ماجريت ماهر M. Mahler (1979) والتي تتعلق بالتطور التدريجى في إحساس الرضيع والطفل الصغير بكل من الانفصال عما يدركه على أنه العالم الخارجى ، أى عالم الواقع الخارجى والعلاقة به . وتعتبر الأم والتي عادة ما تكون هى القائم الأساسى على العناية بالطفل الممثل الرئيسى لهذا العالم بالنسبة للطفل ، والتي تصبح تدريجياً أيضاً هى موضوع حبه الأولى (A. Freud, 1954) .

يفترض التحليل النفسى أن الطفل عند ميلاده وبعد ميلاده مباشرة يكون في حالة وحدة بيولوجية مع أمه ، وقد أطلقت ماهر على هذه المرحلة اسم مرحلة الاتحاد التخيلى autistic وطبقاً لوجهة نظرها فإن هذه المرحلة تتبعها مرحلة أخرى تسمى بالمرحلة التكافلية symbiotic والتي تعد بمثابة حالة من الانصهار وعدم التمايز لا يستطيع الرضيع فيها أن يميز بين نفسه وبين أمه (أى بين ما هو أنا وما هو غير ذلك) between I and not-I وهذه ما يطلق عليها مرحلة ما قبل الموضوع أو علاقة إشباع الحاجات الجنسية والتي يكون الرضيع فيها معتمداً اعتماداً كاملاً على شريكه التكافلى . وبعيداً عن هذه الوظيفة التكافلية مع الأم يتطور لدى الطفل وعى متزايد بالانفصال مع حدوث تمثيلات نفسية متناظرة للذات الجسمية وللموضوعات التي توجد في العالم الخارجى .

ونظرًا لأن هذه الأمور غير مألوفة لفكر التحليل النفسى فقد يكون من الضرورى أن نشير إلى أنه على الرغم مما يتضح من أن هناك تفاعلًا حقيقيًا بين الأم وطفلها أى أنها يرتبطان ببعضهما كموضوعين ، إلا أن الأمر يصبح مختلفًا حينما نطرح الافتراضات حول وجود التمايز النفسى فى ذهن الطفل بين تمثيلات الذات والموضوع . وتعتبر القدرة على التمييز بين الذات والموضوع شرطًا ضروريًا لحدوث مثل ذلك التمايز النفسى . ومن المعتقد أن هاتين العمليتين تسيران جنبًا إلى جنب مع تطور ونمو ونضج الأنا (Spitz, 1954) . وعندما نفعم تلك الصور العقلية أو التمثيلات المتعلقة بالموضوعات المختلفة بالطاقة النفسية أو الليبدو فإن علماء التحليل النفسى يشيرون إليها على أنها «موضوع ليبيدى» وعلاقات بالموضوع . وعند ملاحظة التفاعل بين الأم والطفل فإن الملاحظ الخارجى يستطيع فقط أن يخمن ما قد تكون عليه خبرة هذا التفاعل بالنسبة للطفل ومستوى التمايز النفسى والتمييز الذى قد يكون متضمنًا فى ذلك التفاعل .

وهناك فروق لها اعتبارها فى وجهات نظر التحليل النفسى حول العمليات المحتملة المتضمنة فى أول شهور النمو . وتؤكد ماehler (١٩٧٩) Mahler على نمو العلاقات بالموضوع ، وتصف أربع مراحل فرعية متداخلة فى عملية الانفصال - الوجود الشخصى أو الفردى للطفل ، والتي تؤكد من خلالها على أن الأمر ليس مجرد تحقيق الاستقلال الجسمى عن الأم فحسب ، بل تحقيق الاستقلال النفسى عنها أيضًا وذلك بالمعنى المشار إليه سابقًا . ويستمر الطوران النهائيان الأوليان واللذان يعرفان بالتمايز من الشهر الخامس إلى الشهر التاسع من عمر الطفل وهى الفترة التى يبدأ فيها الاعتماد الجسمى الكلى للطفل على الأم فى التناقص ، ومن المعتقد أن البدايات الأولى للتمايز الداخلى الأولى بين صورتى الجسم والموضوع تتطور خلال تلك الفترة . أما الطور النهائى الثالث والذى يعرف بطور التدريب والممارسة Practicing فيحدث بين الشهر التاسع والشهر الرابع عشر من عمر الطفل ، وهى الفترة التى يتحرك فيها الطفل بفاعلية بعيدًا عن أمه ليكتشف البيئة . وترى ماehler وغيرها من الباحثين فى هذا المجال أن علاقة الطفل بأبيه خلال هذه المرحلة تصبح ذات أهمية خاصة . وعلى العكس من علاقة الطفل بالأم فإن علاقته بالأب لا تأخذ جذورها من حالة الانصهار التكافلى إذ أن للأب بدلاً من ذلك سمة مثيرة لا تتوفر فى الأم وهى أنه ينتمى إلى ذلك العالم الخارجى الجديد والمثير بالنسبة للطفل . أما الطور

النمائي الرابع والذي يعرف بالتقارب أو إقامة وإعادة إقامة العلاقات الودية rapprochement فيستمر من الشهر الخامس عشر حتى الشهر الرابع والعشرين من عمر الطفل . ومن المعتقد أنه يتضمن إعادة اكتشاف الأم بعد التحرك بعيداً عنها في الطور النمائي السابق . ومع ذلك فإن الطفل يدرك الأم في هذا الطور النمائي ويخبر التفاعل معها كشخص منفصل عنها ، ويؤدى وعيه المتناظر بانفصاله عنها أو انفصالها عنه وحساسيته الناتجة عن ذلك ، إضافة إلى فقد المشاعر النرجسية المتعلقة بقدرته على القيام بكل شيء والتي من المعتقد أنها تشكل جزءاً من الوحدة التكافلية السابقة مع الأم يؤدى إلى ما يعرف بأزمة إعادة إقامة العلاقات الودية أو أزمة التقارب والتي يتخللها صراع مزدوج بين رغبته في التوحد مع الأم من جديد ورغبته في الوقت ذاته في الإبقاء على استقلاله النفسى حديث التأسيس والتحقق ، وهو ما يؤدى به إلى نوبات غضب مزاجية ، وردود أفعال حادة تجاه الانفصال ، ومزاج ذى صبغة مفعمة بالكآبة .

وتعتبر ما هلر أن هذا الطور النمائي الأخير وما يرتبط به من صراعات ذو أهمية جوهرية بالنسبة للتطور النمائي للطفل (Lax, et al., 1980) . ومن المعتقد أن ما إذا كان الطفل يستطيع أو لا يستطيع أن يحل تلك الصراعات التى تنشأ في مرحلة التقارب والتي تتعلق باستقلاله الداخلى وكيفية حله لها على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لنموه اللاحق حيث قد يؤدى ذلك به في الواقع إلى تركيز غير مرغوب فيه لرغبته الجنسية على أمه وهو ما يتعارض مع نموه الأوديبى التالى ، أو تزيد في أحسن الأحوال من صعوبة حل عقدة أوديب (Mahler, 1972; in Mahler, 1979) .

ويعتبر الطور النمائي الأخير في عملية الانفصال - الوجود الشخصى أو الفردى للطفل طوراً غير محدد open - ended أى قابل للتعديل مع النمو ، ويتم في هذا الطور في حالة النمو العادى اندماج للشخصية الفردية والاستقرار الانفعالى للموضوع . وهذا يعنى أن الثبات النسبى للموضوع والتمثيلات الذاتية قد تمت بالشكل الذى أصبحت به صورة الأم الآن متاحة جسمياً للطفل بنفس الطريقة التى أصبحت بها الأم الحقيقية متاحة لبيدياً حتى ذلك الوقت أى أنها متاحة أمام الطفل كمصدر للراحة والحب .

ويصف أبلين (Abelin, 1971) أيضاً علاقة الطفل المبكرة بأبيه في الطورين النمائيين الفرعيين الثالث والرابع عند ما هلر فيرى أن الأب والذى يأتى من خارج حالة الانصهار

التكافؤ التي تتم بين الطفل والأم يراه الطفل على أنه شخص جديد ومثير ، كما أن علاقته معه لا تعوقها الازدواجية والتضارب بنفس الدرجة التي تؤثر بها على علاقته مع أمه . وفي واقع الأمر فإن علاقة الطفل مع الأب تقوم بوظيفة حيوية في مساعدته على حل علاقته الازدواجية أو المتضاربة بأمه . وهكذا يستطيع أن يفصل عنها وأن يصبح له وجوده الشخصي أو الفردي .

ويرى أبلين أيضًا أن الأب يعتبر بالنسبة للطفل خلال هذا الطور النمائي الرابع وما يرتبط به من اضطرابات بمثابة جزيرة ثابتة من الواقع العملي (Abelin,1982). وإلى الحد الذي يمكننا فيه أن نعتبر أن أزمة التقارب تنبع من رد الفعل المزدوج أو المتناقض من جانب الطفل لإحساسه النامي بالانفصال فإن خبرات التثليث المبكر التي يمر بها الطفل تؤدي إلى ظهور تلك الصور المبكرة للذات ، وهو ما يراه أبلين على أنه يشكل ميكانيكيا أساسيًا في ظاهرة التقارب .

ومع ذلك قد وجد أبلين في دراسات أخرى أنه ليس الأب فحسب هو الذي يوليه الطفل تعلقًا خاصًا ومبكرًا يختلف عن تعلقه بأمه حيث يصبح أيضًا كل من الأخوة والأجداد والراشدين المؤلفين للطفل موضوعات لبيدية هامة بالنسبة له . ووجد أبلين على العكس من التوقعات النظرية أن أول المواقف التي يظهر فيها الأطفال حساسية للمنافسة التثليثية لم تكن تلك المواقف التي يشترك فيها الأب بل التي يشترك فيها أطفال آخرون . وقد أدى به ذلك إلى التسليم بوجود موقف تثليثي على نطاق عام وقديم يحدث قبل ما يعرف بالتعقد الأولي Primal Constellation يطلق عليه اسم التعقد حول سيدة (تكون هي الأم في الغالب) Madonna Constellation، ويتم توجيه الشعور بالاستياء والحسد فيه إلى طفل رضيع آخر وليس إلى الأب وذلك في منافسة الطفل من أجل الفوز بالأم .

وتعتبر صور الذات المستدخلة والتي تنبع من هذا التثليث المبكر (أى ما ينتج عنه من التوحد) تعتبر صورًا ثنائية تتضمن التوحد مع المنافس والذي يكون في هذه الحالة هو الرضيع (السلبى) إضافة إلى التوحد مع الأم (الإيجابية الفعالة) القائمة على رعايته . إلا أنه لم يتضح بعد ما إذا كان أبلين يعنى أن التوحد يعتبر من الناحية المفاهيمية هو نفسه صورة الذات أم لا حيث استخدم المصطلحين بالتبادل .

وقد أدت نتائج الدراسات الحديثة حول الفروق بين الجنسين في مواقف التثليث المبكرة بأبلين إلى تعديل آرائه ، فظهر ما يعرف بالنموذج الثلاثي للتثليث المبكر (١٩٨٠) *The tripartite model of early triangulation* حيث تتضمن عملية استدخال صورة الذات ثلاث خطوات منفصلة ، تختلف الخطوة الأخيرة منها فقط طبقاً لجنس الطفل . ولا يبطل هذا النموذج الجديد النموذج القديم ولكنه بدلاً من ذلك يضيف إلى صورة الذات المستدخلة محتوى خاصاً يرتبط بالهوية الجنسية .

ويقوم هذا النموذج على ملاحظة أزواج من الأخوة والأخوات يضم كل زوج منها أختاً وأختاً ، كما يقوم على الآراء التي تتعلق بالفروق في العلاقات التي يقيمها الأولاد والبنات مع آبائهم وأمهاتهم (Abelin, 1975; Panel, 1977) فتظهر البنات درجة أكبر من إعادة الارتباط بالأم ، ومن الازدواجية أو التناقض ، وحالة مزاجية أساسية أكثر كآبة من البنين خلال الطور النهائي الرابع (التقارب) . وعلى العكس من ذلك يبدى البنون تعلقاً أكبر وأقوى بأبائهم كما يتوحدون معهم مبكراً . ويمثل هذا الانتقال - الذي يحدث قبل مرحلة التقارب - من التعلق الأولي بالأم أهمية خاصة في ظهور بدايات هوية جنسية معينة .

أما تتضمن صورة الذات لدى البنت معلومات تتعلق بالجنس فلا يتم إلى في الطور الأوديبى أى في موقف تثليث أوديبى . ويظل الأب قبل طور التقارب بالنسبة للبنت بمثابة موضوع خارجي مثير ، أما الأم فتبقى هي الموضوع الأوديبى بالنسبة لها والشخص الذى تقيم معه تعلقها الأولي . وبذلك يبقى أبلين على رأيه بأن صورة الذات التي تتضمن معلومات عن الجنس بالنسبة للولد تظهر كنتيجة للتعنقد الأولي (والذى يعتبر بناء على ذلك تثليثاً جنسياً) وما يناظره من توحيد مع الأب المنافس . ومع ذلك تتضمن صورة الذات التي تتكون لدى البنت في ذلك الوقت تتضمن فقط معلومات جيلية أى تتعلق بالنسل *generational* مثل أكبر سناً - أصغر سناً ، وأكبر حجماً - أقل حجماً وذلك طبقاً لترتيب فتوى معين ، كما تقوم على التوحد الناشئ خلال التعنقد حول الأم .  
. *Madonna Constellation*

وتتمثل أول رغبة أساسية للطفل - ولذا كان أم بنتاً - في طور التقارب في قوله إنه يريد أمه . ومن المعتقد أنها تمثل أول رغبة شديدة للذات المستقلة نتيجة انفصالها عن الأم .

ومع ذلك فبالنسبة للبنين نجد أن الموضوع المرغوب فيه ينتمى إلى الجنس الآخر أى الإناث ، وبالتالي لا يرى الولد فى هذا الموضوع صورة لجسمه . وهكذا تأخذ الرغبة الأساسية للولد الشكل التالى :

أنا (كذكر) أريد أمى (كأنثى) ، وهى ما تمثل رغبة الذكر فى الأنثى .

ومن هذا المنطلق ترتبط رغبة الولد بالجنس أى النوع وذلك على الرغم من أن أبلين لم يقدم أى دليل على أن الولد يرغب فى أمه كأنثى إذ أن كل ما يحدث هنا أن أمه أنثى بطبيعة الحال . أما بالنسبة للبنات فإن الموضوع المرغوب فيه فى حالة التعنقد الأولى هو الأم ، أى أن الموضوع هنا ينتمى إلى نفس الجنس ، وبالتالي فإن الرغبة الأساسية للبنات فى طور التقارب لا تتضمن نفس الإشارة إلى الجنس أى النوع كما هو الحال بالنسبة للبنين .

أما التفسير الذى تم تقديمه لهذا الفرق المفترض هو أن البنت تبقى أسيرة التوحد الذى ينشأ خلال التعنقد حول الأم ، أى الذى يتضمن الرضيع السلبى والأم الإيجابية الفعالة . وتعتبر تلك الأشكال للتوحد من وجهة نظر أبلين أشكالاً أنثوية فقط بالشكل المطلوب كما لو كان الموضوع المرغوب فيه عضواً من الجنس الآخر .

وقد أدت هذه النتيجة بأبلين إلى أن يقرر أن وجود الأب فى المراحل قبل الأوديبية يعتبر أقل أهمية لنمو الهوية الجنسية للبنات مقارنة بالبنين ، وهو الأمر الذى نختلف نحن معه حوله . وعلى أساس هذه الاعتبارات يرى أبلين أن الهوية الجنسية تظهر بشكل أكثر ثباتاً لدى البنين منها لدى البنات . ويستخدم أبلين المفهوم الذى استخدمه جرينسون Greenson حول التخلي عن التوحد disidentification مع الأم وذلك عند تناوله لانتقال الطفل من التعلق بالأم إلى التعلق بالأب والذى يمثل أساساً هاماً تقوم عليه صورة الذات لدى الولد المتضمنة فى هويته الجنسية .

ويصف جرينسون (١٩٦٨) Greenson ضرورة أن يتخلى الولد عن توحيده بأمه ، أى أن يتخلى عن توحيده الأولى المبكر معها وأن يتوحد مع أبيه لكى يطور هوية جنسية ذكرية مشبعة . وفى واقع الأمر نجد أن مصطلح التخلي عن التوحد الذى استخدمه جرينسون هو مصطلح وصفى بحت ، ولا يتناول أى شىء يتعلق بالطريقة التى يحدث

بها هذا الانتقال في التوحد ، أو حتى بما يعنيه في مصطلحات علم النفس التأملى أو التبصرى<sup>(\*)</sup> metapsychology ( راجع : Greenson, 1968; in 1978 ) والذي يثير هو نفسه فيه تلك التساؤلات ، ويرى أنها لا تزال بدون حل حتى في الوقت الراهن<sup>(\*\*)</sup> . وقد استخدم أبلين هو الآخر ذلك المصطلح بمعناه الوصفى على الرغم من أنه قد تناوله بطريقة توضح أنه يتضمن قيمة تفسيرية . ومع ذلك فهو لم يناقض مصير التوحد الأولى مع الأم وما يتضمنه « التخلي عن التوحد » فيما يتعلق بالعمليات الداخلية . أما ما يمثل أهمية بالنسبة لأبلين فهو أن الوالد يجب أن يقوم بهذا الانتقال من الأم إلى الأب قبل حدوث التعنقد الأولى ، أى قبل أن يدرك الطفل أبيه على أنه ينافسه في عاطفة أمه .

وقد يكون من المفيد في هذا المقام أن نقدم ملخصاً مختصراً النموذج التثليث إذ يعد التثليث المبكر بالنسبة للأولاد والبنات بمثابة عملية يقوم الطفل من خلالها باستدخال أول تمثيل عقلى له عن الذات ، أى أول صورة أساسية للذات . ومن المعتقد أن هذه العملية تحدث في ثلاث مراحل تتضمن كل منها التوحد مع منافس له في الموقف الداخلى للذات . ويتمثل أول موقف تثليثى في التعنقد حول الأم والذي يتكون من المثلث الذاتى الذى يضم الأم والرضيع . ومن المعروف أن الأطفال من كلا الجنسين يمرون بنفس هذه

(\*) metapsychology تعنى علم النفس التأملى أو التبصرى وهو ذلك الفرع من علم النفس الذى يهدف إلى إكمال حقائق علم النفس ونواميسها المبنية على الملاحظة والاختبار وذلك بالتأمل في العلاقة بين العمليات العقلية والعمليات الجسمية أو في مكانة العقل في الكون (المترجم) .

(\*\*) استخدمنا مصطلح علم النفس التأملى أو التبصرى بالمفهوم الذى استخدمته أنا فرويد (١٩٦٨) به A. Freud. والتي ترى فيه أن فكر التحليل النفسى يتضمن بمعناه التقليدى مطلباً معيناً يرى أن كل حقيقة إكلينيكية يجب تناولها من أربعة وجوه :

- ١ - وراثياً : وذلك بالبحث عن أصولها .
- ٢ - دينامياً : وذلك بتناول التفاعل بين القوى التى تعمل على تشكيل النتيجة .
- ٣ - اقتصادياً : وهو ما يختص بتفريغ شحنات الطاقة الخاصة بها .
- ٤ - طبوغرافياً : وهو ما أطلق عليه بعد ذلك (بنائياً) ، وهو ما يختص بتحديد الأماكن الدقيقة وسماها داخل الجهاز النفسى .

ويسمى ذلك الفرع من علم النفس والذي يهتم بتناول الأداء العقلى من هذا المنطلق باسم علم النفس التأملى أو التبصرى ( راجع : Brenner, 1980 ) . وكان لابد لنا أن نتعرض لهذا الرأى ما دمنا نتناول أموراً نظرية وذلك على الرغم من ارتباطه الضئيل جداً بدور الأب وأهميته .

الخبرة بنفس الطريقة ، وأنها تؤدي إلى ظهور صورتى الجسم والموضوع لديهم ، وتقوم هاتان الصورتان على ترتيب فتوى تمثله اهوية الجيلية أى التى تتعلق بالنسل . بينما يتمثل ثانى موقف تثليثى مبكر يمر به الطفل فى التعنقد الأولى ، وهو ما يعتبر أيضًا تثليثًا جنسيًا بالنسبة للولد ذلك الموقف الذى يتضمن كلاً من الأم والأب والطفل وينتج عنه استدخال صورتى الذات والموضوع المرغوب فيه . ومن المعتقد أن هاتين الصورتين العقليتين توجدان فى العلاقة الرمزية بين كل منهما والآخر ، كما تتضمن أيضًا الرغبة المحورية فى طور التقارب . وعلى الرغم من أن التثليث الخاص بالتعنقد الأولى يعتبر واحدًا بالنسبة للأطفال من كلا الجنسين فإن الولد يقوم بتطوير صورة أساسية للذات تتضمن هوية جنسية بينما تظل الصورة الذاتية للبتت تتضمن فقط معلومات جيلية أى تتعلق بالنسل تقوم على ترتيب فتوى وليس على فروق جنسية أساسية .

وطبقًا لوجهة نظر أبلين فإن صورة الذات الحقيقية لدى البنات التى تتضمن هوية جنسية تظهر فقط فى الموقف التثليثى الأوديبى أى فى المرحلة الثالثة من عملية التثليث الثلاثية . Tripartite triangulation process وبالنسبة لكل من البنين والبنات فإن الصورة العقلية للمنافس فى العلاقة الرمزية بصورتى الذات والموضوع المرغوب فيه يتم استدخالها فى النهاية خلال الموقف التثليثى الأوديبى .

ويختلف نموذج أبلين فى الأساس عن الآراء التقليدية لتحليل النفسى ( ونعنى بذلك تلك الآراء التى تم عرضها فى الإطار التقليدى لعلم النفس التأملى أو التبصرى ) فيما يتعلق بالتمايز التدريجى ، والنمو ، وفى وصف صورتى الذات والموضوع ، وتلك التمثيلات التى تشكل جزءًا من العالم الذاتى ، والداخلى ( التمثيلى ) للطفل . وقد نتج هذا الاختلاف فى الأصل من تبنى أبلين لرأى بياجيه فى أن الطفل المتحرك toddler بالمرحلة الحس الحركية ليس لديه عالم داخلى بالمعنى الذى يستخدم به علماء التحليل النفسى هذا المصطلح . كما يعرف أبلين تفاعل الطفل مع البيئة بنفس الطريقة التى اتبعها بياجيه أى فى نطاق الصور الإجمالية أو المخططات العقلية Schemata فىرى أن كل النشاط العقلى يوجد فى حالة حركة فقط ، ويقرر أن الطفل المتحرك يرتبط أحيانًا بأبيه وأحيانًا بأمه ولا يكون لديه مفهوم الذات ولا ذاكرة تتعلق بالذكريات أو العواطف ، كما لا توجد لديه أى صور .

ويرى بياجيه أن الذاكرة التي تقوم على الأشياء المثيرة للذكريات أو العواطف وذلك في مقابل ذاكرة التعرف recognition ترتبط جيداً بنمو مفهوم الشيء (Piaget, 1937) . فلا يمكن أن يكون هناك مفهوم للشيء بدون تمثيل عقلي له ، كما لا يمكن أن يكون هناك تمثيل عقلي بدون وجود مفهوم للشيء . ويتضمن هذان الإنجازان عمليات عقلية على مستوى رمزي . ويرى بياجيه أنه لم يجد سبباً قوياً يجعله يفترض وجود صور عقلية من أى نوع قبل بلوغ الطفل ما بين الشهر السادس عشر والشهر الثامن عشر من عمره . وتتناقض وجهة النظر هذه بشدة مع آراء التحليل النفسى التي ترى أن البناء التدريجي لعالم الطفل الداخلى والخارجى يرتبط بنمو ونضج البناء النفسى ووظيفته وخصوصاً وظيفة الأنا ، ومكونات الدافع ، والعلاقات بالموضوع . وطبقاً لهذا الرأى فإن العالم الداخلى للطفل يبرز فيه التمايز الأساسى الذى ينتج عن حالة من عدم التمايز الأولى تنشأ بين خبرات اللذة والألم التى يمر بها الطفل . ويعتبر هذا هو الأساس الذى يبدأ منه الرضيع فى التمييز التدريجى للعالم الداخلى عن العالم الخارجى ، وفى تمييز حدود جسمه ( وهكذا يميز الذات الأولية عن اللاذات self - from not - self ) وذاته عن الموضوع .

ومن جانب آخر يجب أن نضع فى اعتبارنا اختلاف المعانى المرتبطة بكلمة «بقاء الشيء أو دوامه» من وجهة نظر كل من بياجيه و علماء التحليل النفسى . فقد اهتم بياجيه فى دراساته بالأشياء المادية غير الحية ، فى حين يهتم علماء التحليل النفسى بعلاقة كل من الرضيع والطفل بموضوعات بشرية ذات شحنات انفعالية . وهنا يثار تساؤل يتعلق بما إذا كانت علاقة الطفل بكلا النوعين من الموضوعات أو الأشياء يمكن اعتبارها واحدة أى نفس الشيء أم لا . إلا أن علماء التحليل النفسى يرفضون بشكل حاسم وجهة النظر هذه . كما أن بياجيه نفسه قد أدرك أن الموضوع Object البشرى أو الإنسانى يعتبر بالنسبة للطفل أكثر الموضوعات المعرفية تشويقاً وإثارة وأكثرها إفاعاماً بالحياة وأكثرها من حيث أنه موضوع غير متوقع يتضمن الكثير من التفاعلات التى تلعب فيها العوامل المعرفية إضافة إلى العوامل الانفعالية دوراً على درجة كبيرة من الأهمية (Piaget, 1954;Gouin - Decarie, 1965) .

وترى جوين - ديكاريا (1965) Gouin - Decarie فى دراستها عن بقاء الشيء أو دوامه بالنسبة للموضوعات الإنسانية ذات الطاقة الليييدية أن محاولة تأكيد صحة

البيانات التي توصل إليها التحليل النفسى عن طريق البيانات التي توصل إليها بياجيه وبالعكس يتطلب الحذر الشديد حيث يجب أن يتذكر الفرد أن محاولة جعل مخلوق آدمى موضوعاً معيناً للطفل ، وبالتالي تمثيل ذلك الشخص في نفس الوقت يسبق - حتى من وجهة نظر بياجيه - جعل شيء غير حى موضوعاً للطفل ، وليس ذلك لأن المخلوق الأدمى يشكل موضوعاً انفعالياً بلا منازع فحسب ، بل إننا أيضاً نجد أنه من وجهة النظر التي تتعلق بالذكاء فإن هذا المخلوق البشرى لديه العديد من الصور الإجمالية أو المخططات العقلية التي تقوم على التمثيل وتلك التي تقوم على المواءمة .

كما قام العديد من الباحثين ومن بينهم ولف (1960) Wolff وجوين - ديكاريا (1965) Decarie - Gouin بمهارة فائقة وبشكل موسع بمناقشة تلك الفروق الجوهرية وغيرها مما توجد بين آراء بياجيه وآراء علماء التحليل النفسى والتي جعلت من الصعب دمج أى من النظريتين في الأخرى . وتوضح سيلما فرايبرج (1969) Selma Fraiberg إحدى الطرق المستخدمة في محاولة إيجاد حل لهذه الفروق ولكنها في الوقت نفسه توضح بجلاء تلك المشكلات التي تصادفنا في سبيل تحقيق ذلك . فتشير إلى أن معظم اللبس الحادث ، والعديد من مواطن الاختلاف بين علماء التحليل النفسى حول الأعمال المحتملة التي يظهر عندها التمثيل العقلى للأشياء يعود إلى لبس في فهم معانى الكلمات وفروق في المصطلحات المستخدمة . وترجع إحدى أكبر الصعوبات التي تواجهنا عند مناقشة ذلك النموذج الذى قدمه أبلين إلى عدم تناوله لهذه المشكلات ، وبذلك فإننا لا نعرف ماذا يعنى على وجه التحديد بمحاولته « اجتياز الفجوة بين علم النفس والتحليل النفسى » (Abelin, 1980) .

ومن وجهة نظر التحليل النفسى يعتبر نمو صورة الذات ، ومن بعدها نمو مفهوم الذات عملية تطويرية متدرجة (Fenichel, 1945; Jacobson, 1964) تنتظم خلالها العديد من صور الجسم والذات مع مرور الوقت في تمثيل (Sandler & Rosenblatt, 1962) . ويفرق العديد من الباحثين في مجال التحليل النفسى بين الذات التجريبية experiential والذات المفاهيمية Conceptual (Noy, 1979) . وطبقاً لوجهة النظر التي يعرضها نوى Noy فإن أى تمثيل داخلى للذات يجب أن يتضمن كلا الجانبين ، أى الذات التي يتم إدراكها من الداخل (الشعور الذاتى أو التجربة والخبرة) والذات التي

يتم إدراكها من الخارج . ومن وجهة النظر النهائية فإن الجوانب التجريبية للذات تسبق دائماً جوانبها المفاهيمية . إلا أنه في نموذج أبلين يبدو أنه لا يوجد هناك مجال لمثل هذه الجوانب التجريبية المبكرة للذات والتي تنبع من العالم الخارجى للطفل .

ومهما كانت الاختلافات التي توجد بين علماء التحليل النفسى حول التوقيت الذى تحدث فيه تلك الأحداث والعمليات الداخلية فإن المصطلحات التي يستخدمونها عادة ما يتم تعريفها في إطار نظرى محدد يجعل من المحتمل بالنسبة لنا أن نتعرف على ما يقصدونه من ذلك . أما أبلين فقد جعل من الصعب علينا أن نعرف ما يقصده بشكل دقيق حيث استخدم مصطلحات من علم النفس التأملى أو التبصرى كالموضوع الليبىدى والتوحد على سبيل المثال في إطار نظرية أخرى هي نظرية بياجيه ، وقام بإعادة تعريف المصطلحات التي استخدمها في ضوء تلك المصطلحات التي استخدمها بياجيه فعرف الشحنة الانفعالية الليبىدية Libidinal Cathexis على أنها مقوم إضافى لبعض الصور الإجمالية أو المخططات العقلية الإدراكية . وبهذا يفقد المصطلح معناه الخاص بالتحليل النفسى ، أى تغليف الصورة العقلية أو التمثيل العقلى لموضوع ما بشكل معين من الطاقة الدافعية . كما أن استخدام أبلين لمصطلح التوحد غير واضح أيضًا إذ استخدمه بالتبادل مع صورة الذات . ولكن تظهر هناك مشكلة أخرى عند محاولة تصور مكونات التوحد الذى يتم خلال التعنقد حول الأم لأنه من المفترض بالنسبة للتوحد في هذا الوقت أن يحدث وذلك في الوقت الذى لا توجد فيه لدى الطفل أى صور عقلية . وبهذا فإن التعريف الذى يحدده التحليل النفسى لهذا المصطلح لا يمكن أن ينطبق عليه في هذه الحالة الجديدة . كذلك فهناك العديد من المشكلات المشابهة التي تظهر عندما يحاول الفرد أن يفهم بعض المصطلحات مثل صورة الذات « الحقيقة » True « والجوهرية » أو المحورية Core حيث لم يتم تعريف كليهما .

وترى نظرية التحليل النفسى أن الموقف الثلاثى لا يعتبر أساسياً لنمو مفهوم الذات . أما إصرار أبلين على الأساس الثلاثى لنمو مفهوم الذات فقد نبع من فكرة بياجيه عن أن كل الصور العقلية في هذه المرحلة من مراحل النمو تظهر بسبب المحاكاة التي يقوم بها الطفل مما يوجب على الأطفال أن يروا أنفسهم في رغبات الآخرين ، أى أن يجربوا أنفسهم من خلال شخص آخر في مواقف التعنقد الثلاثية . إلا أن تأكيد أبلين على

الجوانب البصرية للموقف الثلاثي تثير بعض التساؤلات حول نمو مفهوم الذات لدى الأطفال المكفوفين (راجع: Burlingham, 1972; Fraiberg & Freedman, 1964). ويؤكد كل من جريناكر (1958) Greenacre و جاكسون (1964) Jacobson أن المواقف التي تتضمن المقارنة بين الذات والشخص المنافس تثير نمو الشعور بالهوية لدى الطفل وتساعد على حدوثه، وهو ما يرتبط بمفهوم الذات بطريقة ما. ومع ذلك يبدو أن كلا الباحثين يتناول مراحل نهائية متقدمة.

وهناك العديد من التساؤلات التي تثار حول محتوى نموذج أبلين، فالتعتقد حول الأم على سبيل المثال قد تم وصفه بإسهاب فيما يتعلق بالبنات، كما أن توحد الولد في هذا المثلث المبكر مع أمه التي تقوم برعايته قد تمت تنحيته جانباً وكأنه ليس له أهمية وذلك بسبب الانتقال السريع الذي يحدث في تعلقه الأولى من الأم إلى الأب قبل حدوث التعنقد الأولى. ويبدو أن أبلين يقلل من قوة وأهمية هذا التوحد المبكر للطفل مع الأم. ويتعارض مثل هذا التوحد مع التوحد القوي الذي يقوم به الطفل مع شخص ذكر ومع الرغبات الذكورية، وهو ما يتضح من خلال الملاحظات الإكلينيكية والتي يعتبر هانز Little Hans (Freud, 1959) مثلاً جيداً لها (راجع: Gurwitt, 1979; Ross, 1971).

وعلى العكس من تناول التعنقد حول الأم فإن التعنقد الأولى قد تم تناوله بإسهاب بالنسبة للولد في نموذج أبلين في الوقت الذي بقيت فيه العمليات المناظرة لدى البنات غامضة. فما الذي نعنيه عندما نقول أن توحد الولد مع الأب في التعنقد الأولى يعتبر توحداً كاملاً في حين لا يعتبر توحد البنات مع الأب في نفس الموقف كذلك؟ وهل يتضمن ذلك أن الولد يتوحد مع شخص الأب وبالتالي مع جنسه أما البنات فتتوحد فقط مع رغبة الأب في الأم دون إشارة إلى جنس الأب؟

وهناك مشكلة أخرى قد أشرنا إليها بالفعل تظهر في تلك النتائج التي توصل إليها أبلين وذلك فيما يتعلق بأهمية الأب بالنسبة لنمو الهوية الجنسية لدى البنات إذ يرى أبلين أن أهمية الأب تظهر فقط فيما يتعلق بنمو الهوية الجنسية للبنات خلال المرحلة الأوديبية، في حين توضح الأدلة الإكلينيكية أن العكس هو الصحيح إذ لا تعنى حقيقة أن صورة الذات لدى البنات خلال توحد الأم الأولى مع الأم هي صورة أنثوية عدم حاجة البنات الصغيرة إلى التفاعل قبل الأوديبى المستمر مع شخص ذكر وعادة ما يكون هو الأب

وذلك حتى تقوم بتحدي هويتها الجنسية (Kleeman, 1976, 1973). إلا أننا نرى أن مثل هذا التفاعل المستمر والعاطفى مع الأب أو بديله هو الذى يجعل من الممكن بالنسبة للبنات أن توجه رغباتها الأوديبية باتجاهه فى الموقف الأوديبى . وهناك العديد من الأدلة الإكلينيكية تؤكد على أن البنات اللائى قد قمن بقدر ضئيل من الاتصال المنتظم بالذكرور خلال السنوات قبل الأوديبية من نموهن أو اللائى لا يتواجد أبأوهن بالمنزل كثيرًا تواجههن العديد من المشكلات عند دخولهن المرحلة الأوديبية حتى وإن أصبح شخص من الذكر متواجدًا انفعاليًا معهن . وربما يكون لجوء أبلين إلى اقتباس أدلة سيكلوجية فقط وعدم لجوئه إلى الأدلة الإكلينيكية لتدعيم وجهة نظره حول هذه النقطة بالذات له مغزاه ودلالته .

وفى تعليقه على نموذج أبلين اتبع روتمان (1978، 1980) Rotmann وجهة نظر مختلفة حيث أبدى عدم رضاه عن فهم أبلين لطبيعة العالم العاطفى للرضيع . ويرى أن باستطاعة الرضيع والطفل المتحرك إقامة علاقات متطابقة مع الموضوعات المختلفة . ويستشهد فى ذلك بالوصف الذى قدمه وينيكوت Winnicott للقدرة المتطورة لرضيع فى الشهر السابع من عمره على أن يرتبط بشيئين أو شخصين فى نفس الوقت . وتعتبر هذه الخطوة فى نمو الرضيع والتي يستطيع بمفتضاها أن يقيم علاقة مع شخصين لها أهميتهما بالنسبة له وغالبًا ما يكون هما والديه على أن إقامة تلك العلاقة فى وقت واحد وفى نفس الوقت تعتبر خطوة هامة جدًا . وطبقًا لملاحظتنا فإن هذه الخطوة تحدث خلال العام الأول من عمر الطفل (Winnicott, 1941) .

ويرى روتمان أن الطفل الذى يولد ويكون والداه موجودين أمامه باستمرار ينمو منذ البداية فى وسط كوكبة من الأفراد يمثلون أسرة تعتبر الأنماط الأساسية للتفاعلات فيها ثلاثية على الأقل وربما تكون أكثر تعقيدًا من ذلك . ومن المحتمل أن يصبح الطفل على دراية بهذه الحقيقة بعد تخطيه الطور التكافلى من نموه بفترة قليلة . كما يعتبر أيضًا أن الطفل الصغير يعبر عن هذا الإدراك ويستدخله بطريقة ما خلال العام الأول من عمره ، وأن هذه العملية أيضًا تشكل الأساس لتوحده المبكر مع كلا الوالدين .

ومن ناحية أخرى فإن الإطار التثليشى للعلاقات فى الأسرة المتوسطة يمهّد الطريق من الناحية النفسية لتطور المواقف التثليشية التالية التى تتضمن الحسد والغيرة ، وبذلك

يمهد الطريق للموقف التثليثي الأوديبى . وعلاوة على ذلك فإن روتمان Rotmann يرى أن الرضيع يعتبر مخلوقاً اجتماعياً بدرجة أكبر بكثير مما أرادنا أبلين أن نعتقده . كما افترض أيضاً أن ما يسميه أبلين بالتثليث المبكر هو النمط الفطري الأساسى للعلاقات فى الأسرة المتوسطة أى التى تضم الأب والأم والطفل والذى يشكل الأساس الحتمى للنمو العادى وبالتالي لا يخبره الطفل فجأة كموقف صراع . ويسوق شيئاً مستقلاً يسمى بالرضيع ، ويعنى بذلك أننا لا يمكن أن نفكر مطلقاً فى الرضيع دون أن نضع فى اعتبارنا تلك الرعاية المصاحبة التى يقدمها الوالدان له إذ يعيش الأب والأم والطفل جميعهم معاً (Winnicott, 1965) .

ويتفق روتمان Rotmann مع لويوالد (Loewald (1951) وماهler و جوزلاينر (Mahler & Gosliner (1955) وأبلين (Abelin (1971) و بيرلنجهام (Burlingham (1973) فى أن للأب أهمية قصوى فى مساعدة الطفل على أن يتمايز وينفصل عن الأم ويستقل عنها ، ولكنه - روتمان - يضيف من خلال ملاحظاته العديدة أن الأب فى علاقته بالأم قد يعمل أيضاً كدليل حى بالنسبة للطفل يثبت له أنه من المستحيل أن يقيم علاقة حميمة مع الأم ويبقى مع ذلك على استقلاله عنها . وهذا يعنى أن العلاقة الوالدية عندما تكون جيدة وصريحة فإنها تقوم بإعادة طمأنة الطفل بأن الخوف من إعادة الانغماس مع الأم من جديد لا أساس له (راجع : Loch & Jappe, 1974) .

ولا تعنى الفردية ونقصدها التفرّد عن الأم والاستقلال عنها ، لا تعنى عدم الولاء للأم إذ أن الأم على سبيل المثال تسمح للأب أن ينفصل عنها ومع ذلك تستمر فى تقديرها له . وعلى ذلك نجد أن روتمان يختلف فى الأساس مع وجهة نظر أبلين فيما يتعلق بطبيعة التفاعلات التى يشترك فيها الطفل مع عالمه خلال الأشهر الخمسة عشر الأولى من عمره . ويشير إلى تلك الأعمال التى أجراها علماء نفس النمو الذين أوضحوا وأكدوا أن الرضيع يعتبرون فى تفاعلاتهم مع البيئة أكثر فاعلية مما كنا نعتقد من قبل . وقد أدت قدرة الطفل على القيام بالتمييز الدقيق والاستجابة له إضافة إلى استجابته الخاصة للمواقف الاجتماعية أدت بروتمان إلى أن يعتبرها نوعاً من استدخال المواقف والتفاعلات التثليثية التى تتضمن موضوعات أوديبية هامة والتى تحدث قبل بلوغ الطفل ما بين الشهر السادس عشر والشهر الثامن عشر من عمره بفترة طويلة ، وأن ذلك يحدث كجزء من العملية النهائية العادية .

وقد حاول جيمس هيرزوج (J. Herzog) (١٩٧٩) أن يحدد إسهامات الأب في النمو النفسى للطفل في السنوات قبل الأوديبية وذلك بدراسة خيالات وألعاب وأحلام بعض الأطفال في مراحل نهائية مختلفة كان يغيب عنهم آباؤهم غياباً تاماً أو جزئياً بسبب الطلاق . واتضح أن السمة السائدة في تلك المجالات التى قام بدراستها لدى الأطفال هى محتواها العدوانى وذلك من خلال ملاحظة البنين الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانية عشر شهراً إلى ستين شهراً ، كما اتضح أيضاً كثرة وجود الموضوعات العدوانية لدى البنات وانشغالهن بها . أما الأفكار العدوانية فقد لاحظها هيرزوج Herzog فى عمر متقدم ومرحلة نهائية متقدمة لهؤلاء الأطفال كانت ما بين الشهر الستين إلى الشهر الرابع والثمانين من أعمارهم .

وعلى أساس مثل هذه الملاحظات يرى هيرزوج أن الأب يعمل - من وجهة نظر الطفل وخبرته - على تعديل دوافع الطفل وخيالاته العدوانية . وكتيجة طبيعية لذلك فإن غياب الأب خلال الأطوار النهائية المبكرة من حياة الطفل قد يكون له آثار بعيدة المدى على الطفل ، كما يؤثر على قدرة الأنا لديه فى التعامل مع المشاعر والحفزات العدوانية والسيطرة عليها . وتدل الفروق العمرية التى تمت ملاحظتها بين تعبيرات البنين والبنات عن العدوان تدل على وجود حساسية خاصة من جانب البنين لمثل ذلك الفقد المبكر للأب .

ويتضح من تلك الدراسة ومن الأمثلة التى يسوقها هيرزوج أن فقد الأب فى مثل هذه الحالة يؤدى إلى إضعاف سيطرة الولد الصغير على دوافعه العدوانية ، إلا أن ذلك لا يعتبر صحيحاً بالنسبة للبنات . وفى التقارير التى أعدها هيرزوج عن مجموعة من الأطفال تزيد عن سبعين طفلاً من أولئك المحولين إلى عيادة الأطفال بسبب بعض الأعراض التى عانوا منها فى الأسابيع والأشهر التى تلت انفصال والديهم أو انفصالهم وطلاقهم ، ومن هذه الاضطرابات على سبيل المثال اضطرابات النوم ، وحالات القلق ، وردود الأفعال الانسحابية المفعمة بالكآبة . واستطاع هيرزوج بناء على ذلك أن يميز بين ثلاث مجموعات من هؤلاء الأطفال فى ضوء كل من السن والجنس وأوضح بجلاء حساسية الولد الصغير ومشاعره تجاه فقدته الجزئى أو الكلى للأب . فكان جميع الاثنا عشر طفلاً الذين تتراوح أعمارهم بين إثنى عشر شهراً إلى ثمانية وعشرين شهراً من البنين .

كما بلغ عدد البنين من بين الأطفال الثلاثين الذين تضمهم المجموعة الثانية التي تتراوح أعمار أفرادها ما بين ستة وثلاثين شهرًا وستين شهرًا بلغ عدد البنين فيها ثمانية وعشرين طفلاً في حين ضمت المجموعة الأكبر سنًا والتي تتراوح أعمار أفرادها بين ستين شهرًا وأربعة وثمانين شهرًا ثلاثين طفلاً كان من بينهم ستة عشر ولدًا وأربع عشرة بنتًا .

ويتضح من هذه الدراسة الإكلينيكية التي أعدها هيرزوج والتي كان بعض الأطفال من أفراد العينة التي أجريت عليها قد تمت ملاحظتهم أثناء العلاج النفسى ، يتضح أن البنين كانوا أكثر صراحة في تعبيرهم عن حاجاتهم إلى الأب كمسيطر على عدوانيتهم ، كما كان جميع الأطفال منشغلين بتمزق وحدة الأسرة ، ويقصد بذلك التمزق الخارجى الذى أثر بشدة على الحياة الداخلية للطفل ومزقها . وعلى الرغم من أن هيرزوج كان يعتقد أن الضغوط الأسرية المصاحبة قد تسبب في بعض المشكلات التى يواجهها الأطفال فإن فقد الأب يرتبط في خبرة الطفل بظهور المشاعر والخيالات والحفزات العدوانية ، كما أن عودة الأب مرة أخرى إلى المنزل تعتبر من جانب الطفل رجوع أو عودة إلى الوضع العادى السابق . ومن ناحية أخرى فإن الحالة الانفعالية للأم التى تركها زوجها وتخبّر مشاعر الحرمان إلى حد ما ، والإرهاق الذى يسببه لها الموقف الذى توجد فيه من المحتمل أن تلعب دورًا هامًا في شعور الطفل بأن عودة الأب سوف تعيد الأسرة إلى حالتها العادية . ولا يمكن أن يكون هذا هو السبب الوحيد فقط حيث يلاحظ هيرزوج أن مثل ردود الأفعال هذه تحدث لأطفال الأمهات اللائى يتسمن بالكفاءة والبراعة وأحيانًا ما يشعرون بالراحة من جراء وضع حد لزواجهن .

وإذا ما عدنا مرة أخرى إلى التساؤل الذى يتناول السبب الذى من أجله يكون البنون أكثر حساسية لفقد الأب في تلك الفترات من مراحل نموهم فإن هيرزوج يسلم بأن البنين يكون لديهم قدر من الاستعداد الطبيعى للعدوان عند ميلادهم أكبر مما لدى البنات ، وبالتالي تزداد حاجتهم إلى المساعدة في القيام بالسيطرة على ذلك العدوان ، تلك المساعدة التى تتخذ شكل قدر أكبر من السيطرة الخارجية . كما أن حقيقة التشابه الجنسى لها أهميتها في هذا الصدد . فمن وجهة نظر خبرة الولد يتضح أن تشابه مع أبيه هو الأمر الذى يؤكد عليه وهو الذى يجعل من المستحيل بالنسبة للأم أن تحل محل الأب . فيعبر

الأولاد بالتالى عن حاجتهم إلى وجود اهتمام متبادل مع الأب إضافة إلى حاجتهم إلى توضيح للكيفية التى يمكنهم عن طريقها القيام بذلك الاهتمام المتبادل ، وهو ما اعتبره هيرزوج مظهرًا هامًا فى علاقة الطفل قبل الأوديبيّة بأبيه . فىرى الولد أن مجرد عودة أبيه كفيلة بمساعدته فى حل المشكلات التى تواجهه لأن الأب يشبهه ، وهو ما يجعل الأب يعرفه جيدًا . أما بالنسبة للبنات فيبدو أنه مهما كانت حاجة البنت إلى أبيها فى هذه السن وتلك المرحلة من مراحل نموها فإنها لا تكون فى حاجة إليه فى هذا التوقيت بنفس حاجة الولد إليه .

وفى دراسة أخرى من تلك التى تناولت اضطرابات النوم لدى البنين الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانية عشر إلى ثمان وعشرين شهرًا اشتقت العينة التى أجريت عليها من تلك الدراسة التى أجراها هيرزوج والتى تعرضنا لها لتونا . ويرى هيرزوج (١٩٨٠) Herzog أن خوف الطفل من شيء ما بداخله هو الذى يهدد بإرباكه والخروج عن نطاق سيطرته ، وهو ما يؤدى أيضًا إلى شوق خاص من جانبه للأب أطلق عليه هيرزوج اسم « الجوع للأب » Father hunger وقد تجعل الأم فى محاولتها التخفيف عن الطفل وبسبب خوفه من الانغماس معها من جديد فى صراعه النامى للتفرد فى هذه المرحلة من نموه قد تجعل الأمور تزداد سوءًا ، وقد تزيد من شعور الطفل بأن وجود الأب فقط هو الذى يحميه من الأخطار الداخلية والخارجية .

وتوضح الدراسة الإكلينيكية لحالة بنت فى السادسة والنصف من عمرها أن رد فعلها لطلاق والديها كانت تملأه الكآبة فى طبيعته مع وجود ميل واضح إلى لوم نفسها على تلك الأحداث . وبذلك فإن الصراعات الأساسية لدى البنت أيضًا كما يتضح من هذه الدراسة تتعلق بالدوافع والحفزات العدوانية ، إلا أن التعامل مع تلك الدوافع والحفزات العدوانية يتم بطريقة مختلفة إذ يتم توجيهها كما يتضح من هذه الدراسة إلى الداخل أى إلى البنت نفسها . ويرى هيرزوج أيضًا أنه فى حالة الزواج العادى الذى يرتبط فيه الوالدان ببعضهما بشكل مناسب تصبح العلاقة بين الوالدين التى تعمل كمخرج للعواطف والحفزات بين شخصين راشدين تصبح بمثابة درع واقية للطفل الذى قد يصبح - كما يحدث غالبًا فى حالة الزيجات التعيسة وغير المشبعة - هو المتلقى للعواطف التى يتشربها طرفا كل زيجة بشكل طبيعى .

ولهذه العواطف والمشاعر خطورتها على الطفل عندما يتم التعبير عنها في موقف تفاعلي يضم أحد الوالدين والطفل . وحينما يتم تفريغ هذه المشاعر في موقف تفاعلي يضم شخصين راشدين يصبح عادة بمقدور الوالدين القيام بوظائفها الخاصة برعاية الطفل وحمايته من التعرض الصدمي لعالم الراشدين . وحينما تنهار هذه الدرع الوقائية في حالة الطلاق أو قبل ذلك بفترة طويلة في العلاقة غير التكاملية فإن الطفل يواجه واقع الراشدين في وقت مبكر جدًا وبشكل ممزق .

وعندما يغادر أحد الوالدين المنزل فإن الوالد الآخر قد يجبر أيضًا فقد هذه الدرع الواقية ، ويصبح من الأكثر احتمالاً بالنسبة له أن يركز على الحفزات الليبيدية والعدوانية غير الملائمة ومشتقاتها لدى الأطفال (Anthony, 1974) . ومن الممكن أن تصبح مثل هذه التفاعلات مصدرًا آخر للقلق العام عند الأطفال حول نقص السيطرة عليها بالنسبة لهم وخاصة السيطرة على الخيالات والحفزات العدوانية .

وقد وجد هيرزوج دليلًا لدى كل الأطفال إذ يرى أنه قد يتم إدراك الأب على أنه يقوم بتعديل العدوان وأن غيابة يؤدي بالتالى إلى حالة غير معدلة لمختلف الأمور . ويشير هيرزوج إلى أنه على الرغم من احتمال تفسير دراسته الإكلينيكية بطريقة مختلفة من جانب باحثين آخرين فإن حقيقة قيام الأطفال أنفسهم بعمل ارتباطات نفسية بين فقد الأب وعدم السيطرة على العدوانية تضعنا أمام الحقيقة النفسية للطفل التى تستحق وضعها فى الاعتبار . وعلى أى حال فإن المحللين النفسيين يتناولون مثل هذه الأمثلة التى تقوم على السببية النفسية معظم الوقت .

### **دور الأب فى نمو الهوية الجنسية للطفل من وجهة نظر التحليل النفسى :**

عندما نفكر فى الهوية الجنسية من وجهة النظر النفسية وليست البيولوجية فإننا نجد أنها تتكون من مفهوم للذات كذكر أو أنثى . ويتكون هذا المفهوم من خبرات الطفل المرتبطة بالأعضاء التناسلية وحجمها الذى تشغله فى العلاقات مع الآخرين . وهناك العديد من الأسئلة التى تتعلق بهذا المفهوم الجنسى والتى قد شغلت علماء التحليل النفسى كثيرًا . ومن أمثلة هذه الأسئلة :

- كيف يظهر هذا المفهوم لدى الطفل ؟

- ومتى يتكون في هذه السن المبكرة؟

- ومتى يصل إلى شكله الثابت نسيئاً؟ (راجع : Ross, 1979 b).

ومن المتفق عليه بوجه عام أن الخبرات الجسمية التي تتضمن تلك الأحاسيس المرتبطة بالأعضاء التناسلية تضيف كثيرًا إلى ذلك الوعي المتزايد بالهوية الجنسية لدى الطفل (Kestenburg, 1975). وإضافة إلى ذلك فإن جروسمان (1976) Grossman يرى أن وعي الطفل بالفروق المتعلقة بالأعضاء التناسلية يعمل كمنظم هام لتلك الخبرات التي ترتبط بها. ويؤكد كل من رويف (1968) Roiphe وكليمان (1965)، (1966، 1977) Kleeman وجالينسون ورويوف (1977، 1979) Galenson & Roiphe على وجود مرحلة قضيبية قبل أوديبية مبكرة تقوم بتنظيم الخبرات المبكرة المرتبطة بالأعضاء التناسلية إذ يقوم كل من الأولاد والبنات خلال العام الأول من حياتهم بإثارة أنفسهم وذلك بالعبث بأعضائهم التناسلية والذي نعتقد أنه يكون في البداية جزءًا من استكشافهم لأجسامهم بوجه عام. ويعتقد جالينسون ورويوف (1979) Galenson & Roiphe أن لهذا العبث المبكر بالأعضاء التناسلية أهميته في نمو الإحساس بالهوية الجنسية.

وتتميز المرحلة الثانية من هذه الإثارة التي تتم عن طريق العبث بالأعضاء التناسلية بقدر أكبر من الحد، وبما يبدو أنه لن يتم الحصول عليها من مركز أكثر إثارة للاهتمام. وتتطور هذه المرحلة خلال العام الثاني من عمر الطفل وتتداخل مع ما يطلق عليه الباحثون المرحلة الشرجية وتنظيم سلوك التبول الذي يظهر بشكل مستقل عن مبادرة التدريب على دخول دورة المياه (التواليت) لقضاء الحاجة. ويعتبر حب الاستطلاع أو الفضول الشديد الذي يتعلق بسلوك التبول والتبرز لدى الآخرين سمة مميزة لهذا السلوك والذي يساهم في اكتشاف الطفل للفروق المتعلقة بالأعضاء التناسلية ووعيه بها. وقد يؤدي إدراك تلك الفروق التي تتعلق بالأعضاء التناسلية وخاصة عند البنات وعند أولئك البنين الذين يعانون من اضطرابات في نموهم إلى معاناتهم الشديدة من ما يعرف بقلق الخصاء (Edgumbe & Burgner, 1975) Castration.

وقد يكون لمثل ردود الأفعال تلك أثر مدمر على العلاقة المتطورة للبتت بأبيها خلال العام الثاني من حياتها، وتؤدي بهذه الطريقة إلى حدوث اضطرابات في هويتها الجنسية الآخذة في النمو. أما البنات اللاتي يشعرن بدرجة من قلق الخصاء أقل حدة فإنهن

يطورن علاقة جديدة وانفعالية قوية ومشبعة جنسيًا مع الأب . أما أولئك اللانئ تبدين ردودو أفعال حادة ومع ذلك يتعلقن بشكل متناقض مع الأم ، فكن غير قادرات على الانفصال ، كما تطور لديهن الخوف من الغرباء . وهو ما يؤدي بطبيعة الحال إلى عدم انتقال التعلق الجنسي إلى الأب . ويعتقد جالينسون ورويف (١٩٧٩) Galenson & Roiphe أن مثل هذه الخبرات المبكرة التي ترتبط بالأعضاء التناسلية تتأثر بالاتجاهات الوالدية الشعورية واللاشعورية ، إلا أنها يقرران أنه من الصعب جدًا توضيح الكيفية التي تقوم بها مثل هذه العوامل بتشكيل مفهوم الذات لدى الرضيع كذكر أو أنثى .

وتركز دراسات التحليل النفسي عن الانحرافات الجنسية وما يعرف باضطرابات الجنس على مدى إسهام سلوك الوالدين واتجاهاتها الشعورية واللاشعورية في تلك الاضطرابات العويصة في هوية الجنس . وسوف نعرض هنا لبعض الشروط والفروض الإكلينيكية التي تتعلق بدور الوالدين وخاصة الأب في ذلك . ولمزيد من الاطلاع يفضل الرجوع إلى روزن (١٩٧٩) Rosen وكارازو وسوكاريدز (١٩٧٩) Karasu & Socarides حيث يوجد العديد من الأطر النظرية التي تمت مناقشتها حول هذا الموضوع . أما هنا فيكفي أن نقرر أن كل الباحثين يتفقون على أهمية التأثير المرضي ( الباثولوجي ) للوالدين على الطفل حيث تعتبر العوامل اللاشعورية المتضمنة في التفاعل المبكر بين الأم والطفل جوهرية في هذا الصدد (Stoller, 1975) . ومع ذلك فإن الباحثين الذين يتبعون التحليل النفسي في دراساتهم يركزون على دور ومكان الأب أو وضعه في الكوكبة الأسرية الكلية . وهذا بطبيعة الحال يجنبهم الوقوع في خطأ فادح يتمثل في النظر إلى التفاعل بين الأم والطفل وإلى التفاعل بين الأب والطفل في معزل عن الأسرة . ومما لا شك فيه أن طبيعة العلاقة بين الأم والأب تعد أيضًا عاملاً حاسماً في التفاعل بين أحد الوالدين والطفل .

وقد تضمن القدر الأكبر من الوصف المقدم لمثل تلك الأسر أن الأب نتيجة لمرضه عادة ما يفشل في القيام بوظيفته المتمثلة في حماية الطفل من التأثير المرضي للأم ( راجع : Stoller, 1975; Rosen, 1979; Socarides, 1968; Volcan, 1979 ) .

ولم تنجح المحاولات التي بذلت سابقاً لعزل المجموعات الأسرية ذات الدرجة العالية من الخصوصية والاتجاهات اللاشعورية كما في الحالات الجنسية على سبيل المثال

(Volcan, 1979). وربما يكون من المهم أن نذكر أنه على الرغم من الدراسات التي قد تم تناولها هنا قد أجريت في إطار التحليل النفسى فإن الأدلة الإكلينيكية التي تقدمها لم يتم التوصل إليها من خلال الدراسة التحليلية للمرضى ولكن من خلال إجراء المقابلات معهم . وهناك نتيجة عامة في هذه الدراسات تتمثل في أن الأب السلبي وبالتالي غير الواثق من هويته الجنسية يفشل كنموذج ذكري يتوحد معه أطفاله الذكور ويفشل في حماية أطفاله البنين والبنات من التأثير المرضى للأم .

ويذكرنا ذلك بنقطة هامة توصل إليها جرينسون (1968) Greenson حيث لاحظ أن غالبية اضطرابات الجنس توجد بين الذكور ، ورأى أن ذلك قد يعكس مدى الصعوبة المرتبطة بتناول الجنس بوجه عام بين الرجال والناجحة عن صعوبة المهمة النهائية للطفل الذكر في إنهاء توحيده الأولى مع أمه وتحوله عنها . وحول ما إذا كان تحلى الطفل الذكر عن علاقته الأوديوية الأولية ( وما ينتج عنها من توحد ) مع الأم وتوحيده مع الأب سوف تعتمد جزئياً على شخصية وسلوك كلا الوالدين تشير أنا فرويد (1965) A. Freud إلى أن اتجاه الأم نحو الأب له أهميته أيضاً بالنسبة للطفل إذ بإمكانها أن تشجع توحد الابن مع أبيه وتسهله وذلك بإبداء إعجابها من ذكوره الأخذة في النمو . ويعتبر التقرير الذى قدمه جرينسون (1966) Greenson عن علاجه لأحد الأولاد المضطربين في هذا الجانب مثلاً إكلينيكيًا جيداً لبعض هذه المشكلات .

إلا أن إحدى الملاحظات التي قامت أنا فرويد (1951) A. Freud بتدوينها كانت تذكرنا بضرورة الحذر من أنه لا يمكننا أن نقدم وصفاً كاملاً لكل أنماط السلوك الذكري التي يأتى بها الولد وذلك في إطار من تلك العمليات التوحدية التي يقوم بها . وفي وصفها لسلوك البنين في حضانات هامبستيد Hampstead في وقت انتقالهم من المرحلة الشرجية إلى المرحلة القضيبية من مراحل نموهم النفس جنسى وجدت تغيراً محيراً في اتجاههم وسلوكهم نحو الحاضنات ( أمهاتهم ) حيث طور الأولاد مجموعة من السمات الذكورية ، كما كانوا يظهرون قيامهم بالحماية ، وغالباً ما أبدوا قدرًا من الغطرسة ، وأحياناً كانوا يبدوون اتجاهًا ودودًا نحوهم يتسم بالتسامح ، هذا الاتجاه الذى يتم تصنيفه في تلك الظروف على أنه محاكاة دقيقة للأب وتوحد معه علمًا بأن هؤلاء الأطفال لم يعيشوا مع آبائهم كما لم توجد أمامهم أى فرصة لملاحظة اتجاه آبائهم نحو الأم .

ومن الجدير بالذكر أنها رأت أن مثل هذا السلوك يمكن اعتباره إظهارًا للاتجاهات القضيبيّة يحدث إذا توحد الطفل مع الأب أو لم يتوحد معه ، وذلك على الرغم من أن الإثارة الخارجيّة هؤلاء الأطفال والتي تمت في شكل حضور دورى لبعض الرجال وبعض الآباء الآخرين لزيارتهم وقضاء بعض الوقت معهم لم تتم بشكل كامل . وإذا كان مثل هذا السلوك الذى صدر عن هؤلاء الأطفال يرجع إلى الملاحظة الدورية لأولئك الرجال والتي تمت بالصدفة على الرغم من عدم وجود علاقة أو رابطة انفعالية قوية بين هؤلاء الأطفال وبينهم فإن ذلك يعزز رأى أنا فرويد A. Freud في وجود بعض أشكال من السلوك لا تجد مصدرها داخل الإنسان نفسه ولكنها تستثار فقط وتنمو من خلال خبرات الحياة . ويقترح هذا الرأى المؤلف لمن يعمل بالتحليل النفسى أنه يوجد فى بعض اضطرابات الجنس الحادة مكون دافعى معين ( عامل بنائى ) يشترك مع تلك الآثار البيئية المبكرة التي تم تناولها .

وتعتبر طبيعة النمو الجنسى الأنثوى من الموضوعات التي نالت قدرًا كبيرًا من النقاش من جانب التحليل النفسى (Blum, 1977; Edgumbe, 1976; Fast, 1978; 1979) وهناك اتجاه واضح يهدف إلى التأكد من تلك الافتراضات المبكرة التي أثرت حول الأصول المعقدة بالصراع للأنوثة إذ يسلم العديد من الباحثين بوجود حالة من « الأنوثة الأولية » (Stoller, 1977; Kleeman, 1977) أو تنظيم أنثوى بنائى أولى (Edgumbe & Burgner, 1975) أو طور جنسى (تناسلى) بدائى (Parens, et al., 1977) أو تنظيم جنسى (تناسلى) أنثوى أولى (Fast, 1979) .

وتوضح هذه الافتراضات عدم الرغبة من جانب الباحثين فى اعتبار الرغبات والاتجاهات الأنثوية للبنات الصغيرة على أنها مجرد ردود أفعال للإجباطات الأوديبيّة . وترى فاست Fast أنه عندما تصبح البنت على دراية بالفروق الجنسية بينها وبين الولد فإنها تطور إحساسًا معقدًا بالأنوثة وبنفسها كأثى فى علاقتها بالإحساس المتطور والمتزامن بالذكورة الذى ينسب إلى الذكور وتجبره البنت فى علاقتها بهم (Fast, 1979) .

وطبقًا لوجهة النظر هذه فإن الاضطراب الذى حدث فى نمو هوية الجنس الأنثوية لم يعد يعتبر جزءًا ملازمًا أو مصاحبًا للنمو الجنسى الأنثوى ، ولكنه يعد بمثابة ظاهرة ثانوية

تنشأ من التجمع الأسرى الذى يكون الأب فيه إما غائباً أو غير متجاوب و (أو) تكون الأم موضوعاً هزلياً أو متواضعاً حتى يتم التوحد الأثنوى معه .

وفي مناقشته للجنسية المثلية بين الإناث من وجهة نظر العلاج النفسى يرى مكدوجال (1979) Mc Dougall أن كل النساء التى تمت دراستهن وخضعن للعلاج كانت علاقاتهن بكل من آبائهن وأمهاتهن مضطربة فى أساسها . كما ينظر أيضاً إلى التمثيل الشعورى للأب لدى هؤلاء المرضى على أنه حائق وسئ ، ورأى أن ذلك التمثيل الشعورى يعد بمثابة بناء دفاعى تكمن خلفه صورة الأب الذى فشل فى أداء دوره الوالدى الخاص ، أى الذى فشل فى حماية ابنته من تكوين صورة للأم على أنها مستبدة أو مسيطرة أو قادرة على القيام بكل شئ . كما كانت تقبع تلك الجراح النرجسية التى كشفنا عنها والتى كانت ترتبط بصورة الأب غير المبالى خلف تلك الرغبة الشعورية لإقصاء الأب أو الإساءة إليه والتى سيطرت على هؤلاء المرضى . وإضافة إلى ذلك فإنهم قد أوضحنا أنه قد تم بعد ذلك فقد الأب كموضوع للحب ، وكممثل للأمن والقوة وهو ما يغلق الباب أمام علاقاتهن الجنسية المستقبلية (راجع : Socarides, 1968) . كذلك فإن الأم هى الأخرى تساهم أيضاً من خلال اتجاهها نحو الأب فى تدميره كرمز للسلطة الداخلية بالنسبة للبنات .

ويدعم مثل هذا الدليل وجهة النظر التى ترى أنه لكى تنمو الهوية الأثنوية السليمة للجنس وتتطور فإن الأمر يحتاج إلى أكثر من مجرد التوحد مع الأم حيث يستطيع الطفل فقط أن يخبر الهوية الحقيقية للجنس فى علاقاته التى يقيمها مع أفراد من الجنس الآخر . وهذا يعنى أن الإحساس بالأنوثة يجب أن يمتد ليشمل الرغبات والخيالات والحفيزات التى يتم توجيهها إلى البنين والرجال (راجع ملاحظة Blum فى : Clower, 1970) .

وفى رأينا فإن هذا الامتداد الحيوى لخبرة الأنوثة يصبح من الممكن حدوثه كاملاً فقط على أساس تلك العلاقة المستمرة مع الأب التى تتسم بالمتانة والاعتدال والود والحب والتى تمت إقامتها خلال المراحل قبل الأوديبية . وفى هذا الإطار يعتبر الاقتراح الذى قدمه العديد ممن يتبعون التحليل النفسى (Staller, 1975; Abelin. 1977; Greenson. 1968) بأن أهمية العلاقة قبل الأوديبية مع الأب تقل بالنسبة للبنات منها بالنسبة للبنين يعتبر محل شك . ويرجع ذلك إلى أن هؤلاء الباحثين فى تأكيدهم على حاجة

الولد إلى التوحد مع الأب في ذلك الوقت يتغاضون عن تلك الحاجات المختلفة للبنات خلال تلك الأطوار النمائية ، أى حاجتها إلى علاقة يملؤها الحب والود مع متجاوب بإمكانه أن يعمل على تدعيم أنوثتها الآخذة في الظهور . وتدفع هذه العلاقة المثالية بالبنات إلى أن تكشف وتخبّر أول امتداد لأنوثتها في علاقة آمنة بأب متجاوب معها يعتبر موضع إعجاب بالنسبة لها .

كما أننا نرى أيضًا أن مثل هذه الطريقة تمهد السبيل للنمو الإيجابي من عقدة أوديب وما يرتبط به من رغبات توجه نحو الأب . ومن الصعب أن نجد بتناً تقوم بتطوير هوية جنسية سليمة ومتينة دون وجود ذلك الوعي الذى يتطور تدريجياً بأنوثتها وما تعنيه بالنسبة لها . وتعتبر فاست (١٩٧٩) في مناقشتها عن تمايز الجنس عن وجهة نظر مشابهة حيث ترى أنه ما إن تقوم البنت الصغيرة بتكوين هوية للجنس خاصة بها فإنها تبدأ في الارتباط بكل من والديها في نطاق جنسها ، فترتبط بأبها على أنها شخص من نفس جنسها تستطيع أن تتوحد معها كأنتى ، وترتبط بأبيها كذكر في علاقته بها كأنتى . وتزودها هذه التوجهات الجديدة بسياقات تقوم في ضوئها بممارسة وتمحيص الأفكار المتمايزة التى تقوم بتطويرها عن الأنوثة والذكورة .

### **الإنجاب والأبوة والعملية النمائية التى يمر بها الفرد لكى يصبح أباً :**

بدأ بول (١٩٧٠) Paul مقاله عن التواد الوالدى بالخطاب الذى كتبه كافكا Kafka لأبيه وهو فى السادسة والثلاثين من عمره . وقد يثير وصف الهوة الرهيبية التى توجد بين الأب وابنه والتى تضمنها الخطاب مشاعر مؤلمة لدى القراء ، كما أن تلك الفرص الضائعة والفشل فى التعاطف والتفاهم يعكس بما لا يدع مجالاً للشك عمومية مثل هذه الخبرات . ويعتقد بول Paul أن أحد الأسباب التى تكمن خلف وجود مثل هذا النقص فى التفاهم بين الوالدين وأطفالهما يرجع إلى الاهتمام غير الكافى من جانب الآباء بالتاريخ الانفعالى لأطفالهم .

وقد أولى اتباع التحليل النفسى اهتماماً متزايداً منذ عام ١٩٦٠م للجانب النمائى الذى يمر به الفرد لكى يصبح أباً ، وفى كونه أباً (Benedek, 1959, 1970; Anthony & Benedek, 1970; Kestenberg, 1975) . وكجزء من هذا الاهتمام الحديث والنامى بالأب بذلت محاولات عديدة فى سبيل تتبع وفهم العمليات النمائية المتضمنة فى الإنجاب

والأبوة (Benedek.1970) (Gurwitt, 1976; Ross, 1975, 1977, 1979a, 1979b; Herzog, 1979).

وتشير بينديك (١٩٧٠) Benedek إلى أن العلاقة الانفعالية التي يقيمها الأب مع ابنه تتضمن على الأقل نوعين من التوحد يكمل بعضهما البعض ، يتمثل أحدهما في التوحد مع الطفل ويقوم على أساس طفولة الأب نفسه ، ويقوم هذا التوحد بتسهيل حدوث التعاطف ، أما الآخر فيتمثل في التوحد مع الأب وهو ما يعكس أيضًا تلك المعايير التي يتبعها الآباء في تربية أطفالهم والتي تقوم على أساس ثقافي . وتؤكد بينديك Benedek أيضًا على أنه يوجد فيض من الذكريات والانفعالات المكتوبة تتعلق بالخبرات النهائية للأب والتي قد تتحرك في استجابته لنمو طفله ، وهذه بطبيعة الحال تقبع خلف الدور الناضج للأب في الأسرة . ولا يتضح نمو الولد باتجاه النضج الجنسي وتحقيق هوية كاملة للجنس الذكرى خاصة به في اكتساب إحساس قوى وآمن بالجنسية الغيرية تظل غير مهددة من جراء إدراك حاجته إلى الرعاية والتعبير عنها لا تتضح في ذلك فحسب ، بل أيضًا في قبول عواقب ذلك أي بأن يصبح أبا ، وأن يتقبل المسؤولية كقائم على حماية الطفل ، وأن يلبي جميع متطلباته ، وأن يسلك إزاء الأطفال في إطار من التعاطف الأبوى وهو الأمر الذي يعتبر عملية ذات تاريخ نهائي طويل تمتد جذورها إلى طفولة الأب نفسه (Ross, 1979b).

وعادة ما يبدأ الاهتمام بالعوامل ذات الأهمية في الإعداد النفسى للذكر كى يصبح أبا بالملاحظات المعروفة من وجهة نظر التحليل النفسى لرغبة الولد الصغير فى أن يكون له أطفال وأن يقوم برعايتهم . ويعتبر لتيل هانز Little Hans الذى ذكره فرويد (١٩٠٩) Freud مثالاً جيداً لذلك . ومن المعتقد أن التكوين الختشى Bisexual والأحداث والعمليات النهائية التى تعود إلى المراحل قبل الأوديية تعمل على ظهور تلك الرغبات (Boehm, 1930, Jacobson, 1950; Van der Leeuw, 1958). ويبدو أن مثل هذه الرغبات يتم إحباطها ، ويؤدى هذا الإحباط لدى العديد من الرجال إلى حسد شديد للوظائف الإنجابية الفعالة للمرأة ، وغالبًا ما يكون هذا الحسد دفينًا (Ross, 1977; Jaffe, 1977). ويرى روس (١٩٧٥) Ross أن الإحباط الذى يصيب الولد بسبب حرمانه من ذلك (عقمه) قد يسكن إلى حد ما ، ويتم التعبير عن حفزاته الإنجابية جزئيًا عن طريق توحد

مع أبيه الذي يدركه على أنه مصدر للرعاية والإنجاب . ويساعد دور الأب في الإنجاب وارتباطه بالرعاية يساعد الراشد الذكر على أن يجد حلاً لرغباته الأمومية التي تعتبر حتى ذلك الوقت مكبوتة وتسبب له القلق والإزعاج . ويشير روس أيضًا إلى ذلك الميل المبكر إلى اعتبار أن رغبة الولد في أن يكون له أطفال وأن يعتنى بهم مجرد إظهار لرغبات الشكل السلى لعقدة أوديب قد ساهم في معرفة الجوانب الفعالة والتطورية لتلك الحفزات الإنجابية . ويمكن ملاحظة ذلك في الدور التنظيمي الذي تلعبه تلك الرغبات في تطور الهوية الذكرية .

وقد حاول روس (1977) Ross باستخدام مفهوم الخطوط النهائية الذي قدمته أنا فرويد A. Freud أن يتبع مثل هذا الخط الخاص بالنمو الجيلي (التناسلي) والإنجاب لدى البنين ، وهو الخط الذي يؤدي إلى الإحساس بالهوية الأبوية (Ross, 1979b) ويؤكد على وجه الخصوص على مرونة الاتجاهات قبل الأوديبي للطفل فينتقل من الرغبات والمفاهيم التي تتعلق بكونه رضيعًا أي من كونه يتلقى الرعاية والاهتمام من الأب إلى كونه هو نفسه أبًا ويتم التلطف بمثل هذه التخيلات أو القيام بها أثناء اللعب ، وتصبح إن عاجلاً أو آجلاً في صراع من الإدراك النامي من جانب الطفل بهوية الجنس الخاصة به وتوحده مع أبيه . ومع ذلك فقد يبقى سلوك الرعاية والاهتمام هذا خلال الطفولة المتوسطة مهمًا بالنسبة للولد ، ويتم التعبير عنه في العناية بالنبات والحيوانات . وخلال هذا الطور النهائي يدرك الولد أبيه على أنه ناصح مخلص ومعلم خاص له . ويؤكد روس Ross أيضًا على أن العلاقة الطيبة مع الأب خلال مرحلة الكمون من مراحل نمو الطفل لها أهميتها في مساعدة الولد على أن يكتشف مهاراته ومواهبه ، وعلى أن يكتشف العالم من حوله والتعامل معه . وهذه العلاقة قيمتها الخاصة بالنسبة للولد في الصراعات التي يتضمنها الطور الأوديبي من أطوار نموه ، كما يمكنها أن تساعد في إقامة هوية ذكرية تتسم بالرعاية والأبوة وعدم سيادة السمات العدوانية بها . وعلى الرغم من أن المراهقين ذكورًا وإناثًا يميلون في محاولاتهم لتحرير أنفسهم سيكولوجيًا من سلطة والديهم إلى إنكارهما فإن روس يعتقد أنه من المهم ألا ينسحب الوالدان من التواصل معهم (Anthony, 1970) . ويعطى الوالدان لأبنائهما المراهقين الفرصة لتجريب إحساسهم الجديد بالهوية ، ويركز روس (1979 - أ، ب) Ross على أزمة الأبوة التي يمر بها الشخص الراشد وعلى دور الأب في نمو هوية الجنس الخاصة بطفله وتدعيمها .

ويعتبر العديد من المحللين النفسيين ومن بينهم بينديك (١٩٥٩) Benedek وكستنبرج (١٩٧٥) Kesenberg وأنتوني (١٩٧٠) Anthony وروس (١٩٧٩ - أ) Ross عملية أن يصبح الفرد والدًا سواء كان أبا أو أمًا كطور أو مهمة نهائية غالبًا ما تتضمن أزمة نهائية. وتواجه الوالدية الآباء والأمهات بالعديد من الأشكال الداخلية والخارجية للتوافق والتكيف. وكما يشير هيرزوج (١٩٧٩) Herzog فإن الرجال يتعاملون مع الأبوة باتجاهات مختلفة وبدرجات مختلفة من الانغماس في هذه العملية. ويعتقد أن إعفاء الآباء من عملية الحمل مقارنة بالانغماس البيولوجي النفسى للنساء في تلك العملية يعطيهم مجالاً للاختبار لا يعطى للنساء يتعلق بشدة اشتراكهم في عملية الحمل. وفي دراسته التي أجراها على آباء الرضع المتسرين ميز هيرزوج (١٩٧٨) Herzog بين ثلاث مجموعات من الآباء طبقاً لدرجة مشاركتهم الانفعالية في حمل زوجاتهم، ووجد أن مثل هذه المشاركة الانفعالية من جانبهم ترتبط بدرجة انغماسهم في علاقة تعاطفية مع زوجاتهم. وإضافة إلى ذلك فقد كانت درجة تعبيرهم المباشر عن مشاعرهم وخيالاتهم ترتبط بمدى المشاركة التي أبدوها لزوجاتهم. ومع ذلك يعتقد هيرزوج أنه تحت تأثير الانفعالات التي تثيرها الولادة المتسرة كان العديد من الآباء قادرين على كشف بعض جوانب حياتهم الخيالية التي قد لا تتضح في مواقف من هذا النوع. وقد لاحظ هيرزوج وجود حافظ قوى من جانب الآباء خلال حمل زوجاتهم للبحث عن حلول الصراعات التي تعترض علاقاتهم مع آبائهم وذلك لدى أفراد المجموعة الأكثر تجانسًا. ولم تكن مثل هذه المحاولات ناجحة على الدوام، كما أن الآباء الذين فشلوا في إقامة علاقات طيبة مع آبائهم قد أظهروا القدر الأكبر من مشاكلهم الداخلية خلال النصف الأخير من مدة حمل زوجاتهم. ويعلق أحد هؤلاء الآباء على ذلك بقوله إن الطريقة التي أعلنت بها تحالفى مع والدى العجوز تحدد الكيفية التي سوف يعلن بها ابني تحالفه معى إذ أن هناك اعتقادًا بأنه لكى يكون الفرد أبا فاضلاً فإن عليه أن يبذل جهودًا مخلصه ليقوم علاقة متصله مع أبيه قبل الأوديبى «الفاضل» الذى أصبح عجوزًا والذى كان مرشدًا له ومعلمًا خلال مرحلة الكمون التي مر بها في نموه والذى ساعده في أن يحدد ما هو الرجل وماذا يجب عليه أن يفعل.

وبالنسبة لتلك المجموعة من الآباء التي كان أعضاؤها أقل تجانسًا مع مشاعرهم ومع زوجاتهم فقد بدت الأبوة لهم على أنها شيء عارض، كما لم يكن هناك إحساس

بوجود خط نمائى يقوم على التماسك والرعاية منذ طفولتهم وكان كل هؤلاء الآباء يعانوا من افتقارهم إلى وجود آباؤهم معهم . وهنا يقرر هيرزوج أنه إذا كان الفرد دائم البحث عن أبيه فإن ذلك يؤثر بطبيعة الحال على قدرته لكى يصبح هو نفسه أباً .

ويؤكد التقرير الذى أعده جورويت (١٩٧٦) Gurwitt عن تحليله لحالة أحد الشباب الذى أصبحت زوجته حاملاً ووضعت مولوداً أنثى أنه قد أعطى بيانات تحليلية مفصلة عن الطريقة التى خبر بها الحمل والتى استمر بها ذلك الحمل على أنها تحد نمائى . ويشك جورويت فى وجود دليل إكلينيكى كاف لتدعيم رأيه فى أن الوالدية تعتبر « طوراً نمائياً » بالمعنى العادى لهذا المصطلح . وعلى أساس من المادة التحليلية التى أخذت عنه كان قادراً على إيضاح العديد من المراحل فى ردود أفعاله النفسية المرضية . حمل زوجته موضعاً أن الحمل يعتبر فترة إعداد للأبوة . ويقسم جورويت Gurwitt ردود الأفعال التى أبدأها مريضه هذا تجاه حمل زوجته خلال الإثنا عشر شهراً السابقة لميلاد ابنته إلى مراحل الاستعداد ، والتهيؤ ، والمفهوم ، والدخول فى الحمل (بدايته) ، والشهور الأولى منه ، ومنتصف الحمل ، وأخيراً ميلاد الطفل . وفى الواقع نجد أن ذلك الحمل قد حرك فى هذا الرجل إنشغالاً بالعلاقة مع والديه وبدورهما بالنسبة له كنهاج للوالدية ، فيقرر هو أن والديه لم يتركانه وحيداً لكونه ولدًا لكى يصبح أباً ، ثم بدأ بعد ذلك يتناول علاقته بأبيه فى تحليله ، وأصبح فى الطور الأخير من الحمل قادراً على أن يوجه حديثه إلى أبيه المريض وأن يتناول العلاقة التى جمعت بينهما .

ويوضح ذلك التقرير المفصل الذى يتسم بالوضوح والذى أعده جورويت أن العلاقة بين الأب وطفله تبدأ قبل ميلاد الطفل بفترة طويلة . ويمثل الإخصاب والحمل تحدياً نمائياً للأب المستقبلى يؤدى إلى العديد من الاضطرابات الداخلية والتغيرات والذى يكون الناتج عنه ذا أهمية بالغة للأسرة ككل . ويبدو أن حالة التوازن التى تحدث للشخص الراشد والتى تتضح فى اختياراته التى قام بها بالفعل وذلك فيما يتعلق بالهوية الجنسية واختيار المهنة واختيار شريك للزواج قد تهتز بشدة من جراء توقعه لأن يصبح أباً . ويقارن جورويت بين الاضطراب الداخلى لدى مريضه بأزمة النمو فى المراهقة المبكرة (Ritvo, 1971) كما يصف الحمل والطفل المتوقع على أنها قوى دافعة ذات تنظيم حديث بالنسبة له . ويعمل تهيئة المريض للحمل ، والحمل فى حد ذاته كتجديد أساسى

للعلاقات الماضية والحالية التي تربطه بأبيه وأمه وأخوته وزوجته إضافة إلى كونه يعتبر بمثابة تحول وإعادة بناء لإحساسه بذاته . وقد اندمج كل ذلك معاً لتكوين المناخ النفسى الذى تمت ولادة ابنته فيه .

وكان من نتيجة ذلك وجود أب مهيب نفسياً عند ميلاد طفلة لكى يقيم علاقته معها وأن يصبح هو نفسه موضوعاً أوديبياً جيداً منذ بداية حياة ابنته . ويعتبر جنس الطفل ذا أهمية كبيرة بالنسبة لهذا الأب إذ أنه كان يريد بنتاً وأصبح مسروراً حينما ولدت له بنتاً . وقد توصلت بينديك (١٩٧٠) Benedek أيضاً إلى نفس هذه النقطة التى توصل إليها جورويت Gurwitt فى هذا الصدد حيث كان الشخص الذى كانت تدرس حالته لا يريد ولدًا لأن ولادة ولد له كانت من الممكن أن تثير لديه تلك الصراعات القديمة التى عاشها مع أبيه . ويؤكد جورويت على أننا نحتاج إلى المزيد من مثل هذه المعلومات التى يتم الحصول عليها عن طريق استخدام الأسلوب التحليلى فقط وذلك لتقييم تلك الجوانب المتعلقة بالإنجاب والأبوة . وبالنسبة لهذا المريض على وجه التحديد تزامنت فترة الأبوة المستقبلية بالطور النهائى من تحليله وبالتدهور الجسمى والعقلى لأبيه وهى ما تعتبر عوامل ذات تأثير متبادل تقوم بما لا يدع مجالاً للشك بتلويين الموضوعات التى تم تناولها خلال هذا التحليل وذلك بطريقة معينة . وانتهى جورويت إلى أنه مهما كانت الأسباب التى تكمن خلف النسيان الماضى للأب فيبدو أننا فى النهاية قد بدأنا فى التعرف على أهمية الدور المبكر الذى يلعبه الأب . ولكى نصل إلى تفهم أفضل لهذا الدور يجب أن نحول اهتمامنا إلى تلك العملية النهائية المبكرة المتضمنة فى أن يصبح الفرد أباً . وبالتالى فإن الأبوة المستقبلية تمثل بطبيعة الحال مرحلة حاسمة فى ذلك النمو .

### دور الأب فى مرحلتى الكمون والمراهقة :

تصف كستنبرج (١٩٧٠) Kesenberg مرحلة الكمون بأنها فترة الأبوة الجزئية وتشير إلى حقيقة أن عالم الطفل خلال هذه المرحلة يبدأ فى الاتساع خارج نطاق أسرته ويصل الطفل العادى الذى يبلغ السادسة أو السابعة من العمر إلى مستوى من التنظيم النفسى والنضج الجسمى والانفعالى ، والاستقلال عن الآخرين يسمح له بدرجة نسبية من الاستقلالية والذاتية . كما أن الصراعات التى تتعلق بالطور الأوديبى وحلولها الجزئية (Blos, 1962) مع إعادة التنظيم الدقيق للبناء النفسى التى تساعد تلك الصراعات على

ظهوره يتبعها فترة يكون الطفل فيها أقل اضطرابًا من جراء دوافعه وأقل استغراقًا في الصراعات الداخلية . وغالبًا ما يتم وصف الطفل في مرحلة الكمون بأنه يكون مجردًا من الصفة التناسلية . Desexualized كما تساعده قدراته المعرفية الجديدة وسيادة عملية ثانوية على عملية أولية للتفكير والأداء على أن يتكيف مع تلك المتطلبات التي تفرض عليه في المدرسة . ومع ذلك فإن الطفل خلال مرحلة الكمون لا يزال صغيرًا بما فيه الكفاية كي يظل معتمدًا على والديه بدرجة كبيرة في تلقي الدعم الانفعالي والرعاية والاهتمام منها .

وكما يشير أنتوني وبينديك (١٩٧٠) Anthony & Benedek فإن الأبوة تعد عملية تكيف تطورية . كما أنها تختبر قدرة الوالدين على التكيف مع العالم المتسع للطفل ، وعلى أن يشاركا المعلمين والآخرين في تأثيرهم على الطفل ، وبذلك يساعدان الطفل على أن يطور إحساسًا متزايدًا بالهوية الشخصية ، وعلى أن يتكيف مع البيئة خارج نطاق المنزل والأسرة . وتشير كستنبرج (١٩٧٠) Kesenberg إلى مدى الصعوبة التي تصادفنا في صياغة المفاهيم المتعلقة بالأبوة في مرحلتى الكمون والمراهقة مقارنة بتلك المراحل النهائية المبكرة . وتعتقد أن ذلك يرجع إلى أن الوالدين لم يعودا يستجيبان لتنظيم الشخصية النامي الذي يتسم بالتعقد المتزايد . كما تعتقد أيضًا أن ذاكرة الوالدين فيما يتعلق بمرحلتى الكمون والمراهقة الخاصتين بهما نفسيهما تؤدي بهما إلى تكوين ردود الأفعال التي تبنى على أساس من خبراتها الشخصية بدلًا من الاستجابة لطفلها كفرد .

وترى بينديك (١٩٧٠) Benedek أنه عندما يذهب الأطفال إلى المدرسة فإن غالبية الآباء والأمهات يتناهم الخوف والقلق إذ تعنى المدرسة أن سلوك الطفل وأدائه في العمل واللعب سوف يتعرض للفحص والتدقيق المقارن الذي يجعل بعض الآباء والأمهات يشعرون بالخطر ، كما أنه قد يتم تهديد تقديرهم لذواتهم أيضًا . وتوضح الخبرة الإكلينيكية كيف يتأثر تقدير الطفل لذاته بشدة خلال مرحلة الكمون بالأم المتدمرة التي تعمل على اصطياذ الأخطاء لطفلها ، وبالأب الذي يوجه الكثير من النقد له أى يتأثر بالوالدين الذين يشعرون شخصيًا بالخطر من جراء ما يوجد لدى أطفالهما من عيوب ونقائص . ومع ذلك فإن مرحلة الكمون تعتبر أيضًا هى السن التي تظهر فيها القصص الملفقة عن الأسرة (Burlingham, 1945) كما يتضح في أحلام اليقظة تلك التي يكشف

فيها الأطفال عن تلك الإحباطات التي تعرضوا لها بسبب والديهم وخصوصًا الأب وذلك عندما يبدأ الوالدان في مقارنة أطفالهما بأولئك الأفراد الذين يعجبون بهم في العالم الخارجي أى خارج نطاق الأسرة .

ويبدأ الأطفال في تعديل تقديرهم المبكر الزائد لوالديهم ، كما يبدأون في النظر إليهما بصورة أكثر واقعية . ويبدو من المهم في مرحلة الكمون أن تتسم ردود أفعال الأب بالتسامح وذلك نحو الاستقلال النامي لدى طفله وموضوعيته وقيامه باختبار الواقع بنفسه . وعلى حد علمنا لا توجد هناك إسهامات تحليلية تقوم على اختبار ذلك الجانب من علاقة الأب بطفله خلال مرحلة الكمون فيما يتعلق بردود أفعال الأب وما يستتبعها من عواقب .

ومن الملاحظات التي يتضمنها التراث السيكلوجي حول الآباء في مرحلة الكمون وجود ندرة نسبية للتقارير التي تتناول الدور الذي يلعبه الآباء والأمهات خلال مرحلة الكمون بالنسبة لأطفالهم . ويستثنى من هذا ذلك الاهتمام المناط بدور الأب في تشجيع ابنه على الاهتمام بالرياضة ، وعلى تنمية المهارات الجسمية ، وقيامه بدعم ابنه في هذا الجانب . وعادة ما تتناول مثل هذه التقارير تلك العلاقة بين الأب وابن فقط على الرغم من أننا نعلم أن العلاقة بين الأب وابنته والتي لم تتناولها هذه التقارير في الغالب يمكن أن تكون أيضًا في غاية الأهمية خلال هذه المرحلة . وعلى نفس المنوال فإن العلاقة الحميمة بين الأب وابن وبين الأب وابنته قد ترجع إلى مشاركته لأطفاله في اهتماماتهم العقلية وهواياتهم . ومن المهم في رأينا بالنسبة للأب أن ينقل إلى ابنته أن مثل هذه الاهتمامات لا تتعارض بأي حال من الأحوال مع نمو هويتها الأنثوية .

ويعلق العديد من الباحثين على الجانب الإرشادي والتعليمي في علاقة الأب بطفله خلال مرحلة الكمون فيرون أن تلك العلاقة يمكنها فقط أن تقام بمغزاها ودلالاتها عندما يقضى الأب خلال هذه المرحلة من نمو ابنه وقتًا أطول مع أطفاله ويبدى الاهتمام بهم . ومن بين الجوانب التي تبدو على درجة كبيرة من الأهمية خلال هذه المرحلة مسألة ارتباط الطفل بعمل أبيه وهو الجانب الذي لم يتلق الاهتمام الكافي على الرغم من أن بعض هؤلاء الباحثين يذكر أن القليل من الأطفال كان لديهم اتصال مباشر بعمل آبائهم ، كما أن

الكيفية التي يؤثر بها الآباء على اتجاهات الأطفال نحو العمل ، وما يقوم الأب بنقله إلى أطفاله حول ما يقوم هو بعمله لم تتم دراستها هي الأخرى .

وتشير أنا فرويد (١٩٦٥) Freud . A. إلى أن الأنا الأعلى للطفل يتطلب خلال مرحلتى الكمون والمراهقة دعمًا من الوالدين حتى يتم تعزيز وسائل الضبط الداخلية التي تظل حتى ذلك الوقت لا تحظى بالقوة الكافية . وتعتبر مناقشة بتيلهايم (١٩٧٦) Bettelheim عن تلك الحكاية المفقطة والمسماة « ملك الضفدع » The Frog King مثالاً جيداً عن تلك الوظيفة التي يؤديها الأب خلال الجزء الأخير من مرحلة الكمون فنجد أن الأميرة التي قامت بإعطاء الوعود تأخذ تلك الوعود مأخذ الجد ثم لا تريد أن تبقى على تلك الوعود بعد ذلك ، ولكن أبائها قد اضطرها إلى أن تبقى عليها ، وبذلك ساعدها على أن تخطو خطوة باتجاه قبول المسؤولية الخلقية وهو ما أدى بها إلى عالم المراهقة والعالم (الجنسى) للراشدين .

ويعمل حلول البلوغ الجنسى على إعادة صبغ الصورة التي يكونها الطفل عن والديه الذين - على الأقل في الثقافة الغربية - عادة ما تتسم ردود أفعالها للدلائل وشبكة الحدوث التي تميز المراهقة بقدر معين من الفهم والاستيعاب بالصبغة الجنسية . كما يكون الوالدان منشغلين بالحياة الجنسية لطفلها . ويعمل الأب على الإبقاء على وجود مسافة بين أجسام أطفاله خلال مرحلة الكمون ، ويميل هذا الاتجاه إلى الاستمرار خلال مرحلة المراهقة .

ويرى أنتونى (١٩٧٠) Anthony أنه من الضروري بالنسبة للوالدين أن يستجيبا لأبنائهما المراهقين كأفراد وليس على أساس من نماذج المراهقين . كما يرى أن المراهقة يمكن أن تعتبر عملية تعلم يمارس فيها المراهق دور الراشد بشكل ثابت وذلك تحت نظر شخص راشد لديه الخبرة ، ويتسم بروح الصداقة ، ويعمل على تشجيعه في الواقع على القيام بذلك . ويجب أن يحاول الآباء والأمهات الإبقاء على وجود علاقة يجربها المراهق على أنها صداقة وتعمل على مساعدته . وهذا يعنى أن الآباء على وجه الخصوص عليهم أن يعملوا على تعديل وضبط ردود أفعالهم لما وصفته أنا فرويد (١٩٥٨) Freud . A. بالمراهق العنيد أو المتصلب ، وما وصفه بيتر بلوس (١٩٦٢) P. Bloss بالوحدة الكلية للمراهق adolescent totalism .

ويلعب نضج الأب دورًا هامًا في مثل ردود الأفعال تلك . ويتضمن التراث التحليلي العديد من الإرشادات لردود أفعال الآباء التي تمثل خطورة على المراهق كتلك التي تصدر عن الآباء كثري النقد للمراهق أو الآباء الغيورين أو أولئك الذين يتدخلون في العلاقات التي يقيمها أبناؤهم مع أفراد من الجنس الآخر والذي يصل تدخلهم في بعض الأحيان إلى الدرجة التي تؤثر سلبًا على العلاقات والصدقات الجنسية الغيرية لأبنائهم ، أى الآباء الذين يتسمون بالتنافس الزائد والذين يوجهون النقد الزائد إلى أبنائهم الذكور ، والذين تتسم ردود أفعالهم للنضج المتطور لابنهم بالعدوانية .

ويشير أنتوني (١٩٧٠) Anthony إلى أن إحدى الطرق التي تبقى على وجود علاقة مع المراهق ( ومع الطفل الذى تتزعزع ثقته في والديه خلال مرحلة المراهقة ) تتمثل في مساعدة عملية الانفصال والوجود الشخصى أو الفردى للمراهق في الوصول إلى ذروتها حال دخول المراهق عالم الراشدين . وهذا بطبيعة الحال يساعد الوالدين وأطفالهما على إقامة علاقة يحصل كل منهم عن طريقها على السعادة الكاملة من الآخر . ويمثل ذلك بالنسبة للوالد أبا كان أو أمًا إعادة اكتشاف للطفل على أنه موضوع راشد ، وهو ما يحقق لها الرضا من جراء انفصال طفلها عنها بشكل مناسب خلال (عملية) المراهقة التي يمر بها .

ومن الواضح أننا نحتاج إلى إجراء كم كبير من الدراسات التحليلية كى نحاول أن نفهم الأب ومكانته ووظائفه التي يؤديها في حياة أطفاله خلال مرحلتى الكمون والمراهقة . وسوف تزودنا التحليلات التي سنقوم بإجرائها عن الآباء وأطفالهم خلال هذه الأعمار والمراحل بالعديد من المعلومات عن الكيفية التي يرى الأب نفسه بها دوره هذا . وتفيد الدراسات التي يتم إجراؤها في الجزء الأخير من مرحلة الكمون وفي مرحلة المراهقة على الأطفال الذى انفصل والداهم بالطلاق (Wallerstin & Kelly, 1974; Anthony, 1974) في أن توضح لنا من خلال الإحباطات التي يجربها الأطفال الصورة المثالية التي يود أولئك الأطفال أن يكون آباؤهم عليها . كما يتضح لنا أيضًا من خلال الأدلة المتاحة لدينا أن الأطفال خلال مرحلتى الكمون والمراهقة يرون أن الوجود الفعال للأب يعتبر أمرًا أساسيًا وضروريًا في سبيل تحقيق الرفاهية لهم . كما أن المحلل النفسى الذى يعمل مع المراهقين وأسرههم عليه أيضًا أن يعتبر وجود الأب عاملاً حاسمًا بالنسبة للام إذ يساعدها على التدخل في شئون أبنائها المراهقين لتصريفها ، ويحميها من الهجوم

الذى يشنه عليها أبنائها المراهقون بنون وبنات الذى غالبًا ما يتسم بدرجة كبيرة من العدوانية .

وأخيرًا ترى بنيديك ( ١٩٧٠ ) Benedek أنه بالنسبة لوالد الطفل الذى أصبح راشدًا فإن العجلة قد دارت دورة كاملة وأصبح الأب يواجه العديد من الصراعات التى تنشأ من جراء ضعف قواه مما يجعله فى حاجة إلى اتجاه ودود وكريم من ابنه وابنته كى يبقى له على تقديره لذاته تمامًا مثلما قام هو نفسه بمساعدة أطفاله على النمو من قبل حينما كانوا صغارًا وذلك عن طريق ما أحاطهم به من حب ، وبذلك يشعر الأب بأنه قد أصبح معتمدًا على أبنائه . وترى بنيديك Benedek أيضًا أن الاعتماد الاقتصادى للأب على أبنائه أو الغير إضافة إلى الاعتماد الانفعالى عليهم قد يزيدان من حاجته إلى التقدير والاحترام كما يظهر الحساسية من جانبه للإهمال والتجاهل الحقيقى أو المتخيل . وتشير أيضًا إلى مدى الصعوبة التى يواجهها الأبناء وخاصة الولد فى أن يتقمص انفعاليًا تلك الانفعالات التى تصدر عن أبيه الذى كان قويًا منذ فترة ليست ببعيدة والذى أصبح حال انحلال قواه معتمدًا على ما يلقاه من حب واحترام له وإعجاب به . وتعتبر بنيديك Benedek هذه العملية بمثابة إثبات لمغزى الوالدية ودلالاتها فى هوية الوالد .

### ملخص :

يتناول هذا الفصل التراث السيكلوجى من وجهة نظر التحليل النفسى عن دور الأب ووظائفه التى يؤديها فى حياة الطفل . وتركز نظريات التحليل النفسى الحديثة على أهمية الأب فى المساعدة على حدوث عملية التمايز النفسى والوجود الشخصى أو الفردى للطفل . ومن المعتقد أن التوحد المبكر من جانب الطفل بأبيه والذى يقوم على حب الطفل قبل الأودى المبكر للأب والإعجاب به كما وصفه فرويد Freud يقوى نمو الأنا واختبار الواقع لدى الطفل ، ويساعده على أن ينفصل عن أمه أى أن يصبح له وجود فردى أو شخصى بعيدًا عنها . وأثناء نضال الطفل المتحرك من أجل تحقيق استقلاله النفسى عن الأم يعرض الأب على الطفل علاقة أقل تضارياً أو إزدواجاً من علاقته بأمه . ويعتبر أتباع التحليل النفسى أن وجود كلا الوالدين ضرورى وأساسى لدعم النمو السليم للشخصية من جانب الطفل ، أما غياب أحدهما فيزيد من احتمال أن يصبح الطفل هدفًا لتلك العواطف التى تظهر بشكل أكثر ملاءمة فى العلاقة التى تجمع بين شخصين راشدين .

وقد أولت نظريات عديدة الاهتمام لجانب خاص من عملية الوجود الشخصي أو الفردى للطفل هو نمو هوية الجنس ويربط « النموذج الثلاثى للتثليث المبكر » The Tripartite model of early triangulation نمو مفهوم الذات بنمو هوية الجنس .

كما أن هناك ميلاً في كتابات التحليل النفسى إلى التأكيد على أهمية العلاقة قبل الأوديبيّة للطفل بالأب في نمو هوية الجنس بالنسبة للولد إلى جانب تجاهل نسبي لوظيفة الأب في دعم أنوثة ابنته والتي تتساوى بطبيعة الحال مع أهميته بالنسبة للولد . ومن ناحية أخرى يبدو أن هوية الجنس التي تتحقق بدرجة كبيرة وناجحة لدى البنت لا تعتمد فقط على التوحد الناجح للبنت مع أمها . وتؤكد الدراسات الإكلينيكية على أن النساء اللاتي تصادفهن بعض المشكلات في تكوين هوية للجنس خاصة بهن يدركن آباءهن على أنهم قد فشلوا في حمايتهن من أمهاتهن .

ومن الواضح في هذا الخصوص أن العلاقة قبل الأوديبيّة الحميمة بين الأب وابنته تساعد الأب على أن يصبح موضوعاً أوديبياً للحب بالنسبة لابنته . وإضافة إلى ذلك فإن العلاقة التي يسودها الحب والود بين الأب وابنته تزود البنت بمحك ذكري يساهم في تكوين أنوثتها الآخذة في النمو .

ومن الجدير بالذكر أن السنوات القليلة الماضية قد شهدت قدرًا كبيرًا من الاهتمام الذي أولاه الباحثون إلى تلك العملية النهائية التي يصبح الفرد من خلالها أبا . كما حاولت الدراسات التي أجريت في ضوء التحليل النفسى أن تقوم بتتبع تلك الخطوط النهائية developmental lines التي تتكامل خلالها رغبات الولد الصغير في أن يحمل أطفالاً ويلد هم ، وأن يقوم برعايتهم والاهتمام بهم - تلك الرغبات التي ترجع جزئياً إلى توحد مع الأم - تتكامل هذه الرغبات في شخصيته الآخذة في النمو عن طريق إقامة علاقة مشبعة مع الأب خلال مرحلة الكمون ، وتأخذ هذه الرغبات في النهاية شكل الرغبة في أن يصبح ذلك الولد أبا وهو ما يعنى أن هوية الأب قد أصبحت متضمنة في هوية الجنس الذكورية بالنسبة للولد .

وقد كشفت الدراسات أيضاً عن أنه من الصعب على الفرد أن يصبح أبا فاضلاً (جيداً) إذا لم يكن قد مر بخبرة جيدة مع أبيه . وتوضح الدراسة التفصيلية عن الأب

المستقبلي أنه قد يجبر الحمل على أنه تحد نهائي يعتبر بمثابة جانب هام يتعلق برغبته في التوصل إلى تفاهم مع أبيه هو نفسه .

ومن ناحية أخرى فإن دور الأب خلال مرحلتى الكمون والمراهقة من مراحل نمو أطفاله لم ينل سوى القدر الضئيل من الاهتمام قياسًا بما ناله من اهتمام خلال المراحل النمائية السابقة على هاتين المرحلتين . كما أنه قد تمت مناقشة التراث السيكلوجى المتاح فيما يتعلق بالسلوك والاتجاهات التى تعد مرغوبة أو غير مرغوبة خلال هذه الأعمار ، وقد اشتقت النتائج التى تم التوصل إليها فى هذه الدراسات التى يتضمنها ذلك القدر من التراث السيكلوجى المتاح من خلال الدراسة الإكلينيكية للأطفال والمراهقين الذى لعبت بالنسبة لهم الآثار السلبية ( المدمرة ) لسلوك الأب واتجاهاته دورها فى تشكيل صورتهم الباثولوجية ( المرضية ) النهائية .

\* \* \*

## مراجع الفصل الثانی

- Abelin, E. L. (1971). the role of the father in the separation individuation process. In J. B. McDevitt, & C. F. Settlage (Eds.), Separation-individuation. New York : International Universities Press.
- Abelin, E. L. (1975). Some further observations and comments on the earliest role of the father. *International Journal of Psychoanalysis*, 56, 293-302.
- Abelin, E. L. (1977). The role of the father in core gender identity and in psychoanalytic differentiation. Presented at the Annual Meeting of the American Psychoanalytic Association. April 1977. Panel discussion reported by Robert C. Prall, *Journal of the American Psychoanalytic Association*, 26, 143-161.
- Abelin, E. L. (1980). Triangulation, the role of the father and the origins of core gender identity during the rapprochement sub phase. In R. Lax. S. Bach. & A Burland (Eds.), *Rapprochement* New York : Jason Aronson.
- Anthony, E. J. (1970). The reactions of parents to adolescents and to their behavior. In E. J. Anthony. & T Benedek (Eds.), *Parenthood*. B8ston: Little, Brown.
- Anthony, E. J. (1974). Children at risk from divorce: A review In E. J. Anthony, & C. Koupernic (Eds.), *The child in his family: Children at psychiatric risk*. Vol. 3. New York :Wiley.
- Bell, S. (1970). The development of the concept of object as related to infant-mother attachment. *Child Development*, 41, 291-311.
- Benedek, T. (1959). Parenthood as a developmental phase. *Journal of the American Psychoanalytic Association*, 7, 389-417.
- Benedeck, T. (1970). Father and providing. In E. J. Anthony, & T. Benedek (Eds.), *Parenthood*. Boston : Little, Brown.
- Benedek, T. (1970). Parenthood during the life cycle. In E. J. Anthony, & T. Benedek (Eds.), *Parenthood*. Boston : Little, Brown.
- Bettelheim, B. (1976). *The uses of enchantment :The meaning and importance of fairy tales*, New York : Knopf.

- Blos, P. (1962). On adolescence. New York :Free Press.
- Blum, H. (Ed.) (1977). Femalt: psychology : Contemporary pschyoanalytic views. New York: International Universities Press.
- Boehm, F. (1930). The femininity complex in men. The International Journal of Psychoanalysis, 11, 444-469.
- Brenner, C. (1980). Metapsychology and psychoanalytic theory. The Psychoanalytic Quarterly, 49, 189-214.
- Burlingham, D. (1945). The fantasy of having a twin. Psychoanalytic Study of the Child, 1, 205-210.
- Burlingham, D. (1972). Some problems of ego development in blind children . In Psychoanalytic studies of the sighted and the blind. New York: International Universities Press.
- Burlingham, D. (1973). The pre-oedipal infant-father relationship. Psychoanalytic Study of the Child, 28, 23-47.
- Clower, V. (1970). The development of the child's sense of his sexual identity : Panel Report. Journal of the American Psychoanalytic Assocation, 18, 165-176.
- Edgecumbe, R. & Burgner, M. (1975). The phallic -narcissistic phase: The differentiation between pre-oedipal and oedipal aspects of development. Psychoanalytic Study of the Child, 30, 161-180.
- Edgecumb, R., et al. (1976). Some comments on the concept of the negative oedipal phase in girls. Psychoanalytic Study of the Child, 31,35-61.
- Fast. 1.. (1979). Developments in gender identity: The original matrix. International Review of Psychoanalysis. 60, 443-453.
- Fenichel O. (1945). The pschoanalytic theory of neurosis. London: Rutledge and Kegan paul.
- Fraiberg, S., & Freedman, D., (1964). Studies in-the ego development of the econgenitally blind child. Psychoanalytic Study of the Child,19,113-157.
- Fraiberg, S. (1969). Libidinal object constancy and mental representation. Psychoanalytic Study of the Child,. 24,9-47.
- Frankel, S. A., & Sherick, I. (1979). Observations of the emerging sexual identity of three to four-year-old children : With emphasis on female sexual identity. International Review of Psychoanalysis, 6, 297-309.

- Freud, A. (1969). The contributions of psychoanalysis to genetic psychology (1950). In *The writings of Anna Freud*, Vol. 4 London: Hogarth.
- Freud, A. (1969). Observations on child development (1951). In *The Writings of Anna Freud*, Vol. 4 London: Hogarth.
- Freud, A. (1969). Problems of infantile neurosis: Contributions to the discussion (1954). In *The writings of Anna Freud*, Vol. 4 London: Hogarth.
- Freud, A. (1958). Adolescence. *Psychoanalytic Study of the Child*. 13, 255-278.
- Freud, A. (1965). Normality and pathology in childhood. New York: International Universities Press.
- Freud, A. (1971). Difficulties in the path of psychoanalysis: A confrontation of past with present viewpoints (1968). In *The writings of Anna Freud*, Vol. 7 New York: International Universities Press.
- Freud, A. (1971). A discussion with Rene Spitz (1970). In *The writings of Anna Freud*, Vol 7. New York: International Universities Press.
- Freud, A., & Burlingham, D. (1973). Infants without families (1944). In *the writings Anna Freud*, Vol 3. New York: International Universities Press.
- Freud, S. (1955). Analysis of a phobia in a five-year-old boy (1909). *Standard Edition*, vol. 10. London: Hogarth.
- Freud, S. (1955). A child is being beaten: A contribution to the study of the origins of sexual perversions (1919). *Standard Edition*, Vol. 17. London: Hogarth.
- Freud, S. (1955). Group psychology and the analysis of the ego (1921). *Standard Edition*, Vol. 18. London: Hogarth.
- Freud, S. (1955). Two encyclopedia articles (1923). *The Standard Edition*, vol. 18 London: Hogarth.
- Freud, S. (1961). The dissolution of the Oedipus Complex (1924). *Standard Edition*, Vol. 19. London Hogarth.
- Freud, S. (1961). The future of an illusion (1927). V 01.21. London: Hogarth.
- Freud, S. (1961). Female sexuality (1931). *Standard Edition*, Vol. 21. London: Hogarth.
- Galenson, E., & Roiphe, H. (1977). Some suggested revisions concerning early female development. In H. Blum (Ed.), *Female psychology*: New York: International Universities Press.

- Galenson, E., & Rroiphe, H. (1979). The development of sexual identity : Dsicoveries and implications. In T. B. Karasu & C. W. Socarides (Eds.), On sexuality : Psychoanalytic observations. New York : Imematioflat UiliverJities Press.
- Gouin-Decarie, T. (1965). Intelligence and affectivity in early childhood. New York : International Universities Press.
- Greenacre, P. (1958). Early physical determinants in the development of the sense of identity. Journal of the American Psychoanalytic Association,, 6, 612-627.
- Greenacre, P. (1960). Conserdations regarding the parent-infant relationship. International Journal of Psychoanalysis, 41, 571-584.
- Greenacre, P. (1966). Problems of over idealization of the analyst and of analysis. Psychoanalytic Study of the Child, 21,193-212.
- Greenacre, R. (1978). A transsexual boy and an hypothesis (1966). In Explorations in psychoanalysis. New Y crk International Universities Press.
- Greenson, R. (1978). Disidentifying from mother : Its special importance for the boy (1968). In Explorations in psychoanalysis. New York : International Universities Press.
- Grossman, W. I. (1976). Discussion of Freud and female sexuality. International Journal of Psychoanalysis,, 57.301-305.
- Gurnitt, A. R. (1976). Aspects of prospective fatherhood. Psychoanalytic Study of the Child, 31, 237-270.
- Hartmann, H., (1950). Psychoanalysis and developmental psychology. Psychoanalytic Study of the Child, 5. 5-17.
- Hartmann, H., & Kris, E. (1945). the genetic approach in psychoanalysis. Psychoanalytic Study of the Child, 1, 11-29.
- Herzog, J. (1978). Attachment, attunement and abuse: An occurrence in certain premature infant-parent dyads and triads. Unpublished manuscript.
- Herzog, J. December, (1979).The father's role in the modulation of aggressive drive and fantasy. paper presented at the fall meeting of the American Psychoanalytic Association, New York City.
- Herzog J. (1980). Sleep disturbance and father hunger in 18-28 month old boys: The Erlkonig syndrome. Psychoanalytic Study of the Child, 35, 219-233.

- Jacobson, E. (1950). Development of the wish for a child in boys. *Psychoanalytic Study of the Child*, 5, 139-152.
- Jacobson, E. (1964). *The self and the object world*. New York : International Universities Press.
- Jaffe, D. S. (1977). The masculine envy of woman's procreative function. In H. Blum (Ed.), *Female psychology : Contemporary psychoanalytic Views*. New York: International Universities Press.
- Karasu, T. B., & Socarides, C. W. (Eds.) (1979). *On sexuality : Psychoanalytic observations*. New York : International Universities Press.
- Kestenber, J. (1970). The effect on parents of the child's transition into and out of latency. In E.J. Anthony, & T. Benedek (Eds.), *Parenthood*. Boston : Little, Brown.
- Kestebeg, J. (1975). *Children and Parents*. New York: Jason Aronson.
- Kleeman, J. (1965). A boy discovers his penis, 20, 239-266.
- Kieeman, J. (1966). Genital discovery during a boy's second year: A follow-up. *Psychoanalytic Study of the Child*, 21, 358-392.
- Kleeman, J. (1976). The peek-a-boo game. Part 1 :Its origins, meanings and related phenomena in the first year, *Psychoanalytic Study of the Child*, 22, 239-273.
- Kleerr.an, J. (1977). Freud's views on early female sexuality in the light of direct child observation. In H. Blum (Ed.), *Female sexuality contemporary psychoanalytic views*. New York: International Universities Press.
- Klein, G. (1976). *Psychoanalytic theory*. New York : International Universities Press.
- Kohut, H. (1971). *The analysis of the self*. New York: International Universities Press.
- Kolansky, H., & Moore, W. T. (1966). Some comments on the simultaneous analysis of a father and his adolescent son. *Psychoanalytic Study of the Child*, 21, 237-268.
- Lamb, M. E. (Ed.) (1976). *The role of the father in child development*. New York : Wiley.
- Lax, R. F. Bach, S., & Burr land, A. (Eds.) (1980). *Rapprochement: The critical sub phase of separation individuation*. New York : Jason Aronson.

- Leonard, M. (1966). Fathers and daughters. *International Journal of Psychoanalysis*, 47, 325-334.
- Loch, W., & Jappe, G. (1974). Die Konstruktion der Wirklichkeit und die Phantasien. *Psyche*, 28, 1-31.
- Loewald, H. (1951). Ego and reality. *International Journal of Psychoanalysis*, 32, 10-18.
- Mächtlinger, V. (1976). Psychoanalytic theory: Preoedipal and oedipal phases with special reference to the father. In M. E. Lamb (Ed.), *The role of the father in child development*. New York :Wiley.
- Mahler, M. (1979). Rapprochement :Subphase of the separation individuation process (1972). In *The selected papers of Margaret S. Mahler*, Vol. 2. New York: Jason Aronson.
- Mahler, M. & Gosliner, R. (1955). On symbiotic child Psychosis: Genetic, Dynamic and restitutive aspects. *Psychoanalytic Study of the Child*, 10, 195-212.
- McDougall, J. (1979). The homosexual dilemma : A clinical and theoretical study of female homosexuality. In I. Rosen (Ed.), *Sexual deviation* (2nd ed.). New York: Oxford University Press.
- Moore, W. T. (1974). Promiscuity In a thirteen year old girl. *Psychoanalytic Study of the Child*, 29, 301-318.
- Neubauer, P. (1960). The one-parent child and his oedipal development. *Psychoanalytic Study of the Child*, 15, 286-309.
- Ney, P. (1979). The psychoanalytic theory of cognitive development. *Psychoanalytic Study of the Child*, 34, 169-216.
- Parens, H., Pollock T. J., Stern, J., & Kramer, S. (1977). On the girl's entry into the Oedipus complex. In H. Blum (Ed.), *Female psychology : Contemporary psychoanalytic views*. New York: International Universities Press.
- Paul, N. L. (1970). Parental empathy. In E. J. Anthony, & T. Benedek (Eds.), *Parenthood*. Boston: Little, Brown.
- Ritvo, S., McCollum, A. T., Omwake, E., Provence, S., & Solnit, A. I. (1963). Some relations of constitution, environment and personality as observed in a longitudinal study of child development. In A. I. Solnit, & S. Provence (Eds.), *Modern perspectives in child development*. New York: International Universities Press.

- Ritvo, S. (1971). Late adolescence. *Psychoanalytic Study of the Child*, 26, 241-263.
- Ropihe, H. (1968). On an early genital phase. *Psychoanalytic Study of the Child*, 23, 348-365.
- Rosen, L. (1979). The general psychoanalytic theory of perversion: A critical and clinical review. In I Rosen (Ed.), *Sexual deviation* (2nd ed.). New York: Oxford University Press.
- Ross, J. M. (1975). The development of paternal identity. A critical review of the literature on nurturance and generativity in boys and men. *Journal of the American Psychoanalytic Association*, 23, 783-817.
- Ross, J. M. (1977). Toward fatherhood The epigenesis of paternal identity during a boy's first decade. *International Review of Psychoanalysis*, 4, 327-347.
- Ross, J. M. (1979). Fathering : A review of some psychoanalytic contributions on paternity. *International Journal of Psychoanalysis*, 60, 317(a).
- Ross, J. M. (1979b). Paternal identity: The equation of fatherhood and manhood. In T. B. Karasu, & C. W. Socarides (Eds.), *On sexuality Psychoanalytic observations*. New York International Universities Press.
- Rotmann, M. (1978). "Über die Bedeutung des Vaters in der Wiederannaherungs-Pahse" *Psyche*, 32, 1105-1147.
- Rotmann, M. (1979). Der Vater der fruhen Kindheit-eing struh.wrbildendes drittes Objekt. Unpublished manuscript of a lecture presented at the Psychoanalytic Seminar, Basel, November 1979 and at a meeting of the Gennan Psychoanalytic Association in Stuttgart, November.
- Sandler, J., & Rosenblatt, B. (1962). The concept of the representational world. *Psychoanalytic Study of the Child*, 17, 128-145.
- Schafer, R. (1976). *A new language for psychoanalysis*. New Haven: Yale University Press.
- Socarides, C. W. (1968). *The overt homosexual*. New York: Grune and Stratton.
- Spitz, R. (1965). *The first year of life*. New York : International Universities Press.
- Sprince, M. (1962). The development of a pre-oedipal partnership between an adolescent girl and her mother. *Psychoanalytic Study of the Child*, 17, 418-424.

- Stoller, R. (1975). *The transsexual experiment: Sex and gender*, Vol. 2. London : Hogarth.
- Stoller, R. (1977). Primary femininity. In H. Blum (Ed.), *Female psychology :Contemporary psychoanalytic views*. New York : International Universities Press.
- Van der Leeuw, P. J. (1958). The pre-oedipal phase of the male. *Psychoanalytic Study of the Child*, 13, 352-374.
- Volkan, V. D. (1979). Transsexualism :As examined from the viewpoint of internalized object relations. In T. B. Karasu, & C. W. Socarides (Eds.), *On sexuality : Psychoanalytic observations*. New York :International Universities Press.
- Wallerstein., J. S., & Kelly, J. B. (1974). The effects of parental divorce : The adolescent experience. In E. J. Anthony, & C. Koupemick (Eds.), *The child in his family : Children at psychiatric risk*, Vol. 3. New York :Wiley.
- Weissman, P. (1963). The effects of pre-oedipal attitudes on development and character. *International Journal of Psychoanalysis*, 44, 121-131.
- Wolff, P. H. (1960). *The developmental psychologies of Jean Piaget and psychoanalysis*. New York : International Universities Press.
- Winnicott, D. W. (1975). The theory of the parent-infants in a set situation (1941 ). In *Through paediatrics to psychoanalysis*. London : Hogarth.
- Winnicott, D. W. (1960). The theory of the parent - infant relationship. *International Journal of Psychoanalysis*, 41, 585-595.
- Winnicott, D. W. (1965). *The maturational processes and the facilitating environment*. London : Hogarth.

\* \* \*



## الفصل الثالث

### الرعاية الوالدية الذكرية للصغار من فصائل القرود والقردة العليا

وليام ريديكان ودافيد توب

William K. Redican

David M. Taub



شهدت السنوات الماضية تقدمًا هائلًا في الاهتمام بدور الذكور في نمو الثدييات غير الإنسانية التي لم تنضج بعد . ويرجع ذلك إلى عدد من العوامل التي ساهمت كثيرًا في ذلك التطور والتي يمكن أن نحدد منها ما يلي :

أولاً : شهدت تلك الفترة اهتمامًا كبيرًا بذلك الارتباط بين الرعاية وبين غيرها من أنماط السلوك التعاوني والغيرى من ناحية ، وبينها وبين جذورها الوراثية من ناحية أخرى . ففي ظل الظروف الطبيعية يمكن التأكد من أن الصغير يحمل نصف عدد الجينات الموجودة لديه من أمه ، ولكن احتمال أن يكون حيوان ذكر صغير أو كبير معين لديه هذا الارتباط الوراثي يختلف كثيرًا طبقًا لطبيعة نظام التزاوج السائد بين تلك الأجناس والأنواع وتنظيم الجماعة الذى يمتد من ذلك النظام الأحادى للتزاوج إلى النظام المختلط . وبذلك أصبحت الثدييات الذكرية غير الإنسانية تحت الفحص الدقيق في السنوات الأخيرة وذلك للتحقق من صحة بعض النظريات الأساسية السائدة حول السلوك الاجتماعى الذى ينبثق عن البيولوجيا التطورية .

ثانيًا : قد يكون صحيحًا أن نقول أن الباحثين الذين تناولوا الثدييات غير الإنسانية قد ساروا على نهج زملائهم الذين قاموا بدراسة العلوم الاجتماعية والإنسانية واتجاهاتها في المجتمعات المختلفة بوجه عام . أى أنه قد حدث انتقال تطورى ابتعد عن النظر إلى الإناث على أنهم القائمان على أمر رعاية الصغار ، وهو ما يوضحه هذا الكتاب . وقد شجعت تلك الاتجاهات على حدوث تغير مشابه في التفكير حول الأنساق الاجتماعية للثدييات غير الإنسانية .

ثالثًا : هناك كم متزايد من المعلومات تم الحصول عليها من الدراسات الميدانية والمعملية التي تناولت سلوك من معنا في سلم الثدييات . وليس من السهل أن ننسى أن هذا النظام للثدييات يعتبر حديثًا نسبيًا إذ بزغ فقط في العقود القليلة الماضية حيث كانت هناك فرصة في تلك السنوات لإختبار مدى من الأسئلة أكبر مما كان ممكنًا من قبل في ظل الأساليب والتوجهات المفاهيمية السابقة والتي كانت سائدة آنذاك . وقد تأثر فهم الدور الذكرى كثيرًا بهذا التطور الذى شهدته تلك العقود الماضية .

ويهدف هذا الفصل إلى تقديم نظرة عامة عن أنماط الرعاية الأبوية لدى فصائل مختلفة من القردة العليا وذلك للقراء الذين ليست لديهم دراية بكثير مما يشتمل عليه التراث السيكولوجي حول الثدييات . ولكننا نثق من أن دارسى الثدييات سوف يستفيدون هم أنفسهم منه أيضاً حيث يتضمن العديد من المعلومات الحديثة الهامة إذ اشترك في إعداده أحد الباحثين المعملين في علم النفس هو المؤلف الأول وأحد الأنثربولوجيين وهو المؤلف الثانى وذلك لتقديم نظرة متكاملة حول هذا الموضوع .

وسوف يكون من المفيد أن نقدم لهؤلاء القراء الذين لديهم دراية محدودة بتصنيف الثدييات وتنظيم الجماعة ملخصاً سريعاً عن ملامحه الأساسية ، فيتضمن سلم الثدييات تصنيفين فرعيين هما :

١ - ما قبل القردة Prosimans .

٢ - الحيوانات الشبيهة بالإنسان anthropoids .

أما الأول فهو عبارة عن كائنات صغيرة ليلية تسكن الأشجار في الأساس ، وقد وجدت في كل من آسيا وأفريقيا . كما أنها احتفظت بسماها الحسية للثدييات البدائية كحاسة الشم والغدد الشمية والمخالب والكفوف ( بدلاً من الأظافر والأيدى ) في بعض الحالات . ونظرًا لأن ما يتوفر لدينا من معلومات حول سلوك هذه الفئة لا يزال ضئيلاً ، كما أنه يرتبط فقط بالجنس البشرى من بعيد ، فسوف لا يتم تضمين هذه الفئة في مسحنا الحالي .

أما التصنيف الثانى والذي يضم الحيوانات الشبيهة بالإنسان فيتكون من ثلاث عائلات أساسية هي :

١ - قردة العالم الجديد .

٢ - قردة العالم القديم .

٣ - القردة العليا والادميين .

وتوجد قردة العالم الجديد في جنوب ووسط أمريكا حيث تتميز ما قبل قردة العالم الجديد new world prosimians بشكل مستقل عن القردة الأخرى منذ العصر الحديث السابق والمعروف بالعصر الفجرى . Eocene وبذلك فقردة العالم الجديد لا ترتبط في النسب بقردة العالم القديم ، ولكن أى تشابه يوجد بين هاتين المجموعتين من القردة قد نتج عن تطور مواز . فلا تزال قردة العالم الجديد تسكن الأشجار ، كما أن

فصيلة واحدة منها فقط هي التي تعتبر ليلية . وتوجد قرودة العالم القديم في آسيا وأفريقيا وأوروبا ( حيث احتفظ الإنجليز في جبل طارق وهي إحدى مستعمراتهم التي كانوا يحتلونها بقرودة المكاك وهي في الأساس نوع من القردة الآسيوية ) . وتمثل تلك القردة مجموعة متنوعة وكبيرة وتشغل تنوعاً في البيئات التي تعيش فيها والتي يمتد مداها من سفوح جبال الهيمالايا إلى شبه الصحراء الأثيوبية . ومعظم هذه القردة من النوع شبه الأرضي . وتوجد أربع جماعات أساسية من القردة العليا هي :

١ - الجببون gibbons .

٢ - السومطرة وثيقة الصلة بالجبون Siamangs .

٣ - إنسان الغاب orangutans وهو ضرب من القرد العليا الشبيهة بالإنسان يقطن في بورنيو وسومطرة .

٤ - الغوريلا والشمبانزي gorillas & chimpanzees .

وتعتبر كل هذه الجماعات من القردة العليا بلا ذيل وذات أحجام كبيرة نسبياً . وتوجد في آسيا وأفريقيا ، كما أنها معروفة جيداً بقدراتها المعرفية التي تميزها عن غيرها . ويشمل التنظيم الاجتماعي للقردة العليا ذلك التنظيم الانفرادي السائد (إنسان الغاب) ، والوحدات الأسرية أحادية التزاوج ( الجبون والسومطرة ) ، والجماعات ( الغوريلا والشامبانزي ) . ولزيد من الاطلاع يمكن الرجوع إلى :

- Chance & C. J. Jolly, 1970.

- Napier & Napier. 1967.

- A. Jolly, 1972.

- Eisenberg, Muckenhirn, & Rudran, 1972.

- Daly & Wilson, 1978.

وغالباً ما يكون من المستحيل إقامة علاقات نسب بكل يقين بين الثدييات غير الإنسانية ، وعلى ذلك يجب أن نتجنب استخدام مصطلحات مثل « الأب » ، إلا أن مصطلحات مثل « الرعاية الذكورية » أو « الرعاية الأبوية » قد تم استخدامها في العديد من الأمثلة التي سقناها في هذا الفصل الحالي حيث تعتبر متحررة من تضمن النسب ، كما يمكن تطبيقها على نطاق واسع ، ويبدو أنه من المحتمل قبولها من جانب الباحثين في سياقات مختلفة ، كما أن لها مصطلحات مقابلة يتم استخدامها مثل « الرعاية الأنثوية »

أو « الرعاية الأمومية » . ويبدو أن مثل هذه المصطلحات قد أصبحت تشكل مجموعات فرعية لفئة أنماط السلوك التي يشار إليها على أنها « استثمار والدي » عرفه ترايفرز (1972) Trivers في عمله المتميز الذي قدمه على أنه « أي استثمار يقوم به الوالد في أي فرد من أبنائه يزيد من فرصة هذا الفرد في البقاء - ومن ثم تحقيق النجاح التناسلي - على حساب قدرة الوالد على الاستثمار الأيضى metabolic investment في إنتاج الخلايا الجنسية وأي استثمار سلوكي يفيد الصغار ، إلا أنه لا يتضمن تلك الجهود التي تبذل لاتخاذ قرين ، وتلك التي تبذل في منافسة الآخرين على الاقتراب من قرين ما .

ويبدو أن مفهوم اصطفاء النسب أو اختياره Kinship selection يعد مفهومًا مفيدًا في تناول العلاقة بين نظم التزاوج ( كالتزاوج بواحدة فقط على سبيل المثال ) والاستثمار الوالدي ( كالرعاية الأبوية مثلاً ) . ويمكن تصنيف نظم التزاوج بوجه عام كما يلي :

- الاقتران بواحدة فقط monogamy وهو عبارة عن موقف يقوم فيه ذكر واحد وأنثى واحدة بتكوين علاقة ثنائية لفترات متفاوتة من الزمن قد تتراوح بين موسم تزاوج واحد إلى الاستمرار مدى الحياة .

- تعدد الزوجات أو الأزواج : Polygamy ( عدة قرناء ) وهو مصطلح جنسى generic يتضمن وجود أكثر من قرين واحد في موسم تزاوج واحد . ويتضمن تعدد الزوجات أو الأزواج عدة تصنيفات فرعية هي :

( أ ) تعدد الزوجات : polygyny وفيه يقوم ذكر واحد معين بالاقتران بأكثر من أنثى واحدة في موسم تزاوج واحد .

( ب ) تعدد الأزواج : Polyandry وفيه تقوم أنثى واحدة معينة بالاقتران بأكثر من ذكر واحد في موسم تزاوج واحد .

( ج ) الاختلاط أو عدم التمييز Promiscuity أو تعدد الزيجات القصيرة Polybrachygamy ( Selander, 1972 ) وفيه يقوم فرد واحد بالاقتران بأكثر من قرين واحد لكل من الذكر والأنثى .

وهناك اختلافات قد تحدث في هذه الموضوعات ، فيذكر بيتر سكوت P. Scott على سبيل المثال ( نقلاً عن Evans 1974 ) أن ذكر الأوز يمكنه أن يقيم علاقة تزاوج أحادي مع ذكر male آخر تستمر مدى الحياة ، إلا أن أحدهما قد يقترن بأنثى من وقت لآخر .

ويعتبر تدبير الشئون المنزلية *menage* الذى يحدث من جراء ذلك أكثر نجاحًا في تربية الأبناء منه في إقامة علاقة بين ذكر وأنثى حيث يقوم الذكور بحماية الأبناء . وهناك من الأدلة ما يؤكد أن نظام الزواج الأحادى والزواج المتعدد موجودان في البشر أيضًا .

وتعتبر الملاحظة الدقيقة التى ترى أن الارتباطات الثنائية أى الزواج الموجودة في العديد من المجتمعات بمثابة قلب للمقاييس لصالح الزواج الأحادى ، كما توجد حدود شرعية رسمية شديدة وعديدة تنظم تلك الزيجات في العديد من المجتمعات إذ يتساوى الذكور والإناث من ذوى الزيجات الأحادية في عددهم تقريبًا وذلك على العكس من تلك الحيوانات متعددة التزاوج نظرًا لقيام الذكور والإناث في الزيجات الأحادية بأدوار اجتماعية متساوية نسبيًا . وبالنسبة لبنى البشر نجد أن حجم ازدواج الهيئة أو الشكل *dimorphism* لا يزيد عن مثيله لدى الكثير من المخلوقات أحادية التزاوج . ومن ناحية أخرى فإن الذكور الأدميين الذين يسود بينهم تعدد الزوجات أو الزواج المختلط ليسوا من الملونين بشكل يفوق الإناث كما هو الحال بالنسبة للنوعيات الأخرى من الكائنات .

ومع ذلك فإن تعدد الزوجات يعتبر من الأعراف السائدة في العديد من المجتمعات ، فنقول على سبيل المثال « الحريم » *harem* ، التى ترجع إلى الكلمة العربية « حرمة » التى تعنى أنها محرمة على غيره . وعلاوة على ذلك فإن الذكور الأدميين يعتبرون بشكل كلى أكثر عدوانية من النساء (Maccoby & Jacklin, 1974) وهى خاصية غالبًا ما توجد بين الذكور متعددى الزيجات في تنافسهم مع بعضهم البعض . وتوجد في المجتمع الأمريكى على الأقل العديد من المصادر التى تستغل في الإعلانات التى يستخدمها الذكور في منافسة بعضهم البعض من أجل الفوز بالإناث والتى يمكن أن نشبهها بنظم التزاوج غير الإنسانية التى تسبق فيها المغازلة من جانب الذكور حالات الجماع في حالة تعدد الزوجات . وعلاوة على ذلك فعلى الرغم من أنه يتضح بشكل جلى أن الذكور الأدميين غير الملونين لا يزيدون في عددهم عن الملونات من النساء كما هو الحال بالنسبة للنوعيات الأخرى من الكائنات التى يسود بينها تعدد الزيجات والتزاوج المختلط ، فإن وجود شعر في الوجه قد يكون له دوره في إبداء العدوان الجنسى مثلما يحدث بالنسبة لعملية التلوين ( الملونين وغير الملونين ) في حد ذاتها (راجع : Hamilton, 1973) . وعلى ذلك فإن الجنس البشرى يقف في مواجهه تصنيف سطحي يجب ألا يندعش منه أحد ، وأن احتمال تطبيق مبادئ السلوك التى تتعلق بنظامى الزواج

الأحادى والمتعدد على حالة البشر والأمور المرتبطة بهم تشتق من هذا التصنيف وتعتبر أكثر أهمية من ذلك التصنيف الإسمى .

وقد أسهم ظهور نظرية النشوء والارتقاء وبسبب ما تتضمنه من أن إفراز بويضة أنثوية يحتاج إلى الكثير جدًا من الطاقة أكثر مما يبذل في سبيل إفراز حيوان منوى فإنها أسهمت في ظهور تلك الصياغة التي ترى أن الجاميتات الأنثوية gametes تعتبر من أكثر المصادر في محدوديتها ، وأنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة لأنثى معينة من الثدييات أن تتزاوج وذلك بشكل يفوق أى ذكر معين من الثدييات . ومن المزايا التطورية للذكر أنه يحاول أن يقوم بإخصاب العديد من الإناث بقدر الإمكان . وتصبح نتيجة هذه الاحتمالات أن تكون الحيوانات في الأساس متعددة الزوجات ، وعلى وجه الخصوص متعددة الزوجات ، ومن ثم يصبح التزاوج الأحادى حالة أكثر ندرة أو مشتقة من ذلك الوضع (Wilson, 1975). ويعتبر مفهوم اصطفاء الأقارب أو اختيارهم من المفاهيم الجوهرية التي طرحها البيولوجيون المهتمون بارتقاء الكائنات ، وهو ذلك المفهوم الذى يتعلق بالعناية الوالدية سواء كانت من قبل الذكر أو غيره . ويعتبر داروين Darwin في نظريته عن أصل الأنواع (1859) origin of species هو أول من قدم ذلك المفهوم .

وكما يتضح في الوقت الحالى وخصوصًا من خلال تفسير هاميلتون (1964) Hamilton الذى قدمه في إسهاماته الهامة ، فإن هذا المفهوم يقترح أن المدى الذى يمكن فيه لحيوان ما أن يرتبط بحيوان آخر يعتبر متغيرًا على درجة كبيرة من الأهمية ويؤثر في الدرجة التى يمكن لذلك الحيوان أن يسلك إلى حدها وذلك بغرض تعزيز احتمال بقاء الآخر . وسوف يقوم الأفراد أيضًا على المدى البعيد بمخاطرات كبرى تزيد من لياقة الآخر أو مدى ملاءمته وتكيفه إذا كان هذا الشخص الآخر قريبًا من الدرجة الأولى وليس قريب له من بعيد . ومن خلال التصرف بهذا الأسلوب ( الحماية ) والذى يزيد من فرص بقاء الأبناء فإنه يصبح من المحتمل بالنسبة للفرد أن يقلل من معدل لياقته ( ملاءمته ) وتكيفه . ويعتبر هذا العامل مع ذلك بمثابة استثمار جينى فى الأبناء ، وإذا ازدادت هذه اللياقة ( الملاءمة ) الجينية المشتركة بين ذلك العامل والأبناء فى الجيل التالى وذلك من جراء التحسين الذى يسببه هذا العامل فإنه سوف يتم اصطفاء أو اختيار ذلك السلوك وازدهاره ، بمعنى أن الجينات التى يتم اصطفاؤها تدوم للأبد ، وأن الكائنات العضوية التى يتم اصطفاؤها

تصبح هى تلك التى تعمل على مساعدة الأفراد الذين تربطهم قرابة وثيقة أو من الدرجة الأولى. (ولمزيد من الاطلاع يمكن مراجعة: Dawkins, 1976; Wilson, 1975; Barash, 1977; Kurland, 1977; Wilson, 1978).

وعندما ينطبق هذا المفهوم على الثدييات أحادية التزاوج يبدو من الواضح أن الحيوانات الصغيرة التى يقوم الذكر بحمايتها ورعايتها يصبح من المحتمل بالنسبة لها أن تكون من أقاربه، وهو نسق لا يتضمن بالضرورة التعرف على القرابة. وتميل الاستثمارات التى يقوم بها الذكر فى أنشطة الرعاية إلى أن تزيد من احتمال انتقال جيناتها الوراثية إلى الأجيال التالية. ومن المحتمل أن ذلك الاستثمار الذى يقوم به كلا الوالدين من خلال قيامهما بأنشطة الرعاية قد يجعل إنجاب التوائم ممكناً فى الجماعات أحادية التزاوج. أما فى الجماعات التى يسود فيه التزاوج المختلط فإن الذكور الراشدين والحيوانات غير الناضجة تختلف فى مدى علاقات القرابة فيما بينها، وقد يكون الاستثمار الذى يتم عن طريقه الرعاية الوالدية غير ذى قيمة تطورية بالنسبة لذلك الذكر الراشد. ولذلك فقد نتوقع أن نجد قدرًا أقل من الاستثمار الوالدى الذكرى فى الجماعات التى يسود فيها نظام التزاوج المختلط أو متعدد الزوجات. وقد كان ذلك النمط فى الواقع هو النمط الذى تمت ملاحظته، إلا أننا تقدمنا فى وصفنا بعد ذلك من تلقاء أنفسنا. والآن ننتقل إلى تناول المعلومات المتعلقة بجماعات معينة من القردة والقرود العليا فى ثلاث مجموعات أساسية هى:

- ١ - النسق الاجتماعى أحادى التزاوج.
- ٢ - النسق الاجتماعى متعدد الذكور والإناث.
- ٣ - النسق الاجتماعى الذى يضم ذكراً واحداً وإناثاً عديدات (تعدد الزوجات).

### أولاً: الجماعات أحادية التزاوج:

يعيش عدد قليل نسبياً من الثدييات غير الإنسانية فى وحدات اجتماعية أحادية التزاوج، وتتكون مثل هذه الوحدات من ذكر واحد راشد وأنثى واحدة يتم التزاوج بينهما مدى الحياة (وذلك فى مقابل التزاوج الفصلى) إلى جانب الصغار والياقنين، وأحياناً فقط يوجد عدد قليل من الراشدين الآخرين الذين قد لا يتسبون إلى هذه الوحدة بالتناسل. وتعتبر جميع الثدييات غير الإنسانية أحادية التزاوج من ساكنى الأشجار، وكلهم يدافع عن موطنه، وتلد جميع الإناث فيها اثنين أو ثلاثة فى المرة

الواحدة بانتظام باستثناء قرودة الجبون والسومطرة . وعلى الرغم من أن حدة هذه العملية تختلف من فصيلة إلى أخرى فإن الذرية تذهب عند اقتراب نضجها الجنسي عند الحد الخارجى لموطنها وتؤسس وحدات أسرية خاصة بها .

### قرودة القشة والطمارين Marmosets & Tamarins

وهذه الحيوانات عبارة عن قروود صغيرة من قرودة العالم الجديد ، فقرودة القشة هي قروود أمريكية صغيرة ، وقرودة الطمارين هي قروود جنوب أمريكية صغيرة طويلة الذيل . وهذه القروود تساوى في حجمها السنجاب الذى يعيش على الأشجار . وقد وجدت هذه القروود في الغابات الاستوائية بمنطقة الأمازون وفي غابات أخرى بوسط وجنوب أمريكا . وبسبب الظروف الصعبة التى تكتنف ملاحظتها فإن البيانات الميدانية التى تتناولها محدودة . ويبدو أن هناك فروقا طفيفة فقط في التنظيم الاجتماعى لهاتين الفصيلتين ، كما أن كليهما ينتظم في وحدات أسرية أحادية التزاوج . ومن الناحية الفيزيائية نجد أنها متشابهتان إلى درجة كبيرة وتشكلان معاً فصيلة أو عائلة فرعية يطلق عليها باللاتينية Callithricinae وهى ما تعنى ذوات الفراء الجميل .

وقد لوحظ أن الرعاية الذكرية لصغار هذه الحيوانات تعتبر من أكثر ما يعرف عن الثدييات غير الإنسانية ، فذكر قرودة القشة يقوم بالمساعدة خلال فترة ولادة الصغار . كما يقوم بحمل صغاره حديثى الولادة ويلعقهم . كذلك فهو قد يقوم بمضغ الطعام الجامد لهم خلال الشهر الأول من أعمارهم ، وهو ما يستحق الملاحظة نظراً لأن المشاركة في الطعام حتى بين الوالدين والأبناء يعتبر شيئاً نادر الحدوث بالنسبة للثدييات غير الإنسانية . ومن ناحية أخرى نجد أن الذكور الراشدين قد يقومون بحمل صغارهم على ظهورهم أثناء النهار باستثناء تلك الفترات التى تقوم فيها الأم بحضانه هؤلاء الصغار وإرضاعهم بين كل ساعتين إلى ثلاث ساعات وذلك خلال الشهرين الأولين من حياتهم ، وقد يستمر الذكور الراشدون في حمل صغارهم بتلك الطريقة حتى بعد أن يتم فطامهم (Lucas, et al., 1937, Fitzgerald, 1935; Stellar, 1960; Langford, 1963; Mallinson, 1971a; Ingram, 1975) .

ومن العوامل الهامة والأساسية في تفسير أنماط الرعاية الوالدية لدى القردة من ذوات الفراء الجميل تطور نسق متمم أو متمم يجعل من الممكن إنجاب وتربية عدد كبير

نسيباً من الأبناء . ومن الجدير بالذكر أن جميع إناث قرودة القشة والطمارين تضع في المرة الواحدة مولودين أو ثلاثة ، فأثنى قرد القشة على سبيل المثال تلد العديد من الصغار كل فترة تتراوح بين خمسة إلى ستة شهور ، وتظل تلد بانتظام ثلاثة صغار في المرة الواحدة حينما تحافظ على نظام غذائي غنى نسيبياً في معظم المعامل . وكما ترى إنجرام (١٩٧٥) Ingram في دراستها الهامة عن نمو قرودة القشة فإن أكثر فرض يمكن قبوله فيما يتعلق بانغماس الأب في رعاية الصغير هو ما يرتبط بتوفير طاقة الأم من أجل إفراز اللبن إذ يجب أن تفرز أنثى قرودة القشة ضعف ما تفرزه أنثى غيرها من الثدييات وذلك لإرضاع صغير واحد . ولتلبية مطالب تلك الطاقة لديها يجب أن تقوم بالبحث عن الطعام الكافي لذلك وجمعه حتى يمكنها من إفراز اللبن بشكل مرتفع وبكثرة . وبالإضافة إلى ذلك فإنها قد تحمّل من جديد خلال دورتها النزوية التالية للولادة Post - Partum Oestrous وبالتالي قد تصبح بعد أسبوعين فقط من ولادتها لتوأم حاملاً لتوأم آخر في رحمها . ويبدو من غير المحتمل الإبقاء على هذا المعدل المرتفع للإنجاب دون مساعدة الذكر في نقل أولئك الصغار سرّيعي النمو الذين يصل إجمالى وزنهم في الأسبوع الرابع من ولادتهم إلى ما يقارب ثلث وزن الراشد منهم .

وفما يتعلق بالسبب الذى من أجله تقوم قرودة القشة والطمارين بإنجاب توأم بدلاً من واحد فقط في كل مرة فإن لوتينجر (١٩٧٣) Leutenegger يرى أنه نظراً لأن حجم جسم قرودة القشة قد تناقص في ماضيه التطورى ، وقد يرجع ذلك إلى استجابة أعضاء هذه الفصيلة لمطالب البيئة التى يتخذونها موطناً ، فقد أصبح من الصعب على الأم أن تلد جنيناً واحداً ذا حجم مجمى كبير جداً قياساً بحجم تجويف حوضها ، ولكن إذا تم تقسيم حجم الجنين على اثنين (توأم) أو ثلاثة فإن القطر الجمى للجنين سوف يقل طبقاً لذلك وتقل معه احتمالات الولادات غير الناجحة . وعلى ذلك فقد حدث الانتقال الاضطفائى باتجاه الولادات المتعددة .

وتتمثل النقطة الهامة التى قامت إنجرام Ingram بتطويرها في أنها رأت أنه لكى يكون هذا النسق فعالاً بعد ولادة الأبناء يجب أن تلبى جميع المتطلبات المتزايدة للرعاية . فالأم تصادفها مشكلات أقل في الولادة وذلك بالنسبة لتعزيز رعاية الصغير بعد ولادته . إلا أن الحمل المتوالى للأجنة يفرض على الأم مطالب لا يمكن تلبيتها إلا بمساعدة الذكر

وغيره ممن يقومون على رعاية الصغار . وتساعد هذه المناقشة أيضًا في تفسير الملاحظات التي ترى أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة لذكور قرودة القشة أن تشارك صغارها في الطعام أكثر من الأم ، وأن الأم تعتبر أكثر عدوانية تجاه أعضاء الجماعة في مواقف تناول الطعام .

ومهما كانت درجة انغماس الأب والأم من هذه الفصيلة ذات الفراء الجميل في رعاية الصغار فإن غالبية التقارير الحديثة تبين أنها ليسا فقط هما الأعضاء النشطين القائمين على رعاية الصغار في مثل هذه الجماعات ، فكل أعضاء الجماعة من قرودة القشة والطمارين الذين يعتبرون من كبار السن بما فيه الكفاية لكي يقوموا على أمر رعاية الصغار قد تمت ملاحظتهم وهم يقومون بالمساعدة في حمل الصغار على ظهورهم وغير ذلك من أنشطة الرعاية (e.g. Ingram, 1973; Epplé, 1975, 1967) .

وبعد ولادة أول جيل من صغار قرودة القشة يقوم الوالدان على رعايته ، أما الجيل الثانى وما يليه من أجيال فيقوم أخوتهم الأكبر منهم سنًا برعايتهم (Hearn & Lunn, 1975) . وقد وجد أن من بين كل الأخوة الذين تمت ملاحظتهم كان أولئك القروود شبه البالغين الذين تتراوح أعمارهم بين عشرة شهور إلى خمسة عشر شهرًا يشتركون في رعاية الصغار إذ أنهم كانوا من الناحية الجسدية أقوى من إخوانهم الصغار ، كما كانت لديهم خبرة سابقة في التعامل مع آخر جيل من الأبناء (Ingram, 1975) . وبذلك نجد أن دور الذكر البالغ في رعاية صغار قرودة القشة يتناقض بالنسبة للأجيال المتتالية من الأبناء (Box, 1975) .

ويعتبر نظام الرعاية المتبع لدى قرودة القشة نظامًا جذابًا للعديد من البيولوجيين الذين يهتمون بدراسة التطور حيث يقدم لهم الفرصة لكي يفهموا ما إذا كان استثمار هذه الطاقة عن طريق الأخوة يمثل نمطًا سلوكيًا غيريًا أم لا حيث أنه إذا لم يكن هؤلاء الأخوة يحصلون على أى فائدة من جراء قيامهم بأنشطة الرعاية هذه فسوف يسبب ذلك مشاكل جمة للصياغات التقليدية لنظرية الاصطفاء الطبيعي للأقارب إذ تقوم مثل هذه الحيوانات هنا برعاية حيوانات أخرى ليست من ذريتها .

ومن النقاط الهامة التي ظهرت منذ عام ١٩٧٠ أن الاستثمار في الرعاية عن طريق الأخوة يعتبر مفيدًا لهؤلاء الأخوة القائمين على الرعاية وذلك على المدى الطويل . ومن هنا فإن قيامهم برعاية إخوانهم الأصغر منهم لا يعتبر نمطًا سلوكيًا غيريًا ، والدليل على

ذلك أن فرصة فرد القشة غير الناضج للمشاركة في رعاية إخوانه الأصغر سنًا منه تعتبر عاملاً حاسماً في تكوين آباء ينجحون في رعاية أبنائهم فيما بعد (Hampton, et al., 1972; Eppe, 1975; Hearn & Lunn, 1975; Calmbra-Filho & Mittermeier, 1976; Hoage, 1977).

وقد باءت المحاولات التي بذلت بغرض تناسل قرودة القشة عند حبسها بالفشل التام لأن اليافعين من هذه القرودة قد تم إبعادها عن العش بغرض إقامة وحدات تناسلية جديدة وذلك قبل أن يأخذوا فرصتهم في التفاعل مع إخوانهم الأصغر سنًا منهم . ولو كان قد تم تركهم في العش مدة طويلة بما فيه الكفاية للقيام بذلك لكانوا قد نضجوا بما يمكنهم من أن يصبحوا كثيرون الإنجاب في الحبس .

ولإيضاح عمومية مثل هذا الإطار السلوكي فإننا نتناول باختصار دراسة مماثلة أجريت على الطيور . فقد تناول ولفيندن (1975) Woolfenden بالدراسة تزاوج طائر أبو زريق الهجين الذي يقطن ولاية فلوريدا الأمريكية والذي يعيش طويلاً مثل قرودة القشة ويتميز بأنه في الأساس ينتمى إلى الحيوانات أحادية التزاوج التي تعيش على الأرض . وكان حوالي نصف الطيور المنجبة التي تمت دراستها تعيش كأزواج فريدة ، أما باقى هذه الطيور فكانت تعيش في جماعات أكبر مع وجود مساعدين لكل زوج منهم في العش ، وكان يقوم هؤلاء المساعدون غير المنجبين بحماية الأرض والعش ، ويهاجمون الطيور المفترسة الضارية التي تحاول الاقتراب من العش ، كما كانوا يشاركون في رعاية صغار الطيور وذلك بإطعام الأفراخ الصغيرة وتلك التي نبت ريشها منذ عهد قريب على سبيل المثال . ومن ناحية أخرى فإن الأزواج المنجبة التي تعيش مع مساعديها تقوم بإنجاب عدد من الأفراخ الصغيرة أكبر بكثير من تلك الأزواج التي لا تعيش معها مساعدون لها . وبذلك يتضح أن نظام المساعدة الموجود في العش nest-helper يعزز بشكل دال من نجاح زوج الطيور المنجب في الإخصاب . وكان من بين النتائج الهامة التي تم التوصل إليها أن أولئك المساعدين كانوا في مجملهم يقوم كل منهم بمساعدة الزوج ( الذكر والأنثى ) الذي ينتمى هذا المساعد إلى نسله . كذلك فإن هؤلاء المساعدين يعملون على تعزيز الجهود الإنجابية لتلك الطيور المنجبة والذين يعتبرون بذلك من أقاربهم المقربين . ومن هنا فإن نظام « المساعد » الموجود لدى قرودة القشة قد سار بنظام الرعاية الموجود لدى الطيور خطوة إلى الأمام ، إذ لا يعتبر المساعدين من أقارب الأزواج

المنجبة فحسب ، بل إن الرعاية المبكرة التي يقوم بها هؤلاء المساعدون تقدم لهم ميزة هامة تتعلق بنجاحهم الإنجابي مستقبلاً .

وقد نتجراً بما فيه الكفاية لنطرح سؤالاً عن الوضع الإنساني من خلال تلك الملاحظات . وإذا قمنا باستعارة بعض المصطلحات من العلوم الاجتماعية المتعلقة ببنى البشر فقد نقول إن الراشدين من قرودة القشة يجرموا من إتاحة الفرصة المبكرة لقيامهم برعاية الصغار ، وبالتالي يظهرون إساءة معاملة الصغار أو إهمالاً لهم ، ومن ثم يصبحون غير قادرين على تحقيق النجاح في تنشئة صغارهم . ولا تؤكد البيانات المتوفرة حول قرودة القشة على أى شىء يتعلق ببنى البشر أو غيرهم من النوعيات الأخرى ، ولكنها في ذات الوقت تضع أمامنا سؤالاً هاماً حول إجراء المزيد من هذه الدراسات على الإنسان ، فهل ستتاح الفرصة للأطفال الأدميين لرعاية إخوانهم الأصغر سناً منهم ، أو سيقبل رفقاء اللعب من احتمال أن يصبح هؤلاء الصغار من الآباء الذين يسيئون معاملة أطفالهم أو يتجاهلوهم ؟ ونحن نتنبأ في إجابة بسيطة حول هذا السؤال أن الأطفال الذين ستم تنشئتهم دون أن يكون لهم أخوة أصغر سناً منهم سوف يكونون آباء أقل فاعلية ممن سيكون لهم أخوة أصغر وسيشاركون هم أنفسهم في رعاية هؤلاء الأخوة الأصغر .

### قرودة الجبون والسومطرة Gibbons & Siamangs

تعتبر قرودة الجبون والسومطرة هي الأصغر حجماً في فصيلة القرودة العليا ، كما أنها ممن تسكن على الأشجار وتنتمي إلى الحيوانات أحادية التزاوج ، كذلك فهي إلى جانب ذلك تعتبر من الحيوانات التي تعيش على الأرض (Chivers, 1971; Mc Clure, 1964). وعلى الرغم من أنها تؤلف مجموعة مختلفة من قرودة العالم الجديد أحادية التزاوج ، فإن الاستثمار الذكري في رعاية الصغار ينتشر بدرجة كبيرة فيما بينها . وهذه القرودة ليست صغيرة بالقدر الذي يجعلها تضع ولادات متعددة ، كما أن الفترة الزمنية التي تفصل بين كل ولادة وأخرى تعتبر أطول مما يوجد لدى غيرها من الثدييات أحادية التزاوج . وعلى ذلك فإن انغماس الذكر في رعاية الصغار يعتبر أقل مما تقوم به قرودة القشة والطمارين .

وقد تمت ملاحظة ذكر الجبون الراشد في البرية يفتش في جسم الصغار ويقوم بتنظيفهم والعناية بهم . أما في المجموعة التي كانت توجد في الأسر فقد لوحظ ذكر

الجبون وهو يحمل صغيره اليافع غالبية النهار (Carpenter, 1940). وعندما تنضج صغار الجبون فإنها تصبح أكثر استقلالاً عن أمهاتها وتصبح أكثر تفاعلاً بشكل مستمر مع آبائها (Berkson, 1966). ورغم ذلك فمع اقتراب الأبناء من الوصول إلى النضج الجنسي يقوم الولدان أو أحدهما بتهديدهم والاعتداء عليهم حتى يصبحوا في النهاية في موقع خارجي بالنسبة للجماعة التي ينتمون إليها بحكم مولدهم، وبالتالي يقوموا بتكوين وحدات إضافية أحادية التزاوج مثل والديهم (Carpenter, 1940; Ellefson, 1968). وهذا هو ما يحدث أيضاً بالنسبة لقردة القشة والطمارين.

ويوجد مدى واسع من التفاعل بين الذكر والصغير لدى قرودة السومطرة. ويرى تشايفرز (Chivers, 1971, 1972) أن صغار قرودة السومطرة يعتمدون على أمهاتهم خلال المدة التي تتراوح بين الاثنا عشر إلى الستة عشر شهراً الأولى من حياتهم ثم يقوم الأب بحملهم منذ ذلك الوقت وحتى استقلالهم الذي يحصلون عليه خلال العام الثالث من حياتهم. كما يقوم ذكر السومطرة بتنظيف أجسام اليافعين والعناية بهم والنوم إلى جانبهم في حين تقوم الأم بتنظيف أجسام الصغار والعناية بهم. وكما هو الحال بالنسبة لقرودة القشة والطمارين وقرودة الجبون يتم إبعاد قرودة السومطرة عند وصولها إلى النضج إلى موقع خارجي بالنسبة للجماعة التي ينتمون إليها بحكم المولد، إلا أن عملية إبعادهم هذه عن الجماعة تبدو أقل في صرامتها وقسوتها مما يحدث مع قرودة الجبون (Chivers, 1971; 1972; Fox, 1972, 1974).

وهكذا يوجد تشابه عجيب بين تلك الجماعات من الثدييات أحادية التزاوج التي تمت دراستها خلال الفصل الحالى، فبالإضافة إلى كونها أحادية التزاوج فإنها جميعاً ممن يعيش على الأرض، كما تظهر استمراراً نسيئاً للرعاية الوالدية الذكرية للصغار، وتتفق فيما بينها إلى درجة معينة على أنها جميعاً تعمل على إبعاد صغارها عندما يصلون إلى النضج الجنسي إلى موقع خارجي بالنسبة لتلك الجماعة التي ينتمون إليها بحكم مولدهم. وتختلف درجة انغماس الذكر في الرعاية طبقاً لمعدل الإنجاب عند الأم، فقد تنغمس ذكور قرودة القشة والطمارين في رعاية الصغار منذ مولد هؤلاء الصغار، فيقومون بدور هام في حمل الصغير وفي القيام بأنشطة الرعاية الخاصة به كمشاركته في الطعام مثلاً. وفي المقابل نجد أن ذكور القردة العليا أحادية التزاوج تنغمس في رعاية الصغير في وقت

متأخر من طفولته ، ويبدو أنها لا تقوم بأنماط سلوك معينة تتعلق بالرعاية كما أن معدل الإنجاب بالنسبة لإناث قرودة القشة والظمارين يعتبر أعلى بكثير من غيرها .

وسوف نقدم باختصار تفسيراً للعلاقة بين الرعاية المعززة نسبياً من جانب الذكور ونظم التزاوج الأحادية عند هذه الحيوانات . ويبقى سؤال عن السبب الذي غالباً ما يجعل هناك ارتباط بين موطن هذه الحيوانات وتلك الأنماط السلوكية التي تصدر عنها . وللإجابة عن هذا السؤال فإننا ننظر أولاً إلى الطيور التي تمت دراستها كمجموعة بشكل أكثر شمولية من الثدييات غير الإنسانية . فاشترك ذكور تلك الطيور في رعاية صغارها يعتبر بشكل عام أكثر شمولية من ذكور هذه الثدييات (Groom & Goss-Custard, 1972) . وكما أوضح أوريانز (1969) Orians براعة فإن فسيولوجيا الإنجاب الخاصة بالثدييات تملئ على الذكر دوراً أصغر في رعاية الصغار في حين نجد أنه بالنسبة للطيور فإن النشاط الوحيد الذي يؤديه الذكر بنفس المهارة التي تؤديه الإناث بها هو الرقود على البيض ، فيقوم الذكر بجمع الطعام وما يلزم لعمل عش ، ويعمل على إيجاد مكان تضع فيه الأنثى بيضها ويدافع عن هذا المكان ويقوم بتربية الصغار ويدافع عن الإناث ، ويعمل على فقس البيض ويحمي الصغار ، ويوفر فرص التعلم لهم (Trivers, 1972) .

ومن الجدير بالذكر أن أكثر من 90٪ من فصيلة الطيور تعتبر أحادية التزاوج ، إلا أن معظمها يستمر لموسم تزاوج واحد وبعضها يستمر مدى الحياة . كما أن غالبية الفصائل أحادية التزاوج تقتات على الحيوانات الأخرى أو بقاياها كالحشرات على سبيل المثال وهو ما يعتبر أمراً صعب المنال بالنسبة لصغار هذه الثدييات (Lack, 1968). ويعتبر تطور التزاوج الأحادي مفضلاً في مثل هذه الظروف التي يتوفر فيها مخزون ثابت نسبياً من الطعام خلال موسم التزاوج والتي يتم خلالها حماية الموطن الذي تقطنه تلك الثدييات . ويضمن وجود الموطن مخزوناً للطعام لا ينضب ولا يحدث تنافس يتعلق به بين من يقومون بالدفاع عنه وبين الصغار . وحيثما يكون الطعام قليلاً نسبياً في قيمته الغذائية كالبذور والفاكهة اللينة والرحيق على سبيل المثال إضافة إلى أنه لا يوجد بوفرة فقط سوى في مواسم معينة ، عندئذ تقوم الأمهات والصغار بإعالة أنفسهم . أما الذكور فيشاركون بقدر ضئيل في رعاية الصغار ، ويبقى الموطن دون حماية (Crook, 1964, 1965; Crook & Goss-Custard, 1972, Orians, 1969) . وكما

أوضح هورن (1968) Horn في دراسته عن طيور الجعة السوداء حينما يكون الطعام موزعًا بشكل منتظم في المكان ، ويتجدد ذلك باستمرار في نفس الوقت فإن ذلك يعطى الفرصة للطائر كى يدافع عن أى منطقة يمكنه أن يسيطر عليها . وفي المقابل إذا لم يكن الطعام موزعًا بشكل منتظم ولا يتجدد بشكل منتظم أيضًا تصبح أفضل إستراتيجية لمواجهة ذلك هى بناء الأعشاش على هيئة مستعمرة والبحث عن الطعام في مجموعات . ويوفر البقاء في مستعمرات على هذا النحو الحماية ضد المفترسين من غيرهم من الحيوانات . وسوف يكون قصر نظر منا إذا افترضنا أن نظم التزاوج والسلوك المرتبط بالمكان يمكن أن يتناقصا ببساطة إلى أنماط تتعلق بالموارد المتاحة إذ أن هناك عوامل أخرى كالاقتراس على سبيل المثال تعتبر على درجة كبيرة من الأهمية حيث يصبح من غير المحتمل في هذه الحالة أن يقوم ذكر الطيور بتوفير الطعام للأمهات أو الأطفال أو كليهما وخاصة إذا كان الضغط الذى يسببه الاقتراس عليه كبيرًا فيقوم الذكر بجذب المفترسين إلى داخل العش ويصارعهم معرضًا بذلك حياته للخطر . وكما يرى ويلسون (1975) Wilson فإن الإستراتيجية الأرضية التى تم تطويرها في هذه الحالة تتمثل في تلك التى تضع حدًا أقصى لزيادة اللياقة والملائمة بسبب تلك الجهود التى تبذل في سبيل الدفاع عن هذه المنطقة والأخطار التى تصادفهم .

وإلى جانب وجود العديد من نقاط التشابه بين هذه المجموعات من الحيوانات فإن التزاوج الأحادى يعتبر شائعًا بين تلك الثدييات آكلات اللحوم التى تعيش على الأرض والتي يعتبر الحصول على طعام محتوى على معدل مرتفع من الطاقة بالنسبة لها أمرًا صعبًا (Orians, 1969) . ونظرًا لأن العديد من هذه الحيوانات يعتبر كذلك على قمة سلسلة الطعام لغيره فإن الحاجة إلى وجود مدى أوسع من التشتت تصبح كبيرة ، وتشكل إحدى الطرق الأساسية لتحقيق ذلك الأمر من خلال الصفة الإقليمية التى تتميز بها (Eisenberg, 1966) .

وفىما يتعلق بالرعاية الوالدية فقد تمت ملاحظة أنماط سلوكية على درجة عالية جدًا من التعقيد بين آكلات اللحوم مثل القيوط ( ذئب شمال أمريكى صغير ) والذئاب وابن آوى Jackals و كلاب الصيد والثعالب حيث لوحظ أن الذكر يحضر طعام الأنثى في فترة حملها ، ويتقيأ الطعام للصغار ، ويقوم بحمايتهم ويبعد المفترسين عنهم ، ويلعب

مع الصغار ويحملهم كما أن الثعلب قد لوحظ أيضًا وهو يعلم صغاره كيف يقومون باقتناص الفريسة (Eisenberg, 1966).

إلا أن البيانات المتاحة لا تعتبر كاملة ومع ذلك فهناك أدلة تؤكد أن تلك الأنماط السلوكية التي تمت ملاحظتها لدى الطيور وآكلات اللحوم قد تنطبق أيضًا على الثدييات إذ يرى جارتلان وبرايين (1968) Gartlan & Brain على وجه الخصوص أن قرود القرف Vervet - وهي قرود أفريقية صغيرة - حينما توجد في منطقة تتوفر بها مصادر الطعام يصبح لها مواطن أصغر ومحددة بوضوح ، ويقومون بقوة على حمايتها قياسًا بالجماعات التي تنتمي إلى النوع ذاته ولكنها تعيش في مواطن أو بيئات فقيرة .

### ثانياً : الجماعات متعددة الذكور والإناث :

من أكثر التنظيمات الاجتماعية شيوعًا لدى الثدييات غير الإنسانية ذلك التنظيم الذي تقوم فيه أكثر من أنثى واحدة ناضجة إضافة إلى الصغار غير الناضجين بتأليف الجماعة . ومن المعروف أن معظم القروء تنظم في هذا النمط ومعظمهم من النوع مختلط التزاوج .

وقبل أن نقوم بفحص تصنيف معين ينتمي إلى هذا الشكل من التنظيم الجماعي فإن بعض الاعتبارات التي تتعلق بمفهوم الاصطفاء الطبيعي الجنسي تعتبر على درجة كبيرة من الأهمية في هذا الصدد . ففي عام 1871 قام داروين Darwin بوصف تلك السمات التي ليس لها فائدة جلية تتعلق بالبقاء بالنسبة لأعضاء أى فصيلة كلون الريش والشكل وأنشطة التباهي على سبيل المثال . إلا أنها مع ذلك لها مزاياها فيما يتعلق بالنجاح في اكتساب القرناء . ويعرف الاصطفاء الجنسي بأنه مجموعة فرعية من الاصطفاء الطبيعي ، كما يتم وصفه في ضوء مكونين اثنين ويتمثل أولهما في التنافس من جانب أعضاء أحد الجنسين وعادة ما يكون ذلك الجنس هو جنس الذكور وذلك بغرض الاقتراب من قرناء من الجنس الآخر ، أما ثانيهما فيتمثل في قيام أعضاء الجنس الآخر الذي عادة ما يكون هو النساء باختيار القرناء من الجنس الآخر . وتسبب تلك الضغوط التي ترتبط بالاصطفاء الجنسي ما يعرف بالخصائص الجنسية الثانوية كالقرون وقرون الوعل والكبر النسبي للحجم والعدوانية التي تظهر خلال التنافس مع أعضاء الجنس الذي ينتمي إليه الكائن . وإضافة إلى ذلك فإن لون الريش وأنشطة التباهي تلعب دورها في جذب القرناء من الجنس الآخر .

ونتيجة للاصطفاء الجنسي فإن معظم القروود مختلطة التزاوج وذلك في الجماعات متعددة الذكور والإناث توضح ازدواجًا نوعيًا ( جنسيًا ) واضحًا في الحجم يرتبط بجنس القرد ( ذكر - أنثى ) كظهور مستويات مرتفعة من العدوانية لدى الذكور ، ووجود أسلحة عالية التطور لدى الذكور أيضًا كالأنياب على سبيل المثال . وبوجه عام نجد أنه قياسًا بالجماعات أحادية التزاوج يوجد تمايز واضح بدرجة أكبر في الأدوار بين الذكور والإناث ، فالذكور أكثر نشاطًا وحيوية في أنشطة مثل اليقظة والحذر أو الاحتراس ، والقيادة ، والحماية ، أما الإناث فأكثر نشاطًا في الرعاية المباشرة للصغار . ومن ناحية أخرى فقد اتضح أن كل الجماعات أحادية التزاوج التي تنتمي إلى الثدييات غير الإنسانية تعتبر جميعها دون استثناء ممن تتخذ من الأشجار موطنًا لها في حين تتخذ الثدييات متعددة التزاوج موطنها إما على الأشجار أو في بيئات شبه أرضية أو على الأرض .

وننتقل الآن إلى تفحص بعض جماعات من القروود والقردة العليا التي تنتمي إلى العالم القديم وتلك القروود التي تنتمي إلى العالم الجديد . وسوف نركز على قروود المكاك macaques والرباح babaons حيث تتعلق بها معظم المعلومات المتاحة لدينا . والمكاك هو قرد آسيوي ، أما الرباح فهو سعدان أفريقي وآسيوي ضخيم قصير الذيل قبيح المنظر .

### قردة الريص المكاك Rhesus macaques

قرد الريص هو قرد هندي صغير قصير الذيل . وإذا أردنا أن نصف الذكور الراشدين من خلال علاقتهم بصغارهم لدى تلك الجماعات من القروود والمعروفة بقروود الريص الطليقة فسوف نصفهم بأنهم غير مباليين ، ولكنهم أحيانًا ما يكونوا حساسين للاقتراب منهم والاتصال بهم ، كما يصبحون عدوانيين من وقت لآخر ، إلا أنهم نادرًا ما يشعرون بالانتهاء . ويوصف الذكور الراشدون من قردة الريص في شمال الهند على سبيل المثال بالحياد أو اللامبالاة تجاه الصغار واليافعين من أبنائها (Southwick, et al., 1965) وغالبًا ما يقومون بمهاجمة هؤلاء الصغار ولكنهم نادرًا ما يتعاملون معهم بلطف (Op. cit.; Lindburg, 1971) . كما يقوم الذكر وخاصة أثناء تناوله للطعام بالتقاط الصغير في فمه وعضه وإلقائه على الأرض .

وقد اتضح من خلال تلك الدراسة الميدانية التي أجراها ساوزويك وآخرون (Southwick, et al (1965) والتي قامت على ملاحظة هؤلاء القروود لمدة ٧٦٢ ساعة في

ثلاث مناسبات فقط حيث كانت الصغار تلعب وتتعامل مع الذكور الراشدين بلطف لفترات طويلة من الوقت . أما ليندبورج (Lindburg ١٩٧١) فقد لاحظ أولئك الذكور في مرتين فقط وهم يلعبون مع صغارهم وذلك في ملاحظته لهم التي استمرت تسعاً ساعة . كما لم يلاحظ الذكور وهم يلعبون مع الصغار سوى مرتين فقط أيضاً ، كذلك فقد لاحظ أن الذكور يقومون من وقت لآخر بالدفاع عن الصغار ضد أى هجوم عليهم وأنهم يقومون أيضاً بتهديد تلك الحيوانات التي تجلس بالقرب من أولئك الصغار .

وقد لاحظ كوفمان (Kaufmann ١٩٦٦) في دراسته على قرود الريص الطليقة والموجودة في مستعمرة بجزيرة كايو سانتياجو Cayo Santiago أنماطاً من التفاعلات شبيهة بدرجة كبيرة لما تمت ملاحظته من قبل ، ولم يلاحظ الذكور الراشدين أبداً يقتربون من صغارهم ، ومع ذلك فقد لاحظ صغار هذه القرود والتي يبلغ عمرها عدة أسابيع وهي تقوم من وقت لآخر بالاقتراب من أولئك الذكور والاتصال بهم والقيام حتى بالتسلق عليهم . إلا أن استجابة هؤلاء الذكور الراشدين في ٧٦٪ من هذه المناسبات كانت عبارة عن تجاهل هؤلاء الصغار ، أو الانسحاب بعيداً عنهم أو تهديدهم ، أو عضهم ، أو دفعهم بقوة ليعتدوا عنهم . أما في النسبة المتبقية من تلك المناسبات والتي تمثل ٢٤٪ منها فقد لوحظ أولئك الذكور الراشدين وهم يمسكون بصغارهم من أيديهم برفق .

ولاحظ بروجمان (Breuggeman ١٩٧٣) في دراسته على القرود بنفس المستعمرة الموجودة بالجزيرة ذاتها أن عمر القائم برعاية الصغار يرتبط إيجابياً بتكرار الرعاية الوالدية لهم . ومع ذلك فقد أبدى الذكور الذين يبلغون الثالثة من أعمارهم مستويات عالية من أنشطة الرعاية قياساً بالذكور في مجموعات عمرية أخرى . ومن ناحية أخرى فقد لاحظ أن الذكور يبدو أن أنشطة الرعاية خلال موسم التزاوج بشكل متكرر ويفوق كثيراً ما يبدو أنه خلال موسم التوالد ( ولادة الصغار ) . وإضافة إلى ذلك يبدو الذكور أيضاً أن أنشطة الرعاية تجاه صغيرهم الذكر بشكل متكرر ويفوق كثيراً ما يبدو أنه تجاه الأنثى . ومن الجدير بالذكر أن هذه النتيجة الأخيرة قد لوحظت في كثير من الدراسات المختلفة .

وكان الذكور الراشدون الذين يعيشون في جماعات في الأسر يميلون إلى إبداء اهتمام قليل نسبياً بصغارهم حديثي الولادة (Rowell, et al., 1964) . ووجد برانندت وآخرون (Brandt, et al., ١٩٧٠) في دراستهم لأربعة فصائل من قرود المكاك الموجودة في الأسر

أن ذكور قرودة الريص قد أظهروا أقل التكرارات فيما يتعلق بإهمال الصغار ، والاقتراب منهم ، والاحتكاك السلبي بهم . وعلى العكس من نتائج دراسة بروجمان (١٩٧٣) Breuggeman أوضحت نتائج دراستي سبنسر - بوث (١٩٦٨) Spencer-Booth وبراندت وآخرين (١٩٧٠) Brandt, et al., أن الذكور الأقل سنًا قد أبدوا اهتمامًا بالصغار أكثر مما أبداه الذكور الناضجون . وبذلك يصبح موضوع المتغيرات المرتبطة بالعمر فيما يتعلق بأمر الرعاية الذكرية في حاجة إلى توضيح وخصوصًا عندما نضع في اعتبارنا تلك البيانات التي تم الحصول عليها والتي تتعلق بالفصائل الأخرى من القروود .

ومن ناحية أخرى فقد لوحظ أيضًا في تلك المستعمرة التي تضم قروود المكاك والتي أقامها كل من سبنسر - بوث وهندي (١٩٦٧) Spencer - Booth & Hinde في كامبريدج بانجلترا لإجراء دراستها تلك عليها ، لوحظ أنه عندما يتم إبعاد العديد من الأمهات عن المجموعة توجد درجة معقولة من التفاعل بين الذكور الراشدين والصغار حيث كان الذكور الراشدون يقومون باللعب باستمرار مع هؤلاء الصغار ، كما قام غيرهم من الذكور بالجلوس معهم وحملهم في وضع تلامس فيه بطن كل منهما بطن الآخر . وعند قيام بوكير (١٩٧٠) Bucher بإزالة القشرة اللحائية المؤقتة للأمهات من قرودة الريص الموجودة في الأسر وجد أن الأنماط السلوكية المرتبطة بالرعاية كالحماية والإنقاذ على سبيل المثال قد ضعفت . كما أصبح الذكر الراشد نشيطاً في حمل الصغار ، وتنظيف أجسامهم ، واللعب معهم ، وهي نتيجة تتفق تمامًا مع ما توصل إليه سبنسر - بوث وهندي . وبالتالي فإن مثل هذه الملاحظات تؤكد على أهمية ملاحظة أنماط الرعاية الذكرية في سياق النسق الاجتماعي بشكله العام وخصوصًا إذا ما وضعنا في اعتبارنا ذلك النظام الذي تتبعه الأم في الاقتراب من الصغير .

وقد نالت الرعاية الذكرية من جانب ذكور قرودة الريص الراشدين في المعامل اهتمامًا متزايدًا في السنوات الأخيرة . فقام ريديكان وميتشيل (١٩٧٤) Redican & Mitchell وريديكان (١٩٧٥، ١٩٧٨) Redican بدراسة التفاعل بين الذكور الراشدين والصغار في موقف سمح فيه لأولئك الذكور الراشدين بالاقتراب غير المقيد من الصغار . وكان الهدف من ذلك هو اكتشاف الرعاية الساكنة وغير المعبر عنها والموجودة لدى تلك الكائنات التي تتصف بالعدوانية واللامبالاة تجاه صغارها . وتم في ضوء ذلك جمع

البيانات الطولية عن أربعة أزواج من الذكور الراشدين من هذه القروء وصغارها وذلك في غياب الأم والأخوة ، وذلك في الوقت الذي كانت فيه البيانات المتشابهة التي تتناول العلاقات الثنائية بين الأم والصغير متاحة (Baysinger, et al., 1972; Brandt, et al., 1972) وكان جميع هؤلاء الذكور الراشدين ممن اكتمل نضجهم وذلك عند بداية جمع المعلومات اللازمة لتلك الدراسة ، كما تمت ولادتهم جميعاً في البرية . كذلك فقد تم تخصيص اثنين من الذكور واثنين من الإناث من صغار هذه القروء لكل موقف من موقفي الرعاية الذين تمت دراستها .

ويتمثل أحد الفروق الجوهرية التي ترتبط بالعلاقة بين الأم وصغيرها ، وبين الذكر وصغيره في نمط الاتصال أو التلامس الجسمي . وبوجه عام كان من الأقل احتمالاً بالنسبة للذكور الراشدين مقارنة بالأمهات أن يبقوا على اتصالهم بالصغار ، إلا أن هذا الفرق كان واضحاً بشكل أساسي خلال الشهور الأولى . وقد دلت العديد من المقاييس على وجود هذا النمط ، فبداية كانت الفترة التي يدوم خلالها الاتصال الجسمي بوجه عام بين الأم والصغير أكبر من تلك الفترة التي كان يدوم خلالها ذلك الاتصال بين الذكر الراشد والصغير مع ظهور أكثر الفروق وضوحاً خلال الشهرين الأول والثاني من عمر الصغير . في حين كان مقدار الوقت الذي يتم قضاءه في الاتصال الذي تلامس فيه بطن كل منهما الآخر هو ما يفسر تلك الفروق بين المجموعات بصفة أساسية إذ لم يقض الذكور الراشدون في الواقع أى وقت في الاتصال بهذا الشكل مع الصغار في حين كانت الأمهات يقمن بعمل ذلك لفترات طويلة وذلك في وقت مبكر من حياة الصغار .

وقد انعكس المستوى المنخفض من الاتصال بين الذكر الراشد والصغير في عدة أنماط من الاتصال والانفصال . وعلى مدى الأشهر السبعة التي تمت فيها الملاحظة كان يتم إنهاء الاتصال بين الأم وصغارها بنفس القدر الذي كان يتم به إعادة هذا الاتصال من جديد . وفي المقابل كان يزداد إنهاء هذا الاتصال بشكل واضح في حالة الذكور الراشدين ، بينما كانت تزداد محاولات إعادة الاتصال من جديد كثيراً في حالة الصغار .

ويرى هندي Hinde وزملاؤه (e.g. Hinde & Spencer-Booth, 1967; Hinde, 1969; Hinde & White, 1974) . أن التغيرات في العمر والتي توضحها بعض المقاييس كالاقتراب من الصغير والاتصال بطناً لبطن تعود أساساً إلى الأم وليس إلى

الصغير . وإذا ما نحينا هذا جانباً للوقت الحالى يصبح الموضوع الهام والذي يتعلق بالتغير في التفاعلات التى تحدث في العلاقات الثنائية طبقاً لهذا الشكل من التحليل هو أن العوامل الأساسية المسئولة عن حدوث التغير في الثنائيات التى قام ريديكان Redican بتكوينها بين الذكور والصغار تصبح متمثلة في الذكور الراشدين بالنسبة لبعض مقاييس السلوك ، ومتمثلة في الصغار بالنسبة لمقاييس أخرى . كما أن الأم تتغير هي الأخرى بمرور الوقت أكثر من الذكر وقد يصبح دورها في التأثير على هذا التغير كبيراً .

ومن ناحية أخرى يرى هؤلاء الباحثون أن التغيرات التى حدثت بمرور الوقت في التفاعلات بين الثنائيات التى تتكون من الأم والصغير ترجع إلى زيادة الاستجابات السلبية من جانب الأم كزيادة رفضها للصغير على سبيل المثال . أما في حالة الثنائيات التى تكونت من الذكور والصغير فكانت تلك الدلائل السلوكية تزداد في إيجابيتها مع مرور الزمن . ويبدو أن المحركات التى تستخدم للحكم على مدى التعلق تزداد مع مرور الوقت بالنسبة لتلك الثنائيات التى تضم الأم والصغير . أما بالنسبة للدراسة التى نحن بصدد التحدث عنها الآن فقد دلت على حدوث تفاعلات قوية وحميمة بين الأم والصغير وخاصة في الجزء المبكر من حياة ذلك الصغير ، بينما يقوم الراشدون الذكور بمشاركة الصغار بشكل أكبر وذلك في شهور متأخرة عن هذا الوقت .

وربما تعتبر استجابة صغير الريص للغياب المؤقت للذكر أو الأم أو انفصاله عن أى منهما بمثابة المؤشر الأولى لما إذا كان يتساوى كل من الذكور الراشدين والإناث الراشدين وذلك في كونها موضوعات مناسبة للصغير كى يتعلق بها . وفيما يتعلق ببعض المقاييس مثل إصدارات الأصوات ، والاقتراب ، والتحرك أو التنقل ، وإصدار السلوك الموجه ذاتياً فقد كان هناك تشابه في استجابات الصغار الذين قامت الأم على تربيتهم واستجابات الصغار الذين قام على تربيتهم ذكر راشد وذلك بالنسبة للانفصال وإعادة الاتصال من جديد . ويعتبر هذا مؤشراً واحداً فقط على أن سمات الأمهات من قردة الريص والراشدين من الذكور بنفس الفصيلة تتشابه بها فيه الكفاية بما يمكن الصغار من تطوير أساليب التعلق الانفعالي بكليهما .

ومن الجدير بالذكر أن الأنماط السلوكية التى تتعلق بالرعاية من جانب الآباء في المجتمعات الغريبة تختلف طبقاً لجنس الطفل وذلك بدرجة تفوق مدى اختلاف تلك الأنماط السلوكية المشابهة التى تقوم بها الأمهات ، كما أن الآباء على وجه الخصوص

يهتمون بتلك الأنماط السلوكية المنمطة جنسياً والتي يأتى بها البنون من أبناهم (Lamb, 1976). وقد أوضحت الدراسة التى أجراها ريديكان Redican على القردة نمطاً مشابهاً لذلك حيث وجد أنه :

أولاً : كانت الفروق بين الجنسين فى تلك الثنائيات التى ضمت ذكراً راشداً وصغيراً ذكراً أكبر منها فى الثنائيات التى ضمت الأم والصغير وذلك بشكل ثابت .

ثانياً : كانت الأم تتفاعل مع الإناث الصغيرات بشكل أكثر إيجابية بينما كان يقوم الذكور الراشدين بذلك مع الذكور الصغار .

ويبدو أن الذكور الراشدين عندما يتفاعلون مع الصغار قد يؤثرون على اتجاه تنشئتهم اجتماعياً مما ينتج عنه حدوث تمايز أكبر بين الجنسين .

وبوجه عام قام ريديكان بتفسير نتائج الدراسات الطولية والدراسات التى تناولت الانفصال بين صغار القردة والراشدين منها على أنها تدل على وجود طاقة كامنة ذات دلالة بالنسبة للذكور ليقوموا تعلقاً من جانبهم بالصغار ، وبالنسبة للصغار ليقوموا تعلقاً من جانبهم بالذكور الراشدين . وتعكس أبعاد الرعاية الوالدية بشكل جلى تلك الفرص التى يتيحها الكبار للصغير للتفاعل معهم والتعلق بهم وغير ذلك إذ غالباً ما لوحظ الراشدون الذكور فى غياب الأم التى تقوم بتقييد تواصل الصغير مع غيره من الحيوانات وهم يتفاعلون مع الصغار بطريقة تدل على درجة عالية من الانتفاء وهو ما يندر ملاحظته بين جماعات القردة فى البرية . وإذا كان مخلوق عدوانى وغير مرن كذكر قردة الريص قادراً على إقامة تفاعلات إيجابية مع الصغار ، فلا بد من وجود سبب يجعلنا نتوقع على الأقل وجود طاقة كامنة مشابهة لدى المخلوقات الأقل ازدواجاً فى الناحية الجنسية والتى تتسم نسبياً بالتزاوج الأحادى وبمرونتها الأكثر كالجنس البشرى على سبيل المثال .

وفى سلسلة من الدراسات المتعممة قام الباحثون فى معمل الثدييات بجامعة ويسكونسن Wisconsin بالولايات المتحدة الأمريكية بإقامة جماعات اجتماعية تضم أسراً ثلاثية الأعضاء أو أسراً ذرية يتكون كل منها من أب وأم وصغير (Harlow, 1971; Suomi, 1977, 1979; Suomi, et al., 1973). وقد سمح للصغار فقط وليس للراشدين بالاقتراب من أعضاء الجماعات الثلاث الأخرى . واتضح من نتائج اختبارات التفضيل الاجتماعى التى قام بتطبيقها سيومى وآخرون (١٩٧٣)

Suomi, et al. أن الصغار الذين تمت تربيتهم في جماعات ثلاثية قد فضلوا أمهاتهم على أى إناث أخريات راشدات ، وفضلوا آباءهم على أى راشد من الذكور الآخرين ، كما فضلوا أمهاتهم على آبائهم . وكان الآباء الذين قاموا بالمبادرة في قليل من جلسات اللعب ولكنهم استجابوا الكثير من مبادرات الصغار ، كانوا يلعبون مع الذكور الصغار أكثر من لعبهم مع الإناث الصغيرات . ومع ذلك فقد قضى الصغار أقل من ٥٪ من الوقت في التفاعل مع كل الذكور الراشدين بما فيهم الآباء ، وحدث ذلك بمعدل أعلى بقليل فقط مما لوحظ لدى الحيوانات الأليفة .

ووجد سيومي (١٩٧٣) Suomi أن الذكور الراشدين قد أظهروا بروفياً سلوكياً ثابتاً على مدى فترة الشهور السبعة وثلاثين التي استغرقها إجراء هذه الدراسة وذلك عند مقارنتهم بالإناث الراشدات وبالصغار . وقد اتضح من خلال الوقت المحدد نسبياً الذي قضاه الذكور في تفاعل مع الصغار أن غالبية هذه التفاعلات كانت بمثابة لعب معهم . كما أن اللعب والحماية كانا فقط هما أكثر أنماط التفاعلات التي أبداهما الذكور الراشدون بدرجة أكبر في علاقتهم بأبنائهم وذلك بشكل يفوق ما أبدوه مع غيرهم من القروء الموجودين معهم . أما أنماط الفروق بين الجنسين فكانت معقدة إذ غالباً ما كان يقوم الراشدون الذكور بالدفاع عن صغار القروء ذكوراً وإناثاً وذلك بدرجة متساوية تقريباً ، إلا أنهم كانوا يقومون باللعب مع الذكور الصغار ويستجيبون لمحاولات هؤلاء الصغار اللعب معهم . وتمثلت أهم الفروق الجوهرية في شكل وتكرار التفاعلات التي أبداهما الراشدون الذكور مع صغار الذكور في مقابل الإناث الصغيرات ممن تزيد أعمارهم وأعمارهن عن أربعة شهور . وفي المقابل توضح البيانات التي تتناول التفاعلات بين الأم والصغار أن هناك فروقاً بين الذكور والإناث من القروء الصغيرة ولكنها ليست فروقاً كبيرة أى أن تفاعل الأم مع الصغير يعتبر دالة لجنس هذا الصغير إذ يزداد تفاعل الأم مع الأنثى الصغيرة عنه مع الذكر الصغير .

وإذا ما عدنا إلى الكثير من الدراسات التي تناولت الإنسان وتلك التي تناولت الثدييات غير الإنسانية فسوف نجد أن استجابة الذكور الراشدين للصغار تختلف طبقاً لجنس الصغار وذلك بشكل يفوق ما تفعله الإناث . وعلاوة على ذلك فإن هذا التفاوت في الاستجابة طبقاً لجنس الصغير يتزايد بالنسبة للذكور الراشدين ويتناقص بالنسبة للإناث الراشدات مع زيادة عمر هذا الصغير ويستمر ذلك حتى مرحلة المراهقة على

الأقل (Suomi, ١٩٧٩). ويشير باركي وسيومي Parke & Suomi أيضًا إلى أن الصغار الذين تمت تربيتهم في جماعات اجتماعية مع ذكور راشدين قد أظهروا فروقًا بين الجنسين في السلوك وذلك في وقت مبكر عن أولئك الذين تمت تربيتهم في جماعات ليس بها ذكور راشدين، وهو ما يؤكد على النتائج النهائية لاختلاف معاملة الذكور لصغارهم وفقًا لجنس هؤلاء الصغار.

### قدرة المكاك ذوو الضفيرة المتدلاة من مؤخر الرأس Pigtail Macaques

لا تزال الملاحظات التي سجلت حول الرعاية الذكرية للصغار بالنسبة لقدرة المكاك ذوى الضفيرة المتدلاة من مؤخر الرأس محدودة للغاية. ومن خلال هذه الملاحظات لم يتضح لكل من كوفمان وروزينبلوم (Kaufman & Rosenblum, ١٩٦٩) قيام الذكور الراشدين تحت أى ظروف وذلك فى أى مجموعة من المجموعات التى تمت ملاحظتها بالمعمل بمسك أو حمل أو مداعبة الصغار. ومع ذلك حينما كان يتم إبعاد الأم عن أى مجموعة كان الذكر يقوم بتهديد تلك الحيوانات التى تحاول الاعتداء على الصغار، ويضع نفسه بين الصغار وبين الحيوانات. وبذلك فإنه على الرغم من أن ذكور هذه الفصيلة من القروود يبدون القليل من أساليب الرعاية التى تدل على الانتماء فإنهم يقومون بالدفاع عن الصغار، وهو ما يمكن أن نطلق عليه القاسم المشترك الأصغر للاستجابة الذكرية فى مواجهة الصغار.

### قدرة المكاك ذوو الغطاء الواقى Bonnet Macaques

تدل الملاحظات التى سجلت حول قدرة المكاك ذات الغطاء الواقى سواء كانت فى الأسر أو فى البرية أن الذكور الراشدين يتفاعلون باستمرار وبشكل نسبى مع الأعضاء غير الناضجين فى الجماعة وذلك بطريقة تدل على الانتماء. وعندما تم إبعاد الأم تجريبياً عن الصغار وذلك فى المعمل الموجود بالمستعمرة التى تضم أولئك القروود أصبح الذكور الراشدون تواقين للصغار، وقاموا بمسكهم وحملهم ومداعتهم فى عدد من المناسبات (Kaufman & Rosenblum, ١٩٦٩). ومن ناحية أخرى فقد ظهر اللعب كسمة شائعة تميز النشاط الاجتماعى لهؤلاء القروود وذلك فى الدراسات التى أجراها سيموندز (Simonds, ١٩٧٤، ١٩٦٥) وسوجياما (Sugiyama, ١٩٧١) على مجموعات من القروود فى البرية إذ كان الراشدون الذكور لا يقومون باللعب مع الصغار واليافعين فحسب، بل كانوا يلعبون مع الذكور الآخرين أيضًا. كما كانت حماية الصغار تمثل مظهرًا

من مظاهر العلاقة بين الذكر الراشد وهؤلاء الصغار إذ عندما كان يقوم أعضاء الجماعة بعبور الطريق أو السير في العراء يتخلف عنهم أحياناً بعض الصغار حديثي الولادة أو أحدهم وذلك عندما ينهمكون في اللعب . وعادة ما تقوم الأم بالعودة إلى هؤلاء الصغار لالتقاطهم وذلك عند سماع صرخاتهم العالية . إلا أنه في القليل من المناسبات نجد أنه حتى الأمهات تترددن في العودة للخلف لالتقاط هؤلاء الصغار خوفاً من عبور الطريق بالقرب من الملاحظين الذين يقومون بمراقبة سلوك تلك القروود . وفي مثل هذه المناسبات يقوم الراشدون الذكور بأنفسهم أو بقيادة الأمهات بالرجوع للخلف أو للجانب الآخر من الطريق والعودة إلى الجماعة حاملين أولئك الصغار على ظهورهم أو يرجعون جميعاً صغاراً وكباراً وهو يجرون (Sugiyama, 1971) .

وبوجه عام فقد لوحظ وجود تفاعلات إيجابية بين الراشدين الذكور وبين اليافعين بشكل يفوق مثيلاتها بين أولئك الذكور الراشدين وبين الصغار . وقد لاحظ سوجياما (Sugiyama ١٩٧١) أن اليافعين يتجمعون حول الراشدين الذكور عندما يتخذ أعضاء الجماعة للراحة ، وأحياناً يقوم أحد الراشدين الذكور بجذب أحد الذكور اليافعين قريباً منه ويمسك به من يديه ، وفي أحيان أخرى يأتي اليافعون الذكور إلى أحد الراشدين الذكور ويتعلقون به ويعانقونه . ولم يحدث أن لوحظت أنماط التفاعلات هذه بالنسبة للقروود الصغيرة . ووجد سيموندز (Simonds ١٩٧٤) أن الراشدين الذكور يقومون بشكل ثابت بتجنب الاتصال بصغار القروود الذين يشبه لونهم لون لحاء الشجر وهو اللون الذي يميز القروود حديثي الولادة . أما عندما يتغير لون أولئك القروود فإن الراشدين الذكور يقبلون كثيراً على التفاعل معهم . وحتى الأسبوع السادس من عمر الصغير يعمل الراشدون الذكور على إقامة علاقات منتظمة معهم . وفي حين تبقى الإناث اليافعات قريبات من أمهاتهن والإناث الأخريات اللاتني توجد بالقرب منهن يلتفت الذكور اليافعون إلى جماعات اللعب التي تضم اليافعين الذكور الأكبر منهم سناً إلى جانب أولئك القروود شبه البالغين وأحياناً الراشدين .

### قردة المكاك الياباني Japanese Macaques

تعتبر الدراسة التي أجراها إيتاني (Itani ١٩٥٩) على قردة المكاك الياباني أحد الأمثلة المبكرة التي تم من خلالها جذب الانتباه إلى الرعاية الذكرية بين قردة العالم القديم .

وقد أجرى هذه الدراسة في Takasakiyama ووجد أن ما لاحظته من رعاية ذكرية لصغار هذه القردة يتشابه مع رعاية الأم لهم ، ولا يختلف عنها إلا في قيام الأم بإرضاعهم فيقوم الذكور بعناق الصغار ، وحملهم على ظهورهم ، أو مصاحبتهم عندما يقومون بالمشي ، كما يجنبونهم التجول بعيداً عنهم ، وعندما يجلسون على الأرض يأخذونهم في أحضانهم أو يجعلونهم يرقدون على الأرض أمام أقدامهم ، ثم يقوم هؤلاء الذكور الراشدون بتنظيف أجسام أولئك الصغار ، كما يقومون أحياناً باللعب معهم بالساعات .

ومن ناحية أخرى تتمثل السمة الأكثر شيوعاً بين أولئك الذكور الراشدين في قيامهم بالدفاع عن الصغار الذين يشعرون بالتهديد حيث وجد ألكسندر (١٩٧٠) Alexander بالنسبة لجماعة القردة التي كانت توجد في الأسر والتي تنتمي إلى هذه الفصيلة ذاتها التي نحن بصدد التحدث عنها أنه حينما كان يقوم أحد الأدميين بالإمساك بأحد هذه القردة حديثي الولادة ، كان الذكور الراشدون من ذوى الهيمنة والسيطرة على هذه الجماعة يظهرون رد فعل لذلك يتمثل في غضب عارم وثورة شديدة مع تكرار محاولة الهجوم على ذلك المختطف الأدمي . وتدل الملاحظات التي أبداها كاواي (١٩٦٠) Kawai في دراسته لمدى التعلق المحتمل بين الذكور الراشدين وبين الصغار على أن هؤلاء الصغار يتجمعون حول جثة قائد الجماعة لعدة أيام بعد موته ويلعبون حولها .

كذلك فقد لاحظ إيتاني Itani أن رعاية الذكور في الغالب كانت تقتصر على صغار القردة الذين تتراوح أعمارهم بين عام وعامين ولا تتضمن القردة حديثي الولادة إذ كانت القردة التي تبلغ عامًا من عمرها هي التي تتسبب في ٧٤٪ من هذه التفاعلات مع الذكور الراشدين . ولم يتم ملاحظة الرعاية الذكرية المكثفة من جانب الذكور فقط كاملي النضج إلا في مواسم التوالد ( ولادة الصغار ) وذلك عندما يحرم القرد الذي بلغ عامًا من عمره من رعاية أمه على أثر وصول قردة حديثة الولادة تخلفه في الحصول على هذه الرعاية . وتبدأ الرعاية الذكرية في مجتمع قردة البرية اليابانية بما يشبه انهيار سد (Itani, 1969) . وتنتقل بذلك مسؤولية الرعاية من الأم إلى الذكر تام النضج في مرحلة هامة بالنسبة لبقاء الصغير ، وهو ما يمثل نظاماً سلوكياً متتاماً عجبياً . وقد أكدت الملاحظات المتتالية لهذه النقطة تلك النتائج التي توصل إليها إيتاني في هذه الدراسة والتي تم استعراضها في السطور السابقة (Alexander, 1970; Hasegawa & Hiraiwa, 1890).

وقد أكدت من جديد إحدى الدراسات الحديثة التي أجريت على القردة الصغار اليتيمة التي تنتمي إلى قروود المكاك الياباني الطليقة على ذلك الدور الهام الذي يؤديه الذكر ، ليس كقائم بدرجة كبيرة على الرعاية فحسب بل كمصدر احتياطي هام ومرن أيضًا حيث وجد هيزجاوا وهيراوا (1980) Hasegawa & Hiraiwa أن الذكور الراشدين كانوا هم القائمين أساسًا على رعاية القروود الصغيرة اليتيمة متفوقين بذلك على كل من الأخوة ، والأقارب الآخرين ، والقرناء من غير الأقارب ، والإناث الراشيدات من غير الأقارب . وعلاوة على ذلك فقد لوحظت القروود الصغيرة اليتيمة وهي تبدى تفضيلاً واضحاً للذكور الراشدين على الأقارب غير الناضجين حيث كان يقوم هؤلاء الذكور الراشدون بحملهم وتنظيف أجسامهم ويقومون بالدفاع عنهم . وفي حالة تنظيف أجسام هؤلاء الصغار كان أولئك الراشدون الذكور يحلون محل الأم الحقيقية بشكل كامل حيث تقوم الإناث الراشيدات في الواقع وبوجه عام بإبداء اللامبالاة للصغار من أبناء الإناث الأخريات ، ونادرًا ما يقمن برعايتهم مثلما يفعل الذكور الراشدون من أعضاء الجماعة التي ينتمون إليها . وينطبق ذلك حتى على الإناث اللائى ليس هن صغار يقمن على تربيتهن ، إلا أن الإناث الراشيدات كن يقمن في بعض الأحيان بعناق الصغار اليتيمة وتنظيف أجسامهم ، ولكنهم لم يقمن بحمايتهم ضد أى هجوم عليهم كما يفعل الذكور الراشدون معهم .

وطبقًا لنظريات البيولوجيا التطورية يصبح لهذا النمط السلوكى مغزاه إذ يعمل على إيجاد ميزة تطورية للإناث تتمثل في قيامها بولادة صغير آخر حتى يحمل جيناتها ، ونتيجة لذلك فإنها :

- ١ - تنقل اهتمامها من الصغير الذى بلغ عامًا إلى صغير آخر حديث الولادة .
- ٢ - تستثمر بعضًا من الطاقة المخصصة للرعاية في أولئك الصغار الذين لا يحملون جيناتها أى الأيتام .

ومن الملاحظ أنه في بعض فصائل هذه الثدييات غير الإنسانية كقردة اللنجور Langur على سبيل المثال ( قروود آسيوية طويلة الذيل ) تقوم الإناث الراشيدات بتبنى صغار إناث أخريات (Jay, 1963; Blaffer Hrdy, 1976) . ومن المتوقع أن تكون مثل هذه الإناث أكثر وثاقة فيما بينها من غيرها من الأعضاء التي لا تقوم بالتبنى كالأخوات على سبيل المثال . وعندما نتساءل عن السبب الذى يجعل ذكر المكاك اليابانى يقوم بتبنى يتيم تربطه به علاقة من بعيد فإننا نرى أنه يوجد اعتباران على الأقل لذلك ، يتمثل أولهما

في أنها قد لا تربطها هذه العلاقة البعيدة على الإطلاق إذ أن هناك بعض التقارير التي تتناول العديد من الفصائل تؤكد أنه من المحتمل بالنسبة للذكور أن يقوموا برعاية الصغار من أبناء أمهات أخريات قام هؤلاء الذكور بمعاشرتهم والتزاوج منهن من قبل (Ransom & Ransom, 1971; Estrada & Sandoval, 1977; Altmann, 1980; Pecker, 1980). أما ثانيهما فيتمثل في أن مثل هؤلاء الذكور الراشدين قد يحصلون على قدر أكبر من المكاسب بشكل مباشر نتيجة قيامهم برعاية الصغار. فلاحظ كل من إيتاني (1959) وإيزجاوا وهيراوا (1980) Hasegawa & Hiraiwa أن الذكور قد يقومون بالاندماج كلية في الجماعة نتيجة لتفاعلهم مع الصغار. ومع ذلك يتضح أننا لا نزال في حاجة إلى مزيد من المعلومات التي توضح تلك المكاسب المباشرة والغايات التي يحققها الذكور الراشدون من قيامهم بمثل هذا الاستثار الوالدى في تلك الفصائل مختلطة التزاوج كقرود المكاك اليابانى على سبيل المثال.

### قرودة المكاك الأبتير Stumptail Macaques

توضح الدراسات المبكرة التي تناولت قردة المكاك الأبتير (الأبتير هو مقطوع الذيل أو قصيره) أن الذكور لا ينغمسون في حياة الصغار ولا يبدو أن أي اهتمام بهم إذ يرى برتراند (1969) Bertrand على سبيل المثال أنه على الرغم من أن الذكور كانوا متسامحين مع الصغار ويقومون بحمايتهم وذلك في الجماعة التي ينتمون إليها، فإنهم مع ذلك أي الذكور كانوا لا يندفعون إلى هؤلاء الصغار بنشاط وحماس. وتصور دراسات أخرى مبكرة كتلك التي أجراها جونز وترولوب (1968) Jones & Trollope وبرنشتاين (1970) Bernstein وبراندت وآخرون (1970) Brandt, et al., تلك التفاعلات التي تحدث بين الذكور والصغار من قردة المكاك الأبتير التي تتضمن التلامس أن إدراك الذكور الراشدين للصغار يزداد بدرجة كبيرة، وفي المقابل يقوم الصغار بفاعلية بمحاولة تحقيق التقارب مع هؤلاء الذكور.

وتؤكد الدراسات الأكثر حداثة من تلك الدراسات أن قرد المكاك الأبتير لا يسبقه في مدى تفاعلاته مع الصغار سوى قرد المكاك المغربى فقط Barbary وذلك من بين قرود العالم القديم التي يسود بينها تعدد الزوجات حيث يوجد العديد من الذكور والعديد من الإناث. فتؤكد نتائج الدراسة التي أجراها جوزوليز (1975) Gouzoules على مجموعة من قرود هذه الفصيلة تم حبسها في مكان خاص بها وذلك في مركز ياركز Yerkes

للثدييات بالولايات المتحدة الأمريكية أن الذكور قد أبدوا اهتمامًا بالصغار وأقاموا معهم العديد من التفاعلات تمامًا كما فعلت الإناث مع أولئك الصغار . وقد اتضح أن الفئة الاجتماعية لكل من الذكور وأمهات هؤلاء الصغار تمثل عاملاً هاماً في التأثير على أنماط التفاعلات بين الذكور والصغار في هذه المجموعة . كما وجد أيضًا أن الذكور شبه البالغين كانوا يندمجون بفاعلية مع الصغار . وتختلف هذه النتيجة الأخيرة بطبيعة الحال مع ما توصل إليه براندت وآخرون (Brandt, et al., ١٩٧٠) ولكنها تتشابه كثيرًا مع النمط الذي يصدر عن قرد المكاك المغربي .

وفي تناولهما لأربعة عشر نوعًا للتفاعل عن طريق التلامس بين الذكر الراشد وبين الصغير خلال فترة مبكرة جدًا من حياة تسعة من صغار هؤلاء القروود يعيشون في جماعتين اجتماعيتين تضم كل منهما اثنين من الذكور الراشدين وجد هندي - نيلي وراين (Hendy-Neely & Rhine ١٩٧٧) أن التلامس المؤقت للصغير من جانب الذكر الراشد قد حدث في وقت مبكر جدًا من حياة الصغير وبشكل أكثر تكرارًا عن غيره من أنماط السلوك الأخرى كالتعلق أو تنظيف جسم الصغير على سبيل المثال وهو ما تقوم به الأم بشكل متكرر . كما كان هناك اختلاف كبير بين تلك القروود التسعة في مقدار الانتباه الذي كان يوليه الذكر لهم ، وتم إرجاع هذه الفروق إلى الأنماط السلوكية الدالة على الانتهاء من جانب أعضاء جماعة الراشدين . أي أن المتغيرات ذات الأهمية في هذا الصدد كانت هي درجة السيطرة أو الهيمنة التي يبديها الذكر والأم ، وما إذا كانت الأم متساهلة أو مقيدة لاقترباب الذكر من الصغير . وفي ملاحظة تالية لهؤلاء القروود وجد نفس الباحثين في (١٩٧٨) أن الذكور والصغار قد قاموا بالتفاعل مع بعضهم البعض بطرق تميز الأمهات والأطفال ، وأن كم التفاعلات بينهم كان يزيد بشكل دال عن مثيله في كل أنماط العلاقات الثنائية الأخرى باستثناء تلك العلاقات التي كانت تنشأ بين الأم والصغير .

كذلك فقد لاحظ بيفر - سميث وسميث (Peffer-Smith & Smith) في ملاحظتهما التي تمت بعد ذلك لأعضاء هذه المجموعة الموجودة في الأسر وذلك في المستعمرة التابعة لمركز ياركنز للثدييات والتي كانت تضم ستة ذكور راشدين وجود تفاعلات شاملة بين هؤلاء الذكور الستة وبين القروود غير الناضجين التي كانت أعمارهم تتراوح بين الميلاد

وعامين . ووجد هذان الباحثان أن ١٧٪ من التفاعلات الاجتماعية التي قام بها القروء غير الناضجين كانت مع الذكور الراشدين ، وأن السلوك الاجتماعي العام والسلوك الدال على الانتباه قد تسببا في ٧٥٪ و ١٨٪ على التوالي مع إجمالي هذه التفاعلات الاجتماعية . وقد كانت المبادرة في معظم هذه التفاعلات تأتي من جانب القروء غير الناضجين إذ قاموا بالمبادرة في ٦٥٪ من السلوك الدال على الانتباه ، و ٧٣٪ من التفاعلات الاجتماعية العامة ، و ٧٣٪ من اللعب . وألفت هذه السلوكيات فيما بينها أكثر من ٩٠٪ من إجمالي التفاعلات بين الذكر والصغير . وانتهى الباحثان إلى أن الذكور الراشدين يعملون كقوى ومؤثرات اجتماعية هامة هؤلاء القروء غير الناضجين ، وأن الفئة الاجتماعية للذكر الراشد وليس عمره لها تأثير دال على معدل التفاعلات بين الذكر والصغير ، كما كان وجود ارتباط وراثي بين الذكور الراشدين والصغار غير الناضجين يعمل على إيجاد معدل من التفاعلات بينها أعلى مما يوجد بين الذكور والصغار غير المرتبطين وراثياً .

وعندما قام إسترادا Estrada وزملاؤه (Estrada, et al., Estrada & Sandoval, 1977) بدراسة قروء المكّك الأبتّر الطليقة بمستعمرة توجد في إحدى الجزر وجدوا أن هناك ستة عشر نمطاً سلوكياً مختلفاً للرعاية توجد بين الذكور والصغار . وتتضمن هذه الأنماط السلوكية حمل الصغار ، والتنقل بين كل اثنين منهم مع لمس الاثنين ، وعناقهم ، وحميتهم ، وتنظيف أجسامهم ، والاقتراب منهم . وقد تلقى الصغار الذين تقل أعمارهم عن ستة أشهر قدرًا من الرعاية من الكبار يزداد بشكل دال عما تلقاه الصغار الأكبر منهم سنًا . وعلاوة على ذلك فقد كانت هناك فروق بين هاتين المجموعتين العمريتين من الصغار في نمط ومقدار الرعاية الذكرية التي تلقوها حيث تلقى الصغار الأقل سنًا قدرًا من الإثارة اللمسية من الذكور أكبر مما تلقاه الصغار الأكبر سنًا حيث كان اللعب هو السائد بين أعضاء هذه المجموعة الأخيرة . أما العمر الزمني فقد ارتبط بذلك بشكل ضعيف من جانب الذكور الراشدين ، كما كان هناك تفضيل واضح من جانب هؤلاء الذكور الراشدين للقيام بالتفاعلات المختلفة مع الذكور الصغار عن القيام بتلك التفاعلات مع الإناث الصغيرات بغض النظر عن العمر الزمني . وعلى الرغم من وجود ذكزين فقط وخمس إناث في كل مجموعة من مجموعتي الصغار فقد تلقى الذكور الصغار

٧٦٪ من إجمالي درجات الأنماط السلوكية للمس من جانب الذكور الراشدين، ٨٨٪ من إجمالي درجات الاقتراب منهم والصياح إليهم . ولم يكن مدهشاً إذن أن يجد هؤلاء الباحثون فروقاً بين الجنسين في نمط الرعاية التي تلقاها الصغار إذ عندما كان يتم لمس الذكور كان يتم العبث بأعضائهم التناسلية وكان يتم التنقل فيما بينهم ، أما الإناث فقد كانت تفاعلاتهن أكثر في اللعب ، وعندما كان يتم لمسهن كان يتم العبث بأعضائهن التناسلية ، وقد استمرت الأمور في السير على هذا النحو . ولم ترتبط درجة السيطرة التي كان يفرضها الصغير بمقدار الرعاية الذكرية التي كان يتلقاها .

وفي محاولة منها لتلخيص نظام الرعاية الذكرية لدى قرود المكاك الأبتري ، يرى استراد وساندوفال (Estrada & Sandoval ١٩٧٧) أن مقارنة النتائج التي توصلوا إليها بنتائج الدراسات الأخرى التي تناولت مجموعات من هذه القرود في الأسر تبين أنه على الرغم من اختلاف الظروف البيئية والاجتماعية للقرود في تلك الدراسات فإن قيام الذكور برعاية الصغار يعتبر سمة سلوكية متكررة . وقد يعتبر هذا دليلاً على وجود ما يسميه كومر (Kummer ١٩٦٧) بالتكيف المكتسب خلال التطور النوعي Phylogenetic adaptation ويمكن تفسير ما يظهر من تشابه أو تناقض بين نتائج تلك الدراسات التي تناولت فصيلة القرود هذه ذاتها في ضوء ما يعرف بالتحور التكيفي adaptive modification (Kummer, 1967) أي أنها تعتبر نتيجة للفروق في :

(أ) التنظيم الاجتماعي .

(ب) تقاليد الجماعة .

(ج) الظروف البيئية (الفيزيائية) .

### قردة المكاك المغربي Barbary Macaques

يعد القرد المكاك المغربي وهو شمال إفريقي لا ذيل له من بين فصائل القرود التي تنتمي إلى العالم القديم والتي تمت دراستها بمزيد من التفصيل . ويعتبر هذا القرد أو هذه الفصيلة من القرود هي الوحيدة غير الآسيوية من فصائل قردة المكاك (Taub, 1977) .

ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من القرود يظهر بجلاء أعلى درجات الرعاية الذكرية إذ لاحظ لاهيري وساوزويك (Lahiri & Southwick ١٩٦٦) في دراستها

لمجموعة من هذه القروود بحديقة الحيوان وجود اندماج شامل بين ذكور قرودة المكاك المغربى وبين الصغار ، ويعتبر هذان الباحثان هما أول من توصل إلى ذلك .

أما الملاحظات التفصيلية للرعاية الذكرية فقد تمت في مستعمرة قروود المكاك المغربى الموجودة في جبل طارق والتي يديرها الجيش الإنجليزى حيث تضم كل مجموعة من هذه القروود في جبل طارق ذكراً راشداً واحداً فقط وذلك على العكس من المجموعات متعددة الذكور الموجودة بالعراء في شمال أفريقيا . فقام ماك روبرتس (١٩٧٠) Mac Roberts وبيرتون (١٩٧٢) Burton وبيرتون وبيك (١٩٧٢) Burton & Bick بعرض للتفاعلات السلوكية التى تتم بين الذكر والصغير في هذه المستعمرة وفقاً لتسلسلها الزمنى . فتناول ماك روبرتس Mac Roberts الإنقاذ واللعب ، ولاحظت بيرتون وبيك Burton & Bick أن القائد الذكر والذكور شبه البالغين يمسون بالصغير بانتظام وذلك لفترات تزيد كل منها عن خمس عشرة دقيقة .

ومن ناحية أخرى فقد تناولت بيرتون (١٩٧٢) Burton عملية التنشئة الاجتماعية في ملاحظاتها التفصيلية لمستعمرة جبل طارق ، وميزت بين أربعة أدوار أساسية للذكور الراشدين في عملية التنشئة الاجتماعية للقروود غير الناضجين . وفي ظل قلة المعلومات المتوفرة عن دور الذكر الراشد في عملية التنشئة الاجتماعية فإننا سوف نتناول الملاحظات التى أبدتها بشىء من التفصيل . فتعتبر النتائج التى توصلت إليها فيما يتعلق بأثر الذكر الراشد على النمو الحركى للصغار ذات أهمية خاصة حيث :

١ - يقوم الذكور الراشدون بتشجيع الصغار على تطوير قدرات حركية تسمح لهم بالتفاعل الاجتماعى إذ لاحظت بيرتون Burton على سبيل المثال هذا التابع التالى غير العادى : « كان الذكر القائد في أربعة مناسبات هو الذى يقوم بالمبادرة في بداية المشى من جانب الصغير إذ كان يقوم بوضعه على الأرض ثم يتحرك للخلف بعيداً عنه لمسافة تقدر بنحو قدمين تقريباً ، ويخفض رأسه ، وينظر للصغير ، ويصدر أصواتاً كالثرثرة . فيحاول الصغير أن يرد عليه هذه الثرثرة ويتقدم تجاهه بخطوات بطيئة . وعندما يصبح الصغير قريباً من الذكر الراشد وذلك لمسافة تتراوح بين ست بوصات إلى قدم واحدة ، يقوم الذكر الراشد في تلك الأثناء إذا لم يوجد أى حيوان آخر باستثناء الأم

بالقرب من الصغير يقوم بالتراجع للخلف من جديد ثم يكرر الثرثرة . أما إذا بدأت الحيوانات الأخرى في الاقتراب من الصغير ، فإن الذكر الراشد يقوم بالتقاطه على الفور ويتعد به عنهم ويقوم في نفس الوقت بإصدار إشارة تهديد متوسطة القوة لهم . وتحدث مثل هذه التفاعلات خلال الأسبوع الأول من عمر الصغير وذلك قبل أن يقوم بتطوير التآزر الحركى البارع . ويصبح بمقدور الصغار الآخذين في النضج وسط الجماعة التي كانت تلك التفاعلات تتم فيها أن يحققوا مهارة في الأنشطة الحركية في سن شهر ونصف من أعمارهم وذلك بشكل أفضل من غيرهم من الصغار الذين ينتمون إلى مجموعة أخرى لا يقوم الراشدون الذكور فيها بمشاركة الصغار في مثل هذه الأنشطة . ومن المفيد أيضاً أن نذكر أن الصغار في المجموعة الأخيرة أى التي لم يشارك الذكور الراشدون فيها الصغار في تلك الأنشطة يبدأون في المشى معتمدين بدرجة كبيرة على محاولاتهم هم أنفسهم . وقد يرجع ذلك إلى أن الأم غالباً ما تبعدهم عن الاتصال بالقائد الذكر .

٢ - يقوم الراشدون الذكور بإعادة توجيه الصغار الآخذين في النمو بعيداً عنهم وذلك باتجاه أعضاء مجموعة أخرى . فقد يقوم القائد الذكر على سبيل المثال بإعادة الصغير إلى أمه بعد أن يكون قد اقترب منه ، وهو ما يجعل الصغير يقوم في النهاية بتحويل أنماط ارتباطه بعيداً عن الذكور الراشدين وشبه البالغين ويتجه بها نحو جماعات الأقران .

٣ - يقوم الراشدون الذكور بتعزيز أنماط السلوك المقبولة اجتماعياً والتي تناسب المجموعة العمرية للصغير وذلك عن طريق عدم التدخل فيها أو بإثابة الصغير عليها كأن يقوموا بالثرثرة معه أو عناقه على سبيل المثال أو ما إلى ذلك . ونأخذ مثلاً على ذلك يتمثل في قيام الراشدين الذكور بتشكيل حركات المص عند الصغير حتى يظهر لديه التعبير الوجهى الدال على الثرثرة والذي يستخدم فيه أسنانه إذ يقوم الصغير في كل مرة بالقيام بحركة مص معينة مما يجعل الأم والأب يقومان بالثرثرة معه وله حتى يقوم الصغير في النهاية بإعادة التعبير الوجهى الدال على الثرثرة .

٤ - يقوم الراشدون الذكور بتمييز أنماط السلوك غير الملائمة أو يقومون بكفها وذلك بعقاب الصغير عليها كأن يقوموا مثلاً بتهديده أو طرده أو ما إلى ذلك . كما يقوم الراشدون الذكور أيضاً بتعطيل التفاعلات العدوانية التي قد يشارك فيها الصغير .

وتعتبر تلك الملاحظات التي أبدتها بيرتون Burton قيمة للغاية حيث تسجل أنماط السلوك التي لا تتضمن فقط ذلك الاتصال بين الذكر والصغير والتي تدل على درجة كبيرة من الانتهاء ، بل تتضمن أيضاً تلك التفاعلات التي تعتبر تعليمية والتي نادراً ما تمت ملاحظتها بين الثدييات غير الإنسانية . وعلاوة على ذلك فقد تم توضيح دور الأم في انتظام مدى التقارب والاتصال بين الذكر والصغير حيث يساهم دور الأم في حدوث تلك السلوكيات .

وتدل الملاحظات التي تناولت القردة شبه الطليقة والمعروفة بقردة الجبال والموجودة بإحدى المستعمرات في فرنسا ، والتي كان يتم فيها توفير الطعام للقروود تدل على أن الذكور من هذه الفصيلة أيضاً يتميزون باهتمامهم القوي بالصغار وباندماجهم الشامل معهم حتى إلى درجة أن الذكور الراشدين يقومون بحمل الصغير الميت لفترة طويلة من الوقت (Merz, 1978) .

وحينما تمت دراسة هذه الفصيلة دراسة علمية لأول مرة في بيئتها الطبيعية دهش كل من ديج وكروك (Deag & Crook (1971) بما لاحظاه من جاذبية وشدة وتنوع العلاقة بين الذكر الراشد والصغير . وأكدوا على أن الرعاية الذكرية السائدة في هذه الفصيلة لم تكن نتاجاً للأسر أو لتوفير الغذاء لأولئك القروود . وإلى جانب ذلك فقد أكدت نتائج الدراسة التي أجراها توب (Taub (1978, 1980 على قردة المكاك المغربى وذلك في المملكة المغربية ، أكدت على ما لاحظه ديج وكروك من أن تلك التفاعلات المتطورة والعميقة بين الذكور الراشدين والصغار تعتبر من السمات العامة التي تميز أعضاء هذه الفصيلة من قردة المكاك .

ويميز ديج وكروك (Deag & Crook (1971 بين نوعين من التفاعلات تتم بين الذكور الراشدين وبين الصغار من قردة المكاك المغربى هي :

١ - الرعاية الذكرية .

٢ - استغلال الصغير في التقرب لذكر آخر .

ويتضمن النوع الأول منها كل أشكال التفاعلات الثنائية التي تحدث بين ذكر راشد واحد وصغير واحد فقط . وبذلك تفترض هذه الرعاية الذكرية القيام ببعض أنماط السلوك التقليدية التي تقوم بها الأم كالإمساك بالصغير ، وحمله ، وإنقاذه ، وحمايته ، وعناقه ، وتنظيف جسمه .

أما النمط الثاني للاندماج بين الذكر الراشد وبين الصغير فيتمثل في استغلال الصغير في التقرب لذكر آخر ، وقد أطلقا عليه agonistic buffering وهو المصطلح الذي استخدمناه للدلالة على التابع السلوكي الذي يقوم بمقتضاه أحد الذكور الراشدين بالتفاعل مع ذكر راشد آخر عن طريق أحد الصغار ، أى أنه يتم استغلال الصغير في هذا الموقف حتى يحدث التفاعل بين اثنين من الذكور الراشدين (Deag & Crook, 1971; Deag, 1974). فعلى سبيل المثال لم يكن أمراً غير عادي أن نرى أحد الذكور الراشدين يجرى على ثلاثة أرجل حاملاً أحد الصغار بالرابعة لمسافة تتراوح بين ثلاثين إلى أربعين متراً ويأخذه مباشرة إلى ذكر آخر راشد (Deag & Crook, 1971). وتمثل وظيفة هذا النمط من التفاعل في كونه وسيلة لمساعدة ذكر تابع في الاتصال بذكر مهيمن والبقاء قريباً منه مع تناقص في احتمال قيام ذلك الذكر المهيمن بالهجوم عليه في وجود الصغير (Deag, 1974).

وأعاد توب (1980) Taub اختبار صحة فرض التقرب لذكر آخر في وجود الصغير والتتابعات السلوكية التي تحدث في هذا الموقف وذلك في ضوء البيانات والنتائج التي حصل عليها في دراسته الميدانية ، ووجد هناك أسباباً دفعت به إلى رفض الشعب الثنائي إلى الرعاية الوالدية والتقرب لذكر آخر في وجود الصغير . كما دفعت به أيضاً إلى إعادة تقييم وظيفة التفاعلات الثلاثية . ويرجع ذلك إلى أن نتائجها التي حصل عليها لم توائم في الجزء الأكبر منها بين فرضه المبكر الذي يرى من خلاله أن مسألة التقرب لذكر آخر في وجود الصغير تنظم العلاقة بين ذكر مهيمن وآخر تابع . فالذكور غالباً لا يختارون غيرهم من الذكور بطريقة متطابقة كى يتفاعلون معهم ، ولكننا نجد بدلاً من ذلك أن كل ذكر يقوم باختيار مجموعة مختلفة تتألف من ثلاثة ذكور من بين أحد عشر ذكراً ويفضل أن يقيم مع أعضائها تفاعلات ثلاثية . وبالتالي يبدى كل ذكر تفضيلات ملفتة للنظر وذلك لصغار معينين في المواجهات الثلاثية ، ويكون هؤلاء الصغار هم

أنفسهم نفس الصغار الذين قام ذلك الذكر بتفضيلهم في الرعاية من قبل . وأخيرًا فإننا نلاحظ أيضًا أن الذكور الذين يفضل كل منهم الآخر في التفاعلات الثلاثية يظهرون تفضيلاً متبادلاً لنفس الصغار . واختتم توب Taub ملاحظاته بقوله إن الذكور يختارون أن يقوموا بالمشاركة في التقرب لذكر آخر في وجود الصغير ( ولكنه فضل بعد ذلك أن يتجنب استعمال هذا المصطلح ) بسبب ومن خلال علاقة عامة ومشاركة تقوم على الرعاية الخاصة لنفس الصغير (Taub, 1980) .

وبذلك فقد نقل توب Taub محور تفسيره للعلاقة الثلاثية بعيداً عن نظام الوضع الاجتماعي إلى شبكة الرعاية المشتركة . وعلاوة على ذلك فإن التشعب التصنيفي بين قيام الذكر بالرعاية وبين وجود الصغير أصبح لا جدوى له في الوقت الراهن وخصوصاً في ضوء الحقيقة التي ترى أن أنماط السلوك الدالة على الرعاية كالإمساك بالصغير ، وتنظيف جسمه وحمله تحدث بجلاء أثناء وجود الصغير . وبالتالي فإننا نؤكد أن وضع أنماط السلوك في فئات منفصلة وغير مترابطة يبدو أنه يعطى عكس النتائج المرجوة .

وتوضح نتائج الدراسة الميدانية التي قام بها توب ( ١٩٧٥ ، ١٩٧٨ ) Taub الملامح الأساسية للرعاية التي يقوم بها الذكر الراشد للصغير بين قرود المكاك المغربي على النحو التالي :

١ - يتفاعل الذكور الراشدون مع الصغار بشكل منتظم مستخدمين أنواعاً مختلفة من الأنشطة السلوكية تتضمن الإمساك بالصغير ، وحمله ، وتنظيف جسمه ، والاقتراب منه بشكل يتضمن الإغراء ( التحرش به ) ، واللعب معه ، ومراقبته ، وإرشاده ، وإنقاذه ، وحمايته . ويصف ميتشيل وبرانث ( Mitchell & Brandt ١٩٧٢ ) في تناولهما للأبوة بين الثدييات ثمانية مستويات للتفاعل قد تنشأ بين الذكور والصغار يتضح منها بشكل منتظم لدى قرود المكاك المغربي سبعة مستويات فقط ، إلا أنه من المحتمل وجود المستويات الثمانية لديهم أيضًا .

٢ - يتفاوت مقدار الاهتمام الذي يتلقاه بعض الصغار من جانب الذكور الراشدين بشكل دال . وفي المقابل نجد أن بعض هؤلاء الذكور الراشدين يندمجون مع بعض الصغار بشكل أكبر من اندماجهم مع بعضهم الآخر ، أما القرود شبه البالغين

فيعتبرون هم أكثر هؤلاء القروء اندماجًا مع الصغار اعتمادًا على المرحلة العمرية لهؤلاء الصغار وجنسهم .

٣ - يميز الذكور الراشدون بشكل كبير بين الصغار الذين يقومون بالتفاعل معهم ويميلون إلى تركيز انتباههم على واحد منها فقط أو اثنين . وبذلك يتلقى كل قرد صغير الرعاية من عدد من الذكور الراشدين المختلفين .

٤ - تتمثل الحالة البسيطة لموت الصغار في موت الصغير الذي لم يتلقى أى رعاية من الذكور الراشدين أو شبه البالغين .

هذا ويفترض توب Taub أن أساس نظام التفاعل بين ذكور قرودة المكاك المغربى والصغار يتمثل فى شبكة روابط القرابة والنسب التى تنشأ بين هؤلاء القروء ، إلا أن ذلك لم يكن قد تم إثباته والتحقق منه خلال إجرائه لدراسته التى نحن بصدد الحديث عنها الآن . كما أن العوامل المسئولة عن تطور قدرة الذكر الراشد على القيام بدرجة عالية من الاختبارات التمييزية للصغار الذين سيقوم بالتفاعل معهم لا تزال غير معروفة .

### **قرودة الربّاح ذوو الرأس الشبيهة برأس الكلب Cynocephalus baboons**

من المعروف أن رأس هذا النوع من قرودة الرباح تشبه رأس الكلب . ونظرًا لزيادة عدد الدراسات الميدانية التى أجريت على قرودة الرباح فى السنوات الأخيرة فقد توفر لدينا وبشكل متزايد العديد من التقارير عن التفاعلات الهامة بين الذكور الراشدين والصغار الذين ينتمون إلى قرودة الرباح ذات التنظيم الاجتماعى متعدد الذكور والإناث . إلا أن البيانات المتاحة لدينا لم تكن فى الأساس متوفرة سوى بالنسبة للرباح الأصفر والأنوبس Anubis والشقمة Chacma . ولتحقيق اليسر والسهولة هنا فقد تم تضمين هذه الفصائل جميعًا تحت العنوان الرئيسى المذكور أعلاه .

وتوجد هذه الفصائل فى مناطق الغابات والسفانا جنوب الصحراء الكبرى الأفريقية . ومن الجدير بالذكر أن كم وتكرار ووظيفة الارتباطات بين الذكور الراشدين والصغار من قرودة الرباح ذات الرأس الشبيهة برأس الكلب تتداخل مع مثيلاتها الخاصة بقرودة المكاك ولكنها تختلف عنها أيضًا فى عدة طرق وأساليب هامة .

وقد لاحظ دي فور (1963) De Vore وجود اهتمام بالصغار من جانب ذكور رباح الأنوس والرباح الأصفر، إذ وجد أن علاقة الصغير بالذكر الراشد تعد على درجة كبيرة من الأهمية في كل مرحلة من المراحل التي يمر الصغير بها لتحقيق النضج . وفيما يلي نستعرض بشيء من التفصيل تطور هذه العلاقة حيث قد يكون لها أهميتها لمن يهتمون بدراسة التطور السلوكي .

### ١ - من الشهر الأول إلى الشهر الرابع :

يقوم الذكور الراشدون ذوو الهيمنة بالاقتراب بشكل مستمر من تلك الشائيات التي تضم كلاً من الأم والصغير . ونادراً ما يترك الصغير أمه خلال الشهر الأول من عمره ، إلا أن هؤلاء الصغار يقومون في الشهر الثالث بالاتجاه نحو الذكور فيقفزون على أكتافهم ويجلسون على ظهورهم بشكل عمودي . ويبدو أن الاهتمام بالصغار من جانب الذكور الراشدين يصل إلى ذروته عندما يبلغ الصغير ما بين شهرين ونصف من عمره وحتى أربعة شهور . ويرى راويل Rowell (نقلاً عن : Hinde, 1971) أن هذا الاهتمام يظهر في الفترة ما بين شهر ونصف إلى ثلاثة شهور ونصف من عمر الصغير .

### ٢ - من الشهر الخامس إلى الشهر السادس :

وخلال هذه الفترة يتناقص اهتمام الإناث الراشدات بالصغير بسرعة ، وعندما يصبح لون الصغير بنيًا خالصًا يتم إهماله تمامًا . إلا أن الحماية التي تتسم بالحذر والتي يحيط الكبار الراشدون الصغير بها تستمر في أوجها ، ومع ذلك فإن الصغار الأكبر سنًا واليافعين يزيدون من جهودهم لإغراء الصغار الأقل سنًا للانضمام إلى جماعة اللعب التي يقومون بتكوينها .

### ٣ - الشهر الثامن :

وفيه تستمر أكبر القردة في السلسلة المتوسطة والتي تظل قريبة من الصغار منذ ولادتهم ، تستمر في الاقتراب منهم . وتعتبر ذكور هذه القردة هي الأكثر نشاطاً وفاعلية في قطع استمرار لعب الأطفال والتشاجر معهم وحمايتهم ، بينما تستمر الأم في التوسط لهؤلاء الصغار حتى يصلوا إلى سن عامين ، أي عندما يولد صغير آخر . ولكن الذكور عادة ما يقومون بحماية الصغار بشكل جيد خلال العام الثالث من عمر هؤلاء الصغار .

#### ٤ - الشهر العاشر :

يرتبط الصغار بالأقران في هذا الوقت بشكل أكثر استمرارًا ، إلا أنهم يلجأون مع ذلك إلى الذكور الراشدين طلبًا للحماية .

#### ٥ - الشهر الثلاثون :

وفي هذا الوقت تقريبًا لم يعد الصغير يتلقى الحماية التي كان يحصل عليها من قبل ، ولكنه بدلاً من ذلك يدخل في علاقة تبعية مع غيره من القروء التي تفرض هيمنتها .

ومع ذلك تظل العلاقة بين عمر الذكر الراشد والاستثمار الذي يقوم به في الرعاية تحتاج إلى توضيح إذ وجد دي فور (1٩٦٣) De Vore أن اليافعين من القروء والذكور الراشدين الأقل عمراً قد أبدوا اهتماماً أقل بالصغار . أما الذكور كاملوا النضج والذين ينتمون إلى السلسلة المتوسطة ذات الهيمنة فقد كانوا في المقابل يقربون من الصغار بشكل مستمر ويتناولوهم بأيديهم ويلعبون معهم . وتعد هذه النتيجة مناقضة لغالبية النتائج الأخرى التي توضح وجود علاقة بين عمر الذكر وذلك الاستثمار في الرعاية والتي تم التوصل إليها في العديد من الدراسات التي تناولت قروء المكاك ، إضافة إلى تلك الملاحظات التي قام رانسوم و رانسوم (١٩٧١) Ransom & Ransom بتضمينها في دراستهما الميدانية الشاملة التي أجريها على قروء رباح الأنوبس حيث وجد أن الذكور الأقل عمراً الذين تتراوح أعمارهم بين أربع إلى عشر سنوات يبدون اهتماماً واضحاً بالصغار علماً بأن الصغار في تلك الدراسة كانوا في الأصل من أبناء الإناث الأقل في الرتبة الاجتماعية . ولاحظنا أن وجود الصغير يعتبر عاملاً هاماً في حدوث تلك العلاقة . كما كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأمهات الأقل عمراً مقارنة بأولئك الأكبر عمراً أن يسمحن للذكور بأخذ الصغار ، وقد يرجع ذلك إلى عدة أسباب قد تتضمن عدم خبرة هؤلاء الإناث كأمهات والنقص النسبي في إقامة علاقات متينة بين هؤلاء الأمهات والصغار ، وإقامة روابط قوية بينهن وبين هؤلاء الصغار على أنهم جميعاً يؤلفون فيما بينهم شبه مجموعة .

وتعتبر الاستجابات الدالة على الحماية التي تصدر من الذكور الراشدين تجاه الصغار على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لكل فصائل قرود الرباح ، فكل الذكور الراشدون في المجموعة يستجيبون لتلك الأصوات التي تصدر عن الصغير وتدلل على وجود الخطر ،

ويقومون بالهجوم بشراسة على أى إنسان يحول بين ذلك الصغير وبين باقى أعضاء المجموعة (De Vore, 1963). ومن جانب آخر فقد تمت ملاحظة الذكور الراشدين وهم يحملون الصغير بعد ظهور أى إنسان بشكل مفاجئ، كما أن جماعات اللعب غالبًا ما تتشكل حول الذكور ذوى الهيمنة (Tayler & Saayman, 1972). كذلك فهم يتدخلون بالقوة أيضًا فى أى تفاعلات من نفس النوع حيث تعمل أى إشارة تدل على الخوف أو الإحباط يصدها القرد الصغير الأسود على جعل الذكر الراشد يبرز على نحو صارخ ويحرق باتجاه جماعة اللعب وأحيانًا ما يصدر صوتًا بهدوء مما يجعل اليافع الذى يقوم بالهجوم على الصغير يتركه فى الحال. أما إذا صرخ الصغير الأسود بصوت مرتفع فإن الذكور الراشدين يقفزون على أقدامهم فى الحال مما يجعل اليافعين المغيرين يهرعون فورًا فى هلع فيقوم الصغير على أثر ذلك بالعودة إلى أمه (De Vore, 1963).

ويؤكد رانسوم و رانسوم (1971) Ransom & Ransom وباكير (1980) Packer على بقاء الذكور الراشدين فى يقظة وحذر وقيامهم بحماية الصغار وذلك فى وجود الشمبانزى المفترس. وقد لاحظ ألتمان وألتمان (1970) Altmann & Altmann أحد الصغار وهو يجرى إلى أحد الراشدين الذى يقوم بحمله على الفور فى وضع تتلامس فيه بطن كل منهما وذلك بعد حدوث زلزال قوى. كما تعكس الملاحظات أيضًا قيام الذكور الراشدين بحماية الإناث والصغار الذين يميلون إلى الارتباط الوثيق بهم أثناء التحركات المختلفة التى تقوم بها الجماعة (Rhine & Owens, 1972; Tayler & Saayman, 1972).

وهناك العديد من الحالات التى تمت ملاحظتها والتى تدل على قيام الذكور الراشدين بتبنى الصغار حيث وجد بولويج (1959) Bolwig اثنين من صغار قرودة رباح الشقمة يتبناهما ذكور راشدون. كما تمت أيضًا ملاحظة اثنين من الذكور الصغار من ذوى الحجم الكبير بالمنتزه الوطنى فى نيروبو وهما على ارتباط دائم باثنين من الذكور الراشدين (Dolginow & Bishop, 1970). ومن ناحية أخرى لوحظ قرد صغير يتراوح عمره بين ستة أشهر إلى اثنى عشر شهرًا ماتت أمه فكان دائم الرفقة لقرد ذكر راشد ينتمى إلى رتبة اجتماعية ثانوية، فكان ذلك الصغير يقوم بتنظيف جسم الذكر الراشد، ويمشى خلفه أثناء تحركات الجماعة خلال النهار وينام بالقرب منه أثناء الليل (De Vore, 1963).

ويصف بوب (1978) Popp ظاهرة الاختطاف بين قرودة الرباح في ماساي مارا Masai Mara بكينيا حيث يقوم الذكور الراشدون وشبه البالغين بأخذ الصغار أثناء مواجهات التقارب مع ذكور آخرين في وجود الصغير . ووجد أنه من الأقل احتمالاً بالنسبة لهذا المختطف أن يكون هو والد الصغير عن أن يكون خصماً له . وعلى ذلك يبدو أن ذلك الذكر الراشد الذي يقوم باستغلال الصغير يكتسب ميزة من قيامه بوضع الصغير بينه وبين خصمه الذي قد تربطه بالصغير علاقة قرابة . وغالباً ما يكون الذكور ذوو الحجم الضخم ممن ينتمون إلى رتبة اجتماعية عالية هم أولئك المختطفين ، ولكنهم لا يقومون باختطاف الصغار إلا في وجود هؤلاء القرود الذكور الأكثر ضخامة والأكثر هيمنة في الجماعة ، ويتم ذلك وجهاً لوجه . إلا أن هذا النوع من التفاعل لا يعتبر من النوع المستمر ولا من النوع المنتظم حيث لم يحدث سوى في تسع وثلاثين حالة فقط على مدى الملاحظة التي استمرت لمدة مقدارها ٣٤١ ساعة ، وكان متوسط دوام هذا التفاعل سبع وأربعون ثانية ، أما مداه فيمتد بين أربع ثوان إلى مائتين وتسع وستين ثانية . ويبدو مع ذلك أن هذا التفاعل يمثل شكلاً من أشكال التقارب مع ذكر آخر في وجود الصغير بمعنى أن الصغار يصبحون بمثابة موضوعات معينة يتم استغلالها عند حاجة الذكر الراشد لتحقيق مآرب خاصة ، إلا أن هذا الشكل من أشكال التفاعل لا يعتبر في حد ذاته شكلاً من أشكال الرعاية الذكرية التي لاحظها آخرون في دراساتهم عن قرودة الرباح (e.g. Packer, 1980) .

ويصف ستروم ومانزوليلو Strum & Manzollillo التفاعلات التي تحدث بين الذكر الراشد وبين الصغير من قرودة الرباح في إقليم جلجل Gilgil بكينيا في مواقف التوتر مع الذكور الآخرين فيريان أن الذكور في مثل هذه المواقف يقومون باستغلال التفاعلات الاجتماعية مع الصغار لمصلحتهم الخاصة .

كما يميزان بين نمطين للتفاعل بين الذكر الراشد وبين الصغير أطلقا عليهما :

١ - تحقيق التقارب مع ذكر راشد في وجود الصغير agonistic buffering .

٢ - جواز المرور Passport .

ويريان أن أثر وجود الصغير في النمط الأول من التفاعل يعتبر نتيجة لميكانيزم فطري لإطلاق السراح يمنع عدوان الذكر المعتدى ويسبب حدوث تزايد في المسافة

التي تفصل بين الذكرين الراشدين . أما في النمط الثاني فإن وجود الصغير يسمح لذلك الذكر الراشد الذي يقوم برعايته بالاقتراب من الذكر الآخر فتناقص بالتالي المسافة التي تفصل بينهما . ومن خلال البيانات التي تم جمعها على مدى فترة زمنية استمرت سبع سنوات وجد أن استغلال الصغار من جانب الذكور الراشدين يعتمد على علاقة الانتماء السابقة التي تربط الصغير بالذكر الراشد ، وأحياناً تكون هذه العلاقة عبارة عن قرابة بيولوجية وثيقة .

ومن الجدير بالذكر أن الصغار فقط الذين يتميزون بالانتماء هم الذين يقومون بالاشتراك في محاولة الذكر الراشد لاستغلالهم ، وبدون هذه المشاركة من جانب الصغير يصبح لا جدوى لاستغلال ذلك الصغير من جانب الذكر الراشد .

ويرى رانسوم و رانسوم (١٩٧١) Ransom & Ransom و رانسوم و راويل (١٩٧٢) Ransom & Rowell في تقاريرهم عن العلاقة بين الذكر الراشد وبين الصغير من قرودة رباح الأنوبس الطليقة أن هناك أربعة أنماط أساسية للارتباط فيما بينهما ، يشتق أولها من وجود علاقة خاصة أو تعلق خاص بين الذكر الراشد وأم الصغير وتتضمن تلك العلاقة صغير هذه الأنثى عند ميلاده . ويتمثل النمط الثاني منها في تقوية الدور الوقائي أى الحماية التي يقوم بها الذكر كاستجابة للظروف المختلفة داخل جماعته الفرعية ، ويعتبر هذا النمط مستقلاً عن أى علاقة ارتباطية بين الذكر الراشد وبين الصغار الذين يقوم بحمايتهم . أما النمط الثالث فيتضمن إبداء الذكور الراشدين الأقل سنًا اهتمام خاص بالصغار الذين تنتمي أمهاتهم إلى رتبة اجتماعية أقل كما أنهم تعتبرن أقل عمراً . في حين يتمثل رابع هذه الأنماط في مظهر من مظاهر علاقات الهيمنة بين الذكور الراشدين ، ويبدو أن هذا النمط يشتق من قدرة الذكر الراشد على زيادة فاعليته في التفاعلات مع الذكور الآخرين ، وبقدر ما تكون علاقته بالصغير وثيقة فإنها تسهم في منع هؤلاء الذكور الراشدين من القيام بسلوكهم العدواني الموجه إليه . ولا يندمج في هذا النمط الأخير من التفاعلات مع الصغار سوى الذكور الراشدين الذين ينتمون إلى الرتب الاجتماعية الثلاث الأعلى .

وقد لاحظ باكير (١٩٨٠) Packer في دراسته التي أجراها على تلك التفاعلات التي تنشأ بين الذكور الراشدين وبين الصغار من قرودة رباح الأنوبس وجود كل من

الرعاية الذكرية للصغير واستغلال الصغار من جانب الراشدين الذكور كأنماط للتفاعل بين هؤلاء القروء . ويصف باكير تلك التفاعلات الاستغلالية التي يقيمها الذكور الراشدون مع الصغار فيرى أنه غالبًا ما يبدو فيها الذكور وهم يحملون الصغار أثناء المواجهات التي تجمعهم مع الذكور الآخرين . ومن المعروف أن هؤلاء الذكور الذين يحملون الصغار خلال مثل هذه المواجهات يحصلون على فائدة مزدوجة حيث يقللون من احتمال قيام الذكور الآخرين بتهديدهم ، ويوسعون بالتالي من نطاق سيطرتهم وهيمنتهم مقارنة بأولئك الذكور الآخرين .

وتعمل التفاعلات الخاصة برعاية الصغار والتي تتضمن حمايتهم من المغيرين المفترسين وخاصة الشمبانزى وإنقاذهم منهم ، تعمل على تعزيز الاحتراس والحذر عندما يكون هؤلاء المغيرون قريين من الصغار . كما تعزز أيضًا من دفاع الذكور الراشدين عن الصغار ضد هؤلاء المغيرين . ومن ناحية أخرى فإن الذكور الموجودين في الجماعة منذ ولادة هؤلاء الصغار ، أى الذكور غير المهاجرين يكونون ذا فاعلية خاصة في الدفاع عنهم ضد الذكور من المهاجرين الجدد المنضمين إلى نفس الجماعة والذين يتفاعل معهم الصغار دائمًا بشكل سلبي . وأخيرًا فإن هؤلاء الذكور الراشدين يقومون بتنظيف أجسام الصغار على الرغم من أن أغلب حالات تنظيف الأجسام هذه تحدث عند حمل الصغير في التفاعلات الثلاثية مع الذكور الآخرين .

ووجد باكير Packer أيضًا عند دراسته لمتغيرات عديدة ترتبط بالأساس الذى يقوم الذكور الراشدون في ضوئه باختيار صغار معينين أن عمر الصغير يعد أقوى هذه المتغيرات ارتباطًا بهذا التفضيل حيث يفضل الذكور الراشدون الصغار الأقل عمرًا . وكان من الأكثر احتمالًا بالنسبة للذكور غير المهاجرين أى الموجودين في الجماعة منذ ولادة الصغير والذين يقومون بإدراك محتلم من جانبهم للصغير ويعتبرون بمثابة آباء محتملين لأولئك الصغار أن يشاركوا الصغار هذا النوع من التفاعل . وعلاوة على ذلك فإن الصغار يقضون وقتًا أطول وذا دلالة مع الذكور الذين كانوا موجودين في الجماعة منذ الوقت الذى تمت فيه ولادة أولئك الصغار . كما أن الذكور الذين كانوا أكثر استغلالًا للصغار في علاقتهم بغيرهم من الذكور الراشدين كانوا هو الأكثر مشاركة وانغماسًا في أنماط السلوك الدالة على رعايتهم لهؤلاء الصغار . وقد لاحظ توب (1978) Taub نمطًا مشابهًا لذلك بين قروء المكاك المغربى .

ويفسر باكير نظام رعاية الذكور الراشدين للصغار واستغلاهم إياهم وذلك بين قرودة رباح الأنوبس على أنها حالة من التبادلية أو العودة المؤجلة للغيرية والتي يبدو فيها أن كلا من الذكر الراشد القائم على رعاية الصغير وذلك الصغير المتلقى للرعاية يستفيدون من بعضها البعض بشكل متساو تقريبًا .

ومن الجدير بالذكر أنه عندما تبدى قرودة رباح الأنوبس نظامًا محددًا بدرجة كبيرة من التفاعل بين الذكر الراشد والصغير فإنه يكون من الناحية الكمية وربما من الناحية الكيفية أيضًا أضعف بكثير مما تبديه قرود المكاك . وقد توصل ألتمان Altmann إلى نتائج تتفق مع ما توصل إليه رانسوم Ransom ولكنها تختلف مع ما توصل إليه باكير Packer حيث وجد أن الاهتمام بالصغير من جانب الذكور الراشدين يعتمد على هوية الأم بدرجة أكبر مما يعتمد عليه نفس الاهتمام من جانب الإناث إذ وجد على سبيل المثال أن هناك تفضيلات واضحة من جانب ذكور معينين للارتباط بإناث معينات ، كما أن هؤلاء الذكور غالبًا ما يرتبطون بصغار هؤلاء الإناث المفضلات مما يزيد من احتمال قيام هؤلاء الذكور برعاية ذريتهم هم أنفسهم . وعادة ما تتضمن هذه العلاقات الخاصة بين الذكر والأنثى والصغير تتضمن الذكور كاملي النضج فقط الذين يميلون إلى الانحدار من النصف الأعلى من رتب السلسلة ذات الهيمنة والسيطرة على غيرها من القرود .

ويتناول شتاين ( ١٩٨٠ ) Stein أمورًا وثيقة الارتباط بذلك في دراسته عن التفاعلات التي تتم بين الذكر الراشد والصغير من قرود رباح الأنوبس فيرى أن أكثر الفوائد التي يوفرها الذكور الراشدون للصغار وضوحًا هي مشاركتهم في الطعام وتوفير الحماية لهم ضد غيرهم من قرود الرباح الموجودة في نفس الجماعة . أما حمل الذكور الراشدين للصغار فيعتبر تفاعلاً معهم يدل على الانتماء ويلعب دورًا تعاونيًا بناء . ويفضل الذكور الراشدون أن يقوموا بحمل الصغار الذين يكون من الأكثر احتمالاً أن تربطهم بهم صلة قرابة والصغار الذين يقيمون معهم مزيدًا من العلاقات الدالة على الانتماء في ضوء محكات أخرى . وعلى الرغم من أن الذكور الراشدين نادرًا ما يقومون بتنظيف أجسام الصغار بشكل عام فإنهم غالبًا ما يقومون بتنظيف أجسام الصغار عندما يرتفع معدل التوتر بين الذكور ، ويبدو أنهم يتخذون من ذلك أسلوبًا للإبقاء على الصغار بالقرب منهم .

ومن ناحية أخرى فإن الارتباط الجيني للصغير بالذكور الراشدين يبدو أنه يمثل متغيرًا هامًا في تحديد أنماط الارتباط على المستوى المصغر للجماعة الاجتماعية إضافة إلى المستوى الأكبر للنظام الكلي للتزاوج ، أى التزاوج الأحادي في مقابل التزاوج المتعدد .

كما وجد هاميلتون وبوس Hamilton & Busse شكلاً فريداً من أشكال التفاعل بين الذكور الراشدين والصغار لدى بعض جماعات من قرودة رباح الشقمة حيث كان الذكور الموجودون بالجماعات منذ البداية يقومون بحمل الصغار أمام المهاجرين الجدد ذوى الهيمنة والسيطرة . وقد شكلت هذه الملاحظة ٩٤٪ من إجمالي ملاحظاتها . وبطبيعة الحال كان هؤلاء المهاجرون الجدد لا يستطيعون أن يقوموا بتبني الصغار الذين يحملهم الذكور الموجودين بالجماعة منذ البداية (غير المهاجرين) الذين يعتبرون أنفسهم بكل الاحتمالات آباء هؤلاء الصغار ، وعادة ما يشكلون أعلى رتبة اجتماعية للذكور في الوقت الذى يبدأ فيه إدراك هؤلاء الصغار لما حولهم . كما يريان أنه بدلاً من استخدام هؤلاء الذكور للصغار كوسيط في علاقاتهم مع ذكور آخرين فإن العلاقة الملاحظة بينهم وبين الصغار تعتبر بمثابة ميكانزم يقومون بمقتضاه بحماية ذريتهم ضد أى أذى من جانب الذكور المهاجرين الذين لا تربطهم بهؤلاء الصغار أى علاقة أو قيام هؤلاء المهاجرين بقتل أولئك الصغار .

وإذا ما أمعنا النظر في تلك التقارير المختلفة التى تناولت العلاقة بين الذكور الراشدين وبين الصغار من قرودة الرباح يتضح لنا أن الذكور الراشدين من العديد من فصائل هذه القردة يقومون برعاية الصغار . ومع ذلك فإن هذه الرعاية لا تحدث بشكل مستمر مقارنة بما يحدث لدى الثدييات الأخرى ، كما أنها تحدث نتيجة لعلاقة خاصة جمعت ذلك الذكر الراشد بأى الصغير من قبل ، وكلاهما يتفق بطبيعة الحال مع التنبؤات المشتقة من نظرية القرابة .

ويبدو أن السمة الأساسية لمعظم التفاعلات التى تحدث بين الذكور الراشدين وبين الصغار تعتبر بمثابة تغيير في العلاقات مع أعضاء الجماعة ، أى أن اتخاذ الصغير كمحور اهتمام من جانب الذكر الراشد كما هو الحال بالنسبة لفصائل قرودة المكاك يقل عن اتخاذ ذلك الذكر من حيوان آخر يتفاعل معه محور لاهتمامه . وبسبب سمات الصغار عالية التأثير في الآخرين والتى تعمل على منع العدوان داخل الجماعة فإنه يبدو أن هؤلاء

الصغار يلعبون دورًا أساسيًا في تحسين العلاقات بين الأعضاء الأكثر نضجًا في الجماعة . كما أننا لا نشك في أن الصغار يقومون في الواقع باشتقاق التقارب والمنفعة النهائية من مثل هذه العلاقة القائمة على الاستغلال ، إلا أن العلاقة الأولية بالنسبة للذكور الراشدين لا يبدو أنها تركز على الصغير كموضوع يتم استثمار الرعاية الضرورية للبقاء فيه .

## القردة السنجابية Squirrel Monkeys

وإذا كانت كل فصائل القردة التي تناولناها من قبل في هذا القسم من الفصل الحالي وذلك تحت عنوان الجماعات متعددة الذكور ومتعددة الإناث (متعددة الزوجات) تعتبر جميعها من قردة العالم القديم ، كما أن معظمها يعيش على الأرض في الأساس ، فإننا سننتقل الآن إلى فصائل أخرى تعيش على الأشجار وذلك على نطاق واسع ، كما أنها تنتمي إلى قردة العالم الحديث ، ومنها القردة السنجابية على سبيل المثال .

وعند مقارنة هذه الفصيلة من القردة مع فصائل قردة العالم القديم أحادية التزاوج نجد أن التفاعلات التي تنشأ بين الذكور الراشدين من القردة السنجابية متعددة الزوجات وصغارها لا تحدث بشكل مستمر ، كما أنها تتسم بالوهن . كذلك فتلك التفاعلات تتسم في الواقع باللامبالاة والسلبية ، إذ وجد بالدوين وبالدين (Baldwin & Baldwin 1972) في دراستهما عن القردة السنجابية الوحشية في بنما أن الذكر الراشد عندما يقترب من صغير يسير بمفرده ، أو من يافع ، أو ذكر شبه بالغ فإن هذا الصغير أو اليافع أو الذكر شبه البالغ يصرخ في رعب أو يهرب من المكان على الفور . ولكن هؤلاء الراشدين الذكور مع ذلك لا يستجيبون لتلك السلوكيات حيث يبدو اللامبالاة لهذه الحيوانات الأصغر سنًا . ومع ذلك فقد قام بالدوين (Baldwin 1969) بملاحظة الصغار في بعض المواقف ، وقام بالدوين وبالدين (Baldwin & Baldwin 1972) بملاحظة اليافعين وهم يتبعون الذكور الراشدين ويقومون أي الصغار بتهديدهم أيضًا فينسحب هؤلاء الذكور الراشدون دون إبداء أي عدوانية .

ومن الواضح أن صغار الحيوانات يثارون بدرجة كبيرة من جراء تقاربهم الوثيق مع الحيوانات النشيطة وشديدة الصخابة كالذكور الراشدين على سبيل المثال ، فيصرخون بحدة مما يجعل غالبًا من انسحاب الذكور الراشدين . إلا أن الصغار الذين يقومون

بالصراخ الحاد أحياناً يتم تهديدهم من جانب غيرهم من الحيوانات (Balwin, 1969) .  
وأحياناً عندما يتقرب يافع يسير بمفرده من ذكر راشد فإن هذا الذكر الراشد يندفع  
بعدوانية تجاه ذلك اليافع الذى يصرخ من جراء ذلك ويجرى بعيداً عنه ويظل محافظاً على  
مسافة كبيرة تفصله عنه (Baldwin & Baldwin, 1973) .

وتشير الملاحظات على الذكور الراشدين والصغار الموجودين فى الأسر إلى وجود  
نمط مشابه لذلك لديهم إذ وجد هبف (۱۹۷۱) Hopf أن القرود السنجابية نادراً ما  
تتفاعل خلال طفولتها مع الذكور الراشدين فى مسافات متقاربة ولكنهم يقومون بالنظر  
إلى الذكور الراشدين بشكل مستمر . وخلال العام الثانى من حياتهم وبالتقريب فى  
المرحلة الأخيرة لفظاتهم لاحظ هبف Hopf العديد من اليافعين الذكور وهم يلعبون مع  
الذكور الراشدين وينضمون إلى جماعة النوم الخاصة بهم . ومع ذلك فى العام الثالث من  
حياتهم يقوم الراشدون الذكور بالإمساك بهم وتهديدهم حتى أن هؤلاء الذكور  
الراشدين يقومون بالهجوم عليهم كلما رأوهم فى حالات اتصال جنسى . وتدل  
ملاحظات بالدوين (۱۹۶۹) Baldwin عن القردة السنجابية التى تم عزلها فى حظيرة  
ذات سياج وجود تزامن فى حدوث مثل هذه الأمور حيث يقوم الذكور كاملو النضج  
بمطاردة الذكور البالغين الأقل منهم سناً أينما يجدونهم ، وأن العديد من هؤلاء الذكور  
البالغين يتعرضون لجروح خطيرة فى القتال الذى يتم بينهم وبين الذكور كاملو النضج .

ومن ناحية أخرى فقد توصل روزينبلوم (۱۹۷۲) Rozenblum أيضاً فى دراسته  
المعملية إلى وجود نقص فى التواصل بين الذكور الراشدين وبين الصغار . وقد تم أخذ  
الصغار المنزولين عن الجماعة ليكونوا مجموعات تضم كل منها ما بين ثمانية قرود إلى  
ثلاثين قروداً من القردة السنجابية من الجنسين ومن فئات عمرية مختلفة . وبوجه عام لم  
يختلف الذكور عن الإناث فى تكرار مرات اقترابهم من الصغار أو محاولات اكتشافهم  
لهم ، إلا أن الذكور الراشدين كانوا أقل اتصالاً بالصغار من الإناث الراشدين ، ورغم  
ذلك فلم توجد فروق دالة بين درجات الذكور غير الناضجين ودرجات الإناث غير  
الناضجين ، فى حين كانت الفروق بينها أكثر وضوحاً فى استجابات الإنقاذ من جانب  
كل منهما حيث لم يبد أى من الذكور نمطاً إنقاذياً كاملاً إذ لم يتجاوز حمله للصغير فى سبيل  
إنقاذه ستين ثانية على الأقل ، بينما كانت ۱۶,۷٪ من الإناث تبدين نمطاً إنقاذياً كاملاً . كما

كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للإناث غير الناضجات والإناث اللاتي تمر بالمرحلة الأخيرة في حملهن على وجه الخصوص أن يقمن بإنقاذ الصغار بشكل كامل ، في حين كان ٢٩,٦٪ من الذكور يقومون بإنقاذ الصغير جزئياً أى يحملونه لأقل من ستين ثانية ، وكان ٤٨,٢٪ من الإناث يقمن بذلك .

ومن العوامل الهامة التي يجب وضعها في الاعتبار عند دراستنا للنقص العام للتفاعل بين الذكور الراشدين وبين الصغار في هذه الفصيلة من القروود النمط غير العادى للتنظيم الاجتماعى بينها إذ تمت ملاحظة هذه القروود بشكل منتظم وهى تقوم بتكوين مجموعات فرعية أحادية الجنس Unisexual يظل فيها كل من الذكور الناضجين والإناث الناضجات منفصلين عن بعضهم البعض في المكان معظم السنة باستثناء موسم التزاوج فقط . (e.g. Baldwin, 1968,1971) (Du Mond, 1968; Mason & Epple, 1968;Thorington, 1968; Mason, 1971) (Coe & Rosenblum, 1974; Fairbanks, 1974) . وفي حين تقوم الإناث الراشديات بتحقيق الانفصال عن الذكور فإنهن يقمن مع صغارهن بتكوين جماعة مركزية متماسكة وتعملن على تنظيم النفاذ من هذه الجماعة المركزية إلى الذكور الراشدين . ووجد بالدوين (١٩٦٨) Baldwin أن الذكور الراشدين لا يشاركون في العديد من أنشطة الجماعة إذ أن مجرد وجودهم يثير العديد من القروود ويخيفهم حتى تقوم الإناث الراشديات بمطاردتهم بعيداً عن الجماعة . وخلال موسم التوالد ( ولادة الصغار ) يعمل الذكور الراشدون أحياناً على التجول بالقرب من الجماعة الفرعية للإناث دون أن يلاحظ أحد . إلا أن القروود التى بلغت عامًا من عمرها والتي تعرف بالقروود الحولية يكتشفون هؤلاء الذكور فيصيحون ويجرون باتجاههم ، فيقوم الذكور الراشدون على الفور بالابتعاد في هدوء عن تلك القروود المثيرة ، وربما يرجع ذلك إلى أن الضجيج الذى تحدثه تلك القروود غالباً ما يجذب إليهم الإناث الراشديات القربيات منهم فيقمن بتهديد هؤلاء الذكور ومطاردتهم إذا كانوا لا يزالون موجودين في نفس المنطقة (Baldwin, 1968) . وبذلك لا تقوم الإناث بمطاردة الذكور بعيداً عن الجماعة الفرعية المركزية التى يوجد فيها الصغار غير الناضجين فحسب ، بل إن رؤية فرد صغير أو يافع تعمل كإشارة للذكور على حدوث هجوم وشيك عليهم من جانب الإناث .

وقد أدت هذه الملاحظات وغيرها إلى افتراض أن هناك عاملاً له مغزاه يسهم في حدوث الاتصال غير المستمر نسبياً بين الذكور الراشدين من القردة السنجابية وبين الصغار من الفصيلة ذاتها يتمثل في الدور الهام في منع الأمهات والإناث الأخريات الراشدين في الجماعة من القيام بنشاطهن الذي قد يحول دون ذلك . وتعمل ملاحظات بالدوين (1969) Baldwin كدليل إضافي على صحة هذا الفرض حيث يرى أن الأم عندما تهدد الذكر الراشد وتطارده فإن صغيرها يشاركها هو الآخر في هذا التهديد وتلك المطاردة أيضاً . وحتى عندما لا تكون الأم قريبة من الصغير فإنه يقوم بتهديد ومطاردة الذكر الراشد القريب منه . وعادة ما يقوم الذكر الراشد بالجرى مبتعداً بذلك عن الصغير إذا بدأ ذلك الصغير في مطاردته وليس ذلك خوفاً من الصغير في حد ذاته بل تجنباً للأم التي قد تتدخل على الفور .

ومن ناحية أخرى فقد أكدت أيضاً نتائج الدراسة التي أجراها سترراير وآخرون (1975) Strayer, et al. صحة هذا الفرض حيث وجدوا أن الإناث الراشدين اللاتي قد أنجبن صغاراً تعملن على تجنب الذكور الراشدين أكثر مما تعمل الإناث غير المنجبات إذ غالباً ما لاحظوا الإناث غير المنجبات في تقارب شديد مع الذكور الراشدين في حين كانت الإناث المنجبات تقضين معظم الوقت مع الجماعة الفرعية للإناث بعيداً عن الذكور الراشدين . وتشير تلك الدراسة أيضاً إلى دور الأمهات في تنظيم تقارب الذكور الراشدين من المواليد الجدد من تلك القردة .

وعلى الرغم من أن تفاعل الذكور الراشدين من القردة السنجابية مع الصغار يعتبر غير مستمر نسبياً فإن استجابة الذكور في بعض المناسبات يمكن إثارتها بدرجة كبيرة إذ وجد بالدوين (1968) Baldwin على سبيل المثال أن القرد الصغير كان محاصراً في إحدى المناسبات ، وأصدر بالتالي صرخات تدل على الفزع فعاد أكثر الذكور هيمنة ليبحث عن ذلك الصغير المحاصر ودنا منه واقرب بدرجة كبيرة وحاول إنقاذه ، ثم قام أخيراً بتهديد الباحث - بالدوين - حيث كان يقف على بعد عشرين قدماً منه .

ويتضح من هذه الملاحظة أن أحداً من الإناث الموجودات في الجماعة واللاتي يفوق عددهن عدد الذكور لم تتقدم لمساعدة ذلك الصغير . ولذلك يرى بالدوين (1968) أن الذكور الراشدين قد يلعبون دوراً خاصاً لاستثمار مصدر الخطر

والاستفادة منه . وتؤيد نتائج العديد من الدراسات التي يتضمنها التراث حول الثدييات غير الإنسانية تلك النتيجة التي توصل إليها بالدوين من أن الذكور الراشدين يقومون بالدفاع عن الصغار وإغاثتهم وإنقاذهم عندما يكونون في خطر في حين تنسحب الإناث بعيداً عن مصدر التهديد .

### الشيمبانزى Chimpanzees

يعد الشيمبانزى وهو قرود أفريقي شبيه بالإنسان وأصغر من الغوريلا يعد من أذكى القروء . ولا توجد في الواقع سوى دلائل متناثرة فقط حول علاقة ذكر الشيمبانزى الراشد بالصغير . ومن المعروف أن صغار الشيمبانزى تقيم علاقة قوية مع أمهاتها حتى تبلغ أعمارهم بين ثلاثة شهور ونصف إلى خمسة شهور ونصف ، وبذلك لا يكون مدهشاً أن تندر ملاحظة مثل تلك العلاقة المبكرة بين الذكر الراشد وبين الصغير في مثل هذه الفصيلة مختلطة التزاوج (Van Lawick-Goodall, 1967,1968) . إلا أن الذكور الراشدين يكونون متساهلين مع الصغار ومتسامحين معهم عند الاتصال الجنسي بأمهاتهم (Van Lawick-Goodall, 1967) .

وكما يتضح من تلك الملاحظات فإن ذكور الشيمبانزى الراشدين يعتبرون عدوانيين بدرجة كبيرة تجاه الصغار . وقد لاحظ هامبورج Hamburg (نقلاً عن : Maccoby & Jacklin, 1974) أحد الذكور الراشدين وهو يقوم بتحطيم رأس أحد الصغار في إحدى الصخور ، ثم قام بعد ذلك بالاعتداء على الأم بشراسة بينما كانت تحاول أن تحمي صغيرها . ويضيف سوزوكى (Suzuki ١٩٧١) لذلك أحد المواقف التي لاحظها في غابة بودونجو Budongo حيث وجد العديد من الذكور الراشدين يأكلون أحد ذكور الشيمبانزى حديثى الولادة .

### ثالثاً : الجماعات متعددة الزوجات One-Male/Multi Female Groups

ويتمثل التصنيف الرئيسى المتبقى من التنظيم الاجتماعى الذى نتناوله في الفصل الحالى في التنظيم الذى يضم ذكراً ناضجاً واحداً مع العديد من الإناث إضافة إلى الصغار . أما باقى الذكور الذين يقتربون من تحقيق النضج فيتم استبعادهم من الجماعة الأولية ويعيشون إما بمفردهم أو يقومون بتكوين جماعة تضم كل الذكور الذين لم

يتزوجوا بعد . ونظرًا لأن درجة القرابة بين الذكر الراشد الوحيد وذريته في هذه المجموعة أكبر بكثير منها بين الذكور الراشدين وصغارهم في الجماعات متعددة الذكور والإناث والتي يطلق عليها الجماعات مختلطة التزاوج ، كما أنها تعتبر في الوقت ذاته أى درجة القرابة أقل منها في الجماعات أحادية التزاوج ، ولذلك فإننا نتوقع أن يكون مدى اشتراك الذكر وانغماسه في رعاية الصغار في مثل هذه الجماعات ذات الذكر الواحد في وضع يتوسط هذين النمطين الآخرين . وبالرغم من صعوبة اختبار مدى صحة هذا الفرض فهناك أدلة تؤكد إمكانية قبوله وتطبيقه .

ومن المعروف أن جماعات أو فصائل الثدييات غير الإنسانية التي تنتمي إلى هذا التنظيم الذي يضم ذكرًا واحدًا وإناث عديدات تعتبر قليلة نسبيًا . كما أن معظم الفصائل التي سيتم تناولها في هذا القسم من الفصل الحالى تنتمي إلى قرود العالم القديم ، وأن غالبيتها يعتبر شبه أراضى . وسواء كانت مثل هذه المجموعات التي تضم ذكرًا واحدًا قد تطورت عن المجموعات متعددة الذكور (e.g. Crook & Gartlan, 1966, Kummer, 1971) أم أنها على العكس من ذلك هي التي أفرزت هذه المجموعات متعددة الذكور (Eisenberg, et al., 1972) فإن هذا التساؤل يعد أبعد من مجال تناولنا لهذا الفصل . ومع ذلك يبدو من المعقول أن المجموعات التي نتجت من سلالة الذكر الوحيد تعتبر اقتصادية في وسط تلك البيئات القاحلة الفقيرة التي تعيش فيها هذه الفصائل (Gartlan & Brain, 1968) . وكما ذكر كروك وجارتلان (1966) Crook & Gartlan فإن قلة الطعام المتوفرة لمثل هذه الوحدة التي تكونت من نسل الذكر الوحيد يؤثر طبيعته الحال على أولئك الذكور الذين لا يشاركون في تربية الصغار .

ويرى كرومر (Kummer 1971) أنه في المناطق التي تتميز بالتقلب الموسمي الحاد في مصادر الطعام فإن أعضاء الجماعات التي تعيش فيها يجب أن يعتمدوا على معدل مرتفع للخصوبة من جانب الذكور يعوضون به تلك الخسائر الموسمية مما يجعل عدد الإناث يصل إلى حده الأقصى مقارنة بعدد الذكور . كما يتضح الأزواج الجنسية بدرجة كبيرة للغاية في هذه الفصائل مما يعكس معه درجة مرتفعة من الاصطفاء الجنسي .

## قردة الربّاح المقدس Hamadryas baboons

عما لا شك فيه أن هذه الفصيلة من الثدييات تعد أفضل من يمثل هذا النوع من تنظيم الجماعة . ويعتبر الازدواج الجنسي من الأمور الملحوظة بين أعضائها ، كما أن حجم الذكور فيها يساوى ضعف حجم الإناث على الأقل ، ولهم رأس مذهل مغطى بالفراء .

ويعتبر هانز كومر Hans Kummer أول من تناول سلوكيات أعضاء هذه الفصيلة من القروود وذلك في دراساته التي بدأت عام ١٩٥٥ (راجع: Kummer, 1968, 1971). وتشكل قروود هذه الفصيلة وحدات ثابتة شديدة التماسك ، وعادة ما تتكون من ذكر واحد وعديد من الإناث أطلق عليهن المؤلف اسم «الحريم» Harem ويبلغ عددهن أربع إناث بالغات تقريباً أو أربع إناث شبه بالغات وعديد من الصغار . ويعمل الذكر الراشد بلا كلل في سبيل الإبقاء على تماسك تلك الوحدة وذلك عن طريق تهديد الإناث التي تشتد بعيداً أو ترتبطن بعلاقات وثيقة بالغرباء ، أو عضهن في رقابهن ، أو الإمساك بهن بعدوانية . كما أن حوالي ٢٠٪ من الذكور الراشدين الموجودين في الجماعة ككل لا يكون لهم حريم وبدلاً من ذلك فإنهم يرتبطون بكل جماعات الذكور .

وقد لاحظ العديد من الباحثين مجموعة كبيرة من التفاعلات التي تجمع بين الذكور الراشدين والصغار إذ لاحظوا على سبيل المثال أن الذكور الراشدين يقومون بحمل الصغار على ظهورهم . وإضافة إلى ذلك فقد لاحظ كومر (١٩٧١) Kummer أن الصغار يقومون من خلال فترات الراحة بالبحث بغايلية عن ذكور بالغين معينين أقل عمراً يقومون بمداعتهم . وإلى جانب ذلك يمكن أن يقوم الذكور الراشدون أيضاً بتبني صغير معين ، وعادة ما يقوم أحد الذكور البالغين الأقل عمراً من بين أولئك القروود الذين لا توجد لديهم إناث بعد تبني قرد صغير من هذه الفصيلة ماتت أمه ، ويقوم بالتالي بحمله أثناء السير في الطريق ويسمح له بأن ينام أثناء الليل وهو يعانقه ، كما يمنعه من التحرك بعيداً عنه .

وتعد عملية وجود الحريم هي المفتاح لفهم تلك الأنماط من التفاعلات . وبعيداً عن نظر الأم تقوم قردة الرباح الحولية أى التي بلغت عامّاً من أعمارها باللعب بالقرب من أشباه البالغين من الذكور أو الذكور البالغين الأقل عمراً . كما أن الصغار الخائفين أو اليافعين الأقل عمراً يجرون إلى أحضان الذكور الراشدين الذين يقومون بتهديد من

يغير عليهم بنفس الطريقة التي قد تتبعها الأم . وبالتدرج يقوم الصغير أو اليافع الأقل عمراً بتكوين علاقة حماية مع الذكور الأكبر عمراً . ومع نمو الصغار تقوم الإناث الصغيرات بنقل تعلق البنوة لديهن من الأم إلى أحد الذكور البالغين أو شبه البالغين . كما أن الجاذبية للذكور قد يعززها ظهور الفراء على جسم الذكر وهو ما يعتبر مشيراً أكثر من عادي بالنسبة للصغير (Jolly, 1963; Kummer, 1967) .

وبطبيعة الحال فإن وجود الذكر يعزز بفاعلية عملية التفاعل بين الذكر الراشد وبين الصغير وذلك من خلال عملية التبني التي تم تناوؤها من قبل وهو ما لم يتم ملاحظته بين الإناث باستثناء الأمهات . إلا أن هذا التبني الذي يقوم به الذكر الراشد ينتهي فجأة بمجرد أن يوجد عدد من الحريم لدى هذا الذكر (Kummer, 1967) . ومن ناحية أخرى يمكن أن يعمل قيام القروود شبه البالغين باستخدام الصغار في التفاعلات مع الذكور الآخرين في وجود هؤلاء الصغار على تعزيز جاذبية الذكور الراشدين للصغار الأقل عمراً .

### قردة الجيلادا Gelada Monkeys

تنظم قردة الجيلادا أيضاً والتي تعتبر وثيقة الارتباط بقردة المكاك أكثر من ارتباطها بقردة الرباح (e.g. Rowell, 1972) في جماعات تضم كل منها ذكراً راشداً واحداً وإناث عديدات تشبه إلى درجة كبيرة تلك الجماعات الموجودة لدى قروود الرباح المقدس . وتعد وحدات الحريم ، والجماعات التي تضم ذكوراً فقط ، والتجمعات الكبيرة لليافعين كلها سمات واضحة تماماً لدى الجماعات الطليقة في بيئاتها والمتمثلة في البيئات الإثيوبية الجبلية (Crook, 1966) . ومع ذلك فإن قردة الجيلادا لا يقودها الذكور ، ومن الأكثر احتمالاً بالنسبة لها أن تنتشر خلال الجماعة . وعلاوة على ذلك فإن الجماعات ذات الذكر الواحد لا تتشكل ولا يتم الإبقاء عليها عن طريق الذكر فحسب ، بل عن طريق الإناث أيضاً (Crook, 1966; Kummer, 1971) .

أما التفاعلات بين الذكور الراشدين والصغار فلا تنتشر على نطاق واسع بين قروود هذه الفصيلة . ومع ذلك فقد لاحظ بيرنشتاين (1975) Bernstein وجود تفاعلات مشيرة بين مجموعة من قروود الجيلادا كانت موجودة في الأسر ، وتعتبر هذه التفاعلات موازية لما يوجد من تفاعلات بين قروود الرباح المقدس إذ وجد أن الذكر الذي لم يتزوج

بعد - باستثناء قادة الجماعات ذات الذكر الواحد - يحمل الصغار على ظهره ، ويلعب معهم ، وظل بمثابة مركز أنشطة اللعب لهؤلاء الصغار حتى أصبح ذلك القرد الذكر قائداً لجماعة الإناث التابعة له . وعلاوة على ذلك فقد شوهد أحد الذكور الراشدين في اليوم التالي لتركه قيادة الجماعة وهو يحمل الصغار ويلعب معهم لأول مرة منذ أن أصبح قائداً . ومن ناحية أخرى يقوم الذكور الذين لم يتزوجوا بعد بمساعدة القروء غير الناضجين عند وجودهم في خطر حتى أثناء قتال أولئك القروء غير الناضجين مع أمهاتهم من أجل الرضاعة . أما الارتباط بين الرتبة الاجتماعية وقيام الذكر برعاية الصغار فقد قام موري ( ١٩٧٩ أ-ب ) Mori بإثباته والتأكد منه وذلك في دراسته التي أجراها على قروء الجيلادا الطليقة ، فوجد أن الذكور الذين ينتمون إلى رتبة اجتماعية ثانوية أو الذكور الذين لم يتزوجوا بعد غالباً ما يقومون برعاية الصغار المتحركين toddlers الذين تزيد أعمارهم عن ستة أشهر ، ويقوم هؤلاء الذكور والصغار بتكوين أزواج خاصة تضمهم معاً ، وغالباً ما يكون أمثال هؤلاء الصغار جميعاً من الذكور . وبذلك نجد أن تفضيل الذكور للقيام بالرعاية الوالدية لصغار من نفس الجنس يظهر جلياً بين هؤلاء القروء (Mori, 1969a) إذ لوحظ أن الذكور من بين هذه القروء الصغيرة يبدون اهتماماً شديداً بالذكور ذوى الرتبة الاجتماعية الثانوية ، وإذا قام أحد قادة الجماعات من القروء بتهديد هذا الذكر الثانوى وأصدر هذا الأخير صوتاً يدل على الدفاع فإن الذكر الصغير الذى يعتبر رفيقاً ثابتاً له يأتى بين يديه فى الحال ويصدر صرخة معينة لتهدئته ، فيستغل هذا الذكر الثانوى نتائج ذلك الفعل من جانب الذكر الصغير ولا يجعل هذه الفرصة تفوته إطلاقاً ليتجنب تهديد ذلك القائد ، فيقوم على الفور بتنظيف جسم الصغير . وعلاوة على ذلك نجد أن الذكور فقط من هذه القروء الصغيرة هم الذين يقومون بهذا التعاون الجاد والهام مع الذكر الثانوى .

ومن الجدير بالذكر أننا نجد بالنسبة لقردة الرباح المقدس الذين قام كومر Kummer بدراستهم أن التفاعلات الوثيقة الدالة على الانتماء والتي تتم بين الذكور الراشدين وبين الصغار تصل فجأة إلى نهايتها أى تتوقف عندما يصبح لدى هذا الذكر الراشد حريم ، أى أن وجود الحريم لدى هذا الذكر الراشد هو الذى يوقف مثل تلك التفاعلات التى كانت تتم بينه وبين الصغير . وعلى ذلك يبدو من المحتمل أن التفاعلات

الدالة على الانتماء والتواد والتي تتم بين الذكور الراشدين والصغار في تلك الفصائل التي تتسم بوجود ما يعرف بنمط امتلاك الحريم الذي يميز تنظيمها الاجتماعي غالبًا ما ترتبط بشكل وثيق بتكوين وحدات إنجابية ذات ذكر واحد .

## قردة الباتاس Patas Monkeys

يعيش قرد الباتاس هو الآخر في بيئات قاحلة وذلك في شبه الصحراء الأفريقية ، وتكون هذه البيئات أرضية في أساسها ، أى أنه يعيش على الأرض ، كما يتضح من جانب آخر وجود الأزواج الجنسي لديه أيضًا . ويعيش الذكور الراشدون بمفردهم أو يشكلون فيما بينهم جماعات تتألف كلها من الذكور . ومع ذلك فإن عدد الإناث الراشدات في الوحدة الإنجابية يزيد عن مثيله لدى قردة الجيلادا أو قردة الرياح المقدس إذ يتراوح ذلك العدد بين أربع قردات إلى اثنتى عشرة قردة . وعلاوة على ذلك يظهر الذكور درجة من العدوانية تجاه الإناث أقل نسبيًا من غيرهم من الذكور بالفصائل الأخرى . وربما يرجع ذلك إلى أن مثل هذه الجماعات تنتشر على نطاق واسع وليس هناك سوى احتمال ضئيل لأن تفضل الإناث طريقها وتذهب بالتالى إلى جماعة أخرى (Hall, 1965) .

ويعد الدور الذى يقوم به الذكر الراشد في جماعات قردة الباتاس فريدًا بين الثدييات في عدد من الأمور إذ لاحظ هول (1965) Hall عدة مواقف قام فيها الذكور الراشدون بأنماط سلوك هجومية وأخرى تدل على الحذر واليقظة الواضحين تجاه المغيرين أو المفترسين الذين يحتمل أن يقوموا بالهجوم على الجماعة . فعلى سبيل المثال بينما كان هول Hall (الباحث) يقترب من الجماعة نزل الذكر الراشد إلى الأرض من أعلى شجرة كان يوجد عليها وأحدث ضوضاء كثيرة وظل يدور بخفة في المكان محدثًا ضوضاء شديدة وكأن شيئًا ينهار ، ثم جرى بعد ذلك في الاتجاه العكسى للجماعة . وأثناء هذه التكتيكات الهجومية التى تصدر عن ذلك الذكر الراشد تقوم الإناث والصغار غالبًا بالرقود على الأرض في الحشائش ثم يختبئون ، ومن ثم يجرون بسرعة فائقة بعيدًا عن المفترسين كملجأ أخير لهم فقط (Hall,1965; Kummer, 1971) .

ووجد هول Hall أيضًا أن الذكر الراشد غالبًا ما يبقى بالقرب من الحد الخارجي للجماعة ، وأن الأمهات المنجبات اللائي لا يزال لهن صغار نادرًا ما تقتربن منه . ومع ذلك لاحظ كومر (1971) Kummer أحد الذكور الراشدين من قردة الباتاس يطارد ابن أوى كان يحمل أحد صغار قروود الباتاس بين فكيه ، إلا أن مثل هذا السلوك الدال على الحماية المباشرة يعتبر نادر الحدوث . كما يستفيد صغار قرودة الباتاس من الذكور الراشدين وذلك من خلال الأدوار الهجومية واليقظة والحذر التي يتميز بها هؤلاء الذكور .

### قرودة اللنجور Langurs

إذا كنا قد تناولنا تلك التفاعلات التي تحدث بين الذكور الراشدين وبين الصغار والتي تتخذ في الأساس نمطين اثنين يتضمن أولهما أنماط السلوك التي تتضمن الاستئثار الوالدى ، بينما يضم الآخر أنماط السلوك التي تتم من خلال استخدام الصغير أو استغلاله في تحسين العلاقة بين القردين أو أى عدد أكثر من القروود ، فإننا الآن نتناول نمطًا ثالثًا يتمثل في قيام قروود آخرين من الفصيلة ذاتها بقتل الصغار . وقد تمت ملاحظة هذا النمط بين بعض الثدييات وخاصة بين نوع من القروود الآسيوية يسمى Colabine . وعلى الرغم من أن قتل الصغار يعتبر حالة متطرفة للتفاعل بين الذكور الراشدين وبين الصغار فإنه يصبح من المهم أن نتمعن في قرودة اللنجور كمثال لذلك .

وتتنظم قرودة اللنجور الهندى واللنجور الهانومانى Hanuman في نوعين من الجماعات تتمثل في تلك الجماعات ذات الذكر الواحد ، وتلك الجماعات متعددة الذكور . وتدعم العوامل المرتبطة بهذه الفروق الارتباط بين البيئة التي يتواجد فيها القروود وبين التنظيم الذى تتبعه الجماعة . فنظرًا لأن قرودة اللنجور الهانومانى توجد في غابة جافة تتساقط أوراقها سنويًا وتسودها ظروف صيفية قاسية ، وتوجد هذه القروود في تلك البيئة بكثافة مرتفعة ، فإنها تميل إلى تكوين جماعات تضم ذكرًا فقط وإناتًا عديدات ، كما تضم أيضًا العديد من الذكور الغرباء عن الجماعة والدخلاء عليها أو كل جماعات الذكور الذين لم يتزوجوا بعد . أما في المناطق الأكثر اعتدالاً والأقل كثافة فيما يتعلق بعدد القروود الموجودة بها فإن تلك القروود تنظم في جماعات أكثر تجانسًا تضم العديد من الذكور والعديد من الإناث (Hrdy, 1974; Jay, 1965; Sugiyama, 1967; Yoshiba, 1968).

وبينما يميل التنظيم الاجتماعي لقردة اللنجور إلى الانتظام بشكل موسع حول سلم هرمي يضم الذكور ، والإناث ، والنسل فإن تركيب الجماعة في الجزء الجنوبي من المساحة التي تقطنها هذه الفصيلة يبدو أكثر مرونة حيث قرر العديد من الباحثين أن كل جماعات الذكور الذين لم يتزوجوا بعد قد تغير على تلك الجماعات التي تضم ذكراً راشداً واحداً فقط يفرض سيطرته وهيمته عليها ، ويقومون بطرده خارج الجماعة ، ويقوم أحدهم بأخذ مكانه في الجماعة (Sygiyama, 1965,1966,1967; Mohnot, 1971; hrdy, 1974) (Blaffer Hardy, 1977,1979) .

ويقوم الذكر الذي لم يتزوج بعد عقب قيامه بخلع الذكر الراشد ذي الهيمنة - وذلك في بعض جماعات قردة اللنجور - يقوم بشكل منظم ومتعمد بقتل جميع الصغار التابعة له . وهناك ظاهرة مشابهة لذلك توجد لدى فصيلة أخرى من فصائل قردة اللنجور تسمى بفصيلة اللنجور ذات الوجه الأرجواني (Rudran, 1973) . أما قردة اللنجور الهانوماني المغيرة فإنهم إما أن يتجاهلوا الصغار الموجودين في الجماعات التي يغيرون عليها أو يناصبونهم العداوة (Hrды, 1974) . ومع ذلك فإن قادة الجماعات المتواجدين بها يتساحون ويتساهلون مع الصغار (Yoshiba, 1968) ويدافعون بفاعلية عن الجماعة بوجه عام وعن الصغار بصفة خاصة (Hrды, 1974; Yoshiba, 1968) كما تمت ملاحظتهم أيضاً وهم يشاركون الصغار في اللعب (Yoshiba, 1968) .

وتعد الميكانيزمات التي تؤثر على هذه العملية موضوعاً للمناقشات الحيوية في علم الثدييات في الوقت الراهن . ويرى بلافر هردى (1974، 1977، 1979) أن قيام الذكور الراشدين بقتل الصغار يعتبر بمثابة إستراتيجية إنجابية تعمل على الوصول بالنجاح التناسلي للذكور المغيرين إلى حده الأقصى إذ يؤدي فقد الصغير إلى حدوث الدورة النزوية للأثنى (التقبل الجنسي) مما يعزز بالتالي من احتمالات قيام الذكر الجديد بأبوة الصغار . ويقدم كل من كورتين (1977) Curtin و كورتين ودولهيناو (1978) Curtin & Dolhinow تفسيراً بديلاً لذلك حيث يرون أن مثل هذا السلوك الذي يقوم به الذكور الراشدون والذي يتمثل في قتل الصغار يعد بمثابة استجابة غير عادية (شاذة) ومرضية وغير تكيفية مع الظروف البيئية وخاصة الكثافة العددية العالية للقروود .

ولكن هل هناك دليل على وجود نظام سلوكى مشابه لدى الحيوانات الأخرى؟ وفي الواقع نجد أنه على الرغم من أن ظاهرة قتل الصغار لا تحدث بصفة مستمرة ، فإنها واسعة الانتشار بين الحيوانات إذ توجد لدى جماعات متنوعة من الحيوانات كالسنجاب الأرضى والضباع والأسود والثدييات (B. Hrdy, 1979; Fox, 1975). ويصنف بلافر هردى (١٩٧٩) B. Hrdy تعدد قتل الصغار إلى خمس فئات نظرية هى الاستغلال ، والتنافس على مصادر الطعام ، والمضاربات الوالدية ، والاصطفاء الجنسى ، والباثولوجيا الاجتماعية علمًا بأن هناك سمات يمكن التنبؤ بها بالنسبة للمجرمين المغيرين كالجنس ودرجة الارتباط بالصغير ، وبالنسبة للضحية كالعمر وقابلية السقوط بيد الأعداء ، إضافة إلى جدول زمنى للمكاسب التى يمكن تحقيقها والتى تختلف بالنسبة لكل فئة من هذه الفئات .

ومع ذلك ففى كل حالات قتل الصغار باستثناء الباثولوجيا الاجتماعية توجد منفعة معينة تصبح حقًا أو مطلبًا شرعيًا للقرود المغير . وفى مثل هذه الحالات والتى يعمل فيها قتل الصغار فى المتوسط على زيادة اللياقة والملاءمة نجد أن ضغوط عملية الاصطفاء التى تؤدى إلى تفضيل القتل تظهر كنتيجة للاستثمار الشامل وذلك الاستثمار الذى يقوم على استهلاك الوقت والمتضمن فى إنجاب الصغار ، وكنتيجة للقابلية الحادة للسقوط بيد الأعداء والتى تميز مرحلة الطفولة لدى العديد من الحيوانات .

وفى حين يعتبر قتل الصغار شكلاً متطرفاً للتفاعل السلبي بين الذكور الراشدين وبين الصغار ، فإننا يجب أن نتذكر أن كل الحالات التى قام فيها الذكور الراشدون بقتل الصغار والتى تمت بين الثدييات غير الإنسانية لا يمكن اعتبارها أمثلة للباثولوجيا الاجتماعية اللاتكيفية .

## الغوريلا Gorillas

تزرخ الدراسة الميدانية التى أجراها ديان فوسى (١٩٧٦) Diane Fossey على الغوريلا الطليقة بالجبال بالكثير من المعلومات الشيقة عن التفاعلات التى تحدث بين الذكور الراشدين وبين الصغار من هذه الفصيلة . ويختلف تركيب الجماعة بالنسبة لغوريلا الجبال عن تلك التراكيب الخاصة بغيرها من فصائل الثدييات التى تناولناها فى هذا القسم من الفصل الحالى حيث يوجد بالجماعة أكثر من ذكر واحد ناضج جنسيًا ، ومع

ذلك فإن الذكر ذا الظهر الفضى فقط والذي ينتمى إلى أعلى الرتب الاجتماعية في الجماعة هو الذى يكون نشيطاً من الناحية التناسلية . وبذلك فإن نظام التزاوج الخاص بالغوريلا قد يتشابه وظيفياً مع ذلك النظام الذى يضم ذكراً راشداً واحداً فقط وعديد من الإناث والذى يسود في فصائل أخرى .

ويرى فوسى Fossey أن هناك توازياً مدهشاً بين جماعات قردة اللنجور والغوريلا حيث لاحظ أنه في يونيو ١٩٧١ انتقلت إحدى الإناث الراشדות من المجموعة الرابعة التى كان يقوم بملاحظتها وذلك إلى المجموعة الثامنة ، وبعد ثلاث سنوات تقريباً مات الذكر ذو الظهر الفضى الذى ينتمى إلى أعلى الرتب الاجتماعية والموجود في المجموعة الثامنة تاركاً بذلك تلك المجموعة بلا قائد ذكرى له فاعليته ، وكانت تلك الأنثى قد وضعت مولوداً قبل موت ذلك الذكر بثمانية شهور . وبعد موت قائد المجموعة الثامنة بفترة وجيزة بدأ ذكور المجموعة الرابعة يلاحقون المجموعة الثامنة عن كثب ، وقام الذكر ذو الظهر الفضى الذى ينتمى إلى أعلى الرتب الاجتماعية التابع للمجموعة الرابعة بقتل ذلك الصغير ، فعادت أمه على الفور إلى المجموعة الرابعة ثم ولدت صغيراً آخر كان له قائد المجموعة الرابعة أباً . ولاحظ الباحث من جديد كيف يقوم أحد الذكور بالتخلص من الجينات الخاصة بذكر آخر ثم يقوم هو في النهاية برعاية الاستثمار الوراثى الخاص به . ولاحظ أيضاً حلتين أخريين لقتل الصغار ، ووجد أن نتائج مشابهة لتلك التى توصل إليها من قبل كانت ممكنة الحدوث على الأقل في إحدى هاتين الحالتين .

ومن الجدير بالذكر أن معظم التفاعلات التى تنشأ بين ذكور الغوريلا الراشدين وصغارها ليست مميتة إذ كان نفس الذكر الذى قام بقتل الصغير في المجموعة الثامنة قد تبنى أنثى صغيرة من قبل وقام بتربيتها حيث قامت هذه الأنثى والتى كانت تبلغ ثلاث سنوات من العمر في ذلك الوقت قامت بعد موت أمها بمحاولات مضنية لإقامة وكرها بالقرب من ذلك الذكر القائد ذى الظهر الفضى . وفي الليلة الثانية أو الثالثة قام ذلك الذكر بأخذها إلى الوكر المعد لنومه ، ثم بدأت تلك الأنثى تسير خلفه بعد ذلك بصفة مستمرة حيث لم يقم هو بحملها على الإطلاق ، ولكنه كان يقوم بتنظيف جسمها أكثر مما تفعل الأم لتنظيف جسم صغيرها . وظل بعد ذلك على اتصال بها خلال فترات الراحة ، وكان يقوم بحمايتها بدرجة كبيرة لدرجة أنه كان لا يسمح للآخرين باللعب معها .

ومن المعلوم أن معظم القرود الصغيرة لا تقوم سوى بقدر ضئيل من الاتصال بالذكور ذوى الظهر الفضى ، أما الأمهات الناضجات وذوات الخبرة فيبتعدن عن أولئك الذكور ذوى الظهر الفضى ، بينما تبقى الأمهات اللائى وضعن مواليد جدد عند المحيط الخارجى لذلك الحيز المكانى الذى تشغله الجماعة . ولا يسمح إلا للصغار فقط بالابتعاد عن هذا الحد للداخل وذلك لمدة أسبوع واحد فقط أو اثنين . وعندما يبلغ الصغير عدة شهور من عمره يسمح له بالاقتراب من أولئك الذكور عن كثب ، وفى النهاية يسمح له بالتقارب الشديد منهم . ويبدأ الصغار فى الدنو من هؤلاء الذكور عندما تتراوح أعمارهم بين الثانية والثالثة ، وتصبح أوكار هؤلاء الذكور هى أماكن اللعب المفضلة لهم . ويكون هؤلاء الذكور متسامحين ومتساهلين جدًا مع الصغار ، كما تكون جلسات اللعب أقل حدة حيث يقوم الذكر فضى الظهر بالسير فى اتجاه الصغير ويربت عليه . وتدل استجابات الصغار بوجه عام على أنهم يفضلون ذلك حيث يحصلون من خلاله على اهتمام أولئك الذكور .

### تلخيص ومناقشة :

يعتبر المدى المتسع من الأنماط السلوكية التى يقوم ذكر الثدييات غير الإنسانية بتوجيهها إلى الصغار غير الناضجين من الفصيلة نفسها ذات تأثير كبير عليهم فقد لوحظ هؤلاء الذكور وهم يقومون بتقديم المساعدة أثناء ولادة المواليد الجدد ، وكانوا يقومون أيضًا بمضغ الطعام للصغار ، ويحملونهم ، وينامون معهم ، وينظفون أجسامهم ، ويلعبون مع الصغار الأقل عمرًا على وجه الخصوص . وكانوا يقومون أيضًا بالدفاع عن الصغار دون استثناء ، ويقومون بتوفير المأوى لهم خلال فترات الإثارة الانفعالية الشديدة ، ويتفاعلون مع الصغار على نمط شبه ثنائى ، ويعززون نموهم الحركى ، ويوقفون أنشطة هؤلاء الصغار حينما تتضمن تفاعلات عدوانية مدمرة ، ويقومون بالرعاية الأساسية للصغار اليتامى ، ويستخدمون الصغار فى التفاعلات الثلاثية مع ذكور آخرين . كما قد يسهم الذكور الراشدون أيضًا فى تحقيق أمن الصغير وسلامته بطريقة مباشرة قليلاً وذلك عن طريق الدفاع عن الأرض ، والجماعة ، أو الدفاع عن الأم ضد المغيرين أو غيرهم من نفس الفصيلة . كما أن دورهم المستمر كقادة للجماعة قد يعزز من احتمال بقاء الصغير على المدى الطويل . ومن الناحية العكسية فإنهم قد يقومون أيضًا

بتهديد الصغار والهجوم عليهم وقتلهم وأكلهم ، إلا أنه لم يتم ملاحظة هذه الأنماط السلوكية شديدة القسوة إلا نادرًا . وعلاوة على ذلك فإننا لا نملك للآن تقييماً دقيقاً عن التكرار النسبي لهذه الأنماط السلوكية المدمرة بين الذكور في مقابل الإناث غير المنجبات .

وبقدر تشعب هذا المدى السلوكي يظل القائم الأساسي على رعاية الصغار في معظم الأنماط الاجتماعية للحيوانات الرئيسية والثدييات غير الإنسانية هو الأم . وفي حقيقة الأمر نجد أن كلمة «الثدييات» والتي أطلقت على فئة معينة من الكائنات تتضمن الإنسان أيضًا قد اشتقت من إحدى الوظائف الأساسية المناطة بهذه الفئة والتي ترتبط ببقائها وهي أنها تقوم بإطعام صغارها من أئدائها . وكما يرى ريدلي (Ridley ١٩٧٨) فإن الاستثمار الوالدي يميل إلى أن يتوزع بشكل لا متماثل بين الجنسين . وعندما يقوم أحد الوالدين برعاية الصغير فإن هذا الوالد يكون بشكل عام هو الأم ، وهذا يعتبر شيئاً مألوفاً بالنسبة للثدييات ، كما أنه يعد أيضًا بمثابة قاعدة لعديد من الفقاريات واللافقاريات . ومن ناحية أخرى فإن الرعاية الوالدية تعتبر نادرة بالنسبة للثدييات واللافقاريات والزواحف ، إلا أنها شائعة بين الأسماك والبرمائيات ( كالضفدع مثلاً ) والطيور ( Warren, et al., 1980 ) .

ويتفق الاحتمال المرتفع نسبيًا لقيام الإناث برعاية الصغار بالنسبة للثدييات مع اعتبارين بيولوجيين أساسيين ، يرى أولهما أن العدد القليل من الجامتيات الكبيرة لدى الإناث إضافة إلى نسيج الإعالة للجنين والممثل في المشيمة والنسيج الذي يقوم بإفراز اللبن كلاهما يمثل استثمارًا أكبر بكثير مما ينتج عن ذلك العدد الوفير من الجامتيات الصغيرة الموجودة لدى الذكر . أما ثانيهما فيعتبر بمثابة حقيقة قائمة ترى أن من تلدهم الأنثى من أبناء يحملون جيناتها بالضرورة . ويعمل هذان المبدآن على التنبؤ بدرجة كبيرة بقيام الإناث بالاستثمار الوالدي في ذريتهن وذلك عن طريق قيامهن برعايتهن . وكما لاحظنا سابقًا فإن مدى الرعاية الوالدية التي يوليها الذكر الراشد لأبنائه ترتبط ارتباطاً عالياً وإيجابياً بعلاقته الجينية بالأبناء ، وأن الذكور في نظم التزاوج المتعدد أقل توفراً للصغير وقلقاً عليه من أقرانهم في نظم التزاوج الأحادي .

وإذا كان دور الأم في الاستثمار الوالدي يعد على هذا النحو الذي لاحظناه سائداً بين الثدييات ، فما الذي يمكننا أن نقوله عن دور الأب إذن ؟ وفي الواقع يبدو أن هناك الكثير

والكثير مما يمكننا أن نتناوله عن دور الأب حيث تعتبر الصورة التي تظهر أمامنا في هذا الصدد عن ذكور الثدييات غير الإنسانية بمثابة منهل سلوكي يتميز بدرجة عالية نسبيًا من المرونة . ففي ظل ظروف معينة يلعب الذكر دورًا رئيسيًا في رعاية الصغار كما هو الحال بالنسبة لقرود القشة والطيارين أحادية الزواج والتي يتزايد فيما بينها حد الإنجاب بالنسبة للأم . وهناك احتمال آخر يتعلق بالذكور متعدد الزواج كقرود مكاك الريص على سبيل المثال إذا تم السماح لهم بالاقتراب المنظم من الصغار في غياب أعضاء الجماعة ممن يفرضون عليهم القيود .

وإذا ما انتقلنا إلى أنواع أخرى من الثدييات بحثًا عن أدلة تؤيد ذلك فإننا نجد أن المرموط (حيوان من القوارض) على سبيل المثال يعيش في مستعمرات ضخمة يظهر فيها الذكور الراشدون قدرًا أقل من الرعاية الوالدية ، إلا أننا مع ذلك نجد أن هناك وحدات أسرية مستقلة من نفس الفصيلة تتكون من ذكر وأنثى منجبين إضافة إلى ذريتهما ، ويقوم الذكور الراشدون في مثل هذه الوحدات الأسرية بإبداء جم الاهتمام بصغارها حيث يقومون ببعض الأنماط السلوكية الدالة على ذلك كالتنظيف المتبادل لأجسامهم واللعب الحشن أو العنيف معهم على سبيل المثال . ويرى باراش (Barash 1977) أن النمط الأساسي المقترح هنا يعد واحدًا من الأنماط السلوكية الذكرية الاختيارية - القادرة على التنوع بشكل تكيفي - والمناقضة للمسئوليات الإلزامية الملقاة على عاتق الأم . ويعتبر ذلك بمثابة نمط عام بين الثدييات . ولكننا بطبيعة الحال يجب أن نتوخى الحذر عند استخدامنا لكلمة «إلزامي» وتطبيقها على نسق اجتماعي يسود فيه التكيف الثقافي كما هو الحال بالنسبة للجنس البشري ، إلا أنه يبدو أن رأى باراش هذا يتعلق فقط بالأنساق الاجتماعية غير المتغيرة أى الثابتة والتي يتم ملاحظتها بين الثدييات ، وخاصة الثدييات غير الإنسانية .

وفيما يتعلق بالطيور فقد لوحظ أن ذكر طائر صعو المستنقعات يتزاوج بالعديد من الإناث ولا يقوم بالمساعدة في إطعام الصغار في وقت مبكر من موسم التوالد (ولادة الصغير) ، ولكنه يقوم في وقت متأخر من الموسم بعد أن يكون قد تم تزاوج جميع الإناث الموجودات في الجماعة بإظهار رعايته للصغار والمساعدة في إطعامهم (Vermer, 1964) .

أما بالنسبة للجنس البشري فقد أشار دافيدز (١٩٧٢) Davids إلى تلك المرونة التي تتصف بها الرعاية الذكرية في المجتمعات الغربية إذ يرى أن الأبوة داخل المنزل تعنى أنه عندما لا تكون الأم قادرة على الوفاء بحاجات معينة تتعدى نطاق روتين الرعاية اليومية ، فإن الأب يدخل إلى الموقف كمصدر احتياطي يمكن الاعتماد عليه في الوفاء بتلك الحاجات غير العادية . وباختصار نجد أن تلك الملاحظات المختلفة تعمل على تصوير دور الأم في العديد من الأنساق الاجتماعية على أنه يتسم بالثبات النسبي والاعتمادية والتجانس ، وتصوير دور الأب على أنه يتسم بالتغير النسبي والقوة العضلية والمرونة .

ويوجد توازن متقن بين تلك المتغيرات التي تتعلق بالنسق الاجتماعية وذلك للتأثير على قيام الذكر بالتعبير عن الرعاية الكامنة من جانبه للصغار . ويأتى ضمن هذه المتغيرات وفرة مصادر الطعام أو مدى توفرها في مواسم معينة ، والسلب والنهب والاصطفاء الجنسي ( التنافس الذكري والاختيار الأنثوي ) ، ومدى العلاقة التي تربط بين الراشدين الذين يقومون برعاية الصغار وبين هؤلاء الصغار ، ومدى العلاقة التي تربط بين هؤلاء القائمين بالرعاية أنفسهم كأن تكون جماعة الإناث وثيقة الارتباط فيما بينها على سبيل المثال . في حين نجد أن العوامل ذات المستوى الثانوي التي يتم اشتقاقها من تلك العوامل الأولية السابقة أو التي تنتج عنها وتتضمن تلك العوامل الثانوية حد الإنجاب عند الأم ، ومدى التقييد الذي تفرضه الأم على الصغار ، ودرجة الخطورة التي يتعرض لها بقاء الصغار إذا لم تقدم لهم تلك الرعاية الذكرية . ومن العسير جدًا أن نقوم بعملية تصنيف المتغيرات العديدة المرتبطة بهذا المجال ، وأن نحدد أيًا منها هو السابق وأيها هو اللاحق . كما يجب أن نعمل جيدًا على ملاحظة التطابق الوثيق للأنساق السلوكية المميزة لفصيلة معينة والمتطلبات البيئية التي تظهر في العديد من المستويات . ويمكننا تلخيص تلك الأنساق كما يلي :

#### ١ - الأنساق أحادية التزاوج :

وتتطور هذه الأنساق عن البيئات التي يتوفر فيها مستوى ثابت نسبيًا من الطعام ، ولا تكون ضغوط السلب أو الافتراس فيها كبيرة . وغالبًا ما تكون الرعاية الذكرية فيها شاملة وتتم على الأرض في مجملها .

## ٢ - الأنساق متعددة الزوجات :

وتضم مثل هذه الأنساق ذكراً راشداً واحداً فقط وعديد من الإناث الراشداً ، وتتطور عن البيئات التي تقل فيها مصادر الطعام موسميًا . وبذلك يصبح من المفيد بالنسبة للإناث أن ينجبن ذكوراً ليصل عدد الذكور إلى حده الأقصى . وبوجه عام يعتبر قيام الذكور برعاية صغارهم محدوداً ، وربما يقوم الذكر بقتل صغار غيره من الذكور .

## ٣ - الأنساق متعددة التزاوج :

وتضم مثل هذه الأنساق العديد من الذكور والعديد من الإناث ، وتتطور عن تلك البيئات التي يعتبر معدل الطعام فيها منخفضاً نسبياً في مصادره الغذائية أو يصعب الحصول عليه ، أو كليهما معاً . كما تزداد فيها ضغوط السلب والافتراس وتتسم الرعاية الذكرية فيها بالضعف النسبي .

وهناك أدلة على أن بعض الاحتمالات البيئية التي تم تناولها من قبل قد تنطبق أيضاً على المجتمعات الإنسانية . ويقرر وست وكونر (1976) West & Konner في دراستهما التي أجريت على عينة ضمت ثمانين ثقافة أن كل الثقافات التي يسود فيها الزواج الأحادي والأسر الذرية تتسم بقيام علاقات وثيقة بين الأب والطفل . وتكون مثل هذه العلاقات على وجه الخصوص وثيقة بدرجة كبيرة عندما تكون الزراعة والبستنة أى زراعة الأشجار المثمرة والخضر والزهور والنباتات الزينية كما هو الحال في جزر المحيط الهادى هى النمط الأساسى للعيش . كما تكون تلك العلاقات وثيقة أيضاً في حالة عدم تعدد الزوجات ، أو الإقامة المؤقتة للأب بالمنزل ، أو الأسر الموسعة ، أو قيام الأب بتقسيم العمل .

ومن ناحية أخرى تنشأ علاقات وثيقة بين الأب والصغير عندما لا يقضى الأب جزءاً كبيراً من الوقت سعيًا لجمع الطعام أو للدفاع عن مصادره ، في حين تكون العلاقة بين الأب والصغير غير ذلك عندما يكون لزاماً عليه أن يقوم بالدفاع عن مصادر الطعام التي قام بجمعها كما يحدث أثناء الحروب ، أو عندما يتم قضاء جزء كبير من الوقت للحصول على والدفاع عن مصادر الطعام التي تعتبر ضرورية لحدوث تعدد الزوجات والإبقاء على هؤلاء الزوجات (Paige & Paige, 1973; Whiting & Whiting, 1975; West & Konner, 1976) . ولا يمكن التوصل إلى تعميمات متقنة بين الفئات

المتباعدة ، ولكن من الصعب ألا ننظر إلى تلك النماذج الموازية التي توجد بين الطيور والثدييات غير الإنسانية والثدييات الإنسانية . أى أن الرعاية الذكرية الشاملة تظهر حينها لا يتم تخصيص جزء كبير من الوقت للحصول على مصادر الطعام ، كما أن مدى الاستثمار الوالدى الذكرى يرتبط إيجاباً بالعلاقة الجينية .

وهناك العديد من المتغيرات التي تؤثر على الاستثمار الوالدى الذكرى يأتى فى مقدمتها كما يرى ريديكان (١٩٧٦) Redican مدى قيام الأم وغيرها من الإناث الراشدين بوضع القيود على اتصال الذكور الراشدين بالصغار . كما يرتبط هذا الاستثمار الوالدى الذكرى إيجاباً لدى العديد من الفصائل بقيام علاقة بين الأم والصغير تتسم بالتسامح والهدوء . أما إذا تعذر وجود الطفل يصبح من الصعب أن يكون هو المتلقى للرعاية الذكرية ، وهو الفرض الذى يتردد كثيراً بشكل متكرر . ومع ذلك فقد يكون هذا التكرار مفيداً إذا ساهم فقط فى إثبات أننا يجب أن نفكر فى النسق الاجتماعى الأكبر إذا ما أردنا أن نتناول موضوعاً مثل الاستثمار الوالدى الذكرى . ومن الجدير بالذكر أن النسق الاجتماعى المعقد لا يمكن تقسيمه إلى عدة أقسام فرعية ذات أنماط ثنائية . وعلى الرغم من أن هذا الأمر قد تم تناوله مراراً فإنه لا يزال من المفيد أن نذكر أنفسنا به . وعند مراجعة الأدلة التى تؤيد هذا الفرض والتى تم اشتقاقها من مدى متسع من المصادر نجد أنه :

- ١ - تقوم الأمهات من مختلف الأعمار من قرود الرباح بتنظيم تواجد الصغار مع الذكور الراشدين وذلك بالسماح لهذا الاتصال بين الذكر وبين الصغير أن يحدث بدرجات مختلفة (Ransom & Ransom 1971) .
- ٢ - تقوم الأمهات اللائى تنتمين إلى جماعة واحدة من قرود المكاك المغربى بالسماح بحدوث قدر من الاتصال المبكر والشامل بين الذكر الراشد وبين الصغير أكبر مما تسمح به الأمهات فى أى جماعة أخرى مما يعمل على حدوث نتائج إيجابية ملموسة فى النمو الحس حركى للصغير (Burton, 1972) .
- ٣ - يعد التسامح الذى تتسم به الأمهات عاملاً هاماً فى التأثير على اقتراب الذكر الراشد من الصغار وذلك لدى قرود المكاك الأبتى (Hendy-Neely & Rhine, 1977) .
- ٤ - تقوم إناث القروء السنجابية بمنع الذكور الراشدين من إقامة اتصال وثيق مع الجزء المركزى من الجماعة الذى يقيم فيه الصغار (Baldwin, 1968, 1969) .

٥ - تبقى الأمهات المجبات من القرده السنجابية على مسافة تفصل بينها وبين الذكور الراشدين أكبر من تلك المسافة التي تبقى عليها الإناث غير المنجبات (Strayer, et al., 1975).

٦ - لوحظ قيام الذكور الراشدين من القرده السنجابية بالهرب عندما يقوم الصغار غير الناضجين بتهديدهم . ومن المحتمل ألا يكون هروبهم هذا بسبب خوفهم من هؤلاء الصغار ولكن تجنبًا لإثارة الأم (Baldwin, 1969).

٧ - يزداد معدل التفاعل بين الذكور الراشدين وبين الصغار من الجماعات التي تؤلفها قرده مكاك الريص وقرده المكاك ذى الغطاء الواقى بعد التخلص من الأم (Spencer-Booth & Hinde, 1976; Kaufman & Rosenblum, 1969).

٨ - يزداد معدل الرعاية الذكرية للصغار من قرده مكاك الريص بعد حدوث تلف لحائى للأم تجريبياً (Bucher, 1970).

٩ - يقوم صغار قرده مكاك الريص الذين قام بتربيتهم ذكور راشدون في غياب الأم بتطوير تعلق شامل بالذكور (Redican, 1975).

١٠ - يوضح الترتيب الرتبى للعديد من فصائل قرود المكاك والرياح وجود علاقة إيجابية بين قيام الذكر الراشد بالاستثمار الوالدى وبين مقدار التسامح الذى تبديه الأم (Redican, 1976).

وإذا ما وضعنا في اعتبارنا فصائل أخرى من قرده اللنجور على سبيل المثال فإن هذا الفرض في حقيقة الأمر يتعرض للنقد (راجع: Redican, 1976) إذ يتم تناول صغار قرده اللنجور من جانب الأمهات حيث تتنازل كل واحدة منهن للأخرى عنهم ، ومع ذلك يوجد قدر قليل من الاستثمار الوالدى يقوم به الذكر الراشد . ومن المحتمل أن ينطبق هذا الفرض فقط على تلك الأنساق الاجتماعية التى تضم العديد من الذكور والعديد من الإناث التى أجريت عليها الدراسات التى اشتقت منها هذه النتائج . أما الأنساق الاجتماعية أحادية التزاوج فتحتاج إلى مزيد من التحليلات الدقيقة . إلا أنه ليس من غير المحتمل أن تلقى النظريات الفرويدية والتى تتضمن المراحل الأوديبية ببعض الظلال على ذلك المجال . وكدفاع عن هذا الفرض فيما يتعلق بالجماعات التى تتضمن ذكراً راشداً واحداً وعديد من الإناث يبدو أن هؤلاء الإناث الموجودات فى الجماعة غالباً

ما تربط بينهما علاقة حميمة جدًا كالأخوات على سبيل المثال ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه « كائن عضوى فوق العادة » Super organism . وإذا كان الأمر كذلك فإنه يجب علينا أن ندقق في هذا الفرض في إطار التقارب بين الجماعة الفرعية التى تضم الأئنى والصغير وبين الذكر الراشد المتواجد بالجماعة . إلا أنه لا توجد بيانات كافية فى الوقت الراهن تمكننا من القيام بتقييم شامل لهذه النقطة .

وهناك متغير آخر يؤثر فى ذلك الاستثمار الوالدى الذى يقوم به الذكر الراشد بين الثدييات غير الإنسانية يتمثل فى جنس الصغير حيث تؤكد نتائج العديد من الدراسات أن الذكور الراشدين غالبًا ما يندمجون بدرجة أكبر مع الذكور الصغار ، أما الأمهات فيبدو أنهن أقل من الذكور فى تمييزهن بين الصغار على أساس جنسهم ، إلا أنهن إذا ما قمن بذلك كالذكور فإن الجزء الأكبر من استثمارهن الوالدى سوف يكون من حظ الإناث الصغيرات . وتتفق هذه النتائج مع تلك النتائج التى أسفرت عنها معظم الدراسات التى أجريت على العديد من المجتمعات الإنسانية المختلفة (e.g. Goodenauge, 1975; Johnson, 1963) (Maccoby & Jacklin, 1974; Mackey, 1976,1979) .

ويمثل متغير العمر الزمنى هو الآخر أحد المتغيرات التى لها أهميتها الخاصة لدى دارسى النمو إذ يرتبط هذا المتغير بالاستثمار الوالدى . وفى مثل هذه الحالة نجد أن عمر الصغير لا يعتبر هو فحسب المهم فى هذا الصدد ، بل إن عمر الذكر الراشد أيضًا له أهميته حيث توجد هناك أدلة تؤكد أنه من الأكثر احتمالًا بالنسبة للصغار الأكبر عمرًا واليافعين أن يوليهم الذكور برعايتهم بدرجة أكبر مما يفعلونه مع المواليد الجدد . أما الاستثناء من ذلك فهو ما يحدث بين الفصائل أحادية الزواج حيث يكون الذكر الراشد هو القائم الأساسى على الرعاية . وفى مثل هذه الحالات قد يندمج الذكر الراشد مع الصغير حتى أثناء ولادته . وحيثما تكون الأم هى القائم الأساسى على الرعاية كما هو الحال فى معظم الأنساق الاجتماعية متعددة الزواج فإنه غالبًا ما يحدث تحول فى الاستثمار الوالدى من الأم إلى الذكر الراشد مع نضج الصغير . ويؤلف الذكر الراشد ما يشبه القنطرة بين قيام الأم برعاية الصغير واندماج هذا الصغير بعد ذلك مع جماعته الاجتماعية الأكبر .

أما بالنسبة للعلاقة بين عمر الذكر الراشد ومدى الرعاية الوالدية التى يوليها للصغار فإن الموقف لا يزال مشوشًا وغير واضح ، فالرعاية الذكرية تقتصر تمامًا بين

قردة المكاك اليابانى على سبيل المثال على الذكور الناضجين فقط ، إلا أن هناك من الأدلة ما يؤكد على أن الذكور الصغار وشبه البالغين فى فصائل أخرى من قردة المكاك هم الذين يتولون أمر مثل هذه الرعاية ، إلا أنه توجد فى ذات الوقت نتائج متضاربة حول نفس ذلك الأمر فى هذه الفصائل . ولذلك فالأمر يحتاج إلى إجراء مزيد من الدراسات للوقوف على مدى صحة هذه النتائج .

ومن ناحية أخرى هناك أمر آخر على درجة كبيرة من الأهمية يتمثل فى استخدام الصغار من جانب ذكور راشدين وذلك فى تفاعلاتهم مع ذكور آخرين وبذلك يمكننا أن نميز بين هذا الاستخدام وبين «استغلال» الصغار مع جانب الذكور الراشدين وذلك لتعزيز وضعهم السيادة وقيامهم بالرعاية الوالدية بالمعنى الصارم للكلمة .

\* \* \*

## مراجع الفصل الثالث

- Alexander, B. K. (1970). Parental behavior of adult male Japanese monkeys. *Behavior*, 36,270-285.
- Altmann, J. (1980). *Baboon mothers and infants*. Cambridge Mass. : Harvard University Press.
- Altmann, S. A., & Altmann, J. (1970). Baboon ecology: African field research. *Bibliotheca Primatologica*, No. 12, pp. 1-220.
- Baldwin, J. D. (1968). The social behavior of adult male squirrel monkeys (*Saimiri sciureus*) in a seminatural environment. *Folia Primatologica*, 9, 281-314.
- Baldwin, J. D. (1969). The ontogeny of social behaviour of squirrel monkeys (*Samirir sciureus*) in a seminatural environment. *Folia Primatologica*, 11, 35-79.
- Baldwin, J. D. (1970). The social organization of a semifree-ranging troop of squirrel monkeys (*Samin sciureus*). *Folia Primatologica*, 14, 23-50.
- Baldwin, J. D., & Baldwin, J. (1972). The ecology and behavior of squirrel monkeys (*Saimiri oerstedii*) in a natural forest in western Panama. *Folia Primatologica*, 18,161-184.
- Baldwin, J. D., & Baldwin, J. (1973). The role of play in social organization : Comparative observations on squirrel monkeys (*Saimiri*). *Primates*, 14, 369-381.
- Barash, D. P. (1977). *Sociobiology and behavior*. New York : Elsevier.
- Baysinger, C. M. , Brandt, E. M., & Mitchell, G. (1972). Development of infant social isolate monkeys (*Macaca mulatta*) in their isolation environments. *Primates*, 13, 257-270.
- Berkson, G. (1966). Development of an infant in a captive gibbon group. *Journal of Genetic Psychology*, 108,311-325.
- Bernstein, I. S. (1970). "Paternal " behavior in nonhuman primates. *American Zoologist*. 10, 480.
- Bernstein, I. S. (1975). Activity patterns in a gelada monkey group. *Folia Primatologica*, 23,50-71.

- Bertrand, M. (1969). The behavioral repertoire of the stumptail macaque. *Bibliotheca Primatologica*. No. 11.
- Blaffer Hrdy, S. (1976). Care and exploitation of nonhuman primate infants by conspecifics other than the mother. In J. S. Rosenblatt, R. A., Hinde, E. Shaw, & C. Beer (Eds.). *Advances in the study of behavior*, Vol. 6 New York :Academic Press.
- Blaffer Hrdy, S. (1977). The languor's of Abu :Female and male strategies of reproduction. Cambridge, Mass. : Harvard University Press.
- Blaffer Hrdy, S. (1979). Infanticide among animals : A review, classification, and examination of the implications for the reproductive strategies of females. *Ethnology & Sociobiology*, 1, 13-40.
- Bolwing , N. (1959). A study of the behavior of the chacma baboon, *papio ursinu*, *Behaviour*, 14, 136-163.
- Box, H. O. (1975). A social developmental study of young monkeys (*Callithrix jacchus*) within a captive family group. *Primates*, 16,419-435.
- Brandt, E. M., Bay singer, C., & Mitchell, G. (1972). Separation from rearing environment in mother - reared and isolation-reared rhesus monkeys (*mulatta*). *International Journal Psychobiology*, 2, 193-204.
- Brandt, E. M., Irons, R., & Mitchell G. (1970). Paternalistic behavior in four species of macaques. *Brain, Behavior , and Evolution*, 3, 415-420.
- Breuggeman J. A. (1973). Parental care in a group of free-ranging rhesus monkeys (*Macaca mulatta*). *Folia Primatologica*, 20, 178-210.
- Bucher, K. L. (1970). Temporal lobe neocortex and maternal behavior in rhesus monkeys. Doctoral dissertation, The Johns Hopkins University, Baltimore.
- Burton, F. D. (1972). The integration of biology and behavior in the socialization of *Macaca sylvana* of Gibraltar. In F. E. Poirier (Ed.), *Primate Socialization*. New York: Randoll Huuse.
- BurtCJu, F. D., & Bick, M. J. A. (1972). A drift in time can defme ademe :The implications of tradition drift in primate societies for hominid evolution. *Journal of Human Evolution*, 1, 53-59.
- Carpenter, C. R. (1940). A field study in Siam of the behavior and social relations of the gibbon (*Hylobates lar*). *Comparative Psychology Monographs*, 16,1-212.

- Chance, M. R. A., & Jolly, C. I. (1970). Social groups of monkeys, apes, and men. London: Jonathan Cape.
- Chivers, D. J. (1971). Spatial relations within the siamang group. Proceedings of the Third International Congress of Primatology. Basel : S. Karger.
- Chivers, D. J. (1972). The siamang and the gibbon in the Malay Peninsula. Gibbon and Siamang, 1, 103-135.
- Coe, C. L., & Rosenblum, L. A. (1974). Sexual segregation and its ontogeny in squirrel monkey social structure. Journal of Human Evolution, 3, 551-561.
- Coimbra-Filho, A. F. & Mittermeier, R. A. (1976). Hybridization in the genus *Leontopithecus*, *L. R. Rosalia* (Linnaeus, 1766) X *L. R. chrysomelas* (Kuhl, 1820) (Callithricidae, 'primates). Revista Brasileira de Biologia, 36, 129-137.
- Crook J. H. (1964). The evolution of social organisation and visual communication in the weaver birds (Ploceinae). Behavior, Supplement 10, pp. 1-178.
- Crook, J. H. (1965). The adaptive significance of avian social organizations. Symposia of the Zoological Society of London, 14, 181-218.
- Crook J. H. (1966). Gelada baboon herd structure and movement: A comparative report. Symposia of the Zoological Society of London, 18, 237-258.
- Crook, J. H., & Gartlan, J. S. (1966). Evolution of primate societies. Nature, 210, 1200-1203.
- Crook, J. H., & Goss-Custard, J. D. (1972). Social ethology. Annual Review of Psychology, 23, 277-312.
- Curtin. R. (1977). Langur Social behavior and infant mortality. Berkeley Paper in Physical Anthropology, No 50, pp. 22-27.
- Daly, M., & Wilson, M. (1978). Sex, evolution, and behavior. North Scituate, Mass. :Duxbury Press.
- Darwin, C. (1967). (On the origin of species by means of natural selection, or the preservation of favoured races in the struggle for life.) Facsimile reproduction of 1 st. ed. edited by E. Mayr. New York : Athenaeum, (Originally published, 1859).

- Darwin, C. (1969). (The descent of man, and selection in relation to sex) (2 vols.). New York : International Publication Service. (Originally published, 1871).
- Davids, L. (1972). Fatherhood and comparative social research. *International Journal of Comparative Sociology*, 13, 217-222.
- Dawkins, R. (1976). *The selfish gene*. New York: Oxford University Press.
- Deag, I. M. (1974). A study of the socia: behaviour and ecology of the wild Barbary macaque, *macaca sylvanus* L. Doctoral dissertation, University of Bristol.
- Deag, J. M. & Crook, J. H. (1971). Socia behavior and "agonistic buffering" in the wild barbary macaque *Macaca sylvana*. *Folia primatologica*, 15, 183-200.
- De Vore, L. I. (1963). Mother-infant relations in free, ranging baboons. In H. L. Rheingold (Ed.), *Maternal behavior in mammals*. New York : Wiley.
- Dolhinow, P. J., & Bishop, N. (1970). The development of motor skills and social relationships among primates through play In. I. P. Hill (Ed.), *Minnesota symposia on child psychology*, Vol. 4. Minneapolis : University of Minnesota Press.
- DuMond, F. V. (1968). The squirrel monkey in a semi natural environment. In L. A. Rosenblum & R. W. Cooper (Ed.), *The squirrel monkey*. New York : Academic Press.
- Eibl-Eibesfeldt, I. (1970). *Ethology : The biology of behavior*, New York: Holt, Rinehart, & Winston.
- Eisenberg, J. F. (1966). The social organizations of mammals. *Handbuch der Zoologie : Eine Naturgeschichte der Stamme Des Tierreiches*, 8(39), 1-92.
- Eisenberg, I. F., Muckenhim, N. A. , & Rudran, R. (1972). The relation between ecology and social structure in primates. *Science*, 176, 863-874.
- Ellefson, J. O. (1968). Terriiorial behavior in the common white handed gibbon, *Hylobates lar* Linn. In P. C. Jay (Ed.), " *primates : Studies in adaptation and variabilitiy*. New York: Holt.
- Epple, G. (1967). Vergleichende Untersuchungen uber Sexual-und Sozialverhalten der Kralenaffen (Hapalidae). *Folia Primatologica*, 7, 37-65.

- Epple, G. (1975). Parental behavior in *Saguinus fuscicollis* spp. (Callithricidae). *Folia primatologica*, 24, 221-238. .
- Estrada, A. Estrada, R., & Ervin, F. (1977). Establishment of a freeranging colony of stumptail macaques (*Macaca arctoides*) : Social relations I. *Primates*, 18, 647-676.
- Estrada, A. & Sandoval, I. M. (1977). Social relations in a free-ranging troop of stumptail macaques (*MacQca arctoides*) : Male -care behavior I. *fiimates*. 18, 793-813.
- Evans, R., I. (1974). A conversation with Konrad Lorenz. *Psychology Today*, 8(6), 82-93.
- Fairbanks, L. (1974). An analysis of subgroup structure and process in a captive squirrel monkey (*Saimiri sciureus*) colony. *Folia Primatologica*, 21, 209-224.
- Fitzgerald, A. (1935). Rearing marmosets in captivity. *Journal of Mammalogy*, 16, 181-188.
- Forbes, H. O. (1897). A handbook to the primates. London: Edward Arnold.
- Fossey, D. (1976). The behavior of mountain gorillas. Lecture presented at Standford University, May II.
- Foosey, D. May 14, (1976). Personal communication.
- Fox, G. J. (1972). Some comparisons between siamang and gibbon behaviour. *Folia Primatologica* 18,122-139.
- Fox, G. J. (1974). Peripheralization behavior in a captive siamang family. *American Journal of Physical Anthropology*, 41, 479.
- Fox, L. R. (1975). Cannibalism in natural populations. *Annual Review of Ecology and Systmatics*, 6, 87-106.
- Gartlan, J. S., & Brain, C. K. (1968). Ecology and social variability in *Cercopithecus aethiops* and *C. mitis*. In P. C. Jay (Ed.), *Primates : Studies in adaptation and variability*. New York: Holt.
- Goodenough, E. W. (1957). Interest in persons as an aspect of sex differences in the early years. *Genetic Psychology Monographs*, 55, 287-323.
- Gouzoules, H. (1975). Maternal rank and early social interactions of stumptial macaques, *macaca arctoides*. *Primates*, 16, 405-418.
- Gruner, M., & Krause, P. (1963). Biologische Beobachtungen an Weisspinselaffchen, *Hapale jacchus* (L. 1758) im BerliOf~ Tierpark. *Zoologische Garten*, 28, 108-114.

- Hall, K. R. L. (1965). Behaviour and ecology of the wild patas monkey, *Erythrocebus patas*, in Uganda. *Journal of Zoology*, 148, 15-87.
- Hamilton, W. D. (1974). The genetical evolution of social behaviour. I. 11. *Journal of Theoretical Biology*, 7, 1-52.
- Hamilton, W. D. (1973). *Life's color code*. New York :McGraw-Hill.
- Hamilton, W. D. III, & Busse, C. (1982). Adult male "exploitation" or "investment" in infants among wild chacma baboons. In D. M. Taub (Ed.) *Primate paternalism : An evolutionary and comparative view of male investment*. New York: Van Nostrand Reinhold.
- Hampton, J. K. (1964). Laboratory requirements and observations of *Oedipomidas oedipus*. *American Journal of Physical Anthropology*, 22, 239-244.
- Hampton, J. K., Hampton, S. H. , & Landwehr, B. J. (1966). Observations on a successful breeding colony of the marmoset *Oedipomidas oedipus*. *Folia Primatologica*, 4, 265-287.
- Hampton, S. H., Hampton, J. K. & Levy, B. M. (1972). Husbandry of rare marmoset species. In D. D. Bridgwater (Ed.) *Saving the lion marmoset* . Wheeling, W. V. : The Wild Animal propagation Trust.
- Harlow, M. K. (1971). Nuclear family apparatus. *Behavior Research Methods and Instrumentation*, 3, 301-304.
- Hasegawa, T. , & Hiraiwa, M. (1980). Social interactions of orphans observed in a free-ranging troop of Japanese monkeys. *Folia Primatologica*, 33, 129-158.
- Hendy, Neely H., & Rhine, R.R. (1977). Social development of stump-tail macaques (*Macaca arctoides*) Momentary touching and other interactions with adult males during the infants first 60 days of life. *Primates*, 18, 589-600.
- Hearn, J. P. . & Lunn., S. F. (1975). The reproductive biology of the marmoset monkey, *Callithrix jacchus*. *Laboratory Animal Handbooks*, 6, 191-204.
- Hinde, R. A. (1969). Analyzing the roles of the partners in a behavioral interaction-Mother-infant relations in the rhesus. *Annals of the New York Academy of Sciences*, 159, 651-667.

- Hinde, R. A. (1971). Development of Social behavior . In A. M. Schrier & F. Stollnitz (Eds.), Behavior of nonhuman primates, Vol. 3, New York :Academic Press.
- Hinue, R. A., & Spencrer-Booth, V. (1967). The behaviour of socially living rhesus monkeys in their first two and a half years. Animal Behaviour, 15, 161-196.
- Hinde, R.A., & White, L. E. (1974). Dynamics of a relationship. : Rhesus mother-infant ventro-ventral contact. Journal of Comparative and Physiological Psychology, 86, 8-23.
- Hoage, R. (1977). Parental care in *Leontopithecus R. Rosalia* :Carrying behavior . In D. G. Kleiman (Ed.), The biology and conservation of the Callitrichidae. Washington, D. C. : Smithsonian Institution Press.
- Hopf, S. (1971). New findings on the ontogeny of social behaviour in the squirrel monkey . Psychiatria, Neurologia, Neurochirurgia, 74,21-34.
- Horn, H. S. (1968). The adaptive significance of colonial nesting in the Brewer's blackbird (*Euphagus cyanocephalus*). Ecology, 49, 682-694.
- Hrdy, S. B. (1974). Male-male competition and infanticide among the langurs (*Presbytis entellus*) of Abu, Rajasthan. Folia Primatologica, 22, 19-58.
- Hrdy, S. B. See also Blaffer Hrdy, S.
- Ingram, J. (1975). Parent-infant interactions in the common marmoset (*Callithrix jacchus*) and the development of young. Doctoral dissertation, University of Bristol.
- Itam, J. (1959). Paternal care in the wild Japanese monkey, *Macaca fuscata fuscata*, Primates 2, 6 1-93.
- Jay, P. (1965). Mother infant relations in langurs. In H. I. Rheingold (Ed.), Parental behavior in mammals. New York :Wiley. 1963 Jay, P. C. the common langur of North India. In I. De Vore (Ed.), Primate behavior: Field studies of monkeys and apes. New York: Holt.
- Johnson, M. M. (1963). Sex-role learning in the nuclear family. Child Development, 34,319-333.
- Jolly, A. (1972). The evolution of primate behavior . New York : Macmillan.

- Jolly, C. (1963). A suggested case of evolution by sexual selection in Primates. *Man*, 63, 177-178.
- Jones, N. G. & Trollope, I. (1968). Social behaviour of stump-tailed macaques in captivity. *Primates*, 9, 365-394.
- Kafuman, I. C., & Rosenblum, L. A. (1969). The waning of the mother-infant bond in two species of macaque. In B. M. Foss (Ed.), *Determinants of infant behaviour*, vol. 4. London: Methuen.
- Kaufmann, J. H. (1966). Behavior of infant rhesus monkeys and their mothers in a free-ranging band. *Zoologica*, 51, 17-27.
- Kawai, M. A. (1960). Field experiment in the process of group formation in the Japanese monkey (*Macaca fuscata*) and the releasing of the group at Chirayama. *Primates*, 2, 181-253.
- Kummer, H. (1967). Tripartite relations in hamadryas baboons. In S. A. Altmar (Ed.), *Social communication among primates*. Chicago: University of Chicago Press.
- Kummer, H. (1968). Social organization of hamadryas baboons. *Bibliotheca Primatologica*, 6, 1189.
- Kummer, H. (1971). *Primate societies*. Chicago: Aldine-Atherton.
- Lack, D. (1968). *Ecological adaptations for breeding in birds*. London: Methuen.
- Lahiri, R. K., & Southwick, C. H. (1966). Parental care in *Macaca sylvana*. *Folia Primatologica*, 4, 257-264.
- Lamb, M. E. (Ed.) (1976). *The role of the father in child development*. New York: Wiley.
- Langford, J. B. (1963). Breeding behavior of *Hapale jacchus* (Common marmoset). *South African Journal of Science*, 59, 299-300.
- Leutenegger, W. (1973). Maternal-fetal weight relationships in primates. *Folia Primatologica*, 20, 280-293.
- Lindburg, D. G. (1971). The rhesus monkey in North India: An ecological and behavioral study. In L. A. Rosenblum (Ed.), *Primate behavior: developments in field and Laboratory research*, Vol. 2. New York: Academic Press.
- Lucas, N. S., Hume, E. M. & Henderson Smith, H. (1927). On the breeding of the common marmoset (*Hapale jacchus* Linn.) in captivity when irradiated with ultra-violet rays. *Proceedings of the Zoological Society of London*, 30, 447-451.

- Lucase, N S., Hume, E. M., & Henderson Smith, H(1937). On the breeding of the common marmoset (*Hapale jacchus* Linn.) in captivity when irradiated with ultra-violet rays. A ten year's family history. Proceedings of the Zoological Society of London, Series A, 107, 205-211.
- Maccoby, E E., & Jacklin, C. N. (1974). The psychology of sex differences. Stanford Calif. : Stanford University Press.
- Mackey, W. C. (1976). The adult male-child bond :An example of convergent evolution *Journal of Anthropological Research*, 32,58-73.
- Mackey, W. C. (1979). Parameters of the adult-male-child bond. *Ethology and Sociobiology*, 1, 59-76.
- Mac Roberts, M. H. (1970). The social organization of Barbary apes (*Macaca sylvana*) on Gibraltar. *American Journal of Physical Anthropology*, 33, 83-99.
- Mallinson, J. J. C. (1971). The breeding and maintenance of marmosets at Jersey Zoo. *Intemaional Zoo Yearbook*, 11, 79-83 (a).
- Mallinson, J. J. C. (1971). Observations on the breeding of Red-handed Tamarin, *Saguinus (Tamarin)midas* (Linnaeus, 1758) with comparative notes on other species of Callithricidae (Hapalidae) breeding In captivity. *Annual Review of the Jersey Wildlife Preservation Trust*, 8, 19-31 (b).
- Mason, W. A. (1971). Field and laboratory studies of social organization in *Saimiri* and *Callicebus*. In L. A. Rosenblum (Ed.), *Primate behavior Developments in field and laboratoryresearch*, vol. 2. New York: Academic Press.
- Mason, W. A., & Epple, G. (1969). Social organization in experimental groups of *Saimiri* and *Callicebus*. *Proceedings of the Secor.d International Congress of Primatology*, Vol. 1. Basel :Karger.
- McCann, C. (1933). Notes On the colouration and habits of the vioitebrowed gibbon or hoolock (*Hylobates hoolock* Harj.) *Journal of the Bombay Natural History Society*, 36, 395-405.
- tvlcClure, H. E. (1964). Some observations of primates in climax diptocarp forest near Kuala Lumpur, Malaya. *Primates*, 3-4, 39-58.
- McKenna, J. J. (1982). Primate infant caregiving behavior. Origins, consequences, and vairability with emphasis on the common Indian Langur monkey. In D. Gubernick & P. Klopfer (Eds.), *Parental care in mammals*. New York: Plenum.

- Merz, E. (1978). Male-male interactions with dead infants in *Macaca sylvanus*. *Primates*, 19, 749-754.
- Mitchell, G., & Brandt, E. M. (1972). Paternal behavior in primates. In F. Poirier (Ed.), *Primate socialization*. New York: Random House.
- Mohnot, S. M. (1971). Some aspects of social changes and infantkilling in the hanuman langur, *Presbytis entellus* (primates: Cercopithecidae) in Western India. *Mammalia*, 35, 175-198.
- Mori, U. (1979a). Development of sociability and social status. In M. Kawai (ed.), *Contributions to primatology*, Vol. 16. Ecological and sociological studies of gelada baboons. Basel: Karger.
- Mori, U. (1979b). Individual relationships within a unit. In M. Kawai (Ed.), *Contributions to primatology*, Vol. 16. Ecological and sociological studies of gelada baboons. Basel: Karger.
- Moynihan, M. (1970). Some behavior patterns of Platyrrhine monkeys. II. *Saguinus geoffroyi* and some other tamarins. *Smithsonian Contributions to Zoology*, No. 28.
- Napier, J. R., & Napier, P. H. (1967). *A handbook of living primates*. New York: Academic Press.
- Orians, G. H. (1969). On the evolution of mating systems in birds and mammals. *The American Naturalist*, 103, 589-603.
- Packer, C. (1980). Male care and exploitation of infant, in *Papio anubis*. *Animal Behaviour*, 28, 512-520.
- Paige, K. E., & Paige, I. M. (1973). The politics of birth practices: A strategic analysis. *American Sociological Review*, 38, 663-677.
- Parke, R. D., & Suomi, S. I. (1982). Adult male-infant relationships: Human and nonhuman primate evidence. In K. Immelmann et al. (Eds.), *Early development in animals and man*. New York: Cambridge University Press.
- Peffer-Smith, P. G., & Smith, E. O. (1982). Adult male - immature interactions in a captive stump-tail macaque (*Macaca arctoides*) group. In D. M. Taub (Ed.), *Primate paternalism: An evolutionary and comparative view of male investment*. New York: Van Nostrand-Reinhold.
- Popp, J. L. (1978). Kidnapping among male anubis baboons in Masai Mara Reserve. Paper presented at the Conference of the Wenner-Gren Foundation for Anthropological Research.

- Ransom, T. W., & Ransom, B.S. (1971). Adult male-infant relations among baboons (*Papio anubis*). *Folia Primatologica*, 16, 179-195.
- Ransom, T. W., & Rowell, T. E. (1972). Early social development of feral baboons. In F. Poirier (Ed.), *Primate socialization*. New York : Random House, 1972.
- Redican, W. K. (1975). A longitudinal study of behavioral interactions between adult male and infant rhesus monkeys (*Macaca mulatta*). Doctoral dissertation, University of California. Davis.
- Redican, W. K. (1976). Adult male-infant interactions in nonhuman primates. In M.E. Lamb (Ed.), *The role of the father in child development*. New York: Wiley.
- Redican, W. K. (1978). Adult male-infant relations in captive rhesus monkeys. In D. J. Chivers & J. Herbert (Eds.), *Recent advances in primatology*, vol. Behaviour. New York :Academic Press.
- Redican, W. K. & Mitchell, G. (1974). Play between adult male and infant rhesus monkeys. *American Zoologist*, 14, 295-302.
- Rhine, R. J., & Hendy-Neely, H. (1978). Social development of stump-tail macaques (*Macaca arctoides*) : Momentary to Latching, play, and other interactions with aunts and immatures during the infants' first 60 days of life. *Primates*, 19, 115-123.
- Rhine, R. J., & Owens, N. W. (1972). The order of movement of adult male and black infant baboons (*Papio anubis*) entering and leaving a potentially dangerous clearing. *Folia Primatologica*, 18, 276-283.
- Ridley, M. (1978). Paternal care. *Animal Behaviour*, 26, 904-932.
- Rosenblum, L.A. (1972). Sex and age differences in response to infant squirrel monkeys. *Brain, Behavior and Evolution*, 5, 30-40.
- Rothe, H. (1973). Beobachtungen zur Geburt beim Weissbuschelaffchen (*Callithrix jacchus* Erxleben, 1777). *Folia Primatologica*, 19, 257-285.
- Rowell, T. (1972). *The social behaviour of monkeys*. Baltimore : Penguin.
- Rowell, T. E. Hinde, R. A. , & Spencer-Booth, Y. (1964). "Aunt"-infant interaction in captive rhesus monkeys. *Animal Behaviour*, 12, 219-226.
- Rudran, R. (1973). The reproductive cycles of two subspecies of purple-faced langurs (*Presbytis senex*) with relation to environmental factors. *Folia primatologica*, 19, 41-60.

- Selander, R. K. (1972). Sexual selection and dimorphism in birds. In B. G. Campbell (Ed.), *Sexual selection and the descent of man : 1871-1971*. Chicago :Aldine.
- Simonds, P. E. (1965). The bonnet macaque in South India. In I. DeVore (Ed.), *Primate behavior: Field studies of monkeys and apes*. New York: Holt.
- Simons, P. F. (1974). Sex differences in bonnet macaque networks and social structure. *Archives of Sexual Behavior*, 3, 151-166.
- Snyder, P. A. (1974). Behavior of *Leontopithecus rosalia* (Golden-lion marmoset) and related species : A review. *Journal of Human Evolution*, 3, 109-122.
- Southwick, C. H., Beg, M. A., & Siddiqi, M. R. (1965). Rhesus monkeys in North India. In I. DeVore (Ed.), *Primate behavior*. New York: Holt.
- Spencer-Booth, Y. (1968). The behaviour of group companions towards rhesus monkey infants. *Animal Behaviour*, 16, 541-557.
- Spencer-Booth, Y. (1970). The relationship between mammalian young and conspecifics other than mothers and peers : A review. In D. S. Lehrman., R. A. Hinde, & E. Shaw (Eds.), *Advances in the study of behavior*, Vol. 3. New York :Academic Press.
- Spencer-Booth, Y., & Hinde, R. A. (1967). The effects of separating rhesus monkey infants from their mothers for six days. *Journal of Child Psychology and Psychiatry and Allied Disciplines*, 7, 179-197.
- Stein., D. M. (June 1980). Adult male baboons' affiliative relations with infants. Paper presented at the third annual meeting of the American Society of Primatologists, Winston-Salem, N. C.
- Stellar, E. (1900). The marmoset as a laboratory animal. Maintenance, general observations of behavior, and simple learning . *Journal of Comparative and Physiological Psychology*, 53, 1-10.
- Strayer, F. F., Taylor, M., & Yanciw, P. (1975). Group composition effects on social behaviour of captive squirrel monkeys (*Saimiri sciureus*). *Primates*, 16, 253-260.
- Strum, S. C. , & Manzollilo, D. L. (1982). A field study of male-infant associations in wild baboons. In D. M. Taub (Ed.), *Primate paternalism: An evolutionary and comparative view of male investment*. New York: Van Nostrand-Reinhold.

- Sugiyama, Y. (1965). On the social change of hanuman langurs (*Presbytis entellus*) in their natural condtions. *Primates*, 6, 381-418.
- Sugiyama, Y. (1966). An artificial social change in a huanuman langur (*Presbytis entellus*) in their natural conditons. *Primates*, 7, 41-72.
- Sugiyama, Y. (1967). Social organization ofhanuman langurs. In S. A. Altmann (Ed.), *Social communnication among primates*. Chicago : University of Chicago Press.
- Sugiyama, Y. (1971). Characteristics of the social life of bonnet macaques (*Macaca radiata*). *Primates*, 12, 247-266.
- Suomi, S. J. (1977). Adult male-infant interactions among monkeys living in nuclear families. *Child Development*,48, 1255-1270.
- Suomi, S. J. (1979). Diffential development of various social relationships by rhesus monkey infants. In M. Lewis & L. A. Rosenblum (Ed.), *The child and its family*. New York: Plenum Press.
- Suomi, S. J., Eisele, C. D. , Grady, S. A., & Tripp, R. L. (1973). Social preferences of monkeys reared in an enriched laboratory environment. *Child Development*,44,451-460.
- Suzuki, A. (1971). Camivory and canniblism obserJed among forestliving chimpanzees. *Journal of the Anthropological Society of Nippon*, 79, 30-48.
- Taub, D. M. (1975). "Paternalism" in free-ranging Barbary macaques, *Macaca sylvanus*. *American Journal of Physical Anthropology*, 42, 333-334.
- Taub, D. M. (1977). Geographic distribution and habitat diversity of the Barbary macaque, *Macaca Sylvanus L. Folia Primatologica*, 27, 108-133.
- Taub, D. M. (1978). Aspects of the biology of the wild Barbary macaque(*Primates, Cercopithecinae, Macaca sylvanus L. 1758*) : Biugeography, the mating system, and male-infant associations. Doctoral dissertation, University of California, Davis.
- Taub, D. M. (1980). Testing the" agonistic buffering" hypothesis. I. The dynamics of participation in the triadic interaction. *Behavioural Ecology and Sociobiology*, 1980, 6, 187-197.
- Taub, D. M. (1982). Male care-taking behavior among wild Barbary macaques, *Macaca sylvanus*. In D. M. Taub (Ed.), *Primate paternalism: An evolutionary and comparative view of male investment*. New York: Van Nostrand-Reinhold.

- Tayler, C. K., & Saayman, G. S. (1972). The social organisation and behaviour of dolphins (*Tursiops aduncus*) and baboons (*Papio anubis*): Some comparisons and assessments. *Annals of the Cape Provincial Museum*, 9, 11-49.
- Tenaza, R.R., & Hamilton, W. J., III. (1971). Preliminary observations of the, 15,201-211.
- Thorington, R. W., Jr. (1968). Observations of squirrel monkeys in a Colombian forest. In L. A. Rosenblum & R. W. Cooper (Eds.), *The squirrel monkey*. New York: Academic Press.
- Trivers, R. L. (1972). Parental investment and sexual selection. [In B. G. Campbell (Ed.), *Sexual selection and the descent of man*: ] 871-971. Chicago: Aldine.
- van Lawick-Goodall, J. (1967). Mother-offspring relationships in freeranging chimpanzees. In O. Morris (Ed.), *Primate ethology*, Chicago, :Aldine.
- van Lawick-Goodall, J. (1968). The behavior of free-living chimpanzees in the Gumbo Stream Reserve. *Animal Behavior Monographs* 1, 161-311.
- Verner, J. (1964). Evolution of polygamy in the long-billed marsh wren. *Evolution*. 18, 252-261.
- von Cranach M. (1976). *Methods of inference from animal to human behavior*. Chicago: Aldine.
- Werren, I. H., Gross, M. R., & Shine, R. (1980). Paternity and the evolution of male parental care. *Journal of theoretical Biology*, 82, 619-631.
- West, M. M., & Konner, M. I. (1976). *The role of the father in child development*. New York: Wiley.
- Whiting, J. W. M., & Whiting, B. B. (1975). Aloofness and intimacy of husbands and wives: A cross-cultural study. *Ethos*, 3, 183-207.
- Wilson, E. O. (1975). *Sociobiology: The new synthesis*. Cambridge, Mass.: Belknap Press of Harvard University.
- Woolfenden, G. E. (1975). Florida scrub jay helpers at the nest. *The Auk*, 92, 1-15.
- Yoshihara, K. (1968). Local and intergroup variability in ecology and social behavior of common Indian langurs. In P. C. Jay (Ed.), *Primates: Studies in adaptation and variability*. New York: Holt.

الفصل الرابع  
نظرة تكاملية لدور الأب في حياة الطفل

ميخائيل لام  
Michael E. Lamb



يجاول الفصل الحالى أن يعطى فكرة تكاملية وتصورًا شاملاً عن الاسهامات التى يمكن أن يقدمها الأب فى التنشئة الاجتماعية للطفل ونمو شخصيته . وعلى الرغم من تناولنا للعديد من وجهات النظر المتباينة فقد كان التوليف الناتج عنها ممثلاً لأرائنا الشخصية عن تلك المحاولات التى بذلت بالفعل فى هذا المجال .

وقد ظهرت النسخة الأصلية (الإنجليزية) من هذا الكتاب فى وقت تزايد فيه الاهتمام بالعلاقة التى تجمع بين الأب والطفل . ويتضح هذا الاهتمام الحديث فى صدور العديد من الكتب التى تم إعدادها سواء لعامة الناس أو للمتخصصين . وعلى الرغم من أن القدر الأكبر من هذا النشاط يبدو وكأنه قد خمد ، فإن التراث السيكلوجى الحديث يوضح أن هذا الموضوع قد وصل إلى النضج مرة أخرى حيث يتلقى الآباء قدرًا كبيرًا من الاهتمام فى الكتب والمقالات التى تتناول التنشئة الاجتماعية . وقد بدأ الباحثون وأصحاب النظريات فى وضع تصور لأنماط التأثير داخل الأسرة بدلاً من تناول الآثار التى يتركها الأب وتلك التى تخلفها الأم وذلك بطريقة مستقلة . كما أصبحت الكتيبات التى تتناول الأبوة توجه إلى خليط كبير من القراء سواء كانوا آباء أو أمهات . ويعكس ما كتب حول هذا الموضوع نضجه المتزايد ومدى تعقده كموضوع للتناول .

ويعرض القسم الأول من هذا الفصل للأسباب المحتملة لذلك التجاهل الذى استمر لفترة طويلة للعلاقات بين الأب والطفل وعدم التركيز عليها ، كما يعرض أيضًا لمصدر الاهتمام الذى تجدد حول هذا الموضوع والذى نشهده فى الوقت الراهن . ويعرض هذا الفصل فى قسمه الثانى الأطر النظرية الأساسية التى تم الاهتمام بها فى تفسير النتائج التى توصلت إليها الدراسات المختلفة لعدة عقود من الزمان . وتتمثل هذه الأطر النظرية فى نظرية التحليل النفسى ، ونظرية التعلق ، ونظرية بارسونز Parsons ونظرية التعلم الاجتماعى . ويختتم هذا القسم بنقد لهذه الاتجاهات الأربعة . أما فى القسم الثالث فيتناول الاهتمام من المحاولات النظرية إلى المحاولات الإمبريقية التى تتناول العلاقة بين الأب والطفل ، والتى توصلت إلى بعض الأدلة حول هذه العلاقة ومنها على سبيل المثال ما يدور حول الأسئلة التالية :

- متى تتكون هذه العلاقة ؟

- ما هي السمات المميزة لهذه العلاقة ؟
- كيف تختلف العلاقة بين الأب والطفل عن تلك العلاقة التي تنشأ بين الأم والطفل أو تبدو متفقة معها ؟

ويتناول القسم الرابع جملة الدراسات المنشورة حول هذا الموضوع ، ومن الأمور التي يتناولها هذا القسم ما يلي :

- نمو جوانب الشخصية التي يبدو أن الأب يؤثر عليها .
- آثار الأب على الدور الجنسي للطفل ونموه الخلقى ونموه العقلي .
- أثر الأب على التوافق العام للطفل .

أما القسمان الخامس والسادس فيتناولان آثار غياب الأب وعدم التوافق الزوجي على توافق الطفل ونمو شخصيته . ويعرض القسم الأخير ملخصاً للموضوع برمته ، كما قمنا فيه أيضاً بعمل مسح لما نعرفه وما يمكن أن نفعله بطريقة أفضل ، والجوانب التي ينبغي علينا أن نقوم بإجراء البحوث فيها .

ونظراً لوجود الكثير مما لا نزال نجهله حول هذا الموضوع حتى الآن فقد حاولنا أن نحدد أموراً بعينها يتم توجيه الدراسات المستقبلية إليها . كما نود أن نلفت الانتباه إلى تلك الأخطار التي يمكن أن تنجم من جراء الإفراط في التخصص ، وكذلك إلى التداخل بين جوانب النمو كالجانب المعرفي والاجتماعي والانفعالي مثلاً وبين الوسطاء ذوي التأثير القائمين على عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال كالأب والأم والأقران . ومن المهم أن نعرف أن دور الأب يجب أن يتم تحديده ورؤيته من خلال شبكة العلاقات داخل وخارج الأسرة . كذلك فمن الضروري أيضاً أن نلاحظ ذلك الاستمرار الذي يحدث في دورة الحياة وأن نعرف أن علاقة الأب بالرضيع ، ثم علاقته بالطفل ، ثم علاقته بالمراهق تمثل مراحل مختلفة لتطور العلاقات الثنائية الآخذة في النمو .

### **الأبوة : تقلص الدور وزيادة الاهتمام :**

من المحتمل أن تكون المسلمات الثقافية والتغير الثقافي هما المسئولان عن تقلص دور الأب ثم زيادة الاهتمام به حديثاً . فقد نتج عن التطور الصناعي الهائل الذي تشهده المجتمعات الغربية في الوقت الراهن تقسيم للعمل وللأدوار داخل الأسرة أكثر صرامة

مما كان الأمر عليه من قبل ، فالصناعة تتطلب من العمال الاستمرار في العمل لساعات طويلة محددة وفي مواقع محددة أيضًا ، وغالبًا ما تكون هذه المواقع بعيدة عن منازل هؤلاء العمال . وعلاوة على ذلك فقد كان المطلوب لهذه الصناعة في البداية هو القوة العضلية والاستمرار في العمل وليس السهولة والمهارة . وكان العمال الذكور يفضلون أن تتحمل زوجاتهم المسؤولية المتزايدة عن الأمور المنزلية وتربية الأطفال . وبالتدريج أصبح الآباء غير متواجدين بالمنزل مع أطفالهم بالقدر الكافي ، ولم تسمح لهم طبيعة العمل بالاستمرار في تدريب أطفالهم الصغار على مساعدتهم وذلك بنفس الطريقة التي تمت معهم هم أنفسهم في المجتمعات الزراعية . وأخذت الأدوار داخل الأسرة في التمايز الصارم بسرعة رهيبية ، فتغير دور الأم من تحملها للمسئولية في فترة الرعاية المبكرة للطفل إلى تحمل مسئولية تربيته وذلك في الوقت الذي تحول فيه الأب من وسيط هام ومؤثر في عملية التنشئة الاجتماعية إلى موفر أو قائم على توفير المصادر الاقتصادية اللازمة للأسرة . ويرى كاتز وكونر Katz & Konner أن الآباء في المجتمعات غير الصناعية لا يزال لهم دور هام وفعال في عملية التنشئة الاجتماعية على الرغم من قيام تلك المجتمعات بتحديد الأدوار الجنسية تحديداً صارماً .

ومن الواضح أن المجتمعات الصناعية قد أبقّت على التمايز الصارم بين الأدوار التي يقوم بها الأب وتلك الأدوار التي تقوم بها الأم حتى بعد أن تغير سوق العمل ولم يعد من الضروري بالنسبة للأب أن يستمر في العمل لساعات طويلة بعيداً عن منزله . وفي ذات الوقت فقد الأب مسئوليته عن تدريب الأطفال على تلك المهن التي كانت تتطلبها الأسرة من زراعة أو حدادة أو صيد وقنص لأن سوق العمل لم يعد يتلقى مثل هؤلاء المتدربين الصغار ، كما لم يعد مناسباً أيضًا ، بينما استمرت الأمهات داخل المنزل في الوقت ذاته في التمسك بمسئوليتهم عن التنشئة الاجتماعية حيث تضاعف عدد المهام الإنتاجية الاقتصادية التي يمكنهن القيام بها في ظل التحضر وظهور الأجهزة الالكترونية التي توفر كثيرًا من الجهد المطلوب للعمل إلى جانب ظهور النزعة الاستهلاكية التي تجعلهن أكثر ميلًا إلى تملك مثل تلك الأجهزة الحديثة في منازلهن .

ولم يكن الواقع الثقافي بمفرده مسئولاً عن ذلك التركيز الذي يوليه أصحاب النظريات النفسية على التأثير الذي يناط بالأم . ويرى جمع من الباحثين في مجالات عدة

مثل الأثروبولوجيا والبيولوجيا السلوكية وعلم النفس المقارن وعلم تطور الشعوب ethology وذلك في المجال الحديث المعروف بالبيولوجيا الاجتماعية أن التقسيم التقليدي لأدوار الوالدين ومسئوليتها لا يجب النظر إليه على أنه أحداث عارضة في التنظيم الثقافي . وبدلاً من ذلك فهم يرون أن تلك الأدوار ما هي إلا أدوار طبيعية ، أي أنه قد تم تحديدها جزئياً على الأقل وذلك عن طريق الاستعدادات البيولوجية والحقائق التي لا يمكن تجاهلها . فحقيقة أن النساء فقط هن اللاتي يفرزن اللبن الذي يتغذى عليه الأطفال من أئدائهن وأن الرجال يميلون إلى الانغماس قليلاً في العناية بالأطفال وذلك في تلك الفصائل التي تتألف منها الثدييات بوجه عام يعتبر سبباً كافياً لتقرير أن النساء مقدر عليهن بيولوجياً أن يتحملن المسؤولية الأولية التي تتعلق بالعناية بالأطفال وتنشئتهم اجتماعياً .

وقد كتب لهرمان (1974) Lehrman والذي يعتبر رائداً للبحث في المحددات الهرمونية البيولوجية لسلوك الوالدين أن مثل هذه الحجج والبراهين تتضمن استخدام ما يشبه الاعتبارات العلمية لتبرير تمييزنا الاجتماعي . ويرى أن معظم هذه البراهين قد قامت فيما يتعلق بالأسس البيولوجية للفروق بين الجنسين في السلوك على الأدلة التي تتعلق بدور الهرمونات في تحديد سلوك الأم عند الفئران (Lamb, 1975b). ويذهب البعض إلى أن هذا الدليل مشكوك في صحته وذلك بسبب التنوع الذي نلاحظه بين فصائل القوارض ، والطبيعة النمطية للوالدية بين تلك القوارض مقارنة بتعدد التنشئة الاجتماعية والأبوة بالنسبة للإنسان ، والتأثير المستمر لسلوك الأم لدى الرجال والنساء غير المنجيين وعدم وجود البيانات والأدلة التي تؤكد على أن النساء - ويستثنى من ذلك إفرازهن للبن - مهيات لأن يصبحن وسائط في التنشئة الاجتماعية أو على الأقل ليقمن بهذه المهمة بقدر أكبر من الكفاءة (Parke & Sawin, 1977) (Hoffman, 1974) ، وبالتالي فإن نموذج القوارض يعتبر غير ملائم كلية في هذا الصدد (Bernal & Richards, 1973) . ويشير فورد وبيتش (1951) Ford & Beach إلى أن دور الهرمونات في تحديد أنماط السلوك الجنسي يقل كلما ارتقى الفرد في سلم التطور النوعي وذلك في الوقت الذي تزداد فيه أهمية العوامل الثقافية المتعلمة . وهناك أكثر من سبب يجعلنا نعتقد أن الأعراف المجتمعية بين بنى البشر تعتبر على الأقل لها أهميتها في تنظيم سلوك الوالدين كأهميتها في

تنظيم سلوكهما الجنسي . وليس هناك أى سبب يجعلنا نعتقد أن مجموعة معينة من الهرمونات تعتبر ضرورية أو كافية لإثارة سلوك الوالدين الآدميين .

وكما أوضحنا فى موضع آخر (Lamb, 1980b; Lamb & Goldberg, 1982) فإن معظم الاستعدادات البيولوجية عبارة عن نزعات أو ميول وليست حقائق لا يمكن تجاهلها . والميول البيولوجية هى تلك التى ستضاهل إلى درجة كبيرة جداً إذا لم تلق الدعم من القوى الاجتماعية كما يمكن لها أن تنعكس أو تنقلب بشكل ثابت إذا تناقضت مع المؤثرات الثقافية ، ولم تعزز بواسطتها . ومع ذلك فإننا نجد فى حقيقة الأمر أن المجتمعات تميل إلى استخدام التقنية التى تعمل على تحقيق الاستفادة من تلك النزعات ذات الأساس البيولوجى وتبالغ فيها . وتعد الأنماط السلوكية أو الفروق بين الجنسين هى الناتج المشترك للتأثيرات البيولوجية والتعلم الاجتماعى . وكما حدث فى فترات زمنية ماضية فقد ظل علماء الاجتماع لسوء الحظ فى خوف من تلك التأثيرات البيولوجية .

وبهذا فإن علماء النفس الذين شرعوا فى دراسة التنشئة الاجتماعية بأنفسهم عاشوا فى مجتمعات تقوم فيه الأم بمسئوليتها الأولية الأساسية عن الوالدية بشكل طبيعى فى الوقت الذى يقوم فيه الأب بملاحقة التطور والمال خارج المنزل (e.g. Nash, 1965) مما جعل أهمية دوره تتضاءل كثيراً فى هذا الصدد (Birdwhistell, 1957; Brenton, 1966; Foster, 1964) (Kluckhohn, 1949; Rohrer & Edmondson, 1960)

ولن يكون مدهشاً أن تركز كل النظريات الأساسية على تأثير الأم ، ولن يكون مدهشاً أيضاً أن يركز الاهتمام بأنماط السلوك أو الاتجاهات الوالدية على إجراء المقابلات مع الأم أو ملاحظة سلوكها . ومع ذلك فقد بدأت الأمور فى التغير منذ أواخر الستينات كما توقع العديد من علماء الاجتماع . (Bernhardt, 1957; Christopherson, 1956; MogeY, 1957; Olsen, 1960). ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى العديد من الأسباب نوردتها فى النقاط التالية :

أولاً : أصبح التركيز على علاقة الأم بالرضيع وعلاقتها بالطفل مبالغاً فيه وغير متوازن لدرجة جعلت الباحثين يجدون أنفسهم مجبرين على التساؤل عما إذا كان الأب يعتبر حقيقة كياناً لا يرتبط بعملية التنشئة الاجتماعية أم لا .

ثانياً : تراجع زيادة الاهتمام بذلك لدى كل من الآباء والأسر على حد سواء إلى أن التركيب التقليدي للأسرة في حد ذاته يبدو وكأنه أمام مواجهة من خطر الإحلال الجسيم . كما أن سرعة واتساع التغيرات الحديثة في بيئات تربية الأطفال قد أجبرت علماء الاجتماع على إعادة تقييم نواحي القوة والضعف المزعومة في التركيب الاجتماعي التقليدي وأن يضعوا في اعتبارهم العواقب المحتملة للتغيرات التي تحدث . ولسوء الحظ فقد وجد علماء الاجتماع أنفسهم لا يعرفون سوى القليل عن تأثير الأسرة أو علاقة الأب بالطفل على الرغم من أن علاقة الأب بالطفل هي التي تعاق (Bronfenbrenner, 1975c, 1979; Clausen, 1966) (Herzog & Sudia, 1970, 1973; Wynn, 1964).

ثالثاً : يبدو بشكل متزايد أن الأب العصري لا يريد أن يكون شخصاً سطحياً في حياة أطفاله وفي تنشئتهم اجتماعياً . ويوضح المسح السيكولوجي الحديث كهذا الذي أجراه شيهي (Sheehy (١٩٧٩) أن الغالبية العظمى من الشباب الذكور يرغبون في الانغماس بشكل متكامل في علاقات مع الأطفال . وقد أثارت الحركة النسائية وعى كل من الرجال والنساء ، كما أدت بالنساء إلى أن يطالبن بأن يقوم أزواجهن بدور أكثر نشاطاً وفاعلية في الأسرة حتى يتمكن هن أنفسهن من متابعة طموحاتهن خارج المنزل . وقد اتضح من خلال المسح القومي الذي أجرى في الستينات أن أزواج النساء العاملات لا يقضون وقتاً في القيام بعمل المنزل ورعاية الأطفال أطول من أزواج النساء غير العاملات . إلا أن دراسات حديثة توضح أن أزواج النساء العاملات قد أصبحوا الآن أكثر مشاركة في الأنشطة المنزلية ورعاية الأطفال وذلك أكثر مما كانوا عليه من قبل (Pleck, 1977, 1979; Andres & Glorieux, 1979; Feshbach, 1980) ولكنهم مع ذلك لا يزالون يلعبون بالمسئولية الأساسية على زوجاتهم في الوقت الذي أصبح فيه اتجاههم إلى مشاركتهن بدرجة أكبر لا يمكن لنا أن نتجاهله (Hoffman, 1977) . ويرى ليفين وآخرون (١٩٦٧) Levine, et al. أن الآباء الأفارقة العصريين كانوا أيضاً أكثر عاطفة ومودة ودف من الآباء التقليديين .

رابعاً : على الرغم من أن الأمهات غير العاملات تقضين مع أطفالهن وقتاً أكثر مما يقضيه الأب معهن ، فإن هناك ميلاً إلى زيادة مدى التفاعل بينهما وبين أطفالهن الصغار . إلا أن هناك آلة تؤكد على أنه حتى وإن كانت الأم والطفل موجودين في نفس

الحجرة فإن التفاعل بينهما يمكن ألا يكون مستمرًا نسبيًا (Clarke-Stewart, 1973). وقد لاحظ جولديبرج (Goldberg (1972) وليدرمان وليدرمان (1974، 1975، 1977) Leiderman & Leiderman أن ما يحدث في الثقافات الأفريقية من تفاعل يعتبر قليلاً حتى عندما تحمل الأم رضيعها باستمرار. ومن ناحية أخرى فإن معظم الوقت الذي تعد فيه الأم منغمسة في رعاية الطفل فإنها في واقع الأمر تقضيه في القيام بعدد من الأنشطة كغسيل الملابس وإعداد الطعام على سبيل المثال، ومن الواضح أن مثل هذه الأنشطة لا تتضمن تفاعلاً بين شخصي (Fitzsimmons & Rowe, 1971; Stone, 1971).

خامساً: يدرك دارسو النمو المعرفي والنمو الاجتماعي أن الوقت الذي يقضيه الراشدون مع الأطفال لا يرتبط خطياً بمدى تأثيرهم عليهم، وربما لا يرتبط به إطلاقاً. وتوضح الاعتبارات النظرية والإمبيريقية أن مقدار الوقت الذي يقضيه الطفل مع الوالد (أب أو أم) يعتبر مؤشراً ضعيفاً لنوعية علاقة الرضيع بأبيه أو أمه (Pederson & Robson, 1969) (e.g. Feldman, 1973, 1974).

ويعتبر الانفصال اليومي للرضيع عن أمه وإرساله إلى مراكز الرعاية اليومية مثلاً دليل على ذلك، ولكنه مع ذلك لا يؤثر سلباً على مدى تعلق هذا الرضيع بأمه (Roopnarine (e.g. Riccicuti & Poresky, 1973; Belsky & Steinberg, 1978) & Lamb, 1978; Kagan, et al., 1978). كذلك فليس هناك أى سبب يؤكد على أن الانفصال اليومي عن الأب يمكن أن يكون أكثر سلبية في تأثيره على الطفل.

وتعد نوعية أو كيف العلاقة بين الطفل وغيره من الراشدين وسلوك ذلك الشخص الراشد أكثر أهمية من كم تلك العلاقة (e.g. Anisworth, et al, 1971, 1974) (Schaffer & Emerson, 1964 Pedersen & Robson, 1969). فساعات قليلة يقضيها الطفل في تفاعل يبعث على السعادة قد تكون أبلغ أثراً على تكوين تعلق قوى وآمن من ساعات طويلة من التعايش يقضيها ذلك الطفل مع أم غير مشبعة له أو جاهلة أو تعاني من الإرهاق (e.g. Lamb, et al, 1979) وكذلك الحال بالنسبة للعلاقة مع الأب إذ ليس هناك ارتباط بالضرورة بين مقدار الوقت الذي يقضيه الطفل معه وبين نوعية التفاعل الذي يحدث بينهما. وعلى الرغم من أن الأب غالباً ما يقضى وقتاً ضئيلاً

نسبيًا مع أطفاله ، فإنه مع ذلك يظل له تأثير هام على مستوى نمو هؤلاء الأطفال . ويزيد إدراكنا لهذا الأمر من أهمية دراستنا للآباء ، أولئك المجهولون الذين يساهمون في نمو الطفل (Lamb, 1975a) .

وعلاوة على ذلك فإن التأثيرات الهامة في نمو الأطفال لا يجب بالضرورة أن تحدث بطريقة مباشرة خاصة وأن هناك شبكة من العلاقات والتأثيرات تنشأ داخل الأسرة وتجعل من الممكن بالنسبة لأي عضو فيها كالأب على سبيل المثال أن يؤثر على أى عضو آخر كالطفل مثلاً وذلك من خلال العلاقة السابقة التى تكونت بينهما وتأثيرهما على عضو آخر في الأسرة كالأُم مثلاً . وهكذا نجد أنه حتى وإن كان الأب نادرًا ما يتفاعل مع طفله وإن كان تأثيره المباشر عليه ضئيلاً فإنه لا يزال قادرًا على أن يمارس تأثيره الهام عليه بشكل مباشر .

وأخيرًا فقد حدث هناك تغير جذرى في الطريقة التى يتم بها إدراكنا هؤلاء الأطفال وخاصة الرضع منهم . فبينما يصور أصحاب النظريات المختلفة الرضع والأطفال على أنهم متلقون سلبيون لمختلف التأثيرات الاجتماعية ، فإنهم يدركون حاليًا أن الأطفال يلعبون دورًا فعالاً في إثارة وتشكيل التفاعلات الاجتماعية المختلفة ، وفي تكوين إدراكهم الذاتى للعالم الاجتماعى . وقد أدى هذا الإدراك بعلماء الاجتماع وخاصة فيما يتعلق بدراسة النمو الاجتماعى للرضيع إلى التساؤل عما إذا كانوا قد قللوا من شأن قدرة الرضع على إقامة علاقات هامة وبشكل فعال مع أشخاص آخرين غير أمهاتهم .

## الاتجاهات النظرية الأساسية :

### ١ - نظرية التحليل النفسى (Psychoanalytic theory)

توضح نظرية التحليل النفسى التى أرسى دعائمها سيجموند فرويد Sigmund Freud أكثر التصورات تأثيرًا لعلاقة الأب بالطفل . وعلى الرغم من أن فرويد يرى أن الرضيع يتوحد مع كلا والديه (Freud, 1948, 1950) (Burlingham, 1973) فإنه

(\* على الرغم من أن يونج (1٩٤٩) Jung قد نشر كتابًا عن دور الأب فإنه كان يعطى للأُم أهمية أكبر وكذلك لتمثيل النموذج الذى يوفره الأب (Von Der Heydt, 1964) وبالتالي فلن نتحدث عن نظريته كثيرًا .

يؤكد أن كلاً من البنين والبنات يقيمون أول علاقات لهم وأكثرها أهمية مع أمهاتهم . ويمثل هذا الرأي عن إقامة علاقات مؤثرة وهامة بين الرضيع وأمه تغيراً جذرياً في فكر فرويد لم يظهر سوى متأخراً في حياته حيث كان يرى خلال الجزء الأكبر من حياته أن المرحلة الأوديبية لها أهميتها الخاصة ، ومن هنا بالغ في أهمية دور الأب .

ومنذ زمن فرويد وأصحاب النظريات من كل التوجهات يتبعون خطواته في افتراض أن علاقة الأم بالرضيع لها أثرها المتفاوت على نموه النفسى . (e.g. Bowlby, 1973; Freud, 1940; Kohlberg, 1966; Mowrer, 1950)

ويصف فرويد Freud ومن بعده باولبي Bowlby علاقة الأم بالرضيع على أنها النموذج الأصلي أو الأولى لكل علاقات الحب التالية . وعلى الرغم من ذلك وكما كتب شافر (1971) Schaffer فإننا لا نعرف حتى الآن ما إذا كانت أول علاقة يقيمها الطفل تعد بأى حال من الأحوال هى النموذج الأصلي أو الأولى لكل العلاقات المستقبلية التى يقيمها أم لا ، كما أنه من الصعب إكلينيكيًا أن نقدم الدليل الكافى فيما يتعلق بهذه النقطة .

وقد تطور الاعتقاد في تفرد علاقة الأم بالرضيع فى الأهمية من الحقيقة القائلة بأن الأم تقوم بدور القائم الأساسى على رعاية الطفل . وعلى الرغم من التسابع السيكودينامى المعقد الذى وصفه فرويد فقد كان فرضه العامل كما يرى أصحاب نظريات التعلم يتمثل فى أن أول علاقة عاطفية بين الأم والرضيع تتطور نتيجة للارتباط المستمر من جانب الأم بالإحساس الإيجابى بالحاجة إلى الإشباع (Dollard & Miller, 1950) . وقد فقد هذا الفرض الذى يتعلق بذلك الدافع الثانوى فى شكله التقليدى على الأقل الكثير من مؤيديه نظرًا لانخفاض التأييد الذى كان يلقاه من نموذج التعلم الذى أعده هل (1943) Hull ثم انتابه الضعف بدرجة أكبر نتيجة لما قرره هارلو Harlow من أن القرود الرضع قد فضلوا التعلق بدمية من النسيج الوبرى الناعم كبديل للأم وكانوا يبحثون عن الراحة عندها ولم يفضلوا البدائل السلوكية للأم على الرغم من أن تلك البدائل كانت تقدم لهم الطعام (Harlow, 1961; Harlow & Zimmerman, 1959) . واتفاقاً مع ذلك يرى إينسويرز (1963، 1967) Ainsworth وشافر وإمرسون (1964) Schaffer & Emerson أن العديد من الرضع كان لهم تعلق قوى بأشخاص ليس لهم علاقة كبيرة بأمر رعايتهم

وإشباعهم الجسدى . وما يعكس صفو علماء التحليل النفسى وأصحاب نظريات التعلم الاجتماعى على الرغم مما لهم من إجماع وتأثير أن الباحثين لم يجدوا علاقات ثابتة بين الإشباع الذى يحصل عليه الرضيع وبين سلوكه الاعتمادى الذى يصدر عنه فيما بعد (Sears, et al., 1953,1957; Caldwell, 1964; Maccoby & Masters, 1970) .

ويصور فرويد فى أعماله المبكرة المرحلة الأوديبية بأن الولد يدرك فى حوالى ما بين الثالثة إلى الخامسة من عمره أن أمه أيضًا تحب أباه ، ومن ثم يبدأ فى النظر إلى أبيه على أنه ينافس فى عواطف أمه وحبها . وعلاوة على ذلك فى ذات الوقت تقريبًا يصبح الولد الصغير على دراية بالفروق التشريحية بين الجنسين مفترضًا أن كل بنت وأمه أيضًا كان لها قضيب Penis ثم أزيل ذلك القضيب كعقاب لها . فيبدأ هو الآخر فى الخوف من أن يقوم أبوه بخصائه ليثأر منه على منافسته له (Mullahy, 1948) ولكى يتجنب الولد ذلك فإنه يكبت عواطفه تجاه أمه ويتوحد مع أبيه (Freud, 1948) ويأمل الولد بطبيعة الحال من جراء عمله هذا أن يقلل من عدوان أبيه عليه ويضمن بذلك أنه لن يقوم بخصائه ، ولكى يضمن العاطفة المستمرة من جانب أمه فإنه كما قلنا يتوحد مع أبيه لأنه يعلم أن أمه تحب أباه وأنها سوف تحبه هو أيضًا إذا ما كان هو مثل أبيه .

وطبقًا لنظرية التحليل النفسى فإن هذا التوحد يلعب دورًا جوهريًا فى نمو دوره الجنسى وهويته الجنسية ، كما أنه يتنبأ أيضًا بتكوين واستدخال الأنا الأعلى الذى يعتبر شرطًا ضروريًا لنمو الأخلاقيات والسلوك الخلقى (Freud, 1963, 1962, 1924) . أما البنت الصغيرة فإنها طبقًا لوجهة نظر فرويد تمر بخبرة مشابهة خلال هذه الفترة ، فنظرًا لأنها ترى أن أمها قد تعرضت بالفعل للخصاء فإنها بالتالى تفتقر إلى الدافع القوى للتوحد الذى يفرض على الولد حيث تعانى من قلق الخصاء . وكتيجة لذلك يصبح التوحد واستدخال الأنا الأعلى بالنسبة للبنات أقل فى تمامه وكما له من مثيله لدى البنين (Freud, 1950) . ويتبع معظم علماء التحليل النفسى فرويد فى رأيه بأن الأنا الأعلى لدى البنات والنساء أضعف من مثيله لدى البنين (e.g. Deutsch, 1944) على الرغم من أن فرويد نفسه قد نظر إلى هذه النتيجة فيما بعد على أنه ليس من الضرورى بالنسبة لها أن ترتبط بجنس الفرد .

ويولى علماء التحليل النفسى منذ أوائل الستينات اهتمامًا كبيرًا للعلاقات التى تتكون بين الوالدين والأطفال فى المرحلة قبل الأوديبية . وعلى الرغم من أنهم يعلمون أن العلاقات بين الأب والرضيع قد تنشأ فى مثل هذه الفترة فقد كان تركيزهم الأساسى على العلاقة التى تنشأ بين الأم والرضيع (A. Freud, 1965) (Brdy, 1956; Escalona, 1968; Murphy & Moriarty, 1976) . إلا أن التعليقات التى كتبها علماء التحليل النفسى عن نمو الرضيع تفتقر إلى الاعترافات التصنيفية عن طبيعة وتأثير العلاقة التى تنشأ بين الأب والرضيع (Ross, 1979) ويستثنى من ذلك ما كتبه ماehler Mahler وتلاميذها حيث افترضوا أن العلاقة بين الأم والرضيع يجب بالضرورة أن تتطور أولاً ، وبالتالي يرون أن الأب يدفع الطفل المتحرك إلى أن ينفصل عن العلاقة التكافلية مع أمه وبالمثل (Abelin, 1971, 1975; Mahler, 1968, Mahler, et al., 1975) . ويحفل هذا الافتراض بالذكريات التى تتعلق بالبراهين التى قدمها علماء التحليل النفسى من قبل أمثال ميرلو (Meerloo, 1956, 1968) وفون دير هيدت (Von der Heudt, 1964) والذين أكدوا أن الأب يقوم رمزيًا بقطع الرباط العاطفى بين الأم والطفل ، وتفترض هذه الفكرة عدم وجود علاقات مبكرة بين الأب والرضيع (Sullivan, 1953) . ويرى ميرلو (Meerloo) أن الأب إذا ما دخل بأسلوب أنثوى فى التفاعل وذلك فى العلاقة المبكرة التى تنشأ بينه وبين الرضيع فإنه لن يكون قادرًا على أن يمزق أو اصير التكافل الذى ينشأ بين الأم والرضيع . ويرى بعض المحللين الآخرين أن للأب دوره فى نقل توحيد الطفل من توحيد مع الأم إلى توحيد معه (e.g. Boehm, 1930, Horney, 1933) . وقد بذلت محاولات عديدة فى تلك المناقشات التى دارت حول هذا الرأى ، وجميعها تؤكد على العناصر غير العدوانية فى العلاقات التى تتم بين الأب والرضيع فى المرحلة قبل الأوديبية (e.g. Greenacre, 1971; Van Der Leeuw, 1958) .

وتعكس دراسة خصائص المرحلة الأوديبية ونتائجها أفضل تأثير لنظرية التحليل النفسى على الدراسات والبحوث التى تتناول الأب ، إلا أن ما شتلنجر (Machtlinger) قد لفت الانتباه إلى موضوع آخر ركز عليه علماء التحليل النفسى على غير طائل ، فقد

رأوا الفترة طويلة أن القدر الأكبر من أهمية الأب ينبع من دوره داخل نسق الأسرة ولسوء الحظ فقد أدت الحاجة إلى الإنجاز بكثير من الباحثين إلى عرض إدراكات ومفاهيم مبسطة لدور الأب . ومع ذلك يستمر علماء التحليل النفسى فى تركيزهم على كل من أخطار التبسيط الزائد وتعقد نمو الشخصية .

## ٢ - نظرية التعلق Attachment theory

يركز أصحاب النظريات المختلفة الذين تناولوا العلاقة بالموضوع أمثال فيربرين (١٩٥٢) Fairbrain ووينيكوت (١٩٥٨) Winnicott وكلين (١٩٥٧) Klein من بين المدارس الفكرية العديدة التى أثر فرويد كثيرًا فى أعضائها ، يركزون كثيرًا على أهمية الشهور الأولى من حياة الطفل ، كما يركزون أيضًا على تلك العلاقة التى تنشأ بين الأم والرضيع . وتناول جون باولبى John Bowlby (١٩٥١، ١٩٥٨، ١٩٦٩) والذى يعتبر أحد أعضاء هذه المدرسة الآثار التى يخلفها الإيداع فى المؤسسات على الطفل وذلك عند مراجعته لنظرية التحليل النفسى . وقد تضمنت هذه المراجعة التى تمثل تغييرًا جذريًا لتلك النظرية إعادة وضع افتراضات فرويد التى تتعلق بالدافع الثانوى فى نسق اشتق من الثورة البيولوجية المعاصرة (Lorenz, 1935; Sluckin, 1965, Hinde, 1970) .

ويرى أصحاب نظرية التعلق أمثال باولبى (١٩٦٩) Bowlby وإينسويرز (١٩٦٧) ، Ainsworth (١٩٧٩، ١٩٧٣) أن الرضيع يولدون وليدهم ميل بيولوجى للبحث عن التقارب الذى يوفر لهم الحماية وبالتالى يتصلون بالراشدين . ثم قدم باولبى فكرة الانتحاء الأحادى Monotropy والتى تعنى أن الرضيع يركزون فى بحثهم عن أنماط السلوك الدالة على التقارب على فرد معين يصبح هو الشخص الذى يتعلقون به . ولم ينكر باولبى أن العلاقات الأخرى يمكن لها أن تتطور أيضًا ، وكان ذلك قبل أن يدرك أصحاب نظرية التعلق أن الرضيع يقيمون علاقة دالة مع والديهم حتى وإن كانت علاقة الرضيع بالشخص الذى يقوم على رعايته هى الأكثر أهمية .

وطبقًا لوجهة نظر أصحاب نظرية التعلق فإن الفروق الفردية فى نوعية العلاقة بين الرضيع وشخص راشد ومدى ثقة الرضيع فى هذه العلاقة تعتمد على التغيير فى ميول

الشخص الراشد للاستجابة بحساسية وبشكل ملائم للإشارات التي تصدر عن ذلك الرضيع (Ainsworth, et al., 1974, 1978). ويقوم الرضع الذين يشعرون بالأمان والثقة في علاقاتهم بالراشدين يقومون فيما بعد بتعميم تعاونهم واجتماعيتهم على تفاعلاتهم مع الآخرين في حين يقوم أولئك الذين يتميزون بالتعلق المترددة بالآخرين بتعميم الغضب الذي يصدر عنهم أو يتجنبون القيام ببعض الأشياء (e.g. Thompson & Lamb, 1981). وتؤثر الثقة التي تنشأ لدى الرضيع في تلك العلاقات التي تجمع بينه وبين كلا والديه على أسلوبه الاجتماعي بنفس الطريقة وذلك على الرغم من أن علاقته بالشخص الذي يقيم معه تعلقًا أوليًا يجب أن تكون ذات أثر أكبر تأثيرًا. وقد سيطرت نظرية التعلق على الدراسات الحديثة التي تتناول تلك العلاقات التي تنشأ بين الأب والرضيع.

### ٢ - نظرية بارسونز Parson's theory

قام بارسونز (1954، 1958) Parsons وبارسونز وبيلز (1955) Parsons & Bales مثله في ذلك مثل ماورار (1950) Mowrer ودولارد وميلر (1950) Dollard & Miller بتقديم نظرية عن نمو الشخصية تتضمن تحصيلًا لنظرية فرويد عن التوحد (Bronfenbrenner, 1960, 1961a). ومع ذلك كانت هذه النظرية بوجه عام أكثر تأثيرًا بين علماء الاجتماع وعلماء اجتماع الأسرة من تأثيرها على علماء النفس. وغالبًا ما يشار إليها على أنها أسلوب أكثر من كونها مصدرًا للتوقعات والفروض.

ويصور بارسونز العالم الاجتماعي للطفل على أنه يتكون فقط من الأم والطفل، ولكن خلال المدى التي يرى فرويد أن الصراع الأوديبي يحدث خلالها يرى بارسونز أن ذلك النسق الفرعي الذي يضم الأم والطفل يتسع ليشمل الأب أيضًا. كما يرى أن الأم قبل تلك الفترة من نمو الطفل كانت بالنسبة له تقوم بكلا الدورين التعبيري (الرعاية، والتوكيدية) والوسيلي (الكفاءة، والإنجاز). أما فيما بعد فيتولى الأب أمر الدور الوسيلي وينحصر دور الأم في الدور التعبيري. ويعكس هذا الانقسام الثنائي الوظيفي

الذى يحدده بارسونز فروقاً جوهرية وعامة في الدور الجنسى وليس مجرد فروق في الدور الوالدى فقط (Stephens, 1963; Zelditch, 1955; Barry, et al., 1953). كذلك ففي هذا الإطار النظرى نجد أن بعد القوة أيضًا يحكم تركيب الأسرة ويميز بالتالى أدوار الوالدين عن تلك الأدوار الخاصة بالطفل .

وقد أثبتت البحوث الإمبيريقية وجود بعد للقوة يمكن أن نصنف أعضاء الأسرة تبعًا له (Emmerich, 1959a, 1959b, 1961). وعلاوة على ذلك فإن الفروق بين الجنسين على بعد الوظيفة أو الدور لا تبدو حادة وشاسعة كما توقع بارسونز (Maccoby & Jacklin, 1974; Hartley, 1964). ومن هنا فإن ذلك البعد يستخدم في التمييز بين أدوار الأب وأدوار الأم في الأسرة (Emmerich, 1959b). وبناء على ذلك فقد نال موافقة على نطاق واسع وإن كانت تتسم بالحذر. ومع هذا فقد وجه البعض النقد لتلك الصياغات النظرية التى قدمها بارسونز .

وطبقًا لوجهة نظر بارسونز فإن الأب يمثل اتجاهًا تنفيذيًا وتوجهًا للعمل ، كما أنه يعتبر حلقة وصل أولية بين النسق الأسرى والنسق الاجتماعى خارج نطاق الأسرة . وقد أولى بارسونز للنسق الاجتماعى أهمية كبيرة حيث بحث عن أشياء موازية إن لم تكن مماثلة في الشكل بين التركيب الأسرى والتركيب الاجتماعى العام (Baldwin, 1961). ومن وجهة النظر هذه يعتبر الأب هو المسئول عن أن يوضح لأطفاله تلك الفروق بين الأدوار الجنسية في العالم الأكبر ، وعن أن يشجعهم على تحقيق الكفاءة اللازمة للتكيف مع هذا العالم ، وعن أن يبين لهم قيم وأخلاقيات المجتمع . ولسوء الحظ فعلى الرغم من إمكانية ربط الآثار الواضحة للأب بذلك الدور الوسىلى المناط به والذى يؤديه (e.g. Lynn, 1974) فإن ذلك لا يعتبر هو التفسير الوحيد المقبول . وأخيرًا فإن هذه النظرية تفتح الباب على مصراعيه أمام الباحثين لإثبات صحتها أو رفضها .

#### ٤ - نظرية التعلم الاجتماعى Social Learning theory

بدلاً من تلك الأبحاث التى تتناول مرحلة المهد والتى يسود فيها المنظور الانتقائى ، ذلك المنظور الذى أثارته نظرية التعلق ، فإن غالبية البحوث التى رجعنا إليها في هذا

الكتاب تم إجراؤها في ضوء الإطار النظرى لنظرية التعلم . وكما اتضح سابقاً فإن فشل نظرية الدوافع الثانوية كذب التنبؤات التى قدمتها نظريتنا التحليل النفسى والتعلم الاجتماعى عن نمو الرضيع (Harlow, 1961). كما أن أصحاب نظريات التعلم القلائل الذين اعترفوا بافتراضات الدوافع الثانوية وأنكروا تلك الاستعدادات التى افترضها أولئك العلماء الذين قاموا بدراسة تطور الشعوب (Gerwitz, 1972, 1977) قد كونوا نظرية تناقضت مع تلك الأدلة المتاحة لدينا ولكن لم يكن لها سوى مناصرين وأتباع قلائل (Rajecki, et al., 1978) .

وعلى الرغم من وجود العديد من الاختلاف بين أصحاب نظريات التعلم الاجتماعى أكثر مما يتفقون عليه فإن غالبيتهم يعتقدون أن التعزيز والعقاب إضافة إلى التوحد أو المحاكاة التى تستخدم فى تشكيل السلوك تعد بمثابة عمليات جوهرية فى عملية التنشئة الاجتماعية ونمو الشخصية (Bandura, 1977; Mussen, 1967). ويقدر الاهتمام بالتعلم عن طريق احتمالات التعزيز والعقاب يكون بمقدور كلا الوالدين القيام بالملاحظات العادية لسلوك الأطفال ومحاولاتها تشكيل سلوكهم بهذه الطريقة . فتقتضى الأم وقتاً أطول مع أطفالها خاصة فى سنوات ما قبل المدرسة ، وبالتالي يصبح من المحتمل بالنسبة لها أن تقوم بتطبيق أساليب التعزيز والعقاب أكثر من الأب . ومن ناحية أخرى فإن استجابات الأب قد يكون لها قدر أكبر من الأهمية والفاعلية بمقتضى الحدائة النسبية للأب من ناحية قضائه لوقت ضئيل مع الأطفال واستخدامه لقدر أكبر من العقاب .

ويؤكد عدد كبير من أصحاب نظريات التعلم الاجتماعى أمثال باندورا (1968)، Bandura (1977) وباندورا وهوستن (Bandura & Huston 1961) وباندورا وولترز (Bandura & Walters 1963) ومسن (Mussen 1967) يؤكدون على أهمية التعلم الذى يحدث دون تعزيز أو عقاب . فصوروا التعلم الملاحظ على أنه عملية جوهرية فى نمو الدور الجنسى ، كما أكدوا على أهمية أن يكون الأب نموذجاً للذكورة والإنجاز بالنسبة لابنه . ومع ذلك يرى كولبرج (Kohlberg 1966، 1968) فى نقده لنظرية التعلم الاجتماعى أن معرفة الطفل لجنسة البيولوجى تؤدى به إلى البحث عن نماذج من نفس جنسه يلاحظها ويقوم بتقليدها ، ولا يشترط فى هذه النماذج أن تكون أعضاء من أسرة الطفل على الرغم من أنه إذا كان الأب هو الذكر الذى يتفاعل معه الولد باستمرار

يصبح من المحتمل بالنسبة للولد أن يتعلم من والده أكثر مما يتعلمه من الذكور الآخرين . ويؤكد لين (1961، 1962، 1966، 1969) Lynn على أهمية دور الأب حيث يرى أن الولد يتوحد مع نموذج الدور الذكري الذى تقدمه له الثقافة بوجه عام وليس الأب على وجه الخصوص .

ومن الواضح أن محاكاة الأب لا ترتبط بنمو الدور الجنسى للبنات . ومع ذلك يعتقد العديد من أصحاب نظريات التعلم الاجتماعى أن الأب يسهل النمو الأنثوى لابنته وذلك بإثابة السلوك الاعتمادى ، والتدليل ، وغيرهما من أنماط السلوك الأنثوية الأخرى إضافة إلى تسيط السلوك الذكري لديها حال قيامها به (Biller, 1971; Lynn, 1974; Deutsch 1944) . وإلى جانب ذلك فإن الأب يمثل نموذجًا للسلوك الذكري بالنسبة لابنته تقوم من خلاله بتعلم التكامل معه (e.g. Hetherington, 1972) . وقد تم تناول هذه الفكرة عن تعلم الدور التبادلى من قبل وذلك من جانب بعض علماء التحليل النفسى أمثال ديوتش (1944) Deutsch إضافة إلى بارسونز وجونسون (1963) Parsons & Johnson . ومع ذلك فنظرًا لأن التوحد مع الأم والمتضمن فى نمو الذكورة يعتبر أكثر قوة من تعلم الدور التبادلى فإن أصحاب نظريات التعلم الاجتماعى يعتقدون أن للأب تأثيره على نمو الدور الجنسى للبنين أكبر من تأثيره على البنات .

وقد جذب تبنى الدور الجنسى القدر الأكبر من الاهتمام كما سنوضح فى مواضع أخرى ، ومع ذلك فإن الأب يعتبر نموذجًا لأنماط أخرى من السلوك أيضًا . وفى هذا المجال نتوقع من كل من البنين والبنات أن يقلدوا كلا الوالدين إذا لم تؤد الفروق بينهما فى الأهمية والقوة والرعاية بهؤلاء الأبناء إلى محاكاة أحدهما بشكل مميز .

### وجهة نظر حول تلك الأطر النظرية :

على الرغم من تناولنا لكل من هذه الاتجاهات النظرية على حدة يتضح أن هناك قدرًا كبيرًا من التداخل والتكامل فيما بينها . وقد حاول أصحاب نظريات التعلم الاجتماعى على سبيل المثال أن يفهموا تلك العمليات المختلفة مثل المحاكاة والتوحد والعقاب والتعزيز والتى بواسطتها يتم تأثير الوالدين على نمو أطفالهما . ويقدم علماء التحليل النفسى وأنصار نظرية الدور لبارسونز وصفًا لأنماط من التأثير وليس

لميكانيزمات التأثير النفسى ، بينما يقدم أنصار نظرية التعلق وجهة نظر عن الاستعدادات السلوكية لدى الإنسان . وترى هذه المدارس الثلاث أن التوحد وتشكيل السلوك يعتبران على درجة كبيرة من الأهمية على الرغم من أنهم لم يضعوا فى اعتبارهم تلك الكيفية التى يتم بها ذلك والسبب أو الأسباب التى يتم من أجلها ذلك . وهكذا يساهم كل من هذه الاتجاهات بطريقة ما فى فهمنا لعملية التنشئة الاجتماعية . ومع ذلك فقد رأى كل صاحب نظرية وجود مجموعة معينة من التأثيرات داخل الأسرة . وحتى وقت حديث كانت هذه الرؤى الأساسية قد نتجت عن الملاحظات غير الرسمية لهؤلاء المنظرين نظراً لعدم وجود بيانات متاحة عن أنماط التفاعل والعلاقات داخل الأسرة وهو ما أدى إلى تقييد القدرة على الانتقال من مستوى التوقعات العامة إلى مستوى الفروض الخاصة القابلة للاختبار ، وتوضيح السبب الذى من أجله انتشرت التحليلات الوصفية للعلاقات الأسرية ، ولماذا تبدو معظم الدراسات التى تم إجراؤها فى هذا الصدد عشوائية ولا تركز على نظرية معينة .

### **العلاقة بين الأب والطفل :**

حاولت معظم الدراسات التى تناولت نمو العلاقات بين الأب والطفل أن تقر فى أى وقت من مرحلة المهد أو الطفولة المبكرة يستطيع الأطفال تكوين علاقات مع آبائهم وما إذا كانوا يظهرون تفضيلاً لأحد الوالدين على الآخر أم لا . كما هدفت أيضاً إلى تحديد السمات التى تجعل من العلاقة بين الأب والطفل علاقة مميزة مقارنة بغيرها من العلاقات الأخرى كتلك التى تنشأ بين الأم والطفل مثلاً .

### **متى تتطور العلاقة بين الأب والطفل ؟**

ركزت الدراسات الإمبريقية بشدة على الأم خلال مرحلة المهد من مراحل نمو الطفل وذلك إلى درجة لم تبدأ معها دراسة العلاقة بين الأب والطفل إلا فى السنوات القليلة الماضية فقط . وقد وجد شافر وإميرسون ( ١٩٦٤ ) Schaffer & Emerson فى دراستهما الرائدة أن الرضع قد احتجوا على انفصالهم عن الأم أكثر من احتجاجهم على الانفصال عن الأب وهم فى حوالى الشهر التاسع من أعمارهم على الرغم من أن معظمهم كانوا يظهرون احتجاجاً عند انفصالهم عن أى من الوالدين وذلك عندما بلغ هؤلاء

الأطفال ثمانية عشر شهرًا من أعمارهم . وربما يرجع ذلك إلى أن الأسلوب الذى اتبعه هذان الباحثان فى جمع البيانات وهو تقارير الأمهات قد أدى إلى وجود تحيز فى النتائج التى حصلنا عليها إذ وجد الباحثون الذين تلوهما أنه عندما يكون الاحتجاج على الانفصال هو المتغير التابع فإنه لا يوجد تفضيل واضح من جانب الرضيع لأى من الوالدين سواء كان ذلك فى المنزل أو حتى فى المعمل (e.g. Cohen & Campos, 1974; Kotelchuck, 1976; Kotelchuch, et al., 1975) (Lamb, 1976c, 1979; Ross, et al., 1975; Spelke, et al., 1973) وعلى الرغم من عدم قيامها بإجراء المقارنات بين استجابات الرضع للأمهاتهم واستجاباتهم لأبائهم رأى بيدرسون وروبسون (1969) Pedersen & Robson من خلال تحليلها للاستجابات الإيجابية التى يبديها الرضع لوالديهم أن معظم هؤلاء الرضع قد أبدوا تعلقًا بكلا الوالدين عندما بلغوا الشهر الثامن من أعمارهم . ولم تكشف سوى نتائج دراسة واحدة فقط عن أن حدة النمط السلوكى الدال على التحية والترحيب قد يدل فى واقع الأمر على تفضيل للأب من جانب الرضيع (Lamb, 1979) .

ويتضح من خلال استخدام المقاييس الدالة على التعلق غير الاحتجاج على الانفصال والسلوك الترحيبى أن غالبية الرضع قد أبدوا تعلقًا بكلا الوالدين منذ النصف الثانى من العام الأول من حياتهم . أما فى المواقف التى تخلو من التوتر فإنهم لا يبدون تفضيلًا لأى من الوالدين (Lamb, 1977a, 1977c) . وعندما يشعرون بالحزن أو الألم فإنهم يقومون بتنظيم أنماطهم السلوكية الدالة على التعلق وذلك بطريقة متشابهة لتنظيم حول الوالد الموجود أمامهم (e.g. Lamb, 1976a, 1976g; Feldman & Ingram, 1974; Willemsen, et al., 1975) ومع ذلك فقد اتضح أنهم عندما يشعرون بالحزن أو الألم ويمكنهم أن يختاروا بين أحد الوالدين فإن الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين عشرة شهور إلى ثمانية عشر شهرًا يفضلون أمهاتهم (Cohen & Campos, 1974) (Lamb, 1976a, 1976g) . أما الرضع فى الشهر الثامن والشهر الرابع والعشرين eight- and 24- month olds فلم يظهر واتفضيلًا لأحدهما (Lamb, 1976c, 1976d) . فى حين كانت أنماط السلوك الدالة على التواد كالابتسام ومحاولة النطق بالكلمات موجهة إلى الأب أكثر من الأم وذلك لأن الأب يعد أكثر ابتكارًا كما

تصدر عنه أنماط سلوكية تدل على الانتماء والتواد وذلك بشكل يفوق ما يصدر عن الأم (Lamb, 1977a, 1977c) (Belsky, 1979; Clarke & Stewart, 1978).

ومن ناحية أخرى لم تتوصل الدراسات الإمبريقية إلى دليل يؤكد وجود انتحاء أحادي (Bowlby, 1975) حيث يبدو جلياً أن الرضع يصبحون متعلقين بكلا والديهم في نفس الوقت تقريباً ، ومع ذلك يبدو أنهم يفضلون أمهاتهم على الأقل قبل بلوغهم الثانية من أعمارهم . وهذا يؤيد الفكرة المعدلة للانتحاء الأحادي . ولا تتضح هذه التفضيلات إذا لم يشعر الرضيع بالحزن أو الألم . وفي الواقع يبدأ البنون خلال العام الثاني من حياتهم في إظهار تفضيلاً قوياً لأبيهم وذلك على مقاييس السلوك الدال على التعلق (Lamb, 1977a, 197b) . وترجع هذه التفضيلات إلى زيادة اهتمام الأب بالبنين من أبنائه أكثر من اهتمامه بالبنات .

ويوضح تعلق الرضيع بأبيه أن الأب يقضى على الأقل وقتاً كافياً معه ليصبح الرضيع متعلقاً به . وتختلف التقديرات المتعلقة بمقدار الوقت الذي يقضيه الأب مع الرضيع بدرجة كبيرة إذ يرى كوتيلشوك (1975) Kotelchuck أن الآباء قد أكدوا في تقاريرهم أن الأم العادية تقضى يومياً من تلك الساعات التي تكون متيقظة فيها حوالي تسع ساعات في المنزل مع الرضيع، في حين يقضى الأب العادي حوالي ٣,٢ ساعة يومياً. ويرى لويس ووينروب (1974) Lewis & Weinraub أن الآباء يقضون في المتوسط حوالي عشرين دقيقة فقط في المنزل وذلك على الرغم من عدم تقييم الباحثين لمدى تواجد الأب بالمنزل من خلال الساعات أو الدقائق التي يقضيها فيه يومياً . في حين يرى نيوسون ونيوسون (1963، 1968) Newson & Newson وجافرون (1966) Gavron أن معظم الآباء الإنجليز كانوا قريبين من أبنائهم الرضع ومن أطفالهم بدرجة كبيرة خلال الساعات التي لا يعملون فيها . ومن المحتمل أن تعتمد التقديرات الخاصة بمدى تواجد الأب بالمنزل على ثقافة أفراد العينة التي تتم دراستها ومستواهم الاقتصادي الاجتماعي وما إذا كان الباحث يقوم بتحديد مدى تواجد الأب بالمنزل في ضوء تفاعله مع الأطفال أو قربهم منهم .

## السمات المميزة للسلوك الأبوي :

إن مجرد كون الآباء والأمهات أشخاصًا يتعلق بهم الأطفال لا يضمن لهم دلالة سيكولوجية في حياة الأطفال . ونظرًا لأن الأم هي الوالد المفضل بالنسبة للرضيع وهي التي تشاركه بدرجة أكبر ولو مؤقتًا فلا تصبح له خلال تلك الفترة حاجة إلى أبيه وذلك فيما يتعلق بعملية التنشئة الاجتماعية (Lamb, 1975a) . ومع ذلك فلا يبدو أن هذه هي المشكلة حيث يمثل الأب والأم أنماطًا مختلفة من التفاعلات والخبرات منذ وقت مبكر في حياة أطفالهم . فمنذ مرحلة الرضاعة يشترك الأب مع أطفاله في تفاعلات تقوم على الإثارة الجسمية أو أنشطة اللعب ، في حين تشترك الأم في اللعب التقليدي ، كما تعتبر هي المسئولة الأولى عن العناية بهؤلاء الأطفال (Lamb, 1957b, 1977c; Clarke-Stewart, 1977) (Yogman, et al., 1976, 1977) . وحتى أولئك الآباء الذين يضطلعون بمسئولية أساسية في العناية بالأبناء يسلكون مثل الآباء الذين يضطلعون بمسئولية ثانوية في العناية بهم وليس كالأمهات اللاتي تضطلعن بمسئولية أساسية في العناية بهم (Field, 1978) .

ويؤكد كوتيلشوك (Kotelchuck ١٩٧٥) من خلال تقارير الآباء والأمهات التي حصل عليها ارتباط الآباء باللعب وارتباط الأمهات بالعناية بالأبناء . وعلاوة على ذلك فإن الرضع والأطفال صغار السن يفضلون منذ العام الأول من حياتهم أن يلعبوا مع الأب حيث يستجيبون لأوامره بدرجة كبيرة من الإيجابية كما يختار البنون الأب كرفيق لهم في اللعب أكثر من اختيارهم للأم وذلك خلال العام الرابع من أعمارهم (e.g. Clarke-Stewart, 1978) ، أما البنات فتنتقل تفضيلاتهن من الأب إلى الأم وذلك فيما بعد بين الثانية والرابعة من أعمارهن (Lynn & Cross, 1974) .

ومن ناحية أخرى فإن الآباء أنفسهم قد قرروا توحيدهم مع اللعب حيث وجد فاجوت (Fagot ١٩٧٤) أن والدي البنين الذين يبلغون الثانية من أعمارهم يعتقدون أن وظيفة الأب تتضمن اللعب مع البنين وتقديم نماذج الدور لهم . ولم يعتقد والدا البنات أن الأمهات والآباء في حاجة إلى أن يقوموا بلعب أدوار مختلفة . ونظرًا لأن هذه النتائج تتفق مع تلك النتائج التي كشفت عن أن البنين يعتبرون أكثر ثباتًا في تفضيلهم للعب مع

الأب ، فإن تلك الدراسات قد تعكس افتراضًا ثقافيًا يرى أن الأب يجب أن يلعب دورًا أكثر إيجابية في تنشئة أبنائه البنين .

وقد أجريت محاولات عديدة في سبيل التمييز إمبيريقياً بين أساليب الآباء وأساليب الأمهات في التفاعل مع الأطفال الأكبر سنًا . وفي إحدى هذه الدراسات التي أجريت لذلك الغرض والتي قامت على أسلوب الملاحظة داخل المعمل للتفاعل بين الوالدين والطفل توصل أوسوفسكى (Osofsky & Oldield, 1972; Osofsky & O'connell, 1971) إلى نتائج تتفق مع نظرية بارسونز حيث كان في تلك المواقف التي صممت للتعرف على أنماط السلوك التابعة والمستقلة المرتبطة بالمهمة وذلك من جانب البنات اللائي يبلغن خمس سنوات من العمر ، كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء أن يأخذوا دورًا يتضمن التوجه نحو العمل ، في حين كانت الأمهات غالبًا ما تقدم المساندة الانفعالية والتشجيع . وتوصل كل من كوننجهام (Cunningham, 1973) وكرايج (Krige, 1976) إلى نفس النتائج تقريبًا حيث أبدت البنات أنفسهن تعيينًا أكثر للمهمة مع آبائهن وتفاعلاً بين شخصى مع أمهاتهن بدرجة أكبر .

كذلك فقد سأل باحثون آخرون مجموعة من الآباء والأمهات عن كيفية سلوكهم في مجموعة من المواقف الافتراضية ثم قاموا بعد ذلك بمقارنة استجابات الآباء باستجابات الأمهات (e.g. Atkinson & Endsley, 1976). كما سأل آخرون الأطفال عن كيفية إدراكهم لأدوار آبائهم وأمهاتهم (e.g. Nadelman, 1976). ومنهم من اعتمد على تقارير من كل من الوالدين والأطفال (e.g. Devereux, et al., 1974) وتوضح مثل هذه الدراسات أن الأمهات قد أبقين على ارتباطهن بالعبء ورعايتهن ، في حين تم إدراك الآباء - على الرغم من ارتباطهم باللعب والمغامرة - على أنهم أكثر تهديدًا وصرامة وأكثر مطالب . كما أوضحت أيضًا أن مفاهيم الأطفال عن الأسر المتوسطة عادة ما تكون أكثر نمطية من اتجاهاتهم نحو والديهم (Nadelman, 1976).

ومن ناحية أخرى فقد اتضح وجود تفاعل بين جنس الوالد وجنس الطفل حيث وجد بيرسون (Bearison, 1979) إلى جانب ذلك أن الوالدين كانوا أكثر توجهًا نحو الشخص من توجهها نحو المركز وذلك عند محاولاتها السيطرة على سلوك الأطفال من نفس الجنس وليس من الجنس الآخر (Noller, 1980).

وكما هو الحال فى الدراسات التى تناولت العلاقة بين الوالدين والرضيع ، فقد اتضح أن الآباء يشاركون بشكل مباشر فى تربية البنين بدرجة أكبر من البنات (Kemper & Reichler, 1976). ويعتقد الآباء أن الأمهات يجب أن يكن مسئولات عن تنشئة البنات (e.g. Bronfenbrenner, 1961b). كذلك فإن الآباء لا يرغبون فى التعامل مع الجنس الأنثوى أو الدورة الشهرية (Fox, 1978; Hipgrae, 1979) وإضافة إلى ذلك يرى ماكسويل (1976) أن مشاركة الأب فى التنشئة الاجتماعية للأطفال غالبًا ما ترتبط بالإنجاز والشموخ .

وعلى الرغم من أن الدراسات التى تناولت الفروق بين أدوار الآباء وأدوار الأمهات تساعد فى التعرف على آثار كل منهما على نمو أطفالهما ، فلا يجب أن نغفل عن أوجه التشابه بينهما ولا أن نبالغ فى الفروق بينهما . وحتى فى مرحلة الرضاعة تقوم الأم على سبيل المثال فى العادة باللعب مع رضيعها بدرجة أكبر من الأب ، ولكن اللعب يمثل نسبة أكبر من التفاعل الكلى للأب وبالتالى فقد يميز علاقة الأب بالرضيع وعلاوة على ذلك فإنه حتى وإن كان الآباء أكثر اهتمامًا من الأمهات بالتمسك بالأدوار الجنسية التقليدية والعرف والعادات (e.g. Kohn, 1979; Fagot, 1978) فمن الواضح أن كلا الوالدين يؤثران على نمو الدور الجنسى والنمو الخلقى لأطفالهما .

وتشير الدراسات الحديثة إلى نقاط تشابه هامة فى قدرة الرجال والنساء على الاستجابة لأبنائهم الرضع . فكلاهما يستجيب بإيجابية لميلاد الطفل وخاصة عندما يكون الأب موجودًا مع الأسرة بالمنزل (e.g. Parke, 1979). ولم تتوصل الدراسات التى تناولت الأطفال والمراهقين والوالدين إلى وجود فروق بين الجنسين على مقاييس الاستجابات الفسيولوجية لإشارات الرضيع السلوكية من جانب الوالدين أثناء الرضاعة (Frodi & Lamb, 1978; Frodi, et al., 1978) ووجد باركى وساوين (1976)، Parke & Sawin (1977) أن الآباء والأمهات كانوا متساوين فى حساسيتهم لأبنائهم الرضع على الرغم من ميل الآباء إلى إرجاع مسئولية العناية بالأبناء إلى الزوجات . وعلى الرغم من أن المشاركة فى تلك المسئولية والانغماس فى حياة الأبناء يبدو أنها لا تتأثر

بمختلف الاستعدادات للولادة ، فإنها تتأثر ببرامج معينة للآباء الجدد أى الأزواج الذين سيصبحون آباء (e.g. Parke, et al., 1980).

ومن جانب آخر تعمل مشاركة الأبناء أيضًا على التخفيف من الكف المصحوب بالقلق للمزيد من المشاركة من جانبهم . وعند ملاحظتهم مع الرضع الغرباء أبدى الآباء الأصغر سنًا اهتمامًا أقل بهؤلاء الرضع وذلك عند مقارنتهم بما أيدته زوجاتهم (e.g. Nash & Feldman, 1981) ومع ذلك فقد يصبح الآباء حساسين عند التفاعل مع أبنائهم الرضع وذلك بدرجة تسمح لأساليب التعلق بتكوين تعلقات مترددة تنشأ عن عدم الحساسية الوالدية (1978، 1974، 1971، e.g. Ainsworth, et al.) والتي تعتبر أكثر شيوعًا بين الآباء من شيوعها بين الأمهات (Lamb, 1978). وكما تفعل الأمهات يقوم الآباء بتعديل وضبط أنماط حديثهم عندما يتكلمون مع الأطفال الصغار (e.g. Golinko & Ames, 1979).

### وجهة نظر :

وبنظرة عامة على تلك النتائج التي كشفت عنها هذه الدراسات يتضح لنا أن الأدلة الإمبريقية التي تم التوصل إليها تتفق مع توقعاتنا النظرية ، فيبدو أن كلاً من الأب والأم لهما أهميتهما السيكولوجية بالنسبة لأطفالهما منذ مرحلة المهد . ومن هذا المنطلق يبدو أنهما يؤديان أدوارًا قابلة لأن تختلف عن بعضها ، ففى حين تتحمل الأم مسئولية رعاية الأطفال والعناية بهم جسديًا يميل الآباء إلى القيام بتلك التفاعلات التي تتضمن اللعب إضافة إلى متطلبات امثال الأطفال للمعايير الثقافية . وكما ترى نظريات التعلم الاجتماعى والتحليل النفسى ونظرية بارسونز فإن الأب يبدو كثير المطالب ومهتمًا برعاية أبنائه . وسواء كان للأب التأثير الأكبر على أبنائه أم لا ، فإنه يشارك فى التنشئة الاجتماعية لأبنائه البنين أكثر من مشاركته بالنسبة للبنات .

ولسوء الحظ فليس هناك سوى القليل من المحاولات التي أجريت سابقًا بغرض جمع بيانات عن طريق الملاحظة تتعلق بأنماط التفاعل بين الوالدين وبين أطفالهما الأكبر سنًا فيما بعد مرحلة المهد . إلا أنه قد تم الحصول على بعض البيانات الوصفية عن طريق إجراء المقابلات مع الوالدين والأطفال أو مع الأطفال فقط . ولكن يبقى دائمًا هناك

سؤال حول إمكانية المقارنة بين التعريفات التي حددها مختلف الباحثين للذكورة ، والرعاية الوالدية ، والوسيلية ، وغيرها . كذلك فإننا لانزال في حاجة إلى إجراء مزيد من الدراسات الطولية والوصفية الدقيقة حول هذا الموضوع . وكما لاحظ لام (١٩٧٥-أ ، ١٩٧٦-و) Lamb فإنه إذا ما أردنا أن نفهم آثار العلاقة بين الأب والطفل على نمو ذلك الطفل يصبح لزاماً علينا أن نتناول تلك العلاقة بالوصف الدقيق .

## أثر الأب على نمو الطفل :

### ١ - نمو الدور الجنسي :

ترى تلك النظريات التي تم الرجوع إليها خلال هذا الفصل أن للأب تأثير جوهري على نمو الدور الجنسي للطفل . ويؤكد معظم الباحثين على أهمية النمذجة أو التوحد مع الأب في هذا الصدد على الرغم من أن بعضهم يرى أن الأب يطلب الامتثال للمعايير الثقافية بشكل أكثر صرامة مما تفعله الأم . إلا أنه على الرغم من هذا الإجماع وتلك الزيادة في عدد الأبحاث التي تم إجراؤها في هذا المجال ، فإن النتائج التي يتضمنها التراث السيكلوجي حول هذا الموضوع غير حاسمة ومتناقضة بشكل غير عادي .

ومن ناحية أخرى فإن الآباء يعتبرون أكثر من الأمهات والنساء بشكل عام توفراً إلى البنين ، ويظهرون أنماطاً سلوكية تدل على تفضيلهم للبنين من أطفالهم منذ مرحلة المهد . كما تصبح معاملتهم لأطفالهم الذكور والتي يتضح من خلالها تفضيلهم لهم أكثر تمييزاً لهذه المعاملة في العام الثاني من حياة هؤلاء الأطفال وذلك حينما يضيف الآباء على أنفسهم أهمية وجاذبية تزداد بالنسبة لأطفالهم البنين عن البنات (Lamb, 1977a, 1977b) . وكاستجابة لذلك يطور البنون تفضيلات لأبائهم يمكن أن نصفها على أنها أشكال مبكرة للتوحد مع نفس الجنس . ووجد فاجوت (١٩٧٤) Fagot أن والدي الأطفال الذين يبلغون الثانية من أعمارهم يتعتقدون بالفعل أن الآباء يوفرون لأبنائهم الذكور نماذج للدور .

ويجب أن نفكر بإمعان في هذه البيانات وذلك في سياق ما يراه موني (١٩٧٢) Money من أن الهوية الجنسية يتم اكتسابها منذ العام الثالث من حياة الطفل ، وأن إعادة تعيينها بعد هذه السن يسبب صعوبة أكبر ومشاكل اجتماعية انفعالية أكثر من إعادة التعيين المبكر لها . وقد لاحظ آخرون ظهور الفروق المبكرة بين الجنسين في أنماط السلوك بين الشخصي ، وفي تفضيل الأدوار المنمطة جنسيًا .

إلا أننا لا نعرف بالتحديد مدى أهمية إسهام الأب في هذا الصدد حيث تمت دراسة الأنماط السلوكية التي تصدر عن الأم والتي تميز بين الجنسين وذلك بشكل أكثر دقة من تلك الأنماط السلوكية الصادرة عن الأب . ويرى لويس (١٩٧٤) Lewis أن الآباء والأمهات قد يساهمون بطرق وأساليب مختلفة في نمو الدور الجنسي لأطفالهم . ويعتقد أولئك الباحثون الذين يركزون على التوحد والنمذجة أنه يجب أن يكون هناك تشابه في أنماط السلوك بين الأب والابن وخاصة في جوانب جوهريّة كالذكورة تنتج عن محاولات الأطفال أن يكونوا مثل الوالد من نفس الجنس . ومع ذلك فإنه توجد - مع بعض الاستثناءات بطبيعة الحال - أدلة قليلة على أن الآباء الذين يوصفون بالذكورة يتصف أولادهم البنون بالذكورة أيضًا . وفي الواقع نجد أن البنين في مرحلة ما قبل المراهقة ليسوا أكثر شبهاً بأبائهم من شبيههم بأمهاتهم ، ولم يتضح وجود ارتباطات دالة بين تفضيلات الآباء المتعلقة بالأدوار الجنسية وبين التفضيلات المماثلة لأبنائهم الذكور (Angrilli, 1967; Payne & Mussen, 1956) . ويتضح في واقع الأمر أن أكثر المتلازمات ثباتاً في علاقتها بذكورة الأب هي أنوثة بناته (Johnson, 1963; Sears, et al., 1936) . وهي نتيجة تدعم بطبيعة الحال فكرة تعلم الدور . وهكذا يبدو أن هذه النتائج تدعم ما يراه ماكوبي و جاكلين (١٩٧٤) Maccoby & Jacklin من أن النمذجة تلعب دوراً أقل في تطور السلوك المنمط جنسيًا .

ومع ذلك فإن أصحاب النظريات الذين تناولوا عملية النمذجة يتوقعون أن تختلف درجة التوحد الذي يقوم به الابن اعتماداً على قيام الأب برعاية أبنائه (Bandura & Walters, 1959; Mussen, 1967) . وبالتالي فإن الأب الذي يتسم بالدفء العاطفي ، والقرب من أبنائه ، والمتواجد بدرجة كبيرة أمامهم بالمنزل ، والذي يتسم بالذكورة أيضًا يتسم أولاده بالذكورة مثله تمامًا (Biller & Borstelmann, 1967; )

Hetherington, 1967; Reuter & Biller, 1973) بينما نتوقع درجة أقل من التشابه حينما تكون العلاقة بينهما غير ودودة . وكذلك فالآباء الذين يتسمون بالدفء العاطفي ، والقيام برعاية الأبناء والمشاركة فى تربية أطفالهم يتسم أولادهم بالذكورة (Biller, 1969b; Distler, 1964; Kaplar, 1970; Freedheim 1960) (e.g. Anzimi, 1964; Bandura & Waters, 1959) وتتسم بناتهم بالأنوثة (Johnson, 1963) وذلك بغض النظر عن ذكورهم أو عقابيتهم . وعلى العكس من ذلك فعندما تكون العلاقة بين الأب والطفل متوترة فإن ذكورة كل من الأب والابن ترتبط سلباً (Bronson, 1959) . وتدلل هذه النتائج بدرجة كبيرة على أن السمات التى تميز العلاقة بين الأب والطفل لها دلالة توليدية أكبر من اتصاف الأب بالذكورة أو العقاب .

ومن ناحية أخرى فقد كشفت دراسات عديدة عن وجود علاقة بين دور الأب فى الأسرة وبين ذكورة ابنه . وهكذا فإن الآباء الذين يظلون على رأس أسرهم يصبح أولادهم البنون أكثر ذكورة (Kagan, 1958) (e.g. Biller, 1969b, Hoffman, 1961) بينما تنخفض درجة ذكورة الابن حينما يلعب الأب أدواراً أنثوية فى المنزل (Bronfenbrenner, 1958) . كما كشفت الدراسات عن أن أكبر قدر من التشابه بين الابن وأبيه فى العديد من الجوانب يوجد فى الأسر التى يسيطر فيها الآباء على زوجاتهم ويهيمنون عليهن (e.g. Biller, 1969; Frankie, 1967) . ومع ذلك فقد وجدت رادن (Radin ١٩٧٨) أن التوحد مع الدور الجنسى لا يتأثر بدرجة مشاركة الأب فى تربية الطفل وهو ما يمثل نشاطاً أنثوياً . وفى الواقع لا يتسم الآباء الذين يشاركون بدرجة مرتفعة فى حياة أطفالهم لا يتسمون بدرجة من الأنوثة أو الخنوثة تزيد عن كونهم آباء تقليديين ، وهو ما يتناقض بطبيعة الحال مع ما توصل إليه روسل (Russell ١٩٧٨) كذلك فقد وجد برايمان وديفراين (Brayman & De Fraim ١٩٧٩) أن الأطفال الذين يتسم والداهم بالخنوثة كانت اتجاهاتهم التى تتعلق بالدور الجنسى أكثر مرونة من اتجاهات الأطفال الذين يتصف والداهم بأنهم تقليديين .

كما لم تكن نتائج الدراسات التى قامت بتقييم مدى فاعلية محاولات الآباء لتشكيل سلوك أطفالهم حاسمة ، ورغم ذلك فقد تم من خلالها إثبات بعض الافتراضات . وعلى الرغم من أن كلا الوالدين يشاركون فى هذا التدريب للأطفال على تشكيل سلوكهم ، وعادة ما يوافقون على الأهداف التى تتعلق بالأدوار الجنسية للأطفال ، فقد توصلت

دراسات عديدة إلى أن الأب يعتبر أكثر اهتمامًا من الأم بالتنميط الجنسي كما تكون اتجاهاته في هذا الصدد تقليدية (e.g. Fagot, 1978; Bronfenbrenner, 1961; Sears, et al., 1957) (Goodenough, 1957) ومع هذا فالآباء وخاصة الذين ينتمون منهم إلى الطبقة المتوسطة يتوقعون من زوجاتهم أن يتحملن المسئولية في تربية البنات (Kohn & Carroll, 1960). وهذا أيضًا يؤدي بنا إلى أن نتوقع من الأب أن يؤثر على نمو البنين أكثر من نمو البنات. وفي الواقع فقد اقتصرَت الدراسات على تناول العلاقة بين ما يقوم به الأب من صرامة في التعامل مع أبنائه وما يستخدمه من عقاب وما يضعه من حدود لهم وبين ذكورة الأبناء. كما كشفت ثلاث دراسات هي دراسات أتوشير (Altucher (1957) وليفكاوتز (Lefkowitz (1962) ومولتون وآخرين (1966) Moulton, et al., عن وجود ارتباط متوسط بين تلك الممارسات من جانب الأب وبين ذكورة الأبناء، إلا أن دراسات أخرى عديدة لم تتوصل إلى وجود أي علاقات دالة ومنها على سبيل المثال دراسات بيلر (1969-أ) وبيلر (Biller) ومسن ودستيلر (1959، 1960) Mussen & Distler ومسن وروزرفورد (1963) Mussen & Rutherford وسيرز وآخرين (1965) Sears, et al., وعلى الرغم من توقعات هؤلاء الباحثين فليس هناك في الواقع سبب لتوقع وجود ارتباط خطي بين العقابية والذكورة حيث توجد هناك سمات أخرى تميز علاقة الأب بالطفل لها تأثيرها على هذا الارتباط. فتوصل باندورا وولترز (Bandura & Walters (1959) على سبيل المثال إلى أن عقابية الأب ترتبط بذكورة الابن في حالة كون الأب مهتمًا برعاية الابن أيضًا.

وعلى الرغم من أن الأدوار الجنسية الذكرية قد تم تعريفها في وقت مبكر وبشكل أكثر حدة وصرامة من الأدوار الجنسية الأنثوية، وأن الآباء يهدفون إلى أن يصبح لهم تأثير أكبر على البنين من أبنائهم، فإن هناك درجة مرتفعة من الثبات في نتائج تلك الدراسات القليلة التي تناولت النمو الأنثوي. وترى ديوتش (Deutsch (1944) أن الآباء يعززون أنوثة بناتهم بإثابتهن على السمات الأنثوية كالتسليم والاعتمادية مع إظهار العاطفة. وطبقًا لذلك التوقع فقد كشفت دراسات عديدة عن وجود ارتباطات دالة بين ذكورة الأب وأنوثة ابنته. ومنها على سبيل المثال دراسة جونسون (1963) Johnson ولانديز (1965) Landis. وكما هو الحال بالنسبة للبنين فإن نوعية العلاقة بين الأب وابنته ومدى الدفء العاطفي الذي يميز هذه العلاقة يعد عاملاً جوهرياً في هذا الصدد.

## ٢ - النمو الخلقى :

هناك إجماع بين أصحاب النظريات المختلفة حول دور الأب في النمو الخلقى للطفل بدرجة أقل من إجماعهم حول دوره في نمو الدور الجنسي للطفل . ويعتقد فرويد Freud أن النمو الخلقى يعتمد على التوحد الذى يلى الأزمة التى يمر بها الطفل خلال المرحلة الأوديبية ، بينما يرى بارسونز Parsons أن الأب يعتبر ممثلاً لقيم المجتمع ومعايره داخل الأسرة . وبالتالي فكلاهما يتفق على أن للأب دوراً على درجة كبيرة من الأهمية . ويرجع أصحاب نظريات التعلم الاجتماعى للأب قدرًا من الأهمية أكبر من الأب حيث توجد لدى الأم فرصة أكبر من الأب لتشكيل سلوك أطفالها وتقديم لهم النماذج السلوكية المختلفة . وعلى الرغم من ذلك فإن نتائج الدراسات الإمبريقية فى هذا الصدد غير حاسمة . فقد لاحظ هوفمان (١٩٧٠ - ب) Hoffman وجود علاقة بين سلوك الأم وبين أخلاقيات الأطفال . ووجد هوليشتين (١٩٦٩) Holstein تشابه بين الأم والطفل فى الحكم الخلقى وذلك بشكل دال ، إلا أنه لم يجد سوى تشابه ضئيل فقط بين الأب والطفل فى الحكم الخلقى . ومع ذلك فالنتائج التى توصل إليها هوفمان توضح أن الآباء الذين تتسم مشاعرهم نحو تربية أطفالهم بالإيجابية يتوحد أبنائهم البنون معهم ، كما تتبدى لهم أخلاقيات مستدخلة . وكشفت دراسات أخرى عن أن الآباء الذين يهتمون برعاية أبنائهم والآباء الذين يشاركون بفاعلية فى تربية أطفالهم يتسمون بالغيرية والكرم والسماحة وذلك على الرغم من عدم توصل ليفسون (١٩٦٦) Livson إلى نتائج مشابهة . ومن ناحية أخرى وجد ويسبروث (١٩٧٠) Weisbroth أن الحكم الخلقى للبنين يرتبط بالتوحد مع كلا الوالدين بينما يرتبط الحكم الخلقى للبنات بالتوحد مع الأب فقط . ويؤكد هوفمان (١٩٧٠ - ب) Hoffman أن التوحد قد يكون له أثر ضئيل على مستوى النمو الخلقى للطفل .

وعلى الرغم من تأكيد علماء التحليل النفسى على قيمة العقاب الذى يستخدمه الأب فإن اعتماده فى أساليبه التهذيبية على التوجه نحو الحب يرتبط بمستوى أخلاقيات ابنه . وعلاوة على ذلك فقد كشفت دراسات عديدة عن أن البنين الجانحين غالبًا ما ينحدرون من أسر يتسم فيها الأب بقيامه بأعمال مضادة للمجتمع ، وبعدم التعاطف ، وبالعداونية . وفى الواقع وجد أندرى (١٩٦٠) Andry أن العلاقات السيئة التى تجمع

بين الآباء والأطفال تعتبر أحداثاً شائعة تسبق الجناح حتى وإن كانت هناك علاقة عادية تجمع بين الأم والطفل . ويرى هوفمان (١٩٧١- أ) أن آثار المعدل المنخفض للتوحد مع الأب الموجود وسط أبنائه في المنزل تتشابه مع تلك الآثار التي تنجم عن غياب الأب على الرغم من كونها أقل في ظهورها من آثار غياب الأب .

### ٣ - الإنجاز والنمو العقلي :

يرى بارسونز أن الأب يعد أكثر وسيلة من الأم ، ومن ثم فإن التوحد معها يدعم الدافعية للإنجاز من جانب الأطفال كما يدعم الأداء أيضًا . وفي سلسلة من الدراسات قامت رادن (١٩٧٢ ، ١٩٧٣) Radin و رادن وإبشتين (١٩٧٥) Radin & Epstein وجوردان و رادن وإبشتين (١٩٧٥) Jordan, Radin & Epstein باختبار مدى صحة الفرض الذي يرى أن البنين الذين يتسم آباؤهم برعايتهم لأبنائهم قد تفوقوا في المهام العقلية بمقتضى توحدهم المعزز مع الأب . وتدعم تلك النتائج التي تم التوصل إليها هذا الفرض بالنسبة للبنين الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة وليس بالنسبة للبنين الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا . ومن ناحية أخرى فقد كانت العلاقة بين رعاية الأب لأبنائه والكفاءة العقلية للأبناء أكثر دلالة بالنسبة للبنين منها بالنسبة للبنات .

ويتضح في واقع الأمر أن الأب لا يسهل الأداء العقلي للبنات كلية حيث توجد رسائل مختلطة تميز التفاعل بين الأب وابنته وهو ما يؤثر سلبًا على الأداء العقلي للبنات فيعوقه (Radin & Epstein, 1975) . كما تؤثر اتجاهات الأب على البنات بطريقة غير مباشرة حيث يتم ذلك من خلال الأم بعد أن يؤثر عليها الأب . وتؤكد رادن (١٩٧٦) Radin أن للأب تأثير ضئيل على النمو المعرفي لابنته على الرغم من أن الآباء الذين ينغمسون في حياة بناتهم بدرجة كبيرة لهم تأثير واضح على نموهن المعرفي .

وتوضح دراستان أخريتان تقومان على الملاحظة أجراهما هارنجتون وآخرون (١٩٧٥) Harrington, et al., وأوسوفسكى وأوكنيل (١٩٧٢) Osofsky & O'connell أن الأب يعامل البنات بأسلوب تعبيرى وليس بأسلوب وسيلى كالذى يعامل به البنين . ويركز كلا الوالدين على الإنجاز والتنافس بالنسبة للبنين وذلك بشكل أكثر مما يفعلانه مع البنات كما ترى بلوك (١٩٧٩) Block وهوفمان (١٩٧٧) Hoffman . فنحن نعلم أن تشجيع الأب للأداء العقلي لابنه يرتبط بالإنجاز ، وأن الرفض من جانب الأب

يؤثر عليه سلبيًا . وعلاوة على ذلك فإن الأب الذى يهتم برعاية أبنائه والذى يقلل من شأن الأداء العقلى للنساء بوجه عام يعوق الإنجاز من جانب البنات كما يرى لام وآخرون (Lamb, et al., ١٩٧٩) حيث كشفت دراسات عديدة ومن بينها دراسة براسكامب وفليسner (Braskamp & Flessner ١٩٧١) وبارنيت وباروتش (Barnett & Baruch ١٩٧٨) عن أن النساء الناجحات فى أعمالهن قد أقمن علاقات حميمة مع آباء يشجعونهن على ذلك . هذا فى الوقت الذى يؤكد فيه آخرون على أنه عندما يكون لدى الأب مستوى منخفض من التوقعات التقليدية التى تتعلق ببناته فإن العلاقات الحميمة بينه وبينهن تعوق الإنجاز من جانبهن كما يرى هيلسون (Helson ١٩٧١) وواريل وواريل (١٩٧١) Worell & Worell على سبيل المثال .

وقد قام كل من رادن وآخرون (Radin, et al., وأوسوفسكى Osofsky فقط بجمع بيانات فى الدراسات التى أشرنا إليها سلفاً وذلك عن طريق الملاحظة ، وكانت هذه البيانات تدور حول العلاقة بين الأب والطفل . أما الدراسات الأخرى فقد اعتمدت على التقارير التى ترد عن طريق الآباء أو الأبناء ، إضافة إلى استخدامها لمقاييس تقوم على استخدام الورقة والقلم .

وفى مراجعة للتراث السيكولوجى أجراها فريريج وباينى (١٩٦٧) Freeberg & Payne توصلا إلى أن آثار الوالدين على النمو المعرفى للأبناء قد تم فهمها بشكل غير ملائم وهذا هو الواقع فعلاً . فهناك بعض الأدلة كتلك التى توصل إليها بريتون (Brenton ١٩٦٦) وليدرار (Lederer ١٩٦٤) ورادن (Radin ١٩٧٦) تؤكد على الرغم من كونها أدلة ارتباطية على وجود هذه الآثار . ومن ناحية أخرى فقد كان تقدير الأطفال مرتفعى الإنجاز لرفقة أبيهم لهم أعلى من تقدير أقرانهم منخفضى الإنجاز كما أدركوا أنفسهم على أنهم أكثر شبهاً بأبائهم . كذلك فقد كان البنون الذين يتسم آباؤهم بقربهم منهم من بين مرتفعى الكفاءة المعرفية كما يرى جولد (Gold ١٩٧٧) على سبيل المثال . وعلاوة على ذلك فعلى الرغم من أن هذا قد لا يكون حقيقياً فى كل الطبقات الاجتماعية فإن العلاقة الحميمة بين الأب والطفل واتصاف الأب بالسيطرة أو الهيمنة والديمقراطية ترتبط بدافعية مرتفعة للإنجاز لدى كل من البنين والبنات كما يرى باندورا (Bandura ١٩٦٠) وإيلدر (Elder ١٩٦٤) . ويرى نورمان (Norman ١٩٦٦)

وفيرتس (1966) Werts أن هذه الدافعية المرتفعة عادة ما تكون لدى البنين على وجه الخصوص . وعلى العكس من ذلك فقد كان البنون الأقل إنجازاً على علاقة ليست على ما يرام مع آبائهم واعتبروا أن آباءهم رافضون وعدوانيون . ويرى كل من سميلسر (1963) Smelser ودوجلاس (1964) Douglas أن هناك علاقة بين الحراك إلى أدنى من جانب الآباء وبين سلوك الإنجاز لدى أبنائهم البنين .

وقد لاحظ سولومن (1969) Solomon كما وجد كاتز (1967) Katz أن التشجيع من جانب الأب يرتبط بالإنجاز من جانب الأبناء . وكشفت نتائج أخرى عن وجود علاقة بين كل من الأهمية السيكولوجية للأب (Dreyer, 1975) والعلاقات الحميمة بين الأب والابن (Bieri, 1960; Dyk & Witkin, 1965) وبين تبني الأبناء لأسلوب معرفي ذكرى أى تحليلي . كما كان الأولاد أقل حساسية من البنات للضغوط التي تمارسها أمهاتهم عليهم . ومع ذلك فإن المخاطر التي ترتبط بالاعتماد على الدراسات الارتباطية قد أوضحتها كلارك - ستوارت (1978، 1980) Clarke-Stewart التي ترى أن الآباء يستجيبون للفروق الفردية في القدرات المعرفية لأبنائهم الرضع بدلاً من محاولتهم تفسير أسبابها .

ويوضح إيلدر (1979) Elder وإيلدر وروكويل (1979) Elder & Rockwell أن الأولاد الذين تمت ولادتهم في عامي 1928، 1929 والذين شملتهم دراسة بيركلي Berkeley الإرشادية كانوا يتسمون بانخفاض مستوى طموحهم عندما كانت أسرهم تعاني من الحرمان الاقتصادي خلال فترة البطالة التي سادت آنذاك . وفي المقابل كانت دافعية الإنجاز مرتفعة جداً لدى الأولاد الذين تمت ولادتهم في عامي 1920، 1921 والذين شملتهم دراسة أوكلاند Oakland النهائية . أما الفروق بينهما فقد نتجت كما يرى إيلدر وروكويل Elder & Rockwell من حقيقة أن آباء الأولاد الذين شملتهم دراسة بيركلي قد أصبحوا نماذج أقل جاذبية بالنسبة لهم في مرحلة مبكرة من حياتهم وأكثر حرجاً من آباء الأولاد الذين شملتهم دراسة أوكلاند ، مما دفع بأولئك الذين شملتهم دراسة بيركلي إلى أن يعانون من آثار أكثر سوءاً حيث عانت أسرهم من الحرمان الاقتصادي وعدم الانسجام مع الأب .

وترتبط أهمية الأب في رعاية النجاح الأكاديمي لأبنائه وخاصة البنين منهم بجلاء بتلك البرامج التي تهدف إلى تحسين الأداء العقلي ولتلك الأطفال المحرومين من آبائهم ، ويصبح من المرغوب فيه أن تشمل مثل تلك البرامج الآباء كلما أمكن ذلك حتى وإن كان هذا يعني مجابهة تلك النماذج التي تعوق هذه الجهود .

#### ٤ - الكفاءة الاجتماعية والتوافق السيكولوجي :

يحدد دفاء وحساسية سلوك الأب مدى قوة علاقة التعلق بين الرضيع وأبيه ، وكما فى حالة الأمهات فإن العلاقات الآمنة القوية مع الأب تساعد فى رعاية قدرة الطفل على الارتباط بالآخرين إيجاباً . وعلى الرغم من ندرة الدراسات التى تقوم على الملاحظة فى هذا الصدد فإن العديد من الدراسات فى هذا المجال قد توصلت إلى أن حرارة العلاقة بين الأب والابن ترتبط بالكفاءة الاجتماعية من جانب الابن (Howells, 1969; Rutherford & Mussen, 1968) .

ومن ناحية أخرى يرتبط الدفاء الذى يوفره الأب للطفل بتقدير هذا الطفل لذاته ، وتوافق الشخصية لدى البنين . أما فيما يتعلق بالبنات فإن اهتمام الأب برعايتهن يرتبط بتوافقهن وتحقيق السعادة فى العلاقات الجنسية الغيرية التى تتم لاحقاً عندما يتزوجن (Fisher, 1973; Lozoff, 1974) . أما العلاقات المتنافرة بين الأب وبين البنات أو التباعد الذى قد يحدث بينه وبينهن فإنه قد يؤدي إلى سوء التوافق (Harrison, 1973) .

ويرى تاور (1980) Tower أن مفهوم الذات الإيجابى لدى الأب يرتبط بدرجة أبنائه وخاصة البنات منهم على مقاييس التخيل والتعصب أو الحماسة وذلك بالنسبة للأبناء فى مرحلة ما قبل المدرسة . ويرى بوركى ووير (1977) Burke & Weir أنه على الرغم من عدم الرضا الذى يبديه معظم المراهقين حول مدى تواجد أبيهم بالمنزل ومدى ما يقدمه من مساعدة لهم ، فقد كان أولئك الذين أبدوا رضاهم عن آبائهم أكثر توافقاً . أما البنون الذين ينحدرون من أسر تسيطر عليها الأم فقد كانت تواجدهم الصعاب فى الحصول على موافقة الأقران وتأييدهم .

وقد تكون العلاقات المضطربة بين الأب والطفل والفشل فى التوحد مع نفس الجنس مسببات للأعراض المرضية المختلفة بين الأطفال حتى إن البعض يرى أن

العلاقات المضطربة بين الأب والطفل تعد بشائر للجنسية المثلية (Nash, 1965). ومع ذلك يبقى دائمًا من المهم أن نتذكر أن كلا الوالدين يساهم في تحقيق التوافق النفسى للأبناء . فقد أظهرت نتائج بعض الدراسات الطولية كدراسة بلوك (Block ١٩٧١) وبلوك وآخرين (Block, et al., ١٩٧٣) أن أفضل الراشدين توافقًا كانوا أولئك الذين جمعتهم في طفولتهم علاقات تتسم بالدفء العاطفى مع أمهات وآباء يقوم كل منهم بدور فعال في سياق علاقة زوجية سعيدة .

## نقد :

على الرغم من أن معظم البحوث التى تناولت العلاقة بين الأب والطفل قد ركزت على الآثار المفترضة لهذه العلاقة فإن ما يتضمنه التراث السيكلوجى فى هذا الصدد غير حاسم . وقد يرجع السبب الرئيسى فى ذلك إلى التضارب الذى يتعلق بتلك المفاهيم المرتبطة بهذا المجال والمستخدمه فيه . كما كان الباحثون يميلون إلى التركيز على عدد محدود من السمات التى يتسم بها الأب وغالبًا ما كانوا يتجاهلون عوامل أخرى لها صلتها بالموضوع والكوكبة الأسرية التى تضم عددًا من الأشخاص وتنظم فيها تلك العلاقات بين الأب والطفل . ومن المحتمل أن يكون الفشل فى تحديد السمات الفردية فى السياق الأسرى هو السبب الجوهرى لعدم الثبات الذى نراه فى التراث السيكلوجى لأنه يؤدى إلى الفشل فى التحكم فى المصادر العرضية للتباين .

وإضافة إلى ذلك فربما يكون الباحثون قد ركزوا على تلك السمات الأقل دلالة التى يتسم بها الأب . وكما يرى مسن ودستيلر (Mussen & Distler ١٩٥٩) فإن العامل ذا الدلالة من وجهة نظر الطفل هو مدى أهمية الأب فى حياة الطفل وليس أسلوبه الخاص الذى يستخدمه فى التعامل مع طفله . ووجدوا أيضًا أن العلاقات ذات الأهمية التى تحدث بين الأب والأم من جانب وبين الطفل من جانب آخر لها نتائج مختلفة، ويريان أن تلك العلاقات تختلف من الناحية الكمية ومع ذلك فلم يكونا قادرين على تحديد تلك الفروق .

وتعتبر الفكرة النموذجية والتقليدية للذكورة مثيرة للمشاكل حيث نجد هناك العديد من الآباء خاصة فى الوقت الراهن لا يتسمون هم أنفسهم بالذكورة ولا يريدون لأبنائهم البنين أن يتسموا بالذكورة أو أن تتسم بناتهم بالأنوثة . وهذا ما يجعلنا فى حاجة إلى أن نضع أهداف الوالدين وقيمهم فى الحسبان بشكل أكثر جدية مما هى عليه فى الواقع .

ومن ناحية أخرى فقد كثرت المشاكل المنهجية في العديد من الدراسات ، وغالبًا ما كان يتم الحصول على الدليل الذى يتعلق بكل من التأثير المفترض أو المزعوم ( كالعقابية على سبيل المثال ) والنتيجة المتوقعة أو المفترضة ( كالذكورة مثلاً ) من نفس الفرد وهو ما يسبب عدم الاستقلالية نتيجة لذلك . وحتى عندما تتوفر مصادر عديدة لهذا الدليل أو ذاك يظل من النادر بالنسبة للآباء أنفسهم أن تتم مقابلتهم ، وبدلاً من ذلك فغالبًا ما يتم توجيه الأسئلة إلى الأمهات ويطلب منهن أن يصفن سلوك أزواجهن .

وأخيرًا فإن الأساليب التى تم استخدامها فى تقدير النتائج والمحددات أو العوامل المحددة لتلك النتائج والمؤثرة فيها كان الصدق والثبات الخاص بها موضع شك وتساؤل . ويوجه برونفينبرينر (١٩٥٨) Bronfenbrenner النقد إلى تلك الدراسات التى تناولت نمو الدور الجنسى منذ سنوات مضت فى ضوء تلك الأسس ، ولكن المقترحات التى قدمها لا تزال تحتاج إلى أن نضعها فى الاعتبار بشكل أكبر . وكما ذكرنا سابقًا فإنه يجب علينا أن ننظر إلى هذه الدراسات على أنها دراسات استطلاعية تمهد الطريق لدراسات أفضل من الناحية المنهجية والمفاهيمية لم يتم إجراؤها للآن (Lamb, 1976f) .

### مناقشة وتلخيص :

على الرغم من هذا الكم الهائل من الدراسات التى تم إجراؤها فإن النتائج التى يمكن لنا أن نثق بها لا تزال ضئيلة . وفيما يتعلق بنمو الدور الجنسى فإن ذكورة الأب ومكاته فى الأسرة يرتبطان بذكورة أولاده البنين وأنوثة بناته . ومع ذلك يعتمد هذا الارتباط على قيام الأب بالتفاعل الكافى مع أطفاله ، وهكذا فإن مدى التزام الأب بتربية الأطفال يعد عاملاً جوهرياً فى هذا الصدد . وهناك نتيجة تعتبر من أفضل النتائج التى تم التوصل إليها وهى تلك التى تتمثل فى أن ذكورة الأولاد وأنوثة البنات تزداد بدرجة كبيرة حينما يهتم الأب برعايتهم ويشارك بشكل أكبر فى تربيتهم . وعلى ذلك فإن مدى تشابه الأب مع النمط الكاريكاتيرى للذكورة يعتبر أقل تأثيراً من مشاركته فيما يصور غالبًا على أنه أنشطة أنثوية .

ومن ناحية أخرى يركز علماء التحليل النفسى على قوة وعدوانية الأب وذلك فى تفسيرهم للتوحد (Fenichel, 1945; Jacobson, 1964; Ross, 1979) بينما يتنبأ

أصحاب نظريات التعلم الاجتماعي سواء اختاروا أن يتحدثوا عن التوحد أو النمذجة أنه سيكون من الأكثر احتمالاً بالنسبة للطفل أن يقلد النموذج الذي يتسم شعوره تجاهه بالإيجابية وليس ذلك النموذج الذي يشعر بالخوف منه . وبوجه عام فإن الأدلة المتوفرة حتى الآن تتفق مع هذا الفرض الأخير . ويبدو أن أفضل الآباء تأثيراً على أبنائهم هم أولئك الذين يأخذون دورهم بجدية ويتفاعلون بشكل كبير وشامل مع أطفالهم . ويبدو في سياق مثل هذه العلاقات أن العقابية تعتبر أسلوباً نافعاً وله أهميته . وبالتالي يبدو جلياً في هذا الصدد أن نظرية التعلم الاجتماعي تصور التوحد وتبنى الدور الجنسي بشكل أفضل من نظرية التحليل النفسي .

ومع ذلك فلم تقدم نتائج العديد من الدراسات تدعيماً لتوقعات أصحاب نظريات التعلم الاجتماعي . وعلى الرغم من وجود بعض المشكلات المنهجية فإن النتيجة التي ترى أن ذكورة الأب لا ترتبط في الغالب بذكورة الابن لم تثبت صحة الفرض الذي قدمته نظرية التعلم الاجتماعي والذي يركز على أن التوحد يجب أن يتضمن تشابهاً سلوكياً . إلا أنه مع ذلك لم يدعم ولم يعارض تسليم فرويد Freud بأن التوحد يشير إلى دافع معين أو عملية معينة . فلو كان لب مفهوم التوحد هو الدافع لأن يصبح الطفل شبيهاً بشخص آخر فإن وجود التشابه يعد في أحسن الأحوال مظهرًا ثانويًا لتلك الظاهرة (Bronfenbrenner, 1960) .

وبالنسبة لنظرية بارسونز Parsons فمن الصعب إلى درجة كبيرة أن يتم تقييمها إمبريقياً لأنه لم يتم صياغتها بإتقان كاف ، كما أن افتراضاتها التي يجب التأكد من صحتها تتفق إما مع ما تقدمه نظرية التعلم الاجتماعي أو مع ما تقدمه نظرية التحليل النفسي . ومن جانب آخر فحقيقة اعتبار الدفء الأبوي عاملاً جوهرياً يدل على أن بارسونز قد قام بشكل خاطئ بزيادة التأكيد على الوظيفة الوسيطة للأب والتقليل في نفس الوقت من أهمية دوره التعبيري . ومع ذلك فإن نظرية بارسونز تعتبر هي الأفضل في تفسير حقيقة أن الأب الذي يتسم بالذكورة تتسم بناته بالأنوثة وهو ما يرجع إلى تعلم الدور التكميلي . ويرى مسن وروزرفورد (Mussen & Rutherford 1963) أن مثل هذا الأب يكون أكثر اهتماماً بتشكيل سلوك بناته ، أما تكلمه الدور فلا ترتبط بذلك .

وربما يكون أكثر الفروض شحاً هو ذلك الذى قدمه بارسونز فيما يتعلق بدور الأب فى النمو الخلقى للطفل ، وعلى الرغم من أن نتائج الدراسات فى هذا الموضوع غير حاسمة فإن ذلك يجعل من المستحيل أن نقوم بتقييم الصدق التنبؤى لأى من تلك النظريات فى هذا المجال . وإذا كان النمو الخلقى يعتبر محصلة للتنشئة الاجتماعية التى تقوم بها الأسرة مبكراً فى حياة أطفالها فإن علماء النفس سيكونون بذلك قد حققوا نجاحاً ضئيلاً فيما يتعلق بتصنيف علاقات السبب والنتيجة . ومن المحتمل أن يرجع فشلهم هذا إما إلى عدم ملاءمة منهجية البحث أو إلى عدم الأهمية الفعلية للأسرة فى التنشئة الاجتماعية الخلقية .

وكما لاحظت رادن Radin يبدو أن هناك علاقة بين مدى دفاء علاقة الأب بالطفل وبين الأداء الأكاديمى لهذا الطفل . ويتفق ذلك مع ما تقدمه نظرية التعلم الاجتماعى من افتراضات ترى أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأطفال أن يقوموا بمحاكاة الأشخاص الذين يشعرون بعاطفة قوية تجاههم كما يقومون أيضاً بالتوحد معهم . ومع ذلك فقد يكون هناك توتر فى العلاقة بين الأب وابنته وهو ما يجعل البنات أقل شغفاً على أن يتخذن من آبائهن نماذج لهن . كما أن التناقض الموجود لديهن فيما يتعلق بالإنجاز قد يدعمه الرفض الصريح لكفاءتهن الأكاديمية . ونظراً لأن الأدوار الجنسية الأنثوية قد تم إعادة تقييمها فإن عدم تأكد الآباء من الأدوار الحالية والمستقبلية لبناتهم قد أعاقهم كثيراً كما ترى رادن وإبشتاين (١٩٧٥) Radin & Epstein ، ونظراً لانشغال الآباء بالتنميط الجنسى بشكل يفوق الأمهات فإن التناقض والتوتر يكونان أكثر ظهوراً فى العلاقة بين الأب والبنت منها فى العلاقة بين الأم والبنت .

وباختصار لم تتفق أى نظرية بشكل كامل مع ذلك الدليل على أثر الأب ، إلا أن ثلاثتهن تبدين صحيحة - النظريات - فى جوانب معينة من هذا الأثر . وعلاوة على ذلك لا يبدو أن إجراء دراسات أخرى فى الوقت الحالى تسير فى ضوء المنهجية العلمية المتبعة فى الأبحاث التى تم إجراؤها فى هذا المجال سوف يسمح بتفنيذ أى نظرية أو إثبات صحتها بشكل لا لبس فيه . وتبدو أكثر المشاكل وضوحاً فى اعتماد الباحثين بشكل كبير على الاستراتيجيات الارتباطية . وحتى إذا كانت المشاكل المنهجية الأخرى التى قد تتمثل فى المصادر غير المستقبلية للدليل المقدم والصدق المشكوك فيه لمعظم الأدوات المستخدمة قد

تم التغلب عليها فسوف يظل الباحثون غير قادرين على أن يقوموا بالتمييز بين الأسباب ، والمتلازمات ، والنتائج . وفي سبيل تحديد وتقرير أن سمات خاصة بالعلاقة بين الأب والطفل تؤثر على جوانب معينة من شخصية الطفل يصبح من الضروري أن نستخدم تلك الاستراتيجيات الارتباطية التي تسمح بالاستنتاجات السببية التي من شأنها أن تدعم الدراسات التجريبية وشبه التجريبية . ولسوء الحظ فإن مثل تلك الاستراتيجيات لم تستخدم إلا نادراً .

وتساعد جهودنا في هذا الإطار تساندها محاولات جادة في فهم طبيعة التفاعل داخل الأسرة إذ أصبحت مفاهيم مثل رعاية الأبناء nurturance والعقابية Punitiveness والذكورة masculinity بمثابة مفاهيم تتسم بالغموض إلى درجة كبيرة ، إضافة إلى عدم التحديد والذاتية وهو ما يؤثر على قيمتها التنبؤية . وقد أدى إعادة تقييم نفس مفهوم دور الأب في ضوء الوصف التقليدي للذكورة إلى زيادة تعقيد الأمور بشكل أكبر . وبسبب تلك التغيرات التي تمت حديثاً في التعريفات الثقافية للسلوك الملائم للدور فلم يبق سوى القليل مما يمكن قوله عن آثاره على الأطفال . ومع ذلك فمن الواضح أن مشاركة الأب في تربية الأبناء لا ينظر إليها الأطفال على أنها سلوك غير ذكوري ، بل يتوقعون في واقع الأمر من أبيهم أن يكون مؤثراً عليهم ويشاركهم انفعالياً مثل أمهم حتى وإن كانت مشاركته لهم أقل من الأم (e.g. Bowerman & Elder, 1963) .

وقد أوضحت دراسات عديدة أن الآباء ينشغلون أكثر من الأمهات بتبني القيم الثقافية والأدوار الجنسية المحددة بشكل تقليدي . وعندما يفضل الآباء المعاصرون أدواراً جنسية تقوم على المساواة بين الجنسين بشكل أكبر يجب أن يقوموا بتبني مثل هذه الأدوار وأن يوضحوا من خلال أنماط سلوكهم أن السلوك غير التقليدي ينسجم مع الهوية الجنسية الذكورية . وليس هناك سبب يجعلنا نغالي في توقعاتنا بأن أثر الأب على الأطفال سوف يقل من جراء هذه التطورات إذ أنه لو أدت زيادة مشاركة العديد من الآباء غير المشاركين لأطفالهم فإنها ستضع حدًا أقصى للدلالة التقويمية للعلاقة بين الأب والطفل .

بدلاً من محاولة فهم تأثير الأب عن طريق دراسة أثر مختلف السمات التي يتميز بها الأب كالذكورة ، والعقابية ، ورعاية الأبناء أى الدفء الأبوى فإن العديد من الباحثين قد قاموا بدراسة دور الأب عن طريق إجراء المقارنات بين أطفال تربوا مع آبائهم وآخرين تربوا بدونهم ، وافترضوا إجرائياً أن الفروق التي قد توجد بين هاتين المجموعتين من الأطفال ترجع إلى الآثار المباشرة للأب .

كما ركزت معظم الدراسات على نمو الدور الجنسي وتبنت غالبيتها تعريفاً تقليدياً جداً للذكورة - الأنوثة تم في ضوءه تقييم الانحرافات عنه سلبياً (Biller, 1976, 1974, 1971) وكشفت دراسات عديدة عن أن البنين الذين تربوا بدون آبائهم كانوا أقل ذكورة من أقرانهم الذين تربوا مع آبائهم (e.g. Santrock, 1977, Darke & Mc Dougall, 1970a) أو أظهروا ذكورة مبالغاً فيها وهى بطبيعة الحال تعد ذكورة تعويضية، كذلك فقد أظهروا العدوانية أيضاً (e.g. Pettigrew, 1964) .

وعندما تم تناول عمر الطفل حينما تم الانفصال بينه وبين أبيه كمتغير أوضحت الدراسات أن غياب الأب له أكبر الأثر على مدى ذكورة الأولاد الذين انفصل عنهم آباؤهم في طفولتهم المبكرة (Hetherington, 1972; Santrock, 1970b) (e.g. Hetherington & Deur, 1971; Carlsmith, 1964) . وربما يرجع ذلك إلى أن وسائل التنشئة الاجتماعية البارزين في الأسرة تزداد أهميتهم تدريجياً مع نمو الطفل (Mischel, 1970) . وعلاوة على ذلك فإن وجود نموذج ذكري غير الأب كالأخ الأكبر على سبيل المثال قد يمنع الآثار السلبية التي يسببها غياب الأب (e.g. Santrock, 1970a; Wohlford, et al., 1971) على الرغم من أن بيلر (١٩٦٨، ١٩٧١ - أ) يرى أن الأب يعتبر هو أفضل نموذج للدور على الإطلاق .

وبالنسبة للبنات فإن غياب الأب يرتبط بالصعوبات التي قد تواجههن لاحقاً في تفاعلهن مع الذكور (Hetherington, 1972; Jacobson & Rayder, 1969) على الرغم من أن هينلاين وفيج (١٩٧٨) Hainline & Feig لم يدعما هذه النتيجة بل توصلا إلى نتائج مختلفة . ومن ناحية أخرى فقد أوضحت بعض الدراسات مثل دراسة لاندى

وآخرين (Landy, et al., 1967) وجاكوبسون ورايدر (Jacobson & Rayder 1969) أن بعض البنات اللاتي تمت تربيتهم بدون آبائهن قد كن رافضات للأئوثة . إلا أن دراسات أخرى كدراسة لين وسوراى (Lynn & Sawrey 1959) وسانتروك (1970-أب) Santrock لم تتوصل إلى مثل هذه النتائج بل توصلت إلى نتائج مغايرة ، وبالتالي لم تستطع أن تقدم دليلاً يدعم تلك النتائج . ويبدو كما ترى هيدرنتون (1972) Hetherington أن غياب الأب فى سن مبكرة من حياة البنات له خطورته عليهن على الرغم من أن آثاره قد تظل غير ملحوظة حتى يصلن إلى مرحلة المراهقة . ومع ذلك فنظراً لوجود نموذج للدور من نفس جنسهن فإن البنات تحتجن الآثار السيئة التى تنجم عن غياب الأب والتي يعانى منها البنون . ويرى أوشمان (Oshman 1975) أن البنات اللاتي كان يغيب أبأوهن عنهن قد حصلن على مقياس تبنى الدور الجنسى SAT على درجات أعلى من قريناتهن اللاتي لم يغيب عنهن أبأوهن . ويقرر وارشاك وسانتروك (Warshak & Santrock 1979) أن الأطفال الذين يعيشون مع أحد الوالدين فقط وهو الوالد من الجنس الآخر كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهم أن تظهر عليهم آثار سلبية .

ويبدو أن النمو الخلقى يتأثر هو الآخر بغياب الأب . ويرى العديد من الباحثين أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأطفال الجانحين أن ينحدروا من أسر يغيب عنها الأب (e.g. Bacon, et.al., 1963; Siegman, 1966) على الرغم من أن غياب الأب ليس له أثر مميز وواضح على نمو الضمير بالنسبة للبنات (Hoffman, 1971a; Clausen, 1961).

وفىما يتعلق بالتحصيل والأداء المدرسى فإن تدنى مستوى الأداء فى المدرسة يعتبر أحد الآثار الأكثر ثباتاً التى يخلفها غياب الأب على البنين إضافة إلى تدنى مستوى قدراتهم العقلية (Blanchard & Biller, 1971) (Santrock, 1972; Sciarra, 1975) على الرغم من أنه يمكن اجتناب مثل هذه الآثار حينما تلعب الأم دوراً وسيلياً فى غياب الأب (Hillenbrand, 1976) . ومع ذلك فإن غياب الأب ليس له نفس الأثر على الدفاعية للإنجاز لدى البنات (e.g. Santrock, 1972; Sciarra, 1975) . ومن ناحية أخرى كان البنون الذين يغيب عنهم أبأوهم ويتمون إلى إحدى الطبقتين الدنيا أو المتوسطة لا يتميزون بالأساليب المعرفية الذكرية أى التحليلية (e.g. Lessing, et al., 1970) (Santrock, 1972; Carlsmith, 1973) وكانوا أكثر

اعتمادًا على المجال (e.g. Goldstein & Peck, 1973; Chapman, 1977). كما توصلت رادن (1976) إلى أن غياب الأب له أثر ضئيل أو ليس له أثر على سلوك الإنجاز لدى الأطفال الذين يغيب عنهم آبائهم .

كذلك يرتبط غياب الأب بدرجة كبيرة من السهولة في إقامة علاقات مشبعة بين الأقران (e.g. Le Corgene & Laosa, 1976; Ellison, 1979) وفي تحقيق الأطفال للتوافق ، وفي تحقيقهم للنجاح في إقامة علاقات جنسية غيرية مشبعة بعد ذلك حينما يتزوجون (e.g. Barclay, et al., 1972; Hetherington, 1972) وخاصة بالنسبة للبنين . وكما كنا نتوقع فإن رد فعل البنين لفقد آبائهم في الحرب يكون أكثر سلبية من رد فعل البنات (Lifshitz, et al., 1977) .

### نظرة ناقدة :

أشار كل من هيرزوج وسوديا (1973، 1970) Herzog & Sudia وبراندوين وآخرون (1974) Brandwein, et al., وشين (1978) Shinn كل في مراجعته التي قام بها للتراث السيكلوجي حول هذا الموضوع أن الدراسات التي تناولت آثار غياب الأب تتسم بنقص في دقتها المنهجية ، وبالنسبة للعينات التي أجريت عليها هذه الدراسات وخاصة تلك التي تناولت العلاقة بين غياب الأب وجناح الأحداث كان الأطفال الذين يغيب عنهم آبائهم وأقربانهم الذين لم يغيب آبائهم يتمون إلى خلفيات اقتصادية اجتماعية تتميز باختلافها إلى حد شاسع . وعادة ما يرجع غياب الأب عن المنزل إلى الطلاق ، ولا يخفى علينا ما لعملية الطلاق نفسها من آثار سلبية على الأطفال (Wallerstein & Kelly, 1974, 1975, 1976) (Hetherington, et al., 1976, 1978) .

وإضافة إلى ذلك فهناك عوامل عديدة لم يتم تشيبتها في تلك الدراسات وهو الأمر الذي يجعلها تؤثر على النتائج الفعلية التي يتم التوصل إليها . وتتضمن هذه العوامل الوقت الذي غاب فيه الأب عن المنزل ، وعمر الطفل عند حدوث الغياب ، وأسباب هذا الغياب ، وهل هي الطلاق أم الوفاة أم الخدمة العسكرية (e.g. Hetherington, 1972; Santrock, 1977; Santrock & Wohlfrord, 1970) وتركيب الأسرة ، أو وجود أخوة وريائب (زوجة الأب أو زوج الأم) وأجداد (e.g. Chapman, 1971; Santrock, 1972) والمستوى الاقتصادي الاجتماعي

والثقافة العرقية وسلوك الأم ورد فعل الأم لهذا الانفصال ، ومدى الخلافات الزوجية السابقة لحدوث الانفصال (e.g. Biller, 1970; Biller & Bahm, 1971) Hillenbrand, 1976) . ويرى هيس وكامارا (١٩٧٩) Hess & Camara أن مقدار العلاقات التي يقيمها الأطفال مع الوالدين بعد الطلاق تعتبر منبئًا عن توافقهم أو سوء توافقهم وذلك بدرجة أكبر من مستوى الخلافات بين الوالدين .

وهناك سببان يجعلاننا لا نستطيع أن نتجاهل كلية نتائج تلك الدراسات التي تناولت غياب الأب هما :

١ - أن تلك الدراسات القليلة التي تتميز بدقتها المنهجية قد كشفت بالفعل عن فروق ذات دلالة احصائية بين الأطفال الذين تربوا مع آبائهم وبين أقرانهم الذين تربوا بعيدًا عنهم .

٢ - وجود تطابق بين نتائج الدراسات التي نحن بصددنا ونتائج دراسات استخدمت استراتيجيات أخرى لدراسة العلاقة بين الأب والطفل .

وتؤكد الدراسات التي تناولت غياب الأب أن الأب يؤثر على الأدوار الجنسية للأطفال ، وعلى أخلاقياتهم ، وإنجازهم وتحصيلهم ، وتوافقهم النفسي . وأخيرًا فإن الأطفال الذين يتسم آباؤهم بغيابهم النفسي عنهم كأن يكون هؤلاء الآباء غير ودودين مثلاً أو يقل تواجدهم بالمنزل والتأثير فيهم يعانون من عواقب شبيهة بتلك التي يعاني منها أقرانهم الذين يغيب عنهم آباؤهم جسديًا على الرغم من عدم التطابق التام بين آثار الغياب في الحالتين (Blanchard & Biller, 1971) (e.g. Hoffman, 1971a) .

وقد حاولت بوس Boss وزملاؤها (Boss, 1977; Boss, Mc Cubbin & Lester, 1979) تحديد أهم السمات المميزة لاستجابة كل من الأم والأسرة التي تميز بين ردود الفعل السوية والمرضية للغياب المؤقت للأب أو غيابه الذي يدوم لفترة طويلة . ومع ذلك فمن المهم بالنسبة لنا أن نميز بين وجود آثار لهذا الغياب كانخفاض درجة الذكورة لدى البنين الذين يغيب عنهم آباؤهم على سبيل المثال وبين تقييم هذه الآثار كأن نقوم بتقييم البنين الذين تقل ذكورتهم ونضعهم في مرتبة أدنى بناء على ذلك حيث يعتبر انخفاض درجة الذكورة لديهم عيبًا . وفي الواقع يمكن لبعض الآثار المترتبة على غياب

الأب أن تعتبر ميزة أو عيبًا ، أو قد تكون محايدة وذلك اعتمادًا على وجهة النظر التي يتبناها من يقوم بعملية التقييم هذه .

### الأب في السياق الأسري :

على الرغم من تركيزنا هنا على دور الأب في نمو الطفل إلا أنه يبدو أن الأب يعتبر مجرد عنصر واحد فقط في تلك العملية المعقدة متعددة الجوانب التي نطلق عليها التنشئة الاجتماعية . ومما لا شك فيه أن كلا الوالدين يساهم في النمو النفسي لأبنائهما ، ومن غير المحتمل أن تتميز مساهماتها تلك بالاستقلالية عن غيرها من العوامل . وعلى الرغم من بساطة النماذج الثنائية في إدراكها فإن خطورتها تكمن في قدرتها على تشويه الواقع النفسي والاجتماعي للبيئة التي ينمو الطفل فيها ويتطور .

ونظرًا لأن الأطفال عليهم أن يتكاملوا في نسق اجتماعي معقد للغاية فإن عملية التنشئة الاجتماعية نفسها يجب أن تتصف بالتعقيد والمرونة وتعدد الجوانب . ومن غير المدهش أن تتطلب مثل هذه العملية مشاركة العديد من الأشخاص الذين يكمل بعضهم بعضًا . ومن الملاحظ أن المسؤولية الأساسية عن التنشئة الاجتماعية في المجتمعات الغربية قد آلت بشكل تقليدي إلى الأسرة كما يرى برونفينبرنر (١٩٧٥ - ب) Bronfenbrenner وهو فمان وريس (١٩٧٩) Hoffman & Reiss على الرغم من أن الأسرة نفسها قد ب فيها الضعف في الآونة الأخيرة بسبب العدد المتزايد من حالات الطلاق ، ويضيف كوندري وسيمان (١٩٧٤) Condry & Siman إلى أن هذا السبب سبب آخر هو التأثير المتزايد لجماعة الرفاق على الأطفال .

وفي الوقت الذي يتزايد فيه عزل الأطفال عن العمل ينشغل الأطفال بالعمل بدرجة أكبر ويتعدون بالتالي عن أسرهم . ولم تفهم مثل هذه التغيرات بالقدر المطلوب على الرغم من أنه يبدو مؤكدًا أن الأطفال الذين تربوا في أسر ليس بها سوى أحد الوالدين فقط يعتبرون في وضع حرج حيث من المحتمل أن يؤدي غياب الوسيط الأساسي للتنشئة الاجتماعية والذي غالبًا ما يكون هو الأب يؤدي إلى آثار مباشرة على الطفل ، إضافة إلى تلك الآثار غير المباشرة التي تحدث عن طريق التوتر الانفعالي والإجهاد الاقتصادي للوالد الذي يعيش معه الطفل (Herzog & Sudia, 1970; Maccoby, 1977) وإلى عزله الاجتماعية (Hetherington, et al., 1975) .

ومن ناحية أخرى يواجه الآباء الذين يعيشون بدون زوجاتهم صعوبات خاصة في محاولتهم تربية بناتهم على الرغم من أن دي فرين وإيريك (1979) De Frain & Eirick ولام وبرونسون (1980) Lamb & Bronson يرون أن كلا من الآباء الذين يعيشون بدون زوجاتهم والأمهات اللاتي تعشن بدون أزواجهن تواجهن مشاكل متشابهة، كما أن لديهم اتجاهات متشابهة أيضًا. ووجد أوبرين (1978) O'Brien أن الآباء المختلين والذين كانوا يشاركون أطفالهم حياتهم في السابق قد شعروا بعدم الراحة بسبب بقائهم بدون زوجاتهم وممارستهم الأبوة فقط مع أبنائهم.

وتؤلف الأسر المتناسكة بين العديد من العلاقات التبادلية، ومتطلبات الدور، والتوقعات. وبذلك يتم تحديد دور الأب على نطاق أوسع وذلك من خلال مكانته في النسق الأسرى. كما أن المسؤوليات المختلفة والعلاقات داخل الأسرة تتغير بشكل واضح من وقت لآخر، فمع اقتراب البلوغ على سبيل المثال يكتسب الأولاد تأثيرهم في الأسرة على حساب أمهاتهم وذلك في الأسر التي تنتمي إلى الطبقة المتوسطة وعلى حساب آبائهم في الأسر التي تنتمي إلى الطبقة العاملة (e.g. Hill, 1979). كما أن كل عضو داخل السياق الأسرى يؤثر على غيره من الأعضاء (e.g. Belsky, 1981). وبالتالي نجد أنه إلى جانب تأثير الأب على نمو الطفل بشكل مباشر فإنه يؤثر عليه بشكل غير مباشر أيضًا وذلك من خلال تأثيره على أعضاء آخرين في الأسرة. فوجد لايتون (1979) Lytton على سبيل المثال أن وجود الأب في المنزل يزيد من فعالية المحاولات التي تقوم بها الأم للسيطرة على أطفالها. ومع ذلك يجب أن نتجنب افتراض أن الأثر الذي يتركه الأب على الطفل يتم في مجمله بشكل غير مباشر (Feiring, 1976; Lewis & Weinraub, 1976; Feiring & Taylor, 1980). وتأخذنا هذه الوضعيات إلى الوراء بعض الشيء وذلك إلى فترة مبكرة من عمر الأبناء كان الأب يعمل خلالها كبديل للأم، أو كمصدر لتقديم الدعم الانفعالي لها. وعلاوة على ذلك فإن الآثار التي يخلفها الأب سوف تختلف اعتمادًا على مجموعة الأفراد التي تتألف منها الأسرة، فالأخوة على سبيل المثال لا يتفاعلون فقط مع الطفل ويصبحون بذلك عناصر هامة في البيئة الاجتماعية، ولكنهم يؤثرون أيضًا على الطريقة التي يتعامل بها الوالدان مع ذلك الطفل ويدركانه.

ومن ناحية أخرى قام عديد من الباحثين بدراسة أهمية النسق الأسرى في رعاية النمو النفسى للأطفال (Schaefer, 1974; Martin & Hetherington, 1979). ومن أكثر هذه الدراسات التى تم إجراؤها فى هذا الصدد شيوعاً تلك التى توضح الآثار العكسية للخلافات متسعة النطاق داخل الأسرة، والاتجاهات الوالدية العدوانية أو الراضية، والاختلاف حول تربية الأطفال، والطموحات التى تتعلق بمستقبل الطفل بالنسبة للتوافق النفس اجتماعى (e.g. Block, et al., 1980; Rutter, 1979). ومن ناحية أخرى يعتبر الطلاق والخلافات الأسرية أبلغ أثراً على البنين منه على البنات كما يرسى كل من بلوك وآخرين (Block, et al., 1980) وبورتر وأوليرى (Porter & O'Leary, 1980) وكيلي (Kelly, 1980) على سبيل المثال .

وتناولت دراسات أخرى آثار الغياب المؤقت لأحد الوالدين على اتجاه الوالد الآخر نحو الطفل، واتضح من خلالها أن الاتجاهات الإيجابية للأم عن الأب تدعم وتعزز توحيد الابن مع أبيه، وأن اتجاهات الأطفال نحو الأب الغائب ترتبط باتجاهات أمهم نحوه. وإلى جانب ذلك فإن مكانة الأب فى الأسرة تؤثر على تبنى الأطفال للدور الجنسى ورضيتهم فى تحمل المسئولية والقيادة (Bronfenbrenner, 1961b; Biller, 1971b). ومن غير المحتمل أن تتطور العلاقات الحميمة داخل الأسرة إذا لم تكن العلاقة بين الأب والأم إيجابية. وطبقاً لما يراه لانديز (Landis, 1960) فإن إدراك تلك العلاقة الحميمة بالأب يعتبر أفضل مؤشر لتماسك الأسرة وانتشار الألفة بين أعضائها. كما وجد هيث (Heath, 1976) أن الأب الودود الذى يشارك أطفاله فى حياتهم ينعم بالإشباع الزوجى، وبالتصال الصريح مع زوجته، والسعادة النفسية موضعاً بذلك تشابك المظاهر المختلفة للأداء الأسرى.

وتركز مثل هذه النتائج على أوجه القصور التى وجدت فى تلك المحاولات فى سبيل تحديد آثار الأب دون اعتبار للسياق الذى يوجد فيه كل من الأب والطفل. وسوف يعتمد التقدم فى هذا الصدد على فهم أنماط العلاقات داخل النسق الأسرى ككل. ويتطلب ذلك إعادة التوافق بالطريقة التى يتم بها إجراء البحث حول التنشئة الاجتماعية. وبعد أن أوضحنا أن الأب يؤثر على نمو الطفل يصبح علينا أن نحدد الكيفية التى يتم بها هذا التأثير

ومقداره . ويشير عقم العديد من الدراسات التي تناولت التنشئة الاجتماعية ومدى تقبلنا لتعدد وتعدد أبعاد النمو الاجتماعي هذه النقطة الجديدة التي يجب أن نركز عليها .

## خاتمة:

بعد عقود من الاهتمام الذى أولاه الباحثون لدراسة دور الأب فى نمو الطفل لا يزال هناك الكثير الذى لا نعرفه للآن عن هذا الدور . وحتى الآن ليس لدينا سوى بعض المعلومات الوصفية عن طبيعة العلاقة بين الأب وابنه الرضيع ، كما أننا لا نعرف سوى القليل عن نوع العلاقة بين الأب وبين أطفاله الأكبر سناً . وعلاوة على ذلك فإن التراث السيكولوجى حول مرحلة الرضاعة ليس به سوى القليل من الدراسات حول الاتجاهات النهائية وحول تلك العوامل التى تؤثر على أنماط التفاعل داخل الأسرة كالوضع الاقتصادى الاجتماعى على سبيل المثال .

ويستمر هذا النقص فى المعلومات عن طبيعة العلاقة بين الأب والطفل فى إعاقة المحاولات التى تبذل فى سبيل فهم أثر الأب على نمو الطفل ، كما أن معظم الدراسات المتاحة من هذا النوع هى دراسات ارتباطية فى طبيعتها تبحث فى ربط الدرجات التى يحصل عليها الأطفال فى المقاييس المستخدمة بالدرجات التى يحصل عليها الأب على مقاييس للسماة الأبوية التى يعتقد الباحثون أنها على درجة كبيرة من الأهمية فى هذا الصدد . كما أن تلك النتائج التى يتضمنها التراث السيكولوجى حول هذا الموضوع تعد غير حاسمة ، وبالتالى تعتبر محيية للأمال ويرجع ذلك إلى عدم معرفة الباحثين لتلك السماة التى يجب التركيز عليها ، وبالتالى إلى بقاء المقاييس المستخدمة ضئيلة النفع والقيمة .

ويرتكز التقدم فى هذا الجانب على ثلاثة عوامل أساسية يمكن إيجازها على النحو التالى :

١ - تطوير مقاييس عن سماة الشخصية تتمتع بدرجة عالية من الصدق والثبات .

٢ - توفر البيانات الوصفية التى تسمح للباحثين أن يقوموا بفرض الفروض المناسبة عن بصيرة والتحقق من صحتها .

٣ - تقبل العلاقات المعقدة التى توجد بين محددات النمو النفسى .

ومن الجدير بالذكر أنه قد تم تناول هذه العوامل فى هذا الكتاب الذى بين أيدينا الآن وذلك بدرجة وافية من التفصيل .

ويمثل تعلق البيانات والأدلة المتاحة - مع بعض الاستثناءات بطبيعة الحال - بالأب التقليدي في الأسر التقليدية المتأسرة وهي الأسر التي يتناقص فيها بشكل ثابت عدد الأطفال الذين تتم تربيتهم نتيجة للاتجاهات الاقتصادية والديموجرافية السائدة يمثل وجهًا إضافيًا من أوجه القصور تلك . ومع ذلك فنحن لا نعلم للآن سوى القليل عن أنماط التفاعل والتأثير داخل أساط الأسر غير التقليدية التي ظهرت في الوقت الراهن . وحيثما يتم إجراء البحوث على مثل تلك الأسر غير التقليدية كأن تجرى على غياب الأب أو عمل الأم على سبيل المثال فإننا نواجه بعض العوامل المربكة التي لا تساعدنا في التمييز بين تلك العناصر ، كما أننا نواجه أيضًا بالمقاييس غير الجيدة ، وبعدم الدقة المنهجية . إلا أن عددًا من المحاولات تبذل في الوقت الراهن في سبيل سبر غور عمليات النمو والتأثير داخل الأسر غير التقليدية تم بعضها ولا يزال البعض الآخر قيد الدراسة . لكن المهم هنا أنه قد تم لفت الأنظار إلى مثل هذه الأسر مما قد يساهم كثيرًا في معرفة المزيد من المعلومات التي لا نزال نجهلها حتى وقتنا هذا . (Field, 1978; Radin, 1978; Russell, 1978; Lamb, 1981)

\* \* \*

## مراجع الفصل الرابع

- Abelin, E. L (1971). The role of the father in the separation - individuation process. In I. B. McDevitt & C.F. Settlage (Eds.), Separation-individuation. New York: International Universities Press.
- Abelin, E. L. (1975). Some further observations and comments on the earliest role of the father. *International Journal of Psychoanalysis*, 56, 293-302.
- Abelin, E. L(1980). Self-image, gender identity, and the early triangulations, Manuscript in preparation.
- Aberle, D. F., & Naegele, F. D. (1952). Middle-class father's occupational role and attitude toward children. *American Journal of Orthopsychiatry*, 22, 366-378.
- Ainsworth, M. D. S. (1963). The development of infant-mother attachment among the Ganda. In B. M. Foss (Ed.), *Determinants of infant behavior*. Vol. 2. London : Methuen.
- Ainsworth, M. D. S. (1967). *Infancy in Uganda: Infant care and the growth of love*. Baltimore : Johns Hopkins Press.
- Ainsworth, M. D. S. (1973). The development of infant-mother attachment. In B. M. Caldwell & H. N. Ricciuti (Eds.), *Review of child development research*, Vol. 3. Chicago: University of Chicago Press.
- Ainsworth, M. D. S. (1979). Attachment as related to mother-infant interaction. In J. S. Rosenblatt, R. A. Hinde, C. Beer, & M. Busnel (Eds.), *Advances in the study of behavior*, Vol. 9. New York :Academic Press.
- Ainsworth, M. D. S., & Bell, S. M. (1970). Attachment, exploration and separation: Illustrated by the behavior of one-year-olds in a strange situation. *Child Development*. 41, 49-67.
- Ainsworth, M. D. S. Bell, S. M., & Stayton, D. J. (1971). Individual differences in strange situation behavior of one-year-olds. In H. R. Schaffer (Ed.), *The origins of human social relations*. London :Academic.
- Ainsworth, M. D. S. , Bell, S. M., & Stayton, D. J. (1974). Infant-mother attachment and social development : Socialisation as a product of reciprocal responsiveness to signals. In M. P. M. Richards (Ed.), *The integration of a child into a social world*. Cambridge : Cambridge University Press.

- Ainsworth, M. D. S., Blehar, M. C., Waters, E., & Wall, S. N. (1978). Patterns of attachment. Hillsdale, N. J.: Lawrence Erlbaum Associates.
- Aldous, I. (1975). The search for alternatives: Parental behaviors and children's original problem solution. *Journal of Marriage and the Family*, 37, 711-722.
- Aldous, I. (1977). Family interaction patterns . *Annual Review of Sociology*, 3,105-135.
- Alexander, I. F. (1973). Defensive and supportive communications in normal and deviant families. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 40, 223-231.
- Allen, V. L. , & Crutchfield, R. S. (1963). Generalization of experimentally-reinforced conformity. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 67, 326-333.
- Altucher, N. (1957). Conflict in sex identification in boys. Unpublished doctoral dissertation, University of Michigan.
- Altus, W. D. (1958). The broken home and factors of adjustment. *Psychological Reports*, 4, 477-479.
- Ammons, R. B., & Ammons, H. S. (1949). Parent preference in young children's doll play interviews. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 44, 490-505.
- Andry, R. G. (1957). Faulty paternal and maternal-child relationships, affection and delinquency. *British Journal of Delinquency*, 8, 34-48.
- Andry, R. G. (1960). *Delinquency and parental pathology*. London : Methuen.
- Andry, R. G. (1962). Paternal and maternal roles and elinquency. In *Deprivation of maternal care :A reassessment of its effects*. Geneva: WHO.
- Angrilli, A. F. (1960). The psychosexual identification of pre-school boys. *Journal of Genetic Psychology*, 97, 327-340.
- Anzimi, C. (1954). Masculinity, femininity and perception of warmth and saliency in parent-son relationships. Unpublished doctoral dissertation., Michigan State University.
- Arnold, R., Bulates, R., Buripakdi, C., Ching, B. 1., Fawcett, J. T., Iritanti, T., Lee, S. 1. , & Wu, T. S. (1975). *The value of children: Introduction and comparative analyses*, Vol. 1. Honolulu :East- West Population Institute.

- Arnstein, H. (1972). The crisis of becoming a father. *Sexual Behavior*, 2, 42, -48.
- Aronoff~ J., & Crano, W. D. (1975). A reexamination of the crosscultural principles of task segregation and sexrole differentiation in the family, *American Sociological Review*, 40, 12-20.
- Atkinson, J., & Endsely, R. C. (1976). Influence of sex of child and parent on parental reactions to hypothetical parent-child situations. *Genetic Psychology Monographs*, 94, 131-147.
- Bach, G. R. (1946). Father-fantasies and father-typing in father-separated children. *Child Development*, 17, 63-80.
- Bacon, M. K., Child, I. L., & Barry, H. (1963). Across-cultural study of correlates of crime. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 66, 291-300.
- Baldwick, J. O. , & Balkwell, J.W. (1977). Self -disclosure to same and opposite-sex parents : An empirical test of insights from role theory. *Sociometry* 40, 282-286.
- Baldwin, A. (1961). The Parsonian theory of personality. In M. Black (Ed.), *The social theories of Talcott Parsons*. Englewood Cliffs, N. J. : Prentice Hall.
- Ban, P., & Lewis, M. (1974). Mothers and fathers, girls and boys: Attachment behavior in the one-year-old. *Merrill-Palmer Quarterly*, 20, 195-204.
- Bandura, A. (1968). Social-Learning theory of identificatory Process. In D.S. Goslin & D. C. Glass (Eds.), *Hanbook of socialization theory and research*. Chicago : Rand McNally.
- Bandura, A. (1977). *Social learning theory*. Englewood Cliffs, N. J. :Prentice-Hall.
- Bandura, A., &Huston, A. C. (1961). Identification as a process of incidental learning. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 63, 311-318.
- Bandura, A., & Walters, R. H. (1959). *Adolescent aggression :A study of the influence of child-rearing practices and family interrelationships*. New York : Ronald.
- Banriura, P., & Walters,R. H. (1963). *Social learning and personality development*. New York :Holt, Rinhehart, & Winston.
- Bane, M. J. (1976). *Here to stay :American families in the twentieth century*. New York :Basic Books.

- Barclay, A. G., & Cusumano, D. (1967). Father absence, cross-sex identity ,and field-dependent behavior in male adolescents. *Child Development*, 38, 243-250.
- Barclay, I. R., Stilwell, W. E., & Barclay, L. K. (1972). The influence of parental occupational Behavior, 2, 433-446.
- Bardwick, J. M. (1971). *Psychology of women*. New York: Harper & Row.
- Barnett, R. C. (1979). Parental child-rearing values :Today and yesterday. Unpublished manuscript, Wellesley College.
- Barnett, R. C. & Baruch, G. K. (1978). The competent woman : Perspectives on development. New York Irvington.
- Barry, H., Bacon, M. K., & Child, I. L. (1957). A cross-cultural survey of some sex differences in socialization . *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 55, 327 -332.
- Bartemeier, L. (1953). The contribution of the father to the mental health of the family. *American Journal of Psychiatry*, 110, 277-280.
- Bartlett, C. J , & Horrocks, J. E. (1958). A study of the needs status of adolescents from broken homes. *Journal of Genetic Psychology*, 93, 153-159.
- Baruch, D. (1937). A study of reported tension in interparental relationships as coexistent with behavior adjustment in young children . *Journal of Experimental Education*, 6, 187-204.
- Baruch, D., & Wilcox, A. I. (1944). A study of sex differences in preschool children's adjustment coexistent with interparental tensions. *Journal of Genetic Psychology*, 64, 281-303.
- Baruch, G. K., & Barnett, R. C. (1979). Father's participation in the care of their preschool children. Unpublished manuscript, Wellesley College.
- Baumrind, D., & Black, A. E. (1967). Socialization practices associated with dimensions of competence in preschool boys and girls. *Child Development*, 38, 291-327.
- Bears ion D. I. (1979). Sex-linked patterns of socialization. *Sex Roles*,5,11-18.
- Becker, W. C. (1960). The relationship of factors in parental ratings of self and each other to the behavior of kindergarten children. *Journal of Consulting Psychology*, 24,507-527.

- Becker, W. C. (1964). Consequences of different kinds of parental discipline. In M. L. Hoffman, & L. W. Hoffman (Eds.), *Review of child development research*, Vol. 1. New York :Russell Sage Foundation.
- Becker, W. C., Peterson, D. R., Hellmer, L. A., Shoemaker, D. J., & Quay, H. C. (1959). Factors in parental behavior and personality as related to problem behavior in children. *Journal of Consulting Psychology*, 23, 107-118.
- Beier, E. G. (1953). The parental identification of male and female college students. *Journal of Abnormal and Social psychology*, 48, 569-572.
- Bell, R. Q. (1968). A reinterpretation of the direction of effects in studies of socialization. *Psychological Review*, 75, 81-95.
- Bell, R. Q. (1971). Stimulus control of parent or caretaker behavior by offspring. *Developmental Psychology*, 4, 63-72.
- Belsky, J. (1979). Mother -father -infant interaction : A naturalistic observational study. *Developmental Psychology*, 15, 601-607.
- Belsky, J. (1981). Early human experience : A family perspective. *Developmental Psychology*, 17, 3-23.
- Belsky, J. & Steinberg, L. D. (1978). The effects of day care : A critical review. *Child Development*, 49, 929-949.
- Benson, L. (1968). *Fatherhood: A sociological perspective*. New York: Random House.
- Bernal, J. F. , & Richards, M. P. M. (1973). What can the zoologist tell us about human development? In S. A. Barnett (Ed.), *Ethology and development*. London: Heinemann.
- Bernhardt, K. S. (1957). The father in the family. *Bulletin of the Institute for Child Study*, 19, 2-4.
- Bieri, J. (1960). Parental identification, acceptability, and authority, and within-sex differences in cognitive behavior. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 60, 76-79.
- Bijou, S. W. , & Baer, O. M. (1966). *Child development I. A systematic and empirical theory*. New York :Appleton -Century -Crofts.
- Biller, H. B. (1968). A multispect investigation of masculine development in kindergarten-age boys. *Genetic Psychology Monographs*, 76, 89-139.

- Biller, H. B. (1969). Father absence, maternal encouragement, and sex-role development in kindergarten age boys. *Child Development*, 40, 539-546 (a).
- Biller, H. B. (1969). Father dominance and sex role development in kindergarten age boys. *Development Psychology*, 1, 87-94 (b).
- Biller, H. B. (1970). Father absence and the personality development of the male child. *Developmental Psychology*, 2, 181-201.
- Biller, H. B. (1971a). *Father, child, and sex role*. Lexington, Mass: Heath.
- Biller, H. B. (1971). The mother-child relationship and the father-absent boy's personality development. *Merrill-Palmer Quarterly*, 17, 227-241 (b).
- Biller, H. B. (1974a). Paternal and sex-role factors in cognitive and academic functioning. In J. K. Cole & R. Oienstbier (Eds.), *Nebraska symposium on motivation*. Lincoln : University of Nebraska Press.
- Biller, H. B. (1974b). Paternal deprivation, cognitive functioning, and the feminized classroom. In A. Davids (Ed.) *Child personality and psychopathology: Current topics*. New York :Wiley.
- Biller, H. B. (1974c). *Paternal deprivation: Family, school, sexuality and society*. Lexington, Mass. : Heath.
- Biller, H. B., & Bahm, R. M. (1971). Father absence, perceived maternal behavior, and masculinity of selfcontrol among junior high school boys. *Developmental Psychology*, 4, 178-181.
- Biller, H. B. & Borstelmann, L. 1. (1967). Masculine development: An integrative review. *Merrill-Palmer Quarterly*, 13, 253-294.
- Biller, H. B., & Meredith, D. L. (1974). *Father power*. New York :David McKay.
- Biller, H. B.. & Weiss, S. D. (1970). The father -daughter relationship and the personality development of the female. *Journal of Genetic Psychology*, 116, 79-93.
- Birdwhistell, R. L. (1957). Is there an ideal father? *Child Study*, 34, 29-33.
- Birnbaum, J. A. (1971). *Life patterns, personality style, and self esteem in gifted family oriented and career committed women*. Unpublished doctoral dissertation, University of Michigan.

- Black, M. (Ed.), (1961). The social theories of Talcott Parsons. Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall.
- Blaine, G. B. (1963). The children of divorce. The Atlantic, 98-101.
- Blanchard, R. W., & Biller, H. B. (1971). Father availability and academic performance among third grade boys. Developmental Psychology, 4, 301-305.
- Blehar, M. C. (1974). Anxious attachment and defensive reactions associated with day care. Child Development, 45, 683-692.
- Block, J. (1971). Lives through time. Berkeley : Bancroft.
- Block, J., van der Lippe, A., & Block, I. H. (1973). Sex role and socialization : Some personality concomitants and environmental antecedents. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 41, 321-341.
- Block J. H. (1979). Another look at sex differentiation in the socialization behaviors of mothers and fathers. In F. Denmark (Ed.), Psychology of women : Future directions of research. New York : Psychological Dimensions.
- Block, J. H., Block, I. & Morrison, A. (1980). Parental agreement-disagreement on childrearing orientations and gender-related personality correlates in children. Unpublished manuscript, University of California, Berkeley.
- Boehm, F. (1930). The femininity complex in men. International Journal of Psychoanalysis, 11, 444-469.
- Bordua, D. J. (1960). Educational aspirations and parental stress on college. Social Forces, 38, 262-269.
- Boss, P. G. (1977). A clarification of the concept of psychological father presence in families experiencing ambiguity of boundary. Journal of Marriage and the Family, 39, 141-151.
- Boss, P. G., McCubbin, H. I. & Lester, G. (1979). The corporate executive wife's coping patterns in response to routine husband - father absence. Family Process, 18, 79-86.
- Bossard, J. H., & Bell, E. S. (1966). The sociology of child development. New York: Harper & Row.
- Bowerman, C. E. & Elder, G. H. (1964). Variations in adolescent perception of family power structure. American Sociological Review, 29, 551-567.

- Bowlby, J. (1944). Forty-four juvenile thieves : Their characters and home life. *International Journal of Psychoanalysis*, 25, 107-128.
- Bowlby, J. (1951). *Maternal care and mental health*, Geneva :WHO.
- Bowlby, J. (1958). The nature of the child's tie to his mother. *International Journal of Psychoanalysis*, 39, 350-375.
- Bowlby, J. (1969). *Attachment and Loss, Vol. 1. Attachment*. New York : Basic Books.
- Bowlby, J. (1973). *Attachment and Loss, Vol. 2. Separation :Anxiety and anger*. New York :Basic Books.
- Brandwein, R. A. Brown, C. A. ,& Fox, E. M. (1974). Women and children last :The social situation of divorced mothers and their families. *Journal of Marriage and the Family*, 36, 498-514.
- Braskamp, L. A., & Flessner, D. (1971). The congruency between parental and entering freshman expectations. *Journal of College Student personnel*, 12, 179-185.
- Brayman, R., & DeFrain, J. (1979). Sex role attitudes and behaviors of children reared by androgynous parents. Paper presented to the Groves Conference on Marriage and the Family, Washington, D. C., April.
- Brenton, M. (1966). *The American male*. New York : Howarrd McCall Inc.
- Briffault, R. (1927). *The mothers*. New York : Macmillan.
- Brim, O. G. (1958). Family structure and sex role learning by children. *Sociometry*, 21, 1-16.
- Brody, S. (1956). *Patterns of mothering*. New York : International Universities Press.
- Brody, S., & Alxelrad, S. (1978). *Mothers, fathers, and children*. New York: International University Press.
- Bronfenbrenner, U. (1958). The study of identification through interpersonal perception. In R. Tagiuri & L. Petrullo (Eds.), *Person perception and interpersonal behavior*. Stanford: Stanford University Press.
- Bronfenbrenner, U. (1960). Freudian theories of identification and their derivatives. *Child Development*, 31, 15-40.
- Bronfenbrenner, U. (1961a). Parsons theory of identification. In M. Black (Ed.), *The social theories of Talcott Parsons*. Englewood Cliffs, N. J. : Prentice Hall.

- Bronfenbrenner, U. (1961b).** Some familial antecedents of responsibility and leadership in adolescents. In L. Petrullo & B. M. Bass (Eds.), *Leadership and interpersonal behavior*. New York: Holt, Rinehart, & Winston.
- Bronfenbrenner, U. (1961).** The changing American child. *Journal of Social Issues*, 17, 6-18 (c).
- Bronfenbrenner, U. (1967).** The psychological costs of quality and inequality in education. *Child Development*, 38, 909-925.
- Bronfenbrenner, U. (1972).** The roots of alienation. In U. Bronfenbrenner (Ed.), *Influences on human development*. Hinsdale, Ill.: Dryden.
- Bronfenbrenner, U. (1973).** Who cares for America's children? In F. Reberly & L. Dorman (Eds.), *Child development and behavior*, 2nd ed. New York: Knopf.
- Bronfenbrenner, U. (1974a).** Is early intervention effective? Washington, D. C.: Department of Health, Education, & Welfare, Office of Child Development.
- Bronfenbrenner, U. (1974).** The origins of alienation. *Scientific American*, 23, 53-61(b).
- Bronfenbrenner, U. (1975a).** Research on the effects of day care. unpublished manuscript, Cornell University.
- Bronfenbrenner, U. (1975b).** Social change: The challenge to research and policy. Paper presented to the Society for Research in Child Development, Denver, April.
- bronfenbrenner, U. (1975c).** Who cares for America's children? Unpublished manuscript, Cornell University.
- Bronfenbrenner, U. (1979).** *The ecology of human development*. Cambridge, Mass.: Harvard University Press.
- Bronson, W. C. (1959).** Dimensions of ego and infantile identification. *Journal of Personality*, 27, 532-545.
- Brooks, J., & Lewis, M. (1974).** Attachment behavior in thirteen month-old, opposite sex twins. *Child Development*, 45, 243-247.
- Brown, D. G. (1956).** Sex role preference in young children. *Psychological Monographs*, 70, 1-19.
- Brown, D. G. (1957).** Masculinity-femininity development in children. *Journal of Consulting Psychology*, 21, 197-203 (a).

- Brown, D. G. (1957). The development of sex role inversion and homosexuality. *Journal of Pediatrics*, 50, 613-619 (b).
- Brown, D. G. (1958). Inversion and homosexuality. *American Journal of Orthopsychiatry*, 28, 424-429 (a).
- Brown, D. G. (1958). Sex role development in a changing culture. *Psychological Bulletin*, 55, 232-242.
- Burgess, E. S. (1926). The family as a unity of interacting personalities. *The Family*, 7, 3-9.
- Burgess, E. W., & Locke, H. I. (1953). *The family*. New York: American Book Co.
- Burke, R. J., & Weir, T. (1977). Working men as fathers of adolescents. Unpublished manuscript, York University.
- Burlingham, D. (1973). The pre-oedipal infant-father relationship. *Psychoanalytic Study of the Child*, 28, 23-47.
- Burton, R. W., & Whiting, J. W. M. (1960). The absent father :Effects on the developing child. Paper presented to the American Psychological Association, Chicago, September.
- Burton, R. W., & Whiting, J. W. M. (1961). The absent father and cross-sex identity . *Merrill-palmer Quarterly*, 7,85-95.
- Caldwell, B. M. (1964). The effects of infant care. In M. L. Hoffman & L. W. Hoffman (Eds.), *Review of child development research*, Vol. 1 . New York: Russell Sage Foundation.
- Caldwell, B. M., Wright, C. M. , Honig, A. S., & Tannenbaum, J. (1970). Infant day care and attachment. *American Journal of Orthopsychiatry*, 40, 397-412.
- Caplan, G. (1959). *Concepts of mental health and consultation*. Washington, D. C. :U. S. Department of Health, Education and Welfare.
- Carlsmith, L. (1964). Effect of early father-absence on scholastic aptitude. *Harvard Educational Review*, 34, 3-21.
- Carlsmith, L. (1973). Some personality characteristics of boys separated from their fathers during World War II. *Ethos*, 1, 466-477.
- Cava, E. L., & Rausch, H. L. (1952). Identification and the adolescent boy's perception of his father. *Journal of Abnormal and Social psychology*, 47, 855-856.

- Chapman, M. (1977). Father absence, stepfathers, and the cognitive performance of college students. *Child Development*, 48, 1155-1158.
- Chilman, L., & Sussman, M.B. (1964). Poverty in the United States in the mid-sixties. *Journal of Marriage and the Family*, 26, 391-395.
- Chinn, W. L. (1938). A brief survey of nearly 1000 juvenile delinquents. *British Journal of Educational Psychology*, 8, 78-85.
- Christopherson, V. A. (1956). An investigation of patriarchal authority in the Mormon family. *Marriage and Family Living*, 18, 328-333.
- Clarke - Stewart, K. A. (1973). Interactions between mothers and their young children Characteristics and consequences. *Monographs of the Society for Research in Child Development*, 38, serial number 153.
- Clarke-Stewart, K. A. (1978). And daddy makes three :The father's impact on mother and young child. *Child Development*, 49. 466-478.
- Clarke-Stewart, K. A. (1980). The father's contribution to children's cognitive and social development in early childhood. In F. A. Pedersen (Ed.), *The father - infant relationship : Observational studies in a family setting*. New York : Praeger Special Publications.
- Clausen, J. A. (1961). Drug addiction. In R. K. Merton, & R. A. Nesbit (Eds.), *Contemporary social problems*. New York: Harcourt, Brace, & World.
- Clausen, J. A. (1966). Family structure, socialization, and personality. In L. W. Hoffman, & M. L. Hoffman (Eds.), *Review of child development Research vol. 2*. New York Russell Sage Foundation.
- Cohen, L. J., & Campos, J. J. (1974). Father, mother, and stranger as elicitors of attachment behaviors in infancy . *Developmental Psychology*, 10,146-154.
- Condry, J. C., & Siman, M . A. (1974). Characteristics of peer-and adult-oriented children. *Journal of Marriage and the Family*, 36, 543-554.
- Coombs, C. H. Coombs, L. C., & McClelland, G. H. (1975). Preference scales for number and sex of children. *Population Studies*, 29, 273-298.
- Coopersmith, S. (1967). *The antecedents of self-esteem*. San Francisco: Freeman.
- Corter, C. (1974). Infant attachments. In B. M. Foss (Ed.), *New perspectives in child development*. Harmondsworth : Penguin.

- Cottle , T. J. (1968). Father perceptions, sex role identity, and the prediction of school performance .*Education and Psychological Measurement*, 28, 861-886.
- Cox, F. N. (1962). An assessment of children's attitudes towards parent figures. *Child Development*, 33, 821-830.
- Crain, A. J. & Stamm, C. S. (1965). Intermittent absence of fathers and children's perceptions of parents. *Journal of Marriage and the Family*, 27, 344-347.
- Crandall, V. J., Dewey, R., Katkovsky, W., & Preston, A (1964). Parents' attitudes and behaviors and grade school children's academic achievement. *Journal of Genetic Psychology*, 104, 53-56.
- Crane, A. R. (1951). A note on preadolescent gangs. *Australian Journal of Psychology*, 3, 43-46.
- Cronenwett, L. R., & Newmark, L. L. (1974). Fathers' responses to childbirth. *Nursing Research*, 23, 210- 217.
- Crumley, F.E., & Blumenthal, R. S. (1973). Children's reactions to temporary loss of the father. *American Journal of Psychiatry*, 130,778-782.
- Cunningham, J. L. (1973). A comparison of the didactic interactions of mothers and fathers with their preschool children. Unpublished doctoral dissertation, Michigan State University.
- Daley, E. (1978). *Father feelings*. New York :William Morrow.
- DeFrain, J., & Eirick, R. (1979). Coping as divorced single parents :A comparative study of fathers and mothers. Paper presented to the American Psychological Association, New York, September.
- Demos, J. (1974). The American family in past time. *American Scholar*, 43, 422-446.
- Deutsch, H. (1944). *The psychology of women*, Vol. 1. New York: Gurnee & Stratton.
- Deutsch, M. (19602). Minority group and class status as related to social and personality factors m scholastic achievement. *Monographs of the Society for Applied Anthropology*, 2, 1-32.
- Deutsch, M. , & Brown, B. (1964). Social influences in Negro-white intelligence differences. *Journal of Social Issues*, 20, 24-35.

- Devereux, E. C., Bronfenbrenner, U., & Rodgers, R. R. (1969). Childrearing in England and the United States : A cross-cultural comparison. *Journal of Marriage and the Family*, 32, 257-270.
- Devereux, E. C. , Bronfenbrenner, U., & Suci, G. (1962). Patterns of parent behavior in the United States of America and the Federal Republic of Germany: A crosscultural comparison. *International Social Science Journal*, 14, 488-506.
- Devereux, E. C., Shouval, R., Bronfenbrenner, D., Rodgers, R. R., Kav-Venaki, S., & Kiely, E. (1974). Socialization practises of parents, teachers, and peers in Israel: The kibbutz versus the city. *Child Development*, 45, 269-282.
- Dister, L.S. (1964). Patterns of parental idetltification :An examination of three theories. Unpublished doctoral dissertation, University of California, Berkeley.
- Dodson, F. (1974). *How to father*. Los Angeles: Nash.
- Dollard, J., & Miller, N. E. (1950). *Personality and psychotherapy*. New York: McGraw-Hill.
- Douglas, I. W. B. (1964). *The home and the school*. London : MacGibbon & Kee.
- Douvan, E. (1957). Independence and identity 10 adolescence. *Children*, 4,180-190.
- Douvan, E. (1960). Sex differences in adolescent character processes. *Merrill-Palmer Quarterly*, 6, 203-211.
- Doyle, A. B. (1975). Infant development in day care. *Developmental Psychology*, 11, 655-656.
- Doyle, A.B. & Somers, K. (1975). The effect of group and individual day care on infant development. Paper presented to the Canadian Psychological Association, Quebec, June.
- Drake, C. T., & McDougall, D. (1977). Effects of the absence of a father and other male models on the development of boy's sex roles. *Developmental Psychology*, 13, 537-538.
- Dreyer, A. S. (1975). Family interaction : Situational and cross-sex effects. Paper presented to the Society for Research in Child Development, Denver, April.

- Dunn, M. S. (1960). Marriage role expectations of adolescents. *Marriage and Family Living*, 22, 99-104.
- Dyer, W. G., & Urban, D. (1958). The institutionalization of equalitariaii family norms. *Marriage and Family Living*, 20, 53-58.
- Dyk, R. B., & Witkin, H. A. (1965). Family experiences related to the development of differentiation in children. *Child Development*, 36, 21-55.
- Elder, G. H. (1962). Adolescent achievement and mobility aspirations. Chapel Hill. N. C.: University of North Carolina.
- Elder, G. H. (1979). Historical change in life-patterns and personality. In P. B. Baltes, & O. G. Brim (Eds.), *Life-span development and behavior*, Vol. 2. New York: Academic.
- Elder, G. H. (1974). *Children of the Great Depression*. Chicago: University of Chicago Press.
- Elder, G. H., & Bowerman, C. E. (1963). Family structure and childrearing patterns : The effect of family size and sex composition. *American Sociological Review*, 28, 891-905.
- Elder, G. H., & Rockwell, P. C. (1978). Economic depression and postwar opportunity :A study of life patterns and health. In P. A. Simmons (Ed.), *Research in community and mental health*. Greenwich, Conn: JAI Press.
- Ellis, R. A., & Lane, W. C. (1963). Structural supports for upward mobility. *American Sociological Review*, 28, 743-756.
- Ellison, E. (1979). Classroom behavior and psychosocial adjustment of single and two-parent children. Paper presented to the Society for Research in Child Development, San Francisco, March.
- Elmer, E. (1967). *Children in jeopardy :A study of abused minors and their families*. Pittsburgh : University of Pittsburgh Press.
- Emmerich, W. (1959). Parental identification in young children . *Genetic psychology Monographs*, 60, 257-308 (a).
- Emmerich, W. (1959). Young children's discrimination of parent and child roles. *Child Development*, 30, 403-419 (b).
- Emmerich, W. (1961). Family role concepts of children aged six to ten. *Child Development*, 32, 609-624.

- Emmerich, W. (1969). The parental role : A functional cognitive approach. Monographs of the Society for Research in Child Development,, 34, serial number 132.
- Endsely, R. C., Gamer, A. R., Odom, A. H., & Martin, M. J. (1975). Interrelationships among selected maternal behaviors and preschool children's verbal and nonverbal curiosity behavior. Paper presented to the Society for Reserch in Child Development, Denver, April.
- Epstein, A. S. , & Radin, N. (1975). Paternal questionnaire data, observational data, and child performance. Unpublished manuscript, University of Michigan.
- Eron, L. D., Banta, T. J., Valder, L. D., & Laulicht, J. H. (1961). Comparison of data obtained from mothers and fathers on child rearing practices and their relation to child aggression. Child Development, 32, 457-472.
- Escalona, S. K. (1968). The roots of individuality. Chicago: Aldine.
- Fagot, B. I. (1974). Sex differences in toddler's behavior and parental reaction. Developmental psychology, 10, 554-558.
- Fagot, B. I. (1978). The influence of sex of child on parental reactions to toddler children. Child Development, 49, 459-465.
- Fairbairn, W. R. D. (1952). Psychoanalytic studies of the personality. London : Rutledge.
- Farber, B. (1962). Marital integration as a factor in parent-child relations. Child Development, 33, 1-14.
- Farber, B., & McHale, J. L. (1959). Marital integration and parent's agreements on satisfaction with their child's behavior. Marriage and Family Living, 21, 65-69.
- Favez-Boutonier, J. (1955). Child development patterns in France In K. Soddy (Ed.), Mental health and infant development, Vol. 1. London : Routledge & Kegan Paul.
- Fein, R. A. (1976). Men's entrance to parenthood. Family Coordinator, 25, 341-348.
- Feiring, C. (1976). The preliminary development of a social systems model of early infant-mother attachment. Paper presented to the Eastern psychological Association, New York, March.

- Feiring, C. & Taylor, J. (1980). The influence of the infant and secondary parent on maternal behavior: Toward a social systems view. Unpublished manuscript, Educational Testing Service.
- Feldman, S. (1973). S. Some possible antecedents of attachment behavior in two-year-old children. Unpublished manuscript, Stanford University.
- Feldman, S. S. (1974). The impact of day care on one aspect of children's social-emotional behavior . Paper presented to the American Association for the Advancement of Science, San Francisco, February.
- Feldman, S. S., & Ingram, M. E. (1975). Attachment behavior: A validation study in two age groups. *Child Development*, 46, 319-330.
- Feldman, S. S., & Nash S. C. (1977). The effect of family formation on sex-stereotypic behavior :A study of responsiveness to babies. In W. Miller, & L. Newman (Eds.), *The first child and family formation*. Chapel Hill : University of North Carolina Press.
- Feldman, S. S., & Nash, S. C. (1978). Interest in babies during young adulthood. *Child Development* 49, 617-622.
- Fenichel, O. (1945). *The psychoanalytic theory of neurosis*. New York : Norton.
- Fesbach, J. B. (1980). The beginnings of fatherhood. Unpublished manuscript, Yale University.
- Field, T. (1978). Interaction behaviors of primary versus secondary caretaker fathers. *Developmental Psychology*, 14,183-184.
- Fish, K. D., & Biller, H. B. (1973). Perceived childhood paternal relationships and college female's personal adjustment. *Adolescence*, 8, 415-420.
- Fisher, S. F. (1973). *The female orgasm : Psychology, physiology, fantasy*: New York : Basic Books.
- Fitzsimmons, J. J., & Rowe, M. P. (1971). *A study in child care, 1970-1971*. Cambridge, Mass. :ABT Associates.
- Ford, C., & Beach, F. A. (1951). *Patterns of sexual behavior*. New York: Harper.
- Foster, I. E. (1964). Father images :Television and ideal. *Journal of Marriage and the Family*, 1964, 26, 353-355.
- Fox., G. L. (1979). Mothers and their teenaged daughters. Unpublished manuscript, Merrill Palmer Institute, Detroit.

- Frank, S. T. (1973). The effect of husband's presence at delivery and childbirth preparation. classes on the experience of childbirth. Unpublished doctoral dissertation, Michigan State University.
- Freebeg, N. E., & Payne, D. T. (1967). Parental influence on cognitive development in early childhood : A review . Child Development, 38, 65-87.
- Freedheim, D. K. (1960). An investigation of masculinity and parental role patterns. Unpublished doctoral dissertation, Duke University.
- Freud, A. (1965). Normality and pathology in childhood :Assessments of development. New York : International University Press.
- Freud, S. (1964). The interpretation of dreams (1900). The Standard Edition. Vol. 4. London: Hogarth.
- Freud, S. (1962). Three essays on the theory of sexuality (1905). New York : Avon.
- Freud, S. (1963). Analysis of a phobia in a five-year-old boy (1909). In the sexual enlightenment of children. New York : Collier.
- Freud, S. (1962). The ego and the id (1923), New York: Norton.
- Freud, S. (1924). The passing of the Oedipus Complex. In Collected Papers, Vol. 2. London: Hogarth.
- Freud, S. (1964). Moses and monotheism (1939). The Standard Edition, Vol. 23. London: Hogarth.
- Freud, S. (1940). An outline of psychoanalysis (1940). New York: Norton.
- Freud, S. (1948). Group psychology and the analysis of the ego (1905). London : Hogarth.
- Freud, S. (1950). Some psychological consequences of the anatomical distinction between the sexes (1939). In Collected Papers, Vol. 5. London: Hogarth.
- Frodi, A. M. & Lamb, M. E. (1978). Sex differences in responsiveness to infants: A developmental study of psychophysiological and behavioral responses. Child Development, 49, 1182-1188.
- Frodi, A. M. Lamb, M. E. (1978). Leavitt, L. A., & Donovan, W. L. Father's and mother's responses to infant smiles and cries. Infant Behavior and Development, 1, 187-198.
- Frodi, A. M., Lamb, M. E., Leavitt, L. A., Donovan, W. L., Neff, C. , & Sherry, D. (1978). Fathers' and mothers' responses to the faces and cries of normal and premature infants. Developmental Psychology,, 14,490-498.

- Gardner, L. P. (1947). An analysis of children's attitudes towards fathers. *Journal of Genetic Psychology*, 70, 3-28.
- Gavron, H. (1966). *The captive wife :Conflicts of housebound mothers* . London : Routledge & Kegan Paul.
- Getzels, J. W., & Walsh, J. J. (1958). The method of paired direct and projective questionnaires in the study of attitude structure and socialization. *psychological Monographs*, 72, Whole No. 454.
- Gewirtz, H. B., & Gewirtz, J. L. (1968). Visiting and caetaking patterns for kibbutz infants :Age and sex trends. *American Journal of Orthopsychiatry*, 38, 427-447.
- Gewirtz, J. L. (1972). Attachment, dependency, and a distinction in terms of stimulus control. In I. L. Gewirtz (Ed.), *Attachment and dependency*. Washington, D. C. : Winston.
- Gilbert, S. D. (1975). *What's a father for?* New York : Parents' Magazine Press.
- Gill, L. I., & Spilka, B. (1962). Some nonintellectual correlaltes of academic achievement among Mexican - American secondary school students. *Journal of Educational psychology*, 53. 144-149.
- Giovannoni, J. M.. & Billingsley, A. (1970). Child neglect among the poor: A study of parental adequacy in three pthnic groups. *Child Welfare*, 49, 196-204.
- Gleason, J. B. (1975). Fathers and other strangers: Men's speech to young children. In D. P. Dato (Ed.), *Language and linguistics*. Washington, D. C. :Georgetown University Press.
- Glueck, S., & Glueck, E. (1950). *Unraveling juvenile delinquency*. New York: Commonwealth Fund.
- Glueck, S., & Glueck, E. I. (1956). *Physique and delinquency*. New York: Harper.
- Glueck, S., & Glueck, E. (1959). *Predicting delinquency and crime*, Cambridge. Mass: Harvard University Press.
- Gold, D., & Andres, D. (1978). Relations between maternal employment and development of nursery school children. *Canadian Journal of Behavioral Science*, 10, 116-129 (a).
- Gold, D., & Andres, D. (1978). Comparisons of adolescent children with employed and no employed mothers. *Merrill-Plamer Quarterly*. 24, 243-254(b).

- Gold., D., Andres, D., & Glorieux, J. (1979). The development of Francophone nursery school children with employed and nonemployed mothers. *Canadian Journal of Behavioural Science*, 11, 169-173.
- Goldberg, S . (1972). Infant care and growth in urban Zambia. *Human Development*, 15, 77-89.
- Goldberg, S. & Lewis, M. (1969). Play behavior in the year-old infant :Early sex differences. *Child Development*, 40,21-31.
- Goldstein, H. W. ,& Peck, R. (1973). Maternal differentiation, father absence. and cognitive differentiation in children. *Archives of General Psychiatry*, 29,370-373.
- Golinkoff, R. M. & Ames, G. J. (1979). A comparison of father's and mother's speech with their young children . *Child Development*, 50, 28-32.
- Goodenough, E. W. (1957). Interest in persons as an aspect of sex difference in the early years. *Genetic Psychology Monographs*, 55, 287-323.
- Gordon, R. S., & Gordon, K. (1959). Social Factors in the prediction and treatment of emotional disorders of pregnancy. *American Journal of Obstetrics and Gynecology*, 77, 1074-1083.
- Garer, G. (1948). *The American people :A study of national character*. New York: Norton.
- Graham, P., & Rutter, M. (1973). Psychiatric disorder in the young adolescent: A follow-up study . *Proceedings of the Royal Society of Medicine*, 66, 1226-1229.
- Gray, S. (1957). Masculinity-femininity in relation to anxiety and social acceptance. *Child Development*, 28, 203-214.
- Gray, S. (1959). Perceived similarity to parents and adjustment. *Child Development*, 30,91-107.
- Gray, S. W ., & Klaus, R. (1956). The assessment of parental identification. *Genetic Psychology Monographs*. 54,81-114.
- Green M. (1976). *Fathering*. New York :McGraw-Hill.
- Greenacer, P. (1971). *Emotional growth*. New York : International Universities Press.
- Greenberg, M., & Morris, N. (1974). Engrossment: The newborn's impact upon the father. *American Journal of Orthopsychiatry*, 44, 520-531.

- Gregory, I. (1965). Anterospesctive data following childhood loss of a parent. I. Delinquency and high school dropout. *Archives of General Psychiatry*, 13, 99-109.
- Greif, E. B. (1973). A study of role-playing in preschool children Unpublished doctoral dissertation, Johns Hopkins University.
- Grunebaum, M. G., Hurwitz, I., Prentice, N. M., & Sperry, B. M. (1962). Fathers of sons with primary neurotic learning inhibition. *American Journal of Orthopsychiatry*, 32, 462-473.
- Gurwitt, A. R. (1976). Aspects of prospective fatherhood. *Psychoanalytic Study of the Child.*, 31, 237-271.
- Haavio -Mannila, E. (1971). Convergences between east and west: Traditions and modernity in Sweden, Finland, and the Soviet Union. *Acta Sociological*, 14,114-125.
- Hacker, H. M. (1957). The new burdens of masculinity. *Marriage and Family Living*, 19, 226-233.
- Hainline, L., & Feig, E. (1978). The sorrelates of childhood father absence in college-aged women. *Child Development*, 49, 37-42.
- Hamilton, M. L. (1977). *Father's influences on children*. Chicago : Nelson-Hall.
- Hampson, J. L., & Hampson, J. G. (1961). The ontogenesis of sexual behavior in man. In W. C. Young (Ed.). *Sex and internal secretions*, 3rd ed. Baltimore: Williams & Wilkins.
- Handel, G. (1965). Psychological study of whole families. *Psychological Bulletin*, 63, 19-41.
- Handel, G. (1965). Psychological study of whole families. *Psychological Bulletin*. 63, 19-41.
- Harlow, H. F. (1961). The development of affectional patterns in infant monkeys. In B. M. Foss (Ed.), *Determinants of infant behavior* Vol. 1 . London Methuen.
- Harlow, H. F. ,& Zimmerman, R. R. (1959). Affect ional responses in the infant monkey. *Science*. 130, 421.
- Harper, L. W. (1971). The young as a source of stimuli controlling caretaking behavior. *Developmental Psychology*, 4,73-85.
- Harrison, D. M. (1973). The relationship between perceived paternal attitude toward the daughter during childhood and subsequent tendency toward emotional disorders in the daughter. Unpublished doctoral dissertation, University of Maryland.

- Hartley, R. E., (1964). Sex role identification : A symposium. A developmental view of female sex role definition and identification. Merrill-Palmer Quarterly, 10,3-16.
- Hartley, R. E. & Klein, A. (1959). Sex role concepts among elementary school - age girls. Marriage and Family Living, 21,59-64.
- Hartup, W. W. (1962). Some correlates of parental imitation in young children. Child Development, 33, 85-97.
- Hartup, W. W., & Zook, E. A. (1960). Sex role preferences in three-and four-year old children. Journal of Consulting Psychology, 24, 420-426.
- Heath, D. H. (1976). Competent fathers : Their personalities and marriages. Human Development, 19, 26-39.
- Heilbrun, A. B. (1965). An empirical test of the modelling theory learning. Child Development, 36, 789-799.
- Heilbrun, A. B. (1974). Parent identification and filial sex -role of sexrole behavior : The importance of biological context . In I. K. Cole & R. Oienstbier (Eds.), Nebraska symposium on motivation. Lincoln: University of Nebraska Press.
- Heilbrun, A. B. , Harrell, S. N., & Gillard, B. J. (1965). Perceived identification of late adolescents and level of adjustment :The importance of parent-model attributes, ordinal position, and sex of child. Journal of Genetic psychology, 107, 49-59.
- Helper, M. M. (1955). Learning theory and the self-concept. Journal of Abnormal and Social Psychology, 51, 1 84-1 94.
- Helson, R. (1971). Women mathematicians and the creative personality. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 36, 210-220.
- Herzog, E. , & Sadie, C. (1970). Boys in fatherless families. Washington, D. C. : Department of Health, Education and Welfare.
- Herzog, E., & Sadie, C. (1973). Children in fatherless families. In B. M. Caldwell & H. N. Riccitungi (Eds.) Review of child development research, Vol. 3. Chicago : University of Chicago Press.
- Hess, R. D. , & Camera, K. A. (1970). Post-divorce family relationships as mediating factors in the consequences of divorce for children. Journal of Social issues, 35, 79-96.

- Hetherington, E. M. (1965). A development study of the effects of sex of the dominant parent on sex-role preference, identification , and imitation in children. *Journal of personality and Social Psychology*, 2, 188-194. .
- Hetherington, E. M. (1966). Effects of paternal absence on sex-typed behaviors in Negro and white preadolescent males. *Journal of Personality and Social Psychology*, 4, 87-91.
- Hetherington, E. M. (1967). The effects of familial variables on sex typing, on parent-child similarity , and on imitation in children, In J. P. Hill (Ed.), *Minnesota Symposia on child psychology*. vol. 1. Minneapolis : University of Minnesota Press.
- Hetherington, E. M. (1972). Effects of father-absence on personality development in adolescent daughters. *Developmental Psychology*, 7, 313-326.
- Hetherington, E. M., Cox, M., & Cox, R. (1975). Beyond father absence : Conceptualization of effects of divorce. Paper presented to the Society for Research in Child Development, Denver, April.
- Hetherington, E. M., Cox, M., & Cox, R. (1976). Divorced fathers. *Family Coordinator*, 25,417-428.
- Hetherington, E. M., Cox, M., & Cox, R. (1978). The aftermath of divorce. In I. H. Stevens & M. Matthews (Ed), *Mother/child, father/child relationships*. Washington, D.C.: National Association for the Education of Young Children.
- Hetherington, E.M., & Deur, J. L. (1971). The effects of father absence on child development. *Young Children*, 26, 233-248.
- Hetherington, E. M., & Frankie, G. (1967). Effects of parental dominance, warmth, and conflict on imitation in children. *Journal of personality and social psychology*, 119-125.
- Hetherington, E.M., & Martin, B. (1979). Family interaction In H. C. Quay & J. S. Werry (Eds.) *Psychopathological disorders of childhood*. New York: Wiley.
- Hill, J. P. (1980). The early adolescent and the family. In *Seventy-Ninth Yearbook of the National Society for the Study of Education*. Chicago: University of Chicago Press.

- Hillenbrand, E.D. (1976). Father absence in military families. *Family Coordinator*, 25, 451-458.
- Hinde, R.A. (1970). *Animal behavior: A synthesis of ethology and comparative psychology*. New York: McGraw-Hill.
- Hines, J.D. (1971). Father: The forgotten man. *Nursing Forum*, 10, 176-200.
- Hipgrave, T. (1979). When the mother is gone: The position of the lone father. Unpublished manuscript, University of Leicester.
- Hoffman, L.W. (1961). The father's role in the family and the child's peer-group adjustment. *Merrill-palmer Quarterly*, 7, 97-105.
- Hoffman, L. W. (1974). Effects of maternal employment on the child: A review of the research. *Developmental Psychology*, 10, 204-228.
- Hoffman, L. W. (1977). Changes in family roles, socialization. And sex differences. *American Psychologist*, 32, 644-657.
- Hoffman, L. W., & Lippitt, R. (1960). The measurement of family life variables. In P.H. Mussen (Ed.), *Handbook of research method in child development*. New York: Wiley.
- Hoffman, L W., & Nye, F. I. (1974). *Working mothers*. San Francisco : Jossey-Bass.
- Hoffman, M. L. (1960). Power assertion by the parent and its impact on the child. *Child Development*, 31, 129-143.
- Hoffman, M. L. (1966). Paternal practices and the development of internal social control. Paper presented to the Society for Research in Child Development, Bowling Green, Ohio, March.
- Hoffman, M. L. (1970). Conscience, personality, and socialization technique. *Human Development*, 13, 90-126(a).
- Hoffman, M. L. (1970 b). Moral development. In P. H. Mussen (Ed.), *Carmichael's manual of child psychology*, Vol. 2 3rd ed., New York: Wiley.
- Hoffman, M. L. (1971). Father absence and conscience development. *Development Psychology*, 4, 400-406(a).
- Hoffman, M. L. (1971). Identification and conscience development. *Child Development*, 42, 1071-1082(b).
- Hoffman, M. L. , & Saltzstein, H. D. (1967). Parent discipline and the child's moral development. *Journal of Personality and Social Psychology*, 5, 45-57.

- Holman, P. (1953). Some factors in the etiology of maladjustment in children. *Journal of Mental Science*, 99, 654-688.
- Holman, P. (1959). The etiology of maladjustment in children. *Journal of Mental Science*, 99, 654-688.
- Holstein, C. G. (1969). Parental consensus and interaction in relation to the child's moral development. Unpublished doctoral dissertation. University of California, Berkeley.
- Honzik, M. P. (1963). A sex difference in the age of onset of the parent-child resemblance in intelligence. *Journal of Educational Psychology*, 54, 231-237.
- Horney, K. (1924). On the genesis of the castration complex in women. *International Journal of Psychoanalysis*, 5, 50-65.
- Horney, K. (1926). The flight from womanhood. *International Journal of Psychoanalysis*, 7, 324-339.
- Homey, K. (1932). The dread of women. *International Journal of Psychoanalysis*, 13, 348-360.
- Homey, K. (1933). The denial of the vagina. *International Journal of Psychoanalysis*, 14, 57-70.
- Howells, J. G. (1969). Fathering. In I. G. Howells (Eds.), *Modern perspectives in international child psychiatry*. Edinburgh : Oliver & Boyd.
- Hull, C. L. (1943). *Principles of behavior*. New York : Appleton-Century-Crofts.
- Hunt, L. L., & Hunt, J. B. (1975). Race and the father-son connection. *Social Problems*, 23, 35-51.
- Hurley, J. R. (1967). Parental malevolence and children's intelligence. *Journal of Consulting psychology*, 31, 199-204.
- Illsley, R., & Thompson, B. (1961). Women from broken homes. *Sociological Review*, 9, 27-54.
- Jacob, T. (1974). Patterns of family conflict and dominance as a function of child age and social class. *Developmental psychology*, 10, 1-12.
- Jacobson, E. (1964). *The self and the object world*. New York : International University Press.
- Jacobson, G., & Ryder R. G. (1969). Parental loss and some characteristics of the early marriage relationship. *American Journal of Orthopsychiatry*, 39, 779-787.

- Johnson, M. M. (1963). Sex role learning in the nuclear family. *Child Development*, 34, 315-333.
- Jordan, B. E., Radin, N., & Epstein, A. (1975). Paternal behavior and intellectual functioning in preschool boys and girls. *Developmental Psychology*, 11, 407-408.
- Josselyn, I. M. (1956). Cultural forces, motherliness, and fatherliness. *American Journal of Orthopsychiatry*, 26, 264-271.
- Jung, C.G. (1949). *The significance of the father in the destiny of the individual*. Zurich : Rascher.
- Kagan, J. (1958). The concept of identification. *Psychological Review*, 65, 295-305.
- Kagan, J. (1964). Acquisition and significance of sex-typing and sex-role identity. In M. L. Hoffman & L. W. Hoffman (Eds.), *Review of child development research*, Vol. 1. New York : Russell Sage Foundation.
- Kagan, J., & Freeman, M. (1963). Relation of childhood intelligence, maternal behaviors, and social class to behavior during adolescence. *Child Development* 34, 899-911.
- Kagan, J., Hosken, B., & Watson, S. (1961). Child's symbolic conceptualization of parents. *Child Development* 32, 625-636.
- Kagan, J., Kearsley, P., & Zelazo, P. (1978). *Infancy : Its place in human development*. Cambridge, Mass Harvard University Press.
- Kahl, J. A. (1953). Educational and occupational aspirations of "common. Man" boys. *American Educational Review*, 1953, 23, 186-203.
- Kahl, J. A. (1957). *The American class structure*. New York. : Holt, Rinehart, & Winston.
- Kandel, D., & Lesser G. S. (1972). *Youth in two worlds*. San Francisco : Jossey-Bass.
- Kamll E. T. (1957). Male egression in dating-courtship relations. *American Journal of Sociology*, 63, 197204.
- Kaplar, J. E. (1970). *Creativity, sex-role preference, and perception of parents in fifth-grade boys* Unpublished doctoral dissertation. University of Massachusetts.

- Katz, I. (1967). Socialization of academic motivation in minority group children. In D. Levine (Ed.), Nebraska symposium on motivation.- Lincoln : University of Nebraska Press.
- Kauffman, A. L., (1977). Mothers, and fathers, verbal interactions with children learning language. Paper presented to the Eastern Psychological Association, Boston, April.
- Kauffman, J. H. (1961). Interpersonal relations in traditional and emergent families among midwest Mennonites. *Marriage and Family Living*, 23,247-252.
- Kemper, T. D., & Reicher, M. L. (1976). Father's work integration and types and frequencies of rewards and punishments administered by fathers and mothers to adolescent sons and daughters. *Journal of Genetic Psychology*, 129, 207-219.
- Kestenberg, J. (1956). Vicissitudes of female sexuality. *Journal of the American Psychoanalytic Association*, 4, 453-476.
- Kestenberg, J. (1968). Outside and inside, male and female. *Journal of the American Psycholanalytic Association*, 16, 459-520.
- Kestenerg, I. (1975). *Children and parents*. New York : Aronson.
- Kimball, B. (1952). The Sentence Completion Technique in a study of scholastic underachievement. *Journal of Consulting Psychology*, 16, 353-358.
- Klein, M. (1957). *Envy and gratitude*. London : Tavistock.
- Kluckhom, C. (1949). *Mirror for man*. New York : McGraw-Hill.
- Koch, H. L. (1955). Some personality correlates of sex, sibling position and sex of siblings among five-and six-year-old children. *Genetic Psychology Monographs*, 52, 3-50.
- Koch, H . L. (1956). Sissiness and tomboyishness in relation to sibling characteristics. *Journal of Genetic Psychology*, 88, 231-244.
- Kogelschatz, J. L., Adams, P. L., & Tucker, D. M. (1972). Family styles of fatherless households. *Journal of the American Academy of Child Psychiatry*, 11, 365-383.
- Kohlberg, L. (1963). Moral development and identification. In H. W. Stevenson (Ed.), *Child psychology*, Chicago: University of Chicago Press.

- Kohlberg, L. (1964). The development of moral character and ideology. In M. L. Hoffman & L. W. Hoffman (Eds.) Review of child development research, Vol. I. New York: Russell Sage Foundation.
- Kohlberg, L. (1966). Stage and sequence :The developmental approach to moralization. In M. L. Hoffman (Ed.), Moral processes. Chicago : Aldine.
- Kohlberg, L. (1969). Stage and sequence :The cognitive-developmental approach to socialization. In D. A. Goslin (Ed.), Handbook of socialization theory and research. Chicago: Rand McNally.
- Kohn, M. L. (1959). Social class and the exercise of parental authority. American Sociological Review, 24, 352-366.
- Kohn, M. L. (1969). Class and conformity :A study in values. Homewood, III : Dorsey.
- Kohn, M. L. (1979). The effects of social class on parental values and practices. In D. Reiss & H. A. Hoffman (Eds.), The American family: Dying or developing. New York: Plenum.
- Kohn, M. L., & Carroll, E. E. (1960). Social class and the allocation of parental responsibilities. Sociometry, 23, 372-392.
- Komarovsky, M. (1964). Blue-collar marriage . New York : Random House.
- Kotelchuck, M. (1972). The nature of the child's tie to his father. Unpublished doctoral dissertation., Harvard University.
- Kotelchuck, M. (1973). The nature of the child's tie to his father. Paper presented to the Society for Research in Child Development, Philadelphia, April.
- Kotelchuck, M. (1975). Father caretaking characteristics and their influence on infant-father interaction. Paper presented to the American Psychological Association, Chicago, September.
- Kotelchuck, M. (1976). The infant's relationship to the father : Experimental evidence. In M. E. Lamb (Ed.). The role of the father in child development New York :Wiley.
- Kotelchuck, M. , Zelazo, P., Kagan, I., & Spelke, E. (1975). Infant reaction to parental separations when left with familiar and unfamiliar adults. Journal of Genetic Psychology, 126, 255-262.
- Krige; P. (1976). Patterns of interaction in family triads with high-achieving and low-achieving children. Psychological Reports, 39,1291-1299.

- Lamb, M. E. (1975). Fathers : Forgotten contributors to child development. *Human Development*, 18, 245-266(a).
- Lamb, M. E. (1975). Physiological mechanisms in the control of maternal behavior in rats : A review. *Psychological bulletin*, 82, 104-119(b).
- Lamb, M. E. (1976). Effects of stress and cohort on mother-and father infant interaction. *Developmental Psychology*. 12, 435-443(a).
- Lamb, M. E. (1976b). Interactions between eight-month-old children and their fathers and mothers. In M. E. Lamb (Ed.). *The role of the father in child development*. New York :Wiley.
- Lamb, M. E. (1976). Interactions between two-year-olds and their mothers and father . *Psychological Reports*, 1, 38,447-450(c).
- Lamb, M. E. (1976). Parent-infant interaction in eight-month-olds. *Child Psychiatry & Human Development*, 7, 56-63-(d).
- Lamb, M. E. (Ed.). (1976e). *The role of the father in child development*. New York : Wiley.
- Lamb, M. E. (1976f). The role of the father: An overview In M. E. Lamb (Ed.), *The role of the father in child development*. New York :Wiley.
- Lamb, M. E. (1976). Twelve-month-olds and their parents: Interaction In a laboratory playroom. *Developmental Psychology*, 12, 237-244(g).
- Lamb, M. E. (1977). The development of parental preferences in the first two years of life. *Sex Roles*. 3, 495-497(b).
- Lamb, M. E. (1977). Father-infant and mother-infant interaction in the first year of life. *Child Development*, 48, 167-181(c).
- Lamb, M. E. (1978). Qualitative aspects of mother-and father-infant attachments. *Infant Behavior and Development*, 1, 265-275.
- Lamb, M. E. (1979). Separation and reunion behaviors as criteria of attachment to mothers and fathers. *Early Human Development*, 3/4, 329-339.
- Lamb, M. E. (1980). On the origins and implications of sex differences in human sexuality. *Behavioral & Brain Sciences*, 3, 192-193.
- Lamb, M. E. (1981). The development of social expectations in the first year of life. In M. E. Lamb & L. R. Sherrod (Eds.), *Infant social cognition: Empirical and theoretical considerations*. Hillsdale, N. J. : Lawrence Erlbaum Associates.

- Lamb, M. E. (Ed.) (1982). No traditional families: Parenting and child development. Hillsdale, N. J. : Lawrence Erlbaum Associates.
- Lamb, M. E. . & Bronson, S. K. (1980). Fathers in the context of family influences : Past, present and future. School Psychology Review, 1980, 9, 336-353.
- Lamb, M. E., Chase-Lansdale, L., & Owen, M. (1979). The changing American family and its implications for infant social development : The sample case of maternal employment. In M. Lewis, & L. A. Rosenblum (Eds.), The child and its family. New York: Plenum.
- Lamb, M. E., Frodi, A. M., Hwang, C. P., & Frodi, M. (1982). Varying degrees of paternal involvement in infant care: Attitudinal and behavior correlates. In M. E. Lamb (Ed.), Nontraditional families: Parenting and child development. Hillsdale, N. J. : Lawrence Erlbaum Associates.
- Lamb, M. E. & Goldberg, W. A. (1982). The father -child relationship :A synthesis of biological , evolutionary and social perspectives . In R. Gandelman & L.W. Hoffman (Eds.), Perspectives on parental behavior. Hillsdale, N. J. : Lawrence Erlbaum Associates.
- Lamb, M. E., Owen, M. , & Chase-Lansdale, L. (1979). The father-daughter relationship: Past, present, and future. In C. B. Kopp (Ed.), Becoming female : Perspectives on development. New York : Plenum.
- LaMouse, A. (1969). Family roles of women :A German example. Journal of Marriage and the Family, 31, 145-152.
- Lambert, W. E., Yackley, A., & Hein, R. M. (1971). Child training values of English Canadian and French Candanian parents. Canadian Journal of Behavioural Science, 3, 217-236.
- Landis, P. H. (1960). esearch on teen-age dating. Marriage and Family Living, 22, 266-267.
- Landy, F., Rosenberg, B. G., & Sutton-Smith, B. (1967). The effect of limited father-absence on the cognitive and emotional development of children. Paper presented to the Mid-Western Psychological Association, Chicago, May.
- Landy, F., Rosenberg, B. G., & Sutton-Smith, B. (1969). The effect of limited father-absence on cognitive development. Child development, 40, 941-944.

- Langer, T. S. , & Michael, S. T. (1963). Life stress and mental health. New York :Free Press.
- Langlois, J. H. & Downs, A. C. (1980). Mothers, fathers, and peers as socialization agents of sex-typed play behaviors in young children. *Child Development*, 51, 1237-1247.
- Lansky, L. M. (1964). The family structure also affects the model: Sex-role identification in parents of preschool children. *Merrill-Planer Quarterly*, 10, 39-40.
- Lansky, L. M. (1967). The family structure also affects the model : Sex role attitudes in parents of preschool children. *Merrill-Palmer Quarterly*, 13, 139-150.
- Layman, E. M. (1961). Discussion of Symposium :Father influence in the family. *Merrill-Palmer Quarterly*, 7, 107 -111.
- Lazowick, L. M. (1955). On the nature' of identification. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 51, 175-183.
- LeCorgne, L. L., & Laosa, L. M. (1976). Father absence in low-income Mexican-American families : Children's social adjustment and conceptual differentiation of sex role attributes. *Developmental psychology*, 12,470-471.
- Lederer, W. (1964). Dragons, delinquents, and destiny. *Psychological Issues*, 4, Whole No. 3.
- Lefkowitz, M. (1962). Some relationships between sex role preference of children and other parent and child variables. *Psychological Reports*, 10, 43-53.
- Lehnnan, D. S. (1974). Can psychiatrists use ethology ? In N. F. White (Ed.). *Ethology and psychiatry* . Toronto : University of Toronto Press.
- Leichty, M. (1960). The absence of the father during early childhood and its effect upon the Oedipal situation as reflected in young adults. *Merrill-Palmer Quarterly*, 6,212-217.
- Ledierman, G. G. (1959). Effect of parental relationships and childtraining practices on boy's interactions with peers. *Acta Psychological*, 15, 469.
- Leiderman, P. H., & Lieberman, G. F. (1974). Familial influences on infant development in an Eastern African agricultural community. In E. J. Anthony & C. Koupernik (Eds.), *The child In his family :Children at psychiatric risk*. New York :Wiley.

- Leiderman, P. H., & Leiderman, G. F. (1975). Affective and cognitive consequences of polymatric infant care in the East African Highlands. In A. D. Pick (Ed.), *Minnesota symposia on child psychology*. Vol. 8. Minneapolis: University of Minnesota Press.
- Leiderman, P. H. & Leiderman, G. F. (1977). Economic change and infant care in an East African agricultural community. In P. H. Leiderman, S. R. Tulkin, & A. Rosenfeld (Eds.), *Culture and infancy*. New York : Academic Press.
- Leifer, A. D., Leiderman, P. H., Barnett, C. R., & Williams, J. A. (1972). Effects of mother-infant separation on maternal attachment behavior. *Child Development*, 43,1203-1218.
- LeMasters, E. E. (1957). Parenthood as crisis. *Marriage and Family Living*, 19, 352-355.
- Lerner, S. H. (1954). Effects of desertion on family life. *Social Casework*, 35, 3-8.
- Lessing, E. E., Zagorin, S. W., & Nelson, D. (1970). WISC subtest and IQ score correlates of father absence. *Journal of Genetic Psychology*, 67,181-195.
- Levine, J. (1976). *And who will raise the children? New options for fathers and mothers*. Philadelphia : Lippincott.
- Levine, R. A., Klein, W. H., & Owen, C. R. (1967). Father -child relationships and changing life styles in Ibadan, Nigeria, In H. Minor (Ed.). *The city in modern Africa*, New York: Praeger.
- Lewis, M. (1972). Parents and children: Sex role development. *School Review*, 80, 229-240(a).
- Lewis, M. (1972). State as an infant-environment interaction : An analysis of mother-infant behavior as a function of sex. *Merrill - Palmer Quarterly*, 18, 95-121(b).
- Lewis, M., & Rosenblum, L. A. (Eds.), (1974). *The effect of the infant on its caregiver*. New York :Wiley.
- Lewis, M., & Weinraub, M. (1974). Sex of parent x sex of child : Socioemotional development. In R. C. Friedman, R. M. Richart, & R. L. Vande Wiele (Eds.), *Sex differences in behavior*. New York : Wiley.

- Lewis, M., & Weinraub, M. (1976). The father's role in the infant's social network. In M. E Lamb (Ed.), *The role of the father in child development*. New York :Wiley.
- Liebenberg, B. (1967). Expectant fathers. *American Journal of Orthopsychiatry*, 37,358-359.
- Lifshitz, M. Berman, D., Galili, A., & Gilad, D. (1977). Bereaved children : The effect of mother's perception and social system organization on their short-range adjustment. *Journal of the American Academy of Child Psychiatry*, 16, 272-284.
- Lind, R. (1974). Observations after delivery of communications between mother-infant-father. Paper presented to the International Congress of Pediatrics, Buenos Aires.
- Livson., N. (1966). Parental behavior and children's involvement with their parents. *Journal of Genetic Psychology*, 109, 173-194.
- Loeb, R. C. (1975). Concomitants of boy's locus of control examined in parent-child interactions. *Developmental Psychology*, 11, 353-358.
- Loewald, H. (1951). Ego and reality. *International Journal of Psychoanalysis*, 32, 10-18.
- Lorenz, K. (1970). Companions as factors in the bird's environment (1935). In *Studies in animal and human behavior* Cambridge, Mass. : Harvard University Press.
- Lozoff, M. M. (1974). Fathers and autonomy in women. In R. B. Kundsinn (Ed.), *Women and success*. New York . Morrow.
- Lynn, D. B. (1959). A note on sex differences in the development of masculine and feminine identification. *Psychological Review*, 66, 126-135.
- Lynn, D. B. (1961). Sex differences in identification development. *Sociometry*, 24, 372-383.
- Lynn, D. B. (1962). Sex role and parental identification. *Child Development*. 33, 555-564.
- Lynn, D. B. (1966). The process of learning parental and sex-role identification. *Journal of Marriage and the Family*, 28, 466-470.
- Lynn, D. B. (1969). Parental and sex-role identification. : A theoretical formulation. Berkeley :McCutcheon.

- Lynn, D. B. (1974). Parental and sex-role in child development. Monterey, Calif. :Brooks/Cole.
- Lynn, D. B., & Cross, A. R. (1974). Parent preferences of preschool children : Journal of Marriage and the Family, 36, 555-559.
- Lynn, D. B., & Maaske, M. (1970). Imitation versus similarity :Child to parent. Paper presented to the Western Psychological Associatio, Los Angeles, April.
- Lynn, D. B. , & Sawrey, W. L. (1959). The effects of father-absence on Norwegian boys and girls. Journal of Abnormal and Social Psychology, 59, 258-262.
- Lytton, H. (1976). The socialization of two-year-old boys: Ecological findings. Journal of Child Psychology and Psychiatry, 17, 287-304.
- Lytton, H. (1979). Disciplinary encounters between young boys and their mothers and fathers : Is there a contingency system ? Developmental Psychology, 15, 256-268.
- MacCalman, D. R. (1955). Background to child development patterns in the United Kingdom. In K. Soddy (Ed.), Mental health and infant development, Vol. 1. London: Routledge & Kegan Paul.
- Maccoby, E. E. (1977). Current changes in the family and their impact upon the socialization of childien. Paper presented to the American Sociological Association, Chicago, September.
- Maccoby, E. E., & Jacklin, C. N. (1973). Stress, activity, and proximity seeking :Sex differences in the year - old child. Child Development, 44, 34-42.
- Maccoby, E. E., & Jacklin, C. N. (1974). The psychology of sex differences. Stanford : Stanford University Press.
- Maccoby, E. E. , & Masters, J. C. (1970). Attachment and dependency. In P. H. Mussen (Ed.), Carmichael's manual of child psychology, (3rd ed.), Vol. 2. New York: Wiley.
- MacKinnon, D. W. (1938). Violations of prohibitions. In H. A. Murray (Ed.), Explorations in personality New York: Oxford University Press.
- Mahler, M. S. (1968). On human symbiosis and the vicissitudes of individuation. New York International University Press.

- Mahler, M. S., Pine F., & bergman, A. (1975). The psychological birth of the human infant. New York :Basic Books.
- Main, M. (1973). Exploration, Play, and level of cognitive functioning as related to child-mather attachment. Unpublished doctoral dissertation, Johns Hopkins University.
- Marcus, R. F. (1975). The child as elicitor of parental sanctions for independent and dependent behavior :A simulation of parent-child interaction. *Developmental Psychology*, 11, 443-452.
- Maroglin, G., & Patterson, G. (1975). Differential consequences provided by mothers and fathers of their sons and daughters. *Developmental Psychology*, 11, 537-538.
- Marsella, A. J., Dubanoski, R. A., & Mohs, K. (1974). The effects of father presence and absence upon maternal attitudes. *Journal of Genetic Psychology*, 125, 257-263.
- Maxwell, A. E. (1961). Discrepancies between the pattern of abilities for normal and neurotic children. *Journal of Mental Science*, 107, 300-307.
- Maxwell, J. W. (1976). The keeping fathers of America. *Family Coordinator*, 25, 387-392.
- McCord, W., McCord, J., & Howard, A. (1961). Familial correlates of aggression in no delinquent male children. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 62, 79-93.
- McCord, W., McCord, J., & Howard, A. (1963). Family interaction as antecedent to the direction of male aggressiveness. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 66, 239-242.
- McCord, J., McCord, W., & Thurber, E. (1962). Some effects of paternal absence on male children. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 64, 361-369.
- McGuire, C. (1961). Sex role and community - variability in test performances. *Journal of Educational Psychology*, 52,61-73.
- Mead, M. (1935). *Sex and temperament in three primitive societies*. New York: Morrow.
- Mead, M. (1949). *Male and female*. New York: Morrow.
- Mead, M. (1962). A culture anthropologist's approach to maternal deprivation. In *Deprivation of maternal care : A reassessment of its effects*. Geneva : WHO.

- Medinnus, G. N. (1963). The relation between inter-parent agreement and several child measures. *Journal of Genetic Psychology*, 102, 139-144.
- Medinnus, G. N. (1965). Delinquent's perceptions of their parents. *Journal of Consulting Psychology*, 29, 5-19.
- Medinnus, G. N. ., & Johnson, T. M. (1970). Parental perceptions of kindergarten children. *Journal of Educational Research*, 63, 370-381.
- Meerloo, J. A. M. (1956). The father cuts the cord. *American Journal of Psychotherapy*, 10, 471-480.
- Meerloo, J. A. M. (1968). The psychological role of the father :The father cuts the cord. *Child and Family*, 102-114.
- Messer, S. B., & Lewis, M. (1972). Social class and sex differences in the attachment and play behavior of the one-year-old infant. *Merrill-Palmer Quarterly*, 18, 295-306.
- Metraux, R. (1955). Parents and children :An analysis of contemporary German child-care and youth guidance literature. In M. Mead & M. Wolfstein (Eds.), *Childhood in contemporary culture*. Chicago: University of Chicago Press.
- Middleton, R., & Putney, S. (1963). Political expression of adolescent rebellion. *American Journal of Sociology*, 68, 527-535.
- MilleT, D. R., & Swanson, G. E. (1958). *The changing American parent*. New York : Wiley.
- Miller, W. B. (1958). Lower class culture as a generating milieu of gang delinquency. *Journal of Social Issues*, 14,5-19.
- Milton, G. A. (1957). The effects of sex-role identification upon problem solving skills. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 55,208-212.
- Mischel, W. (1970). Sex typing and socialization . In P. H. Mussen (Ed.), *Carmichael's manual of child psychology*, (3rd ed.), Vol. 2. New York :Wiley.
- Mitchell, D., & Wilson, W. (1967). Relationship of father-absence to masculinity and popularity of delinquent boys. *Psychological Reports*, 20, 1173-1174.
- Mogey, J. M. (1957). Acentury of declining paternal authority. *Marriage and Family Living* 19, 234-239.

- Money, J., & Ehrhardt, A. A. (1972). *Man and woman :Boy and girl*. Baltimore : Johns Hopkins University Press.
- Money, J., Hampson, J. G., & Hampson, J. L. (1957). Imprinting and the establishment of gender role. *Archives of Neurology and Psychiatry*, 77, 333-336.
- Money, J., & Tucker, P. (1975). *Sexual signatures*. Boston : Little, Brown.
- Moss, H. A. (1967). Sex age, and state as detenninants of mother infant interaction *Merrill-Palmer Quarterly*, 13, 1 9- 36.
- Moulton., P. W., Burstein, E., Liberty, D., & Altucher, N. (1966). The pattenring of parental affection and dominance as a detennmant of guilt and sex-typing. *Journal of Personality and Social Psychology*, 4, 363-365.
- Mowrer, W. H. (1950). Identification: A link between learning theory and psychotherapy. In *Learning theory and personality dynamics*. New York : Ronald.
- Mullahy, G. A. (1973). Sex differences in patterns of self-disclosure among adolescent :A developmental perspective. *Journal of Youth and Adolescence*, 2, 343-356.
- Mullahy, P. (1948). *Oedipus : Myth and complex*. New York: Hermitage.
- Murphy, L. B. (1956). *Personality in young children*. New York :Basic Books.
- Murphy, L. B., & Moriarty, A. E. (1976). *Vulnerability, coping and growth*. New Haven: Yale University Press.
- Murrell, S. A., & Stachowiak, I. G. (1965). The family group :Development, structure and therapy. *Journal of Marriage and the Family*, 27, 13-18.
- Mussen., P. H. (1967). Early socialization :Learning and identification. In T. M. Newcomb (Ed.), *New directions in psychology*, Vol. 3. New York: Holt, Rinehart, & Winston.
- Mussen, P. H. (1971). Some antecedents and consequences of masculine sex-typing in adolescent boys. *Psychological Monographs*, 75, Whole, No. 506.
- Mussen, P. H. (1973). *The psychological development of the child*. Englewood Cliffs, N. J. : Prentice-Hall.
- Mussen , P. H., Bouterline- Young, H., Gaddini, R., & Morante, L. (1963). The influence of fathers-son relationships on adolescent personality and attitudes. *Journal of Child Psychology and Psychiatry*, 4, 3-16.

- Mussen, P. H., & Dislter, L. (1959). Masculinity, identification, and father -son relationships. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 59, 350-356.
- Mussen, P. H., & Dislter, L. (1970). Child rearing antecedents of masculine identification in kindergarten boys. *Child Development*, 31, 89-100.
- Mussen, P. H. , & Pareker, A. L. (1965). Mother nurturance and the girl's incidental imitative learning . *Journal of Personality and Social Psychology*, 2, 94-97.
- Mussell, P. H., & Rutherford, E. (1963). Parent-child relations and parental personality in relation to young children's sex-role preferences. *Child Development*, 34, 586-607.
- Mussell, P. H. Rutherford, E., Harris, S., & Keasey, C. B. (1970). Honesty and altruism among preadolescents. *Development Psychology*, 3, 169-194.
- Mutimer, E. Loughlin., L., & Powell, M. (1966). Some differences in the family relationships of achieving and underachieving readers. *Journal of Genetic Psychology*, 109, 67-74.
- Nadelman, L. (1976). Perception of parents by London five-years-olds . Paper presented to the American Psychological Association, Washington. D. C., September.
- Nash, J. (1954). Critical periods in human development. *Bulletin of the Maritime Psychological Association*, 18-22.
- Nash, J. (1965). The father in contemporary culture and current psychological literature. *Child Development* 36, 261-297.
- Nash, S. C., & Feldman, S. S. (1981). Sex role and sex-related attributions :Constancy and change across the family life cycle. In M. E. Lamb, & A. L. Brown (Eds.), *Advances in developmental psychology*, vol, 1. Hillsdale, N. J. : Lawrence Erlbaum Associates.
- Nelsen, E. A., & Maccoby, E. E. (1966). The relationship between social development and differential abilities on the scholastic aptitude test. *Merrill-Palmer Quarterly*, 12, 269-289.
- Newson, J., & Newson., E. (1963). *Infant care in an urban community*. London :Allen & Unwin.
- Newson, I., & Newson., E. (1968). *Four years old in an urban community*. London :Allen & Unwin.

- Noller, P. (1980). Cross gender effects in two-child families. *Developmental Psychology*, 16, 159-160.
- Norman, C. D. (1966). The interpersonal values of parents of achieving and no achieving gifted children. *Journal of Psychology*, 64, 49-57.
- Nowlis, V. (1952). The search for significant concepts in a study of parent-child relationships. *American Journal of Orthopsychiatry*, 22, 286-299.
- Nye, F. I. (1957). Child adjustment in broken and unbroken homes. *Marriage and Family Living*, 19, 356-361.
- O'Brien, M. (1978). Father role and male sex role after marital separation : Men coping with single parenthood. Paper presented to the British Psychological Society Social Psychology Conference. Cardiff (Wales), September.
- Oakley, A. (1972). Are husbands good housewives ? *New Society*, 19, 337-340.
- Oliver, L. W. (1975). The relationship of parental attitudes and parent identification to career and homemaking orientation in college women. *Journal of Vocational Behavior*, 7, 1-12.
- Olsen, M. E. (1960). Distribution of family responsibilities and social stratification. *Marriage and Family Living*, 22, 60-65.
- Osgood, C. , Suci, G., & Tannenbaum, P. H. (1957). *The measurement of meaning*. Urbana : University of Illinois Press.
- Oshman, H. P., & Mansoevitz, N. (1976). Father absence :Effects of stepfathers upon psychosocial development in males. *Developmental Psychology*, 12, 479-480.
- Osofsky, I. D. (1975). Neonatal characteristics and directional effects in mother-infant interaction. Paper presented to the Society for Research in Child Development, Denver, April.
- Osofsky, J. D., & O'Connell, E. J. (1972). Parent-child interaction :Daughter's effects upon mothers' and fathers' behaviors. *Developmental Psychology*, 7, 157-168.
- Osofsky, J. D., & Oilfield, S. (1971). Children's effects upon parental behavior : Mothers' and fathers' responses to dependent and independent child behaviors . Paper presented to the American Psychological Association, Washington, D. C., August.

- Owen, M. T., Chase-Lansdale, L., & Lamb, M. E. (1980). The relationship between mother-infant and father infant attachment. Unpublished manuscript. University of Michigan.
- Pakizegi, B. (1978). The interaction of mothers and fathers with their sons. *Child Development*, 49,479-482.
- Falmer, R. C. (1960). Behavior problems of children in Navy officers' families. *Social Casework* 41, 177 - 184.
- Parke, R. D. (1979). Perspectives of father-infant interaction. In J. D. Osofsky (Ed.), *Handbook of infant development*. New York :Wiley.
- Parke, R. D. Hymel, S., Power, T., & Tinsley, B. (1982). Father and risk : A hospital-based model of intervention. In D. B. Sawin & R.C. Hawkins (Eds.), *Psychosocial risks during pregnancy and early infancy*. New York : Brunner/Mazel.
- Parke, R. D., & O'Leary, S. (1976). Father - mother-infant interaction in the newborn period : Some findings, some observation, and some unresolved issues. In K. F. Riegel & J. Meacham (Eds.), *The developing individual in a changing world, Vol. 2. Social and environmental issues*. The Hague: Mouton.
- Parke, R. D., & O'Leary, S., & West, S. (1972). Mother-infant interaction in the newborn interaction: Effects of maternal medication, labor, and sex of infant. *Proceedings of the 80th Annual Convention of the American Psychological Association*, 85-86.
- Parke, R. D. , & Sawin, D. B. (1976). The father's role in infancy :A reevaluation. *Family Coordinator*, 25, 365-371.
- Parke, R. D. , & Sawin, D. B. (1977). The family in early infancy: Social interact ional and attitudinal analyses. Paper presented to the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.
- Parke, R. D., & Sawin, D. B. (1980). The family in early infancy: Social interact ional and attitudinal analyses. In F. A. Pedersen (Ed.), *The father-infant relationship. : Observational studies in the family setting*. New York : Praeger Special Publications.
- Parsons, T. (1954). The father symbol : An appraisal in the light of psychoanalytic and sociological theory. In L. Bryson, L. Finkelstein, R. M. Maclver, & R. McKeon (Eds.), *Symbols and values* . New York: Harper & Row.

- Parsons, T. (1958). Social structure and the development of personality : Freud's contribution to the integration of psychology and sociology. *Psychiatry*, 21, 321-340.
- Parsons, T., & Bales, R. F. (1955). *Family, socialization and interaction process*. Glencoe, ILL. : Free Press.
- Parsons, T., & Shils, E. A. (Eds.) (1951). *Towards a general theory of action*. Cambridge, Mass. :Harvard University Press.
- Payne, D. E., & Mussen, P. H. (1956). Parent-child relation and father identification among adolescent boys. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 52. 358-362.
- Pedersen, F. A. (1966). Relationship between father absence and emotional disturbance in male military dependents. *Merrill-Palmer Quarterly*, 12, 321-333.
- Pedersen, F. A. (1976). Does research on children reared in father absent families yield information on father influences. *Family Coordinator*, 25, 457-464.
- Pedersen, F. A. (Ed.) (1980). *The father-infant relationship: Observational studies in the family setting*. New York: Praeger Special Publications.
- Pedersen, F. A. , & Robson, K. S. (1969). Father participation in infancy. *American Journal of Orthopsychiatry*, 39, 466-472.
- Peters, D. L., & Stewart, R. B. (1979). Father - child interactions in a shopping mall : A naturalistic study of father role behavior. Paper presented to the Society of Research in Child Development, San Francisco, March.
- Peterson, D. R. Becker, W. C., Hellmer, L. A., Shoemaker, D. J., & Quay, H. C. (1959). Parental attitudes and child development. *Child Development*, 30, 119-130.
- Peterson, D. R., Becker, W. C. , Shoemaker, D. J., Luria, Z., & Hellmer, L. A. (1961). Child behavior problems and parental attitudes. *Child Development*. 32,131-162.
- Pettigrew, T. F. (1964). *A profile of the Negro American*. Princeton, N. J. : Van No strand.
- Piaget, J. (1932). *The moral judgment of the child*. New York :Harcourt, Brace.
- Pleck, J. (1977). *The work-family role system*. *Social Problems*, 24, 417-427.

- Pleck, J. (1982).** Men's new roles in the family : Housework and childcare. In C. Safilios Rothschild (Ed.), Family and Sex Roles.
- Pleck, J. H. (1979).** Father's childcare, families, and public policy. Paper presented to the American Psychological Association, New York, August.
- Porter, G., & O'Leary, O. K. (in press).** Marital discord and child behavior problems. *Journal of Abnormal Child Psychology*.
- Power, M. J., Ash, P. M., Schoenberg, E., & Sorey, E. C. (1974).** Delinquency and the family *British Journal of social work*, 4, 13-38.
- Putney, S., & Middleton, R. (1960).** Effect of husband wife interaction on the strictness of attitudes towards child rearing . *Marriage and Family Living*, 22, 171-173.
- Radin, N. (1972).** Father child interaction and the intellectual functioning of four-year-old boys. *Developmental Psychology*, 6, 353-361.
- Radin, N. (1973).** Observed paternal behaviors as antecedents of intellectual functioning in young boys. *Developmental Psychology*, 8, 369-376.
- Radin, N. (1974).** Observed maternal behavior with four-year-old boys and girls in lower class families. *Child Development*, 45,1126-1131.
- Radin, N. (1976).** The role of the father in cognitive, academic and intellectual development. In M. E. Lamb (Ed.), *The role of the father in child development*, New York: Wiley.
- Radin, N. (1978).** Childrearing fathers in intact families with preschoolers. Paper prested to the American Psychological Association, Toronto. September.
- Radin, N., & Epstein, A. (1975).** Observed paternal behavior and the intellectual functioning of preschool boys and girls. Paper presented to the Society for Research in Child Development, Denver April.
- Radke, M. I. (1946).** The relation of parental authority to children's behavior and attitudes, University of Minnesota Institute of Child Welfare Monograph, No. 22.
- Ragozin, A (1975).** Attachment in day care children : Field and laboratory findings. Paper presented to the Society for Research in Child Development, Denver, April.
- Rajecki, D. W., Lamb, M. E., & Obmascher, P. (1978).** Toward a general theory of infantile attachment: A comparative review of aspects of the social bond. *Behavioral and Brain Sciences*, I, 417-464.

- Ramey, C. T., & Mills, P. J. (1975). Mother-infant interaction patterns as a function of rearing conditions. Paper presented to the Society for Research in Child Development, Denver, April.
- Rau, L. (1960). Parental antecedents of identification. *Merill-Palmer Quarterly*, 6, 77-82.
- Rebelsky, F. G., Allinsmith, W. A., & Grinder, R. (1963). Sex differences in children's use of fantasy confession and their relation to temptation. *Child Development*, 34, 955-962.
- Reis, M., & Gold. D. (1977). Relation of paternal availability to problem solving and sex role orientation in young boys. *Psychological Reports*, 40, 823-829.
- Reiss, D., & Hoffman, H. A. (Eds.), (1979). *The American family :Dying or developing*. New York : Plenum.
- Rendina, L & Dickerscheid, J. D. (1976). Father involvement with first-born infants. *Family Coordinator*, 25, 373-378.
- Reuter, M. W., & Biller, H. B. (1973). Perceived paternal nurturance-availability and personality adjustment among college males. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 40, 339-342.
- Ricciuti, H. N., & Poresky, R. H. (1973). Development of attachment to caregivers in an infant nursery during the first year of life. Paper presented to the Society for Research in Child Development, Philadelphia, March.
- Rivenbark, W. H. (1971). Self-disclosure patterns among adolescents. *Psychological Reports*, 28, 35-42.
- Rohrer, J. H., & Edmonson, M. S. (Eds.) (1960). *The eighth generation*. New York: Harper.
- Roman, M., & Haddad, W. (1968). *The disposable parent*. New York: Holt, Rinehart, & Winston.
- Roopnarine, J. L. , & Lamb, M. E. (1978). The effects of day care on attachment and exploratory behavior in a strange situation. *Merrill-Palmer Quarterly*, 24, 85-95.
- Rosenberg, B. G., & Sutton-Smith, B. (1964). Ordinal position and sex role identification. *Genetic Psychology Monographs*, 70, 297-328.

- Rosenberg, M. (1965). *Society and the adolescent self-image*. Princeton : Princeton University Press.
- Ross, G. Kagan, J., Zelazo, P., & Kotelchuck, M. (1975). Separation protest in infants in home and laboratory . *Developmental Psychology*, 11, 256-257.
- Ross, J. M. (1975). The development of paternal identity: A critical review of the literature on nurturance and generativity in boys and men. *Journal of the American Psychoanalytic Association* 23, 783-817.
- Ross, J. M. (1977). Toward fatherhood : The epigenesis of paternal identity during a boy's first decade. *International Review of psychoanalysis*, 4,327-348.
- Ross, J. M. (1979). Fathering :A review of some psychoanalytic contributions on paternity. *International Journal of Psychoanalysis*, 60, 317-327.
- Rothbart, M. K., & Maccoby, E. E. (1966). Parent's differential reactions to sons and daughters. *Journal of Personality and Social Psychology*, 4, 237-243.
- Russell, G. (1978). The father role and its relation to masculinity, femininity, and androgyny. *Child Development*. 49, 1174-1181.
- Rutherford, E. E., & Mussen, P.H. (1968). Generosity in nursery school boys. *Child Development*, 39, 755-765.
- Rutter, M. (1971). Parent-child separation : Psychological effects on the children. *Journal of Child Psychology and Psychiatry*. 12, 233-260.
- Rutter, M. (1973). Why are London children so disturbed ? *Proceedings of the Royal Society of Medicine*, 66,1221-1225.
- Rutter, M. (1974). Epidemiological strategies and psychiatric concepts in research on the vulnerable child. In E . J. Anthony & C. Koupernik (Eds.), *The child in his family : Children at psychiatric risk*, Vol. 3. New York :Wiley.
- Rutter, M. (1979). Maternal deprivation, 1972-1978 : New findings, new concepts, new approaches. *Child Development*, 50, 283-305.
- Rutter, M., Cox, A., Tupling, C., Berger, M., & Yule, W. (1975). Attainment and adjustment in two geographic areas, I : The prevalence of psychiatric disorder.' *British Journal of Psychiatry*, 126, 493-509.

- Rutter, M., & Madge, N. (1976). *Cycles of disadvantage : A review of research*. London: Heinemann.
- Santrock, J. W. (1977). Effects of father absence on sex-typed behaviors in male children : Reason for the absence and age of onset of the absence. *Journal of Genetic Psychology*, 130, 3-10.
- Santrock, J. W. (1970). Effects of father absence sex typing, and identification. *Developmental Psychology*, 2, 264-272(a).
- Santrock, J. W. (1970). Influence of onset and type of paternal absence on the first four Eriksonian developmental crises. *Developmental Psychology*, 3, 273-274(b).
- Santrock, J. W. (1972). Relation of type and onset of father-absence to cognitive development. *Child Development*, 43, 455-469.
- Santrock, J. W., & Wohlford, P. (1970). Effects of father absence: Influence of the reason for and the onset of the absence. Paper presented to the American psychological Association, August.
- Scarpitti, F. R., Murray, E., Dinitz, S., & Reckless, W. C. (1960). The "good" boy in a high delinquency area: Four years later. *American Sociological Review*, 25, 555-558.
- Schaefer, E. S. (1965). Children's reports of parental behavior: An inventory. *Child Development*, 36, 413-424.
- Schaefer, E. S. (1971). The ecology of child development : Implications for research and the professions. Paper presented to the American Psychological Association, New Orleans, August.
- Schaffer, H. R. (1971). *The growth of sociability*. Harmondsworth : Penguin.
- Schaffer, H. R., & Emerson, P. E. (1964). The development of social attachments in infancy. *Monographs of the Society for Research in Child Development*, 29, Serial No. 94.
- Scheinfeld, D. R. (1969). On developing developmental families, Paper presented at Head Start Research Seminar 5, Washington, D. C., January.
- Sciara, F. I. (1975). Effects of father absence on the educational achievement of urban black children. *Child Study Journal*, 5, 45-55.
- Sears, P. S. (1951). Doll play aggression in normal young children: Influence of sex, age sibling status, father's absence. *Psychological Monographs*, 65, No.6.

- Sears, P. S. (1953). Childrearing factors related to the playing of sex typed roles. *American Psychologist*, 8, 431 (Abstract).
- Sears, R. R. (1957). Identification as a form of behavioral development. In D. R. H (Ed.), *The concept of development*. Minneapolis : University of Minnesota Press.
- Sears, R. R. (1970). Relation of early socialization experiences to self concepts and del role in middle childhood. *Child Development*, 41, 267-289.
- Sears, R. R. , Maccoby, E. E., & Levin, H. (1957). *Patterns of child rearing. Evan III. :Row Peterson.*
- Sears, R R., Pintler, M. H., & Sears, P. S. (1946). The effect of father separation preschool children's doll play aggression. *Child Development* , 17, 219-243.
- Sears, R. R., Rau, L., & Alpert, R. (1965). *Identification and child rearing. Stanford University Press.*
- Sears, R. R., Whiting, J. W. M., Nowlis, V., & Sears, P.S. (1953). Some child-rearing antecedents of aggression and dependency in young children. *Genetic Psychology Monographs*, 47, 135-236.
- Seider, J. A. (1957). The origin of differences in extent of independence in child Developmental factors in perceptual field dependence. Unpublished bachelor's thesis, Radeliffe College.
- Seplin, C. D. (1952). A study of the influence of the father's absence for military service. *Smith College Studies in Social Work* 22, 123-124.
- Shaw, M. C., & White, D. L. (1965). The relationship between child parent idention and academic underachievement. *Journal of Clinical Psychology*, 21,10-13.
- Shedd, C. (1975). *Smart dads I knew. New York : Sheed & Ward.*
- Sheehy, G. (1979). Introducing the postponing generation. *Esquire*, 92 (4), 25-33.
- Shinn, M. (1978). Father absence and children's cognitive development. *Psychological Bulletin*, 85, 295-324.
- Siegman, A. W. (1966). Father - absence during childhood and antisocial behavior. *Journal of Abnormal Psychology*, 71, 71-74.
- Slater, P. E. (1961). Parental role differentiation. *American Journal of Sociology*, 67, 296-311.
- Slater, P. E. (1962). Parental behavior and the personality of the child. *Journal of Genetic psychology*, 101, 53-68.

- Sluckin, W. (1965). *Imprinting and early learning*. London: Methuen.
- Smelser, W. T. (1963). Adolescent and adult occupational choice as a function of socio-economic history. *sociometry*, 26, 393-409.
- Solomon, D. (1969). The generality of children's achievement-related behavior of *Genetic Psychology*, 114, 109-125.
- Sopchak, A. L. (1952). Parental identification and tendencies toward disorders asured by the MMPI. *Journal of Abnormal and Social Psychology* , 47, 159-165.
- Sopchak, A . L. (1958). Spearman correlations between MMPI scores of college students and their parents. *Journal of Consulting Psychology*, 22, 207-209.
- Spelke, E., Zelazo, P., Kagan, J., & Kotelchuck, M. (1973). Father interaction and separation protest. *Developmental psychology*, 9, 83-90.
- Stafford, L. M. (1978). *One man's family*, New York :Random House.
- Stein, E. V. (1974). Fathering: Fact or fable? *Journal of Pastoral Care*, 28, 23-25.
- Steinberg, L. D., & Hill, J. P. (1978). Patterns of family interaction as a function of age, the onset of puberty, and formal thinking. *Developmental Psychology*, 14, 683-684.
- Speece. B. A. (1967). *Altruism in the elementary school*. Unpublished doctoral dissertation, University of Nebraska Teachers College.
- Stephens, W. N. (1961). Judgment by social workers on beys and mothers in fatherless families. *Journal of Genetic Psychology*, 99, 59-64.
- Stephens, W. N. (1963). *The family in cross-cultural persopective*. New York: Holt, Rinehart, & Winston.
- Stevens, J. H., & Mathews, M. (Eds.) (1978). *Mother/child, father/child relations*. Washington, D. C.: National Association for the Education of Young Children.
- Stoke, S. M. (1954). An inquiry into the concept of identification. In W.E. Martin & C. B. Stendler (Eds.), *Readings in child development*. New York : Harcourt, Brace, & World.
- Stoltz, L. M., et al (1954). *Father ;relations of war-born children*. Stanford : Stanford University Press.

- Stone, P. J. (1970). Child care in 12 countries. Paper delivered at the World Congress of Sociology, Verna, Bulgaria.
- Sullivan, H. S. (1953). The interpersonal theory of psychiatry. New York: Norton.
- Sunley, R. (1955). Early nineteenth-century American literature on child rearing. In M. Mead & M. Wolfenstein (Eds.), *Childhood in contemporary cultures*. Chicago: University of Chicago Press.
- Sutton-Smith, B., & Rosenberg, B. G. (1965). Age changes in the effects of ordinal position on sex-role identification. *Journal of Genetic Psychology*, 107,61-73.
- Sutton-Smith, B., & Rosenberg, B. G. (1970). *The sibling*. New York: Holt, Rinehart, & Winston.
- Sutton-Smith, B., Rosenberg, B. G. , & Landy, F. (1968). Father-absence effects in families of different sibling compositions. *Child Development*, 38, 1213-1221.
- Tallman, I. (1965). Spousal role differentiation and the socialization of severely retarded children. *Journal of Marriage and the Family*, 27, 37-42.
- Tasch, R. J. (1955). The Interpersonal perceptions of fathers and mothers. *Journal of Genetic Psychology*, 87, 59-65.
- Thompson, R. A. , & Lamb, M. E. (1981). Quality of attachment and stranger sociability in infancy. Unpublished manuscript. University of Michigan.
- Thrasher, F. M. (1927). *The gang*. Chicago : University of Chicago Press.
- Tiller, P. O. (1957). Father absence and personality development of children in sailor families : Part II. In N. Anderson (Ed.) , *Studies of the family*, Vol. 2 Gottingen : Vandenhoeck & Ruprecht.
- Tiller, P. O. (1958). Father absence and personality development of children in sailor families. *Nordisk psykologi's Monograph series*, 9, 1-48.
- Tiller, P. O. (1961). *Father separation and adolescence* Oslo : Institute for Social Research.
- Tower, R. B. (1980). Parents self concepts and preschool children's behaviors. *Journal of Personality and Social Psychology*, 39, 710-718.
- Tuck, S. A. (1969). Model for working with black fathers. Institute for Juvenile Research :Research Report, 6, Whole No. 11.

- Uddenberg, N. (1976). Mother-father and daughter-male relationships: A comparison. *Archives of Sexual Behavior*, 5,69-79.
- Van Der Leeuw, P. J. (1958). The preoedipal phase of the male . *Psychoanalytic Study of the Child*, 13, 352-374.
- Van Der Veen, F. (1965). The parent's concept of the family unit and child adjustment. *Journal of Counseling Psychology*, 12, 196-200.
- Von Der Heydt, V. (1964). The role of the father in early mental development . *British Journal of Medical Psychology*, 37,123-131.
- Wallerstein. J., & Kelly, J. (1974). The effects of parental divorce: The adolescent experience. In E.J. Anthony & C. Koupernik (Eds.), *The child in his family : Children at psychiatric risk*, Vol. 3 New York: Wiley.
- Wallerstein, J., & Kelly , I. (1975). The effects of parental divorce: Experiences of the preschool child. *Journal of the American Academy of Child Psychiatry*, 14, 600-616.
- Wallerstein. J., & Kelly, J. (1976). The effects of parental divorce :Experiences of the child in later latency. *American Journal of Orthopsychiatry*, 46, 256-269.
- Wallerstein. J., & Kelly, I. (1980). *Surviving the breakup*. New York .Basic Books.
- Warren. W. (1957). Conduct disorders in children. *British Journal of Delinquency*, 1, 164.
- Warshak, R., & Santrock, J. W. (1979). The effects of father and mother custody on children's social development. Paper presented to the Society for Research in Child Development, San Francisco, March.
- Weerts, C. E. (1966). Social class and initial career choice of college freshman. *Sociology of Education*, 39, 74-85.
- Weinraub, M., & Frankel, J. (1977). Sex differences in parent-infant interaction during free play, departure, and separation. *Child Development*, 48, 1240-1249.
- Wohlford, P. et al. (1971). Order brother's influence on sex-typed, aggressive, and dependent behaviour in father absent children. *Developmental psychology*, 4,124-134.

- Wylie, H. L. , & Delgado , R. A. (1959). Pattern of mother- son relationship involving the absence of the father. *American Journal of Orthopsychiatry*, 29, 644-649.
- Wynn, M. (1964). *Fatherless families*. London: Michael Joseph.
- Yarrow, M. R., Scott, P., Deleeuw, L., & Heinig, C. (1962). Child rearing in families of working and non-working mothers. *Sociometry*, 25, 122-140.
- Yarrow, M. R., Walxer, C. Z., & Scott, P. M. (1971). Child effects on adult behavior. *Developmental Psychology*, 5,300-311.
- Yogman, M. W., Dixon, S., Tronick., E. Adamson, L. Als, H., & Brazelton, T. B. (1976). Development of infant social interaction with fathers. paper presented to the Eastern Psychological Association. New York . April.
- Yogman, M. W., Dixon, S., Tronick., E. Als, H. Adamson, L. Lester, B., & Braselton, I. B. (1977). The goals and structure of face to face interaction between infants and fathers . Paper presented to the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.
- Zelazo, P. R. , Kotelchuck., M., Barber, L., & David, J. (1977). Fathers and sons :An experimental facilitation of attachment behaviors. Paper presented to the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.
- Zelditch, M. (1955). Role differentiation in the nuclear family : A comparative study . In T. Parsons & R . F. BClles (Eds.), *Family, socialization, and interactional processes*. Glencoe, III. :Free Press.
- Zigler, E., & Child, L L. (1969). Socialization . In G. Lindzey & E. Aronson (Eds.), *Handbook of social psychology* (2nd ed.) Reading, Mass. :Addison-Wesley.
- Zigler, E., Lamb, M. E., & Child, I. L. (1982). *Socialization and personality development*. New York : Oxford University Press.

\* \* \*